

جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

مكة المكرمة

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات
رقم ٢٣٥
تاريخ
١٤٤٤ هـ

دور اليهود في القرآني الباطنية

رسالة مقدمة لنسبيل درجة التخصيص (العاجستهر)
الى قسم الدراسات العليا
الشريعة

فرع العقيدة

بإشراف: فضيلة الشيخ / محمد الغزالي
اعداد : الطالب / أحمد محمد أحمد مغربي



١٤٠١
١٩٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديهم، ونعوذ
بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهـدي
الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله .

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين . السك
حميد مجيد .

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

يا أيها الذين آمنوا كونوا قويمين لله شهداء بالقسط
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب
للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون *

صدق الله العظيم

قال محمد رشيد رضا في تفسير (ولا يجرمنكم شنآن قوم
على ألا تعدلوا) :

أي ولا يكسبنكم ويحملنكم بغض قوم وعداوتهم لكم أو بغضكم
وعداوتكم لهم ، على عدم العدل في أمرهم بالشهادة لهم
بحثهم ؛ اذا كانوا أصحاب الحق ، ومثلها هنا الحكم
لهم به ، فلا عذر لمؤمن في ترك العدل وإيثاره على الجور
والحباية ، وجعله فوق الأهواء وحظوظ الأنفس ، وفوق المحبة
والعداوة مهما كان سببها ؛ فلا يتوهم من متوهم أنه يجوز ترك
العدل في الشهادة للكافر ، أو الحكم له بحقه على المؤمن .

* سورة المائدة ٨
١- تفسير المنار ج ٦ ص ٨٤ ط ٢ بالأوفست ، بيروت ، دار
المعرفة ، د ٠ ت ٤ ص ٢٧٤

كلمة شكر وهرفسان

اعتزانا بالفضل وشكرا لأهله؛ أَدْعُو الله خالصا أن يجسزي
عني كل من ساهم في اظهار هذا البحث خيرا ما يجزى به
المحسنون .

وعلى رأسهم: « فضيلة الشيخ محمد الغزالي المشرف على
هذه الرسالة وموجهي الأول؛ الذي منحني الكثير من علمه، ومن
وقته الثمين؛ فقد أنفق معي ساعات كثيرة في منزله بمكة وبينته
بمصر اضافة الى الوقت الرسمي أثناء ساعات الاشراف؛ فكان
نعم الأب ونعم الشيخ .

* أخي وزميلي العزيز سليمان السلومي الذي أوقف مكتبته
لساعدتي، ولم يضمن علي بمرجع توفر لديه . وربّ أرحم لم تلده
أمك .

* الدكتور أحمد عبدالمجيد هريدي الاستاذ بجامعة المنيا
بمصر؛ الذي فتح لي بيته ومكتبته ووجهني الكثير من علمه، ولولا
لكانت هذه الرسالة خالية من كثير من مراجعها الأساسية .

* الاستاذ عبدالله الحبشي، الباحث بمركز الدراسات اليمنية
بصنعاء الذي كان له الفضل الأول بعد الله في الحصول على
المصادر اليمنية للفرق الباطنية .

* والاستاذ صباح حامد صباح؛ الذي تفضل بكتابة هذه
الرسالة على الآلة الكاتبة .

* كما أشكر كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة
في شخص القائمين عليها؛ حيث قُبلت طالبا بها .

* وكذا الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة في شخص القائمين عليها؛

حيث احتضنتني احتضان الوليد
* كما أشكر اللجنة الموقرة؛ التي تفضلت بمناقشة الرسالة .
وجزى الله المحسنين كل خير .

المقدمة

من نعم الله تعالى على ان انتسبت لهذه الكلية العريقة - كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المشرفة - منذ ان طرقت ابواب التعليم الجامعي ومن نعمة تعالى ان قبلت في قسم الدراسات العليا بها ولما اكملت السنة المنهجية بهذا القسم لزمني اختيار موضوع اتقدم به لنيل درجة التخصص . فوفقني الله تعالى وهداني بإرشاد استاذين لي جليلين هما الاستاذ محمد قلب والدكتور عوض الله حجازي لاختيار الموضوع الذي بين يديكم وهو :

(دور اليهود في الفرق الباطنية)

ولان الموضوع يمس جانباً خاصاً في علم الفرق والمذاهب الفكرية فقد كان لاختياري له ردود فعل متباينة من اساتذتي وزملائي ، بمن مشجع ومشفق ومثبط . فزادني ذلك اصراراً عليه ورغبة في سبر غوره وعدت الى باب الكتب استشف منها ابعاد الموضوع واجري عليه دراسة تمكني من وضع مخطط اسير عليه فيه واقنع قسم الدراسات العليا به للموافقة عليه واجازته .

وهنا وفقني الله بموافقة شخي المبارك الشيخ محمد الغزالي ليتولى مهمة الاشراف عليّ فازددت بنصحه وتوجيهه الابوين اقداماً رغم ما بدا من الدراسة الاولية لمظان البحث من الصعوبة والفموض . وبعد ذلك مضيت مستعينة بالله الذي ما خاب من استعان به وجعلت امامي هدفاً واحداً عنه لا اريم ، الا وهو ابتغاء وجه الله في معرفة الحقيقة في :

- (١) عقائد الفرق الباطنية من حيث قربها وبعدها عن الاسلام .
 - (٢) ما قيل عن دور اليهودي في ايجاد العقائد الغالية التي ظهرت في البلاد الاسلامية على يد الفرق الباطنية .
- انطلاقاً من الذي ثبت عند اهل العلم عن :

- ١ دخول بعض الافكار اليهودية الى التفسير والحدث وهي ما عرّف بالاسرائيليات .
- ٢ التهم التي وجهها بعض المفكرين للفكر الشيعة عامة والمقائد الباطنية خاصة من حيث وجود علاقة ما بينها وبين الافكار اليهودية واشخاصها .
- ٣ التهم التي من بعض المعاصرين من مستشرقين وغيرهم الى اصل السنة خاصة تلك التي تقول بانهم كانوا يتجنون على الشيعة وخاصة الباطنيين منهم ويتهمونهم زورا بما ليس فيهم .

صعوبة الموضوع :

تجلت صعوبة موضوع هذا البحث الذي تبين من انه احد المواضيع التي لم تطرق من قبله فحصرت ابعاده على النحو التالي :
 البعد العلمي : ويتطلب الوقوف على عدد لا يستهان به من المراجع لجمع الجزئيات الصغيرة المتفرقة بين اداس الورق المليئة بالاسطر .

البعد التاريخي : ويتطلب دراسة لفترات زمنية متلاحقة تبدأ بزوغ الاسلام وتنتهي بالزمن الحاضر ؛ لان الفرق الباطنية في معالمها موجودة في العالم الاسلامي اليوم على حالها ، وعليه فوجدت انسه يجب حصر البحث في فترة تاريخية معينة ، ولكن لما بدا ان ذلك غير ممكن باعتبار البحث مما يختص بعقائد مترابطة ، ولكني استبعدت ما يختص بوضع الباطنيين في العصر الحاضر .

ومن ناحية اخرى فقد وجدت ان البعد التاريخي للفرق الباطنية يتطلب تعقب التراث الفكري لتفريعات صغيرة نشأت في زوايا تاريخية مختلفة عن الفرق الباطنية الاساسية ، فاقترنت الامر عليها رغم قصوره .
 البعد الفكري : يستلزم الخوض في عقائد مختلفة مثل :

- (١) الافكار الفلسفية وخط مسارها .
- (٢) العقائد اليهودية ومصادرها .

والتراث اليهودي كي تتبين مدى صحة ما قيله والنتيجة المتوقعة تتراوح بين
النفى لهذا الدور وحينئذ يكون ما ذهب اليه المتقدم مجرد اقسوال
لا قيمة لها وحسبهم الله في ذلك ، او الاثبات فيصبح ما ذهب اليه
المتقدم صوابا نتج عن علم ودراية وحث وتمحيص ، وفي كلا الحالتين
علينا ان نتبع الحق فهو احق ان يتبع .

المقصود بالدور اليهودي ؛

ان المقصود بذلك هو ما قد يظهر من تراث الباحثين في عقيدتهم
ودعوتهم من افكار وجدت عن اليهود ولا فرق في ذلك ان تكون مما هو فسي
اصل تراثهم او ما ادخلوه عليها من الافكار السائدة في ملل اخرى ولا يستقيم
هذا المذهب اذا ثبت لنا ان الباحثين اخذوا فكرة ما من مصدر غير
يهودي وان نفس ذلك كان من اليهود .

منهج البحث ؛

ان منهج البحث في هذه الرسالة يستند في عمومه الى الطريقة
التي تحاول قدر الامكان الرجوع بالنقاط الى منطلقها وذلك من طريق
المتابعة ، وهذه الطريقة تستلزم التجميع والتفريق والفر وتناول امور
قد يظهر منها للوهلة الاولى بعدد ما عن بؤرة الموضوع .
فلا يستغرب بعد ذلك ما قد يجده القارئ فيظن انه خارجا
عن الموضوع ، كما هو الحال بالنسبة لموضوع الباب الاول الذي يتحدث عن
الفلاة .

تقسيم الرسالة ؛

قسمت هذه الرسالة الى :

(١) تمهيد :

وضع الباحث فيه نبذة عن تاريخ هذا العلم ، وعرج فيه نحو
المصادر التي يمكن منها استقاء هذا البحث ما يمكن اعتباره محاولة لمعرفة

تلك المصادر وقيمتها العلمية .

(٢) الباب الاول : الفلو الشيعي والفرق الباطنية .

يبدأ هذا الباب بتمهيد عن التشيع وظهوره في العالم الاسلامي .
والفصل الاول من هذا الباب : الصحابة والفلو الشيعي .
ويتحدث عن تركيب مجتمع عصر النبوة من حيث علاقة الصحابة برسول
الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم له وعلاقتهم بعضهم ببعض وخاصة
علاقتهم بآل البيت النبوي ومحبتهم لهم .

كما تحدث عن وجهة نظر الصحابة في موالاته علي بن ابي طالب السب
وتفسيرهم لها ووجهة نظر السلف الصالح لاهل البيت والمقصود بهم
هنا علي والحسنين - من التشيع وهل شجع هؤلاء على التشيع ووجوده .
ونغم الفصل بحقيقة التشيع ماهي وما انبثقت .

الفصل الثاني : ظهور الفلو . وفيه :

تصريف بالمقصود من الفلو الشيعي ، يتبعه تصنيف اجمالسي
لغلاة الشيعة . ثم دراسة عن عهد الله بن سبأ اليهودي واستمراض
اقوال من انكر وجوده كلياً ومن انكر وجوده جزئياً مثل من انكر كونه من
اليهود ومن انكر دوره السياسي ومن احوال ما نسب الى ابن سبأ الى عمار بن
ياسر علي انه هو عهد الله بن سبأ ، وتخلل ذلك الروايات السنية والشيعية
عن عهد الله بن سبأ ووجهة نظر الشيعة الباطنيين في هذه الشخصية .

الفصل الثالث : الفلو بعهد عبد الله بن سبأ .

وهو يتحدث عن الفرقة الخالية المعروفة بالسبئية وعقائد هذه
الفرقة ، وعن الفرق الكيسانية التي قالت بامامة محمد بن الحنفية وذريته
مثل الكربية والهاشمية والبيانية والحربية والعباسية والجناحية وعقائد
كل فرقة من هذه الفرق . ثم عرض هذه العقائد على ضوء الفكر اليهودي .

ثم جرى الحديث في هذا الفصل عن الغلاة في ذرية الحسن بن
علي وهم الفرقة المغيرية وعقائد ما على ضوء الفكر اليهودي .

يلبي ذلك الذا بن غلوا في ذرية الحسين بن علي مثل :

المنصورية والخالابية بشتى فرقها وعقائد كل منهم وعلاقة تلك العقائد بالفكر اليهودي .

الفصل الرابع : ظهور الفرق الباطنية من الغلاة .

وهو استعراض للفرق التي ظهر فيها القول بالتأويل الباطني اكثر من ظهوره عند الغلاة فاستحقوا لذلك لقب الباطنيين وهم النصرية والاسماعيلية والمباركية واصناف الاسماعيلية الذين ظهوروا بعد ذلك مثل : الدرروز والنزارية والمستحلية الداودية والسليمانية . وفي ختام هذا الباب استعرض البحث اهم النتائج التي تسم التوصل اليها .

(٣) الباب الثاني : عقائد الفرق الباطنية .

ويتعرض لتلك العقائد مبتدئا باهم عقيدة عن الباطنيين وهي " التأويل الباطني " لان جميع العقائد عندهم مبنية على ذلك وشمس هذا الفصل على تعريف بعد لول هذا الاصطلاح واهمية القول بالظاهر والباطن عند الباطنيين وما قيل عنهم بسقوط العمل بالظاهر . ثم جرى الحديث عن اصل التأويل الباطني من وجهة نظر الباطنيين ومن وجهة نظر غيرهم يلي ذلك ما قيل عن وجود التأويل الباطني عند اليهود وعند غلاة الشيعة . ثم العوامل المشتركة بين اليهود والباطنيين بالنسبة للتأويل الباطني . وقد ختم الفصل بنماذج للتأويل الباطني للقرآن الكريم كما اوردته كتبهم .

الفصل الثاني : التسبيح وعنى احدى العقائد الباطنية وفيه توضيح لقيمة الرقم (٧) في عقائدهم ، يلي ذلك ما ذكره من القول بالادوار السبعة وفي هذا ما فيه من القول الذي يذكرنا بنظرهم عن فناء العالم . ثم علاقة التسبيح بالتناسخ . فنبذة عن تطبيق نظريات التسبيح على الواقع عند الباطنيين وفي ختام الفصل تحدثت عن اصل التسبيح وعلاقته بالفكر اليهودي .

الفصل الثالث : الاله عند الباطنيين، فيه حديث عن قصة

الخلق كما يصورها الباطنيون واهمية الملائكة ومن هم عند الباطنيين واليهود ، يليه الاشتراك اللفظي في اسم الله عز وجل وتعالى بسين ذاته وسواه عند الباطنيين ومثيل ذلك عند اليهود ، ثم ظاهرة تأليه النصرية لعلي بن ابي طالب ، والقول بحلول روح الله الذي نسب السبي بقية الباطنيين .

الفصل الرابع : عقيدة الباطنيين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم الانبياء والمرسلين ، ومن هو آخر الرسل عند الباطنيين وقولهم بنسخ الشريعة ، ومكانة محمد صلى الله عليه وسلم عند الباطنيين .

الفصل الخامس : الامامة . تصريفها ومنزلتها في عقائد الشيعة يلي ذلك الامامة عند الباطنيين وفيه خصائص اتمهم من حيث تكونهم وصفاتهم ومعجزاتهم وعصمتهم كل ذلك بالاضافة الى علاقة ذلك بالفكر اليهودي ، ثم حديث عن قول الباطنيين باستمرار الامامة امد الدهر بامام ظاهر او مستور والمقصود بذلك عند هم واسبابه .

الفصل السادس : يتحدث عن الائمة الباطنيين المستورين ، ويشمل ترجمة لاسماعيل بن جعفر الذي ينتسب لاسماعيليين الباطنيين المسمي ودوره في الفكر الباطني ، يلي ذلك ترجمة اخرى لابنه محمد بن اسماعيل وفيها تعرض الباحث ايضا لدوره في الفكر الباطني . وقد ختم هذا الفصل بنبذة عن الائمة الباطنيين المستورين .

الفصل السابع : عقيدة المهدي المنتظر ، ويشتمل على مسألة المهدي المنتظر عند اهل السنة والجماعة ، ويليه ذات المسألة عند الشيعة ، ثم المهدي الباطني المنتظر وافضلته عند هم وعلاقته بالقيامه والبحث والنشور . يليه ذكر للاراء الباطنية في الثواب والعقاب وعلاقة ذلك بالفكر اليهودي . وهو آخر فصل في الباب الثاني . وختمت الباب باستعراض لاهم النتائج التي ظهرت من دراسة هذا الباب .

(٤) الباب الثالث : الدعوة الباطنية ودعاتها .

يتحدث الفصل الاول من هذا الباب من عماد الدعوة الباطنية وركنيتها الاساسيين : السرية ووسائلها وعلاقة ذلك بالفكر اليهودي التدرج في الدعوة الباطنية بحيث يرتفع الباطني الى درجة من درجات دينهم قبل ان يكمل الدرجة التي سبقت ومعنى ذلك واهمية اخذ العهد على كل من ينتسب اليهم واسباب ذلك وعلاقة القمع الفكري باساليب الدعوة الباطنية . ثم موازنة الفرق الباطنية والجمعية الماسونية والحلاقة بين الماسونية واليهود وبين الباطنيين في الدعوة .

الفصل الثاني : عن الدعاة الباطنيين وتنظيمهم ومراتبهم ، يلبي ذلك تجاوزات من بعض الدعاة نسبت الى الفكر الباطني وشوهرته وعلاقته ذلك بحقيقة العقيدة الباطنية ، ثم استعراض لما نسب الى بعض دعاتهم من وجود نماذج فكرية يهودية في تراثهم .

الفصل الثالث : يتحدث عن جانب هام من تاريخ الدعوة الباطنية من حيث علاقته بكون الخلفاء العبيد بين ائمة من اهل البيت . وقد استعرض الباحث عملية ارسال الباطنيين الدعاة الى اماكن معينة في العالم ، وانتشار الدعوة الباطنية في اليمن والمغرب وتعيين مركز انطلاق الدعوة الباطنية . وجري الحديث في هذا الفصل عن مسألة النسب الفاطمي ومن اول من نفاه عن العبيد بين هل هم اهل السنة باعتبارهم مناوئين للباطنيين ام غيرهم ، وفيه كيفية بداية تأسيس دولة العبيد بين علي يد عبيد الله المهدي وعلاقته بالخليفة الذي كان بعده وهو القائم بامر الله ، ثم عن علاقة العبيد بين بالقداحيين ابنا ميمون القداح ويلييه دراسة عن ذرية ميمون القداح وعلاقتهم بالدعوة الباطنية من وجهة نظر الباطنيين ومن وجهة نظر سواهم ، وختام الفصل كان استعراضا لما قيل في اصل القداحيين ونسبتهم الى اليهود كل ذلك من خلال مقارنة في ذلك بين المصادر الباطنية والمصادر الاخرى .

وفي نهاية الباب استعرضت اهم النتائج التي ظهرت في ختام هذا الباب وهو آخر ابواب الرسالة .

وبعد ذلك وضعت خاتمة للرسالة ؛ تحدثت فيها عن اشياء
وجدتها على جوانب مختلفة من الرسالة ما يمكن اعتباره نقدا لها
وختمت الرسالة بالنتائج العامة التي توصل اليها والاقتراحات
التي يأمل الباحث تحقيقها .

وقد وجدت رغبة في اضافة ملاحق للرسالة لنصوص باطنية
رجع اليها وبعضها غير معروف من قبل ، ولكن لظروف اعتبرها
خاصة امتنعت عن ذلك ولان الرسالة استفادت في مجموعها من تلك
النصوص بقدر كاف ، الا ان هناك كتابا نشرته الجامعة الامريكية
بالقاهرة منذ اكثر من عشرين سنة فيه رسالة من المهدي عبيد الله
مؤسس الدولة العبيدية فأثرت نشره كما هو باعباره وثيقة رسمية
عبيدية باطنية حول مسألة النسب الفاطمي .

وبالله تعالى التوفيق ومنه نستمد العون ..

[كذا]: ورود كلمة كذا بين الحاصرتين يأتي بين النصوص المستشهد بها ،
وهي اشارة الى أن العبارة وردت كذلك في النص الذي يتضح فيه
وجود خطأ ما ، أثر الباحث الابقاء عليه .

جميع التواريخ في البحث بالتاريخ الهجري ، فهو تاريخ المسلمين
الا أن ينوء على خلاف ذلك ما عدا هوامس المراجع التي أرخ لظهورها
بالتاريخ المسيحي وهو واضح ومألوف .

تمهيد

ان دراسة عقائد الفرق من العلم الاسلامية الجليلة ، التي ظهرت قديما .
وقد اشار فؤاد سزكين الى ان التأليف في هذا العلم يمتد الى القرن الأول حيث
الف ابو الأسود الدؤلي (- ٦٩) رسالة في ذم القدرية (ر . تاريخ التراث
العربي ، ج ٢ الطبعة العربية ، ص ٣٤٥) .

وعلم عقائد الفرق ذوجانب منها :

١- الردود : وهو الجانب الذي يهتم بالناحية الجدلية ، بالرد على عقيدة
ما أو ذمها أو حتى الدفاع عنها ، وربما كان هذا الجانب من أقدم الجوانب
في علم عقائد الفرق .

٢- الدراسات المقارنة : وهي تميل الى الحديث المجرد عن الفرق ومقالاتها
وهذا الجانب وان لم يخل من الناحية الجدلية الا أن له طابعا عاما هو
ما يمكن تصنيفه الى جانب الدراسات المقارنة ، كما أن له رائدا هاما ، يفيد
الذين يهتمون بتاريخ الحركات الفكرية ، وأحسب أن ما تحدث به ابن قتيبة
(- ٢٧٦) في كتاب المعارف يمكن اعتباره نموذجا قديما قائما بصور لنا ذلك
(ر . ص ص ٦٢٢ - ٦٢٥ منه) .

وقد أطلق على الكتب التي اختلفت بهذا النوع من الدراسات " كتب المقالات " .
كما سمي مؤلفوها " أصحاب المقالات " . ولعلها اكتسبت ذلك من أول كتاب ألف
في هذا الجانب ، وهو كتاب الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي (- ٢٤٥ أو ٢٤٨)
المسقى بكتاب المقالات (ر . سزكين . تاريخ التراث العربي ، ٣٦٨ / ٢ ، ٣٦٩)
وهذا الكتاب مفقود حاليا .

ومن كتب المقالات ما اتخذ الجانب العام وأعني به دراسة عامة للفرق ومقائدها
وبين يدي طلاب العلم في ذلك على سبيل المثال ،

كتاب أبي الحسن الأشعري (- ٣٣٠) وهو مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .

- كتاب البغدادي (٤٢٩ -) وهو : الفرق بين الفرق .
 - كتاب ابي محمد علي بن حزم (٤٥٦ -) وهو : الفصل في الملل والأهواء والنحل .
 - كتاب الشهرستاني (٥٤٨ -) وهو : الملل والنحل .
 - كتاب الفخر الرازي (٦٠٦ -) وهو : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .
- وقد استفاد البحث من هذه الكتب الكثير من علمها فيما يختص بالفلاة وبالفسوق الباطنية .

ونجد في الكتب الموسوعية مقاطع هامة عن الفرق مثل :

- كتاب ابن قتيبة . وهو : المعارف الذي سبق الحديث عنه .
- كتاب الداعي الباطني أبو حاتم الرازي (٣٢١ -) ، وهو : كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية والعربية ، الذي يعتبر القسم الثالث منه كتابا يكاد يكون مستقلا عن الفرق من وجهة نظر شخص باطني حاول أن يتجرد عن باطنيته ، وقد استفاد البحث منه فيما يختص بالفلاة .

ومن كتب المقالات ما اتبع الجانب الخاص ، وأعني بذلك اجراء دراسة عن فرق خاصة يجمعها رأى متقارب . ومن الممكن اعتبار أصل بن عطاء المعتزلي (١٣١ -) من أول المصنفين في هذا المجال حين ظهر بكتابه " أصناف المرجئة " (ر . محمد محي الدين عبد الحميد . مقدمة لكتاب مقالات الاسلاميين . وسركسـين ٣٦٠ / ٢) .

وأشهر الكتب حاليا في ذلك :

- كتاب سعد بن عبدالله الأشعري القمي (٣٠١ -) ، وهو كتاب المقالات والفرق .
 - كتاب ابي الحسن النوختي (٣١٠ -) ، وهو : فرق الشيعة
- والكتابان من مصادر هذا البحث وعمما يهتمان الى حد بعيد بفرق الشيعة خاصة ، أكثر من اهتمامهما بسواها من الفرق .

عن الفرق الباطنية خاصة يمكن القول ان معظم ما ألف فيها يعتبر من صنف الكتب

وإذا نظرنا إلى الفرق الباطنية من حيث نسبتها إلى " الباطن " ومن حيث اعتمادها " السرية " و " الستر " ملهجا لها - كما سيتضح في البحث - ؛ فإن التسميـب التي ألفت عن هذه الفرقة من غير أهلها تتميز بأسماء مقرونة " بالكشف " و " اللمحة " و " الفصح " . ولا ينسحب هذا بالضرورة على ما كان من قبل في كتب أصحاب المقالات عن الباطنية ، ولعل أقدم الكتب التي اهتمت بالفرق الباطنية خاصة :

كتاب ابن عبد الله بن رزام (عاش تخميناً في أوائل القرن الرابع - لويس ص ٥٧) .
ان ابن النديم الذي نقل نصوصاً عن هذا الكتاب لم يسمه ولكنه وصفه بأنه : رد على الاسماعيلية وكشف مذاهبهم (ر . الفهرست ص ٢٧٨) . والكتاب مفقود حالياً الا أن ابن النديم (- ٣٧٨) نقل منه كما تقدم . وكذا المسعودي (- ٣٤٦) والمقرئبي (- ٨٤٥) . (ر . الفهرست ص ٧٨ واتعاظ الحنفا ٢٢ / ١ ولويس . أصول الاسماعيلية ص ٥٨) .

ويرى لويس ومن أخذ عنه أن ابن رزام أول من ربط بين ميعون القداح والخلفاء العبيديين كما يفهم من عبارته التي أقرنها بأن ذلك من حيث كتب السنة . ولكن الباحث يعتبر ذلك تجنياً على ابن رزام وأهل السنة ؛ لأن القاضي النعمان الباطني (- ٣٦٣) ذكر أن هذه المسألة ما ذكر في كتاب جاء به أحد الدعاة الباطنيين النائين إلى المعز لدين الله (تولى الحكم ٣٤١) وأن هذا الداعي يعتبر مسألة ربط ميعون القداح بالخلفاء العبيديين مسألة " مسلمة " (ر . المجالس والمسايس ص ٤٠٩ ، ٤١٠) ويعيد جداً أن يكون ذلك صدقاً لما ذكره ابن رزام ، الذي يعتبر خصماً للباطنيين ، ويؤيد ذلك أن من المعروف أن " الميعون " اسم مرتبط بالدعوة الباطنية وزعمائها منذ أيام المهدي عبيد الله مؤسس الدولة العبيدية (- ٣٢٢) ، (ر . الملحق - ١) وان فـيـر على وجه آخر . وقد استفاد البحث من المقتطفات التي نقلت عن كتاب ابن رزام .

كتاب ابن بكر الباقلائي (- ٤٠٣) ، وهو كشف الأسرار وهتك الأستار .
وهو مما يظهر أنه من الكتب المفقودة ؛ إلا أن ابن حزم الظاهري (- ٤٥٦) ذكر في
أكثر من صفحة نصوصاً عنه تختص بعقائد الباطنية (ر . الفصل ٤ / ٢٢٢) كما
ذكر تاج الدين السبكي (- ٧٧١) في طبقات الشافعية أن الباقلائي كشف
في أول كتابه المذكور بطلان نسب الفاطميين - العبديين (ر . هـ التمديد للباقلاني ،
تحقيق الخضيرى ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ ، ص ٢٥٩) .

كتاب اسماعيل بن أحمد البستي المعتزلي الزيدي (- ٤٢٠) ، وهو كشف
أسرار الباطنية . وقد اكتشف الكتاب مستشرق ايطالي هو : أ . جريفيني من ميلانو
كما نُشر جزءٌ منه على يد شيرن . (ر . سزكين ٢ / ٤١٣ ، ٤١٤ ومقدمة عبدالرحمن
بدوي لكتاب فضائح الباطنية ط ٢) ، وعلى ذلك يمكن القول أن هذا أقدم
الكتب الموجودة حول هذا الموضوع مع عدم وجوده في العالم العربي بشكل معروف .
كتاب ثابت بن أسلم النهوي الشيعي الحلبي (- ٤٦٠) ، الذي كشف فيه
عن بداية الدعوى الاسماعيلية وقبائح هذه الفرقة ، مما دعا الباطنيين الى الانتقام
من مؤلفه بقتله صلباً بمصر (ر . مقدمة عبدالرحمن بدوي . لكتاب فضائح
الباطنية) ولا يستبعد فقدان هذا الكتاب اليوم .

كتاب ابن ابي الفضائل محمد بن مالك اليماني (- القرن الخامس) ، ويسميه
أهل اليمن : محمد بن لك ، كما سمعت ذلك منهم ، و (ر . الحبشي . مصادر
الفكر ص ٩٤) ، وأما الكتاب فهو كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة
وقد نشر كلاماً بمصر وقدم له وحققه زاهد الكوثري (ر . الملحق - ٢) ، وميزة
الكتاب أن مؤلفه اضطر الى اعتناق المذهب الباطني ليتمكن من تأليفه . وقد اعتمد
على هذا الكتاب كثير ممن كتب بعد ذلك عن الفرق الباطنية ، وخاصة أهل اليمن
منهم ، وقد استفاد البحث منه في بعض النقاط . والكتاب يعتبر الباطنيين والقرامطة
شيئاً واحداً ولا يخفى علينا أن أهل اليمن لا يطلقون على الباطنيين الا اسم القرامطة
الى اليوم .

كتاب ابي حامد الغزالي (- ٥٠٥) ، وهو : فضائح الباطنية . وقد طبع هذا الكتاب ثلاث مرات ، الأولى على يد جولد زيهرا الذي نشر جزءاً منه . والثانية : وهي الطبعة الأولى من طبعات الكتاب بكلية بتحقيق وتقديم عبدالرحمن بدوي . والثالثة : وهي الطبعة الثانية من طبعة عبدالرحمن بدوي وهي التي اعتمدت فيما رُجع اليه منه في هذا البحث (ر . الملحق - ٢) .

ذكر الغزالي في كتابه هذا أن للباطنيين ألقاباً عشرة :

- ١- الباطنية ٢- القرامطة ٣- القرمطية ٤- الخرمية ٥- الخرمدينية
 - ٦- الاسماعيلية ٧- السبعية ٨- البابكية ٩- المحمرة ١٠- التعليمية
- (ر . فضائح الباطنية ص ١١ فما) .

وسلاحظ القارئ أن البحث لم يعتمد على هذا التقسيم في فرق الباطنيين ، الذي يدل على أنها ألقاب لشيء واحد ، بل ان البحث ذهب حين قسم الباطنيين إلى تصنيفهم من حيث اختلاف مقالاتهم وتفرق آرائهم (ر . البحث ص ص ١٤٢ ، ١٤٩ - ١٥٥) كما أن تقسيم الغزالي أدخل فرقا وأخرى من الباطنية مثل : البابكية والخرمية اللتين تجمعهما مع الفرق الباطنية بعض الأفكار وتفرق بينهم أخرى ، كما أنه لاعلاقة بين هتين الفرقتين بالفرق الباطنية التي يجمعها بالاضافة إلى ما يجمعها القول بإمامة أهل البيت من ذرية الحسين ابن علي وما إلى ذلك .

وذكر الغزالي أن السبب الباعث لهم على نصب هذه الدعوة ما يأتي -
ما تطابق عليه نقله المقالات قاطبة أن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب إلى ملة ولا معتقد لنحلة معتقدة بنبوة ، فان مسألهما
ينقاد إلى الانسلاخ من الدين كانسلاخ الشعرة من العجين . ولكن
تساور جماعة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين ، وضربوا سهام الرأي
في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابههم من استيلاء أهل الديار ،

وينفس عنهم كريمة ما دهاهم من أمر المسلمين حتى أخرجوا
السنتهم عن النطق بما هو معتقدهم من انكار الصانع وتكذيب
الرسول. (ر: فضائح الباطنية ص ١٨ فما) .

ويضحي الغزالي في ذلك بأن اولئك القوم اختاروا الرفض مذهباً ينفذون منه
الى المسلمين وأختاروا شخصاً نسبوه الى أهل البيت وعضوه من الخطأ والزلل .
ولنلاحظ أن الذين تحدثوا عن هذه النقطة في أسباب نشأة الفرق الباطنية
- غير الغزالي - أشركوا اليهود الى جانب الفلاسفة والمجوس في مؤامرتهم ضد
الاسلام .

وقد حفلت كتب أخرى - قد تكون أكثر قدماً - بالحديث عن الفرق الباطنية
ولكن بكيفية غمضية من خلال حديث تلك الكتب عن الفرق المختلفة ، وهؤلاء
هم اصحاب المقالات الذين سبق الحديث عنهم . وليلاحظ القارئ الكريم
أن بعض اصحاب المقالات اعتبروا الباطنيين فرقة اسلامية وبعضهم مثل البغدادي
اعتبرهم من الفرق التي تنسب الى الاسلام وليست منه .

كما حفلت كتب أخرى بالحديث عن عقائد هذه الفرق وأخبارها وأعني مالا يمكن
اعتباره من كتب المقالات ؛ مثل :

كتاب القاضى عبدالجبار المعتزلي (- ٤١٥) ؛ وهو ، تثبيت دلائل النبوة
والكتاب وان تحدث عن نقطة عقدية معينة يدل عليها عنوانه ، الا أن الكتاب
في جملته ملىء بالردود على أهل الفرق وخاصة الشيعة ، وفيه بعض من أخبار
عن عقائد الباطنية وتاريخها . والكتاب مطبوع عن نسخة وحيدة في المكتبة
السليمانية في اسطنبول ، بتحقيق عبدالكريم عثمان (ر: الملحق - ٢) . وقد
استفاد البحث من هذا الكتاب .

كتاب محمد بن الحسن الديلمي (- ٧١١) ؛ وهو ، قواعد عقائد آل محمد .

يقول الحبشي : ان هذا الكتاب من أصول كتب الزيدية (ر، مصادر الفكر العربي من ١١٢) . وقد طبع الكتاب طبعين الأولى بتحقيق المستشرق شتروتمان الذي قدم له بنهذة عن الصراع بين الباطنية والزيدية ذلك الصراع الذي كان من نتائجه أمثال هذا الكتاب . وليس كل الكتاب عن الفرق الباطنية بل ان قسماته هو الخاص بعقائد الباطنية وهو الذي نشر وطبع .

وذكر شتروتمان في مقدمته أن الديلمي استفاد من كتاب أحمد بن محمد المحلي الوادعي الشهير بالفقيه المحلي (٦٥٣-٤٤٤) : الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار (ر، مصادر الفكر من ١٠٧) .

والطبعة الثانية للقسم الخاص بعقائد الباطنية في كتاب الديلمي ظهرت في القاهرة (ر، الملحق - ٢) وهي التي استفاد البحث منها فيما رجع اليه من هذا الكتاب .

ويتميز كتاب قواعد عقائد آل محمد بأن مؤلفه رجع الى كثير من المصادر الباطنية الشهيرة ، وقد أعد الباحث قوائم لبعض النصوص التي استعملها الديلمي منها ، ولكن الباحث رأى بعد ذلك عدم اعتبارها واعتمادها في البحث لأنها نصوص مستقاة من مرجع غير باطني ، وذلك منعا للعلامة ويمكن الاستفادة منها بعد مطابقتها بنصوص باطنية مشابهة وهو ما يراه الباحث ممكنا . والقوائم من يطلبها .

وهذا أهم ما يختص بالكتب التي ألفت في نقد الباطنيين ، وليس معنسى ذلك عدم وجود غيرها .

في الأزمنة المعاصرة ظهرت دراسات أخرى عن الفرق الباطنية وعلى رأس تلك الدراسات ما كتبه المستشرقون .

تتميز معظم دراسات المستشرقين بالتعاطف مع الباطنيين والتعامل على أهل السنة

باعتبارهم العدو التقليدي للباطنيين ، ولا يدري الباحث سبب هذا الموقف الاستشراقي من الفرق الباطنية ، الا أن ذلك يتردد بين سلامة النية والرفيعة في البحث العلمي النزيه وبين رأى من يقول انهم يبيتون أمرا ما لأهل السنة والجماعة في نفوسهم .

يأتي كتاب ديخويه ، وهو القرامطة ، في مكانة عليا في الترتيب بين كتب المستشرقين بل هناك من يعتبر الدراسات الاستشراقية الخاصة بالفرق الباطنية مدينة بالعرفان لهذا الكتاب أكثر من من سبقه منها وأن هذه الدراسات في معظمها لاتزال كما هي عليه منذ تأليف ديخويه لكتابه هذا (ر . مقدمة حسني زينه لكتاب القرامطة) ، وقد آسف الباحث عدم حصوله على هذا الكتاب الا بعد الانتهاء من كتابه البحث ، فتعذرت الاستفادة منه . ولكن لا بأس من الإشارة الى أنه موجود في طبعته العربية ، بترجمة حسني زينه ونشر دار ابن خلدون بيروت ١٩٧٨ .

ان شتروتمان المستشرق الألماني يعتبر من ساهم في الدراسات الاستشراقية الخاصة بالفرق الباطنية ويعتبر كتابه (أربعة كتب اسماعيلية) نموذجاً لجهوده في ذلك حيث قام بنشر أربعة كتب لباطنية اليمن وجدها في مكتبة الامبروزيانا وكانت من المراجع الهامة لهذا البحث . وقد ألحق شتروتمان كتابه هذا بدراسة عنه باللغة الألمانية ما جعلني أمثل بقول الشاعر :

كالعيسر في البيداء يقتلها الضمما * والما فوق ظهورها محمول

لان تلك الدراسة لاتخلو من جديد يمنعني عنه الجهل بهذه اللغة فتمنيت وجود مركز للترجمة في جامعتي يمين طلابها على استكمال بحوثهم على أكمل وجه .

وقد نشر شتروتمان أيضا الجزء الخاص بعقائد الباطنية من كتاب الديلي .

قواعد عقائد آل محمد في الذي سبق الحديث عنه .

ايفانوف . مستشرق روسي يمكن اعتباره شيخ المستشرقين المهتمين بدراسة

الفرق الباطنية ، وقد كتب في ذلك كثيرا الا أنه متهم بالتحيز للباطنيين

الذي غير عنوانه في طبعته الثانية (ر. الملحق - ٢) والكتاب عبارة عن فهرس للمؤلفات الباطنية على طريقة كتاب بروكلمان الشهير، إلا أنه باللغة الانجليزية وذلك سبب حادّ من امكانية استعماله على أكمل وجه في البحث .

وقد ختمه بنشر نصوص من كتب باطنية عديدة (ر. الملحق - ٢) استفاد البحث من أكثرها .

ونشر ايفانوف أيضا كتابين تاريخيين باطنيين هما :

كتاب : النيسابوري . استقرار الامام وكتاب : اليماني . سيرة جعفر المحلجيب (ر. الملحق - ٢) وقد استفاد البحث منهما كثيرا . كما استفاد من مقدمته لهما بعض الشيء وقد نشر الكتابان في مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة ديسمبر ١٩٢٦ .

ولايفانوف كتاب آخر هو : القرامطية والاسماعيلية وقد حصلت على ترجمة عربية لها من أخي سليمان السلوي بأخرة مما حدّ من الاستفادة منه على الوجه المطلوب . ولهذا المستشرق إنتاج كثير آخر لم أقف عليه مع الأسف .

ويعتبر كتاب برنارد لويس ، وهو : أصول الاسماعيلية من أكثر كتب المستشرقين استعمالا في هذا البحث وبالرغم من تطرفه المستر الى جانب الباطنيين إلا أنه يحوي معلومات قل أن توجد في مثل له (ر. الملحق - ٢) وقد حفل الكتاب بمقدمة عن المصادر التي استعملها ، وهي مما لا يستغني عنه باحث في الفرق الباطنية .

ان باول كراوس يعتبر من المهتمين بالدراسات الباطنية وله في ذلك بحوث

كثيرة لم أتمكن مع الأسف من الحصول عليها (ر. ص ٣٨٠ من البحث) .

ومن الدراسات المعاصرة للفكر الاسماعيلي الباطني في العالم العربي يمكن القول انها تأثرت كثيرا بالدراسات الاستشراقية في معظمها .

في مصر مثلا نجد الرعيل الأول من دارسي الفكر الباطني ، ومن الممكن القول ان المصريين اهتموا بالفكر الباطني في أول الأمر انطلاقا من الناحية التاريخية فدولة العبيديين - الفاطمية - ازدهرت حضارتها في مصر . فصارت الدراسات الفاطمية هي المدخل الذي بدأت به البحوث الكثيرة عن الباطنيين . ويأتي في مقدمة الذين اهتموا بالفكر الباطني :

محمد كامل حسين ، ويعتبر بحق أبرز من عمل في هذا الحقل ، وهو يمشي نموذجاً فريداً من نوعه ، فهو يتحدث عن الباطنيين فيسخر منهم حيناً ويدافع عنهم ويمجسب بحضارتهم أحياناً . ويصر على تسميتهم الفاطميين . وقد ساهم محمد كامل حسين في نشر الكثير من الكتب الباطنية ، من ذلك

الرسالة الواعظة للداعي الكرمانلي

المجالس المستنصرية للداعي علم الاسلام

ديوان المؤيد في الدين لداعي الدعاة المؤيد في الدين

السيرة المؤيدية " " " " "

(ر . الملحق - ٢) وقد كانت تلك مما استند البحث اليه واستفاد منه .

ولمحمد كامل حسين دراسات عدة عن الباطنيين ، نجدها في مقدماته للكتب الباطنية التي حققها وفي الكتب المستقلة الخاصة بالفكر الباطني مثل :

طائفة الاسماعيلية - تاريخها ، نظمها ، عقائدها

طائفة الدروز .

في أدب مصر الفاطمي .

(ر . الملحق - ٢) ولا يستغرب ذلك على محمد كامل حسين الذي كان يعتبر من القلائل غير الباطنيين الذين استطاعوا الحصول على مصادر باطنية مع ما عرف عن الباطنيين من استعمال السرية ومنع الأضداد من قراءة كتبهم . وعلى أي حال

فان كتب محمد كامل حسين تعتبر ما يهيم الباحثين في الفرق الباطنية .

على سامي النشار . من الذين اهتموا بدراسة الفرق عموما وقد تعرض فسي

كتابه (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام) الى الفرق الباطنية خاصة والشيعية

عامة . وقد افاد منه البحث لا سيما فيما يختص بالغلاة .

عبدالرحمن بدوي . في كتابه : مذاهب الاسلاميين الذين يعتبر الجزء الثاني

منه مجهودا نادرا في دراسة الفرق الباطنية عموما . وقد استعمل هذا الكتاب

كثيرا في هذا البحث وهو مع استقلاله فقد ينهج نهج المستشرقين في

معالجته للقضايا الاسلامية كانه غريب عنه .

في سوريا ظهرت كتب باطنية ودراسات عنهم بأقلام أشخاص يمثلون الفكر

الباطني النزاری (ر . ص ١٥١ من البحث) مثل :

عارف تامر ، الذي اخرج العديد من الكتب التي تؤيد الفكر الباطني وتناصره

من ذلك :

الامامة في الاسلام

القرامطة

وجل كتابات عارف تامر تعبر عن التعصب الباطني ضد أهل السنة والجماعة ، وقد

اخرج بعض الكتب الباطنية القديمة في كتابه :

اربع رسائل اسماعيلية : التي قدم لها بمقدمة تلقى ضوا ساطعا

على حقيقة الدعوة الباطنية بقلم أحد أبناءها وقد استفاد البحث منها باعتبار

تلك الرسائل من مصادر الباطنيين .

ونشر عارف تامر كتاب الداعي الكرمانی . الرياض . وكتاب الداعي

السجستاني . اثبات النبوت وكتاب الداعي أبي فراس . الايضاح . وهذه الكتب

من الكتب الباطنية الفلسفية التي استعملت في هذا البحث الى حد ما .

مصطفى غالب . صورة أخرى من صور الباطنيين المعاصرين ولا يختلف

كثيرا عن عارف تامر . وقد ألف فيما ألف :

أعلام الاسماعيليين

تاريخ الدعوة الاسماعيلية

سنان راشد الدين . . شيخ الجبل

ان هذه الكتب كلها في تمجيد ائمة الباطنيين ودعاتهم الا أنها أعطتنا الكثير عن حقيقة الدعوة الباطنية وعقائدها لا سيما وأن مصطفى غالب باطني مطلع على كثير من الكتب السرية المحرمة على سوى الباطنيين . وقد حفل كتابه : سنان راشد الدين شيخ الجبل بنصوص باطنية هامة وجديدة ، وقد نشر مصطفى غالب كتابا باطنية قديمة منها :

الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا وهي ما يزعم الباطنيون أنه من مؤلفات أحد الأئمة المستورين؛ وهي تلقي ضوءا على العقائد الباطنية قبل نشأة الدولة العبيدية .

الهفت الشريف، وهو أحد كتب فرقة النصيرية وقد أضاف اليه مصطفى غالب مقدمة عن هذه الفرقة تعتبر فريدة من نوعها . (عن فرقة النصيرية ر. ص ص ١٤٢ ، ١٤٣ من البحث) .

وفي تونس قامت على نطاق ضيق بحوث تهتم بالفكر الباطني وربما انحصرت في تراث الداعي الباطني القاضي النعمان (٣٦٣ -) الذي يقال انه من مدينة القيروان (ر. ص ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ من البحث) . ويقم التونسيون حلقة دراسية كل فترة زمنية حول القاضي النعمان يدعى اليها المهتمون بالتراث الباطني من مستشرقين وباطنيين وغيرهم . وقد ظهر من تونس كتابان للقاضي النعمان هما :

افتتاح الدعوة وقد حققه عبدالفتاح الدشرابي وهو يلقي الضوء على جزء كبير من تاريخ الدعوة الباطنية وتأسيس الدولة العبيدية .
المجالس والمسائرات وقد حققه مجموعة من المحققين كان على رأسهم الحبيب

الفتي وقد وُفقت بحمد الله للحصول على نسخة من هذا الكتاب تكتم الي بها
مشكورا أحد محققي هذا الكتاب وهو : ابراهيم شبن . والكتاب مقدّم له بمقدمة
توضح الجهد المبذول فيها . والكتاب أضاف الكثير من المعلومات عن الدعوة
الباطنية وتاريخها وعقائد الباطنيين وقد استفاد البحث من كتابي القاضى
النعمان هذين الفائدة العثلى .

ومن غير اولئك اهتم بنشر التراث الباطني :

محمد حسن الأعظمى وهو من الباطنيين المستعلية وقد نشر:

كتاب القاضى النعمان . تاويل الدعائم . مقدا له بدراسة عن الباطنيين

يغلب عليها عنصر الدعاية .

كتاب الداعي الحارثي (- ٥٨٤) الأنوار اللطيفة في الحقيقة وهو من الكتب

المحرقة في التأويل الباطني ويلقى أضواء أخرى على العقيدة الباطنية مما لم يعرف

عنه من قبل . وقد استعمل الباحث هذا الكتاب في هذه الرسالة .

عادل العوا وقد نشر :

كتاب الداعي حاتم الحامدي (- ٥٩٦) . رسالة زهر بذر الحقائق وهو

من الكتب الباطنية المحرقة في التأويل وتسمى عندهم كتب الحقيقة (ر . فهرست

المجدوع . المقدمة ص ص ٧ ، ٨) والكتاب من مراجع البحث .

لا شك في أهمية الدراسات الخاصة بالفرق الباطنية العلمية ، سواء في ذلك

ما ألفه بين سطور كتب المقالات ، أو ما ظهر في كتب مستقلة ، أو ما كتبه المستشرقون

والباحثون العرب وغيرهم .

الا أن الأهمية الأكيدة تأتي في الدرجة الأولى من كتب الباطنيين أنفسهم

أعني المراجع الأصلية التي تتحدث بلسان أهلها . وعلى الباحث في عقائد

الفرق أن يعتمد على أكبر قدر ممكن من المصادر الأصلية للفرق التي هو بصدد

البحث في أمرها .

ولكن قد تأتي من العقبات ما يمنع الحصول على المصادر الأصلية لأهل هذه

الفرق و ذلك لأسباب منها :

عدم وجود مصادر للفرقة المراد بحثها أصلا كما هو حال بعض غلاة الشيعة كالسبئية والكيسانية مثلا . وسبب عدم وجود مصادر لأمثال هذه الفرق - إلا ما كتبه عنها - مخالفوهم - ينحصر في نقاط أهمها أن تلك الفرق سرعان ما تتكون وسرعان ما تنفصل لتكوين فرق أخرى وأن الذين كانوا ينتسبون إلى الفرق الشيعية الغالبية كانوا لا يجدون حرجا في أن يتنقلوا أفرادا أو جماعات من هذه الفرقة إلى تلك ، وقد أشار إلى هذه الظاهرة برنارد لويس (ر. أصول الاسماعيلية ، ص ٨٩) وفرق كهذه يستبعد أن تلتقط أنفاسها كي تؤولف كتباً يرجع إليها أصحابها ، وعليه فإن الكثير من مقالات تلك الفرق كما يبدو لم يعرف بعد .

فقدان المصادر الأصلية بفعل العوامل الطبيعية كالحرائق والتوارث أو بعوامل أخرى مثل استيلاء الخصم على تلك المصادر واتلافهم لها وقد قيل إن أبا عبد الله الشيعي الذي مهد لقيام دولة العبيديين في المغرب أحرق كثيرا من كتب الخوارج .

المحافظة على سرية المصادر الخاصة بالفرقة - أيا كانت - ومنع سواهم من الاطلاع عليها ، وهذا واضح في الفرق الشيعية الباطنية (ر. ص ٣١٦ فما ، من هذا البحث) ، وقد نقل عن وجود مثل ذلك في فرق الخوارج (ر. ابن النديم ، ص ٢٧٢) .

لكل ذلك أصبحت كتب الخصم في بعض الأحيان ما يمكن الرجوع إليه في مثل هذه الحالات ، ومهما يكن الأمر فهذا لا يقلل من أهمية مصادر الخصم حتى يثبت أن ذلك الخصم نقل غير الحقيقة أو يظهر مصدر يكذب أقوال الخصم .

بالنسبة للفرق الباطنية فإنها من الفرق التي يصعب الحصول على كثير من مصادرها للأسباب المذكورة آنفا ، وقد أفلتت كثير من مصادرها من نطاق السرية

المضروب عليها ، ما أشير إليه من قبل في هذا التمهيد ونشر على يد المستشرقين وغيرهم ولكن الكثير منها لا يزال طي الكتمان .

وانطلاقا من الايمان بأهمية الوقوف على مصادر الباطنيين حاول الباحث جامعا الحصول عليها أو على بعض منها ، وقد تكلفت بحمد الله هذه المحاولات ببعض التوفيق فأمكن الحصول على بعض ما نشر من مصادر الباطنيين وذكر ذلك في هذا التمهيد من قبل ؛ كما أن هناك بعض المخطوطات الباطنية الموجودة في مكتبات العالم .

فقد حصلت مثلا على بعض الرسائل الخاصة بفرقة الدروز من مكتبة الامبروزيانا بايطاليا ، وهي موجودة لدي في شريط مصغر (مايكرو فيلم) ، ولكن منع عدم استعمالها جيدا في البحث لعدم وصولها في وقت كاف . كما حصلت على مثل تلك الرسائل من دار الكتب المصرية مثل :

رسالة الانصاء

رسالة الايقاظ والبشارة

الرسالة الموسومة بالرضا والتسليم

رسالة الصبحة الكائنة .

رسالة النساء الكبيرة

كتاب تقسيم العلم لاسماعيل التميمي .

رسالة خمار

رسالة التنبيه والتحذير

وقد تمكنت بحمد الله أيضا من الحصول على مخطوطة باطنية هامة من دار الكتب المصرية بواسطة استاذي فهيم شلتوت جزاه الله خيرا وهي كتاب الداعي جعفر بن منصور اليمن . الشواهد والبيان .

كما تمكنت من الحصول على بعض المخطوطات الباطنية من المكتبة الغربية

بجامع صنعاء الكبير مثل :

كتاب القاضي النعمان . أساس التأويل فوفقت على جزء منه .

كتاب الداعي ابن الوليد الألف . دامن الباطل وحتف المناضل فوقت على

جزء يسير منه .

كما تمكنت بتوفيق الله من الحصول على مخطوطة نصيرية هامة في مكتبة

جامعة كامبرج وهي لمؤلف نصيري مجهول وهي بعنوان :

حقيقة حق اليقين في معرفة سراسر أمير المؤمنين .

وقد تمكنت من الحصول على بعض المخطوطات الباطنية من بلاد اليمن ؛ وهي

مخطوطات ذات أهمية ؛ مثل :

مجالس حاتم للداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي .

مجالس الحكمة وهو من الكتب التي لم تشر اليها كشافات قوائم كتب الباطنيين

حياة الأحرار وهو أيضا من الكتب التي لم تشر اليه كشافات قوائم كتب الباطنيين

كل ذلك ما استطعت توفيره خلاف المطبوع من مراجع الباطنيين والذي أشرت

اليه سابقا .

وحيث ان البحث يستوجب الوقوف على مراجع عن الفكر اليهودي فقد لجأت

أول الأمر الى الدراسات التي نشرت باللغة العربية عن اليهود وسأتحدث

عن ذلك فيما يأتي :-

لا بد لنا هنا من الاحاطة ببعض المعلومات عن مصادر الفكر اليهودي ، التي

يأتي على رأسها .

العهد القديم

يضم العهد القديم تسعة وثلاثين سفرًا تنقسم الى تسعين :

١- أسفار موسى الخمسة وهي :-

سفر التكوين ويتكون من خمسين اصحاحا أو فصلا .

سفر الخروج ويتكون من أربعين اصحاحا .

سفر اللاويين ويتكون من سبعة وعشرين اصحاحا .

سفر العدد ويتكون من ستة وثلاثين اصحاحا .

سفر التثنية ويتكون من أربعة وثلاثين اصحاحا .

وتأتي هذه الأسفار في الدرجة الأولى بين أسفار العهد القديم (ر. بسدران

محمد بدران . التوراة - العقل . العلم . التاريخ - ، القاهرة ، دار الانصار

١٣٩٩ ، ص. ص. ١٥ - ١٩) .

وقد استشهد هذا البحث بصفة خاصة بسفرين من هذه الأسفار هما ،

سفر التكوين ، وسفر اللاويين .

يحكى سفر التكوين تاريخ الخليقة منذ خلق السموات والأرض حتى استقرار

بني اسرائيل أرض مصر وفيه قصص آدم ونوح وابراهيم وذريتهم (ر. على عبدالواحد

وافي . اليهودية واليهود . القاهرة ، مكتيبة غريب ، ١٩٧٠ ، ص ١٠) .

وأما سفر اللاويين فهويهتم بالعبادات والقرايين والحلال والحرام وكيفية

أداء الطقوس بإشراف الكهنة اللاويين - الذين من ذرية لاوي بن يعقوب

ابن اسحق - ومنهم موسى وهرون (ر. وافي . اليهود واليهودية ، ص ١١) .

وليلاحظ أن كهنة اليهود كما يوجب هذا السفر لا بد أن يكونوا من ذرية

هارون لعدم وجود ذرية لموسى ، ولذلك أهمية تقترن بجانب من الامامة

عند الفرق الباطنية .

كما استفاد البحث من بقية أسفار موسى الخمسة في أماكن متفرقة .

وقد أثبتت البحوث الحديثة أن أسفار موسى الخمسة ما ألف في عصور متأخرة ،

فسفر التكوين مثلا ألف بعد موسى بنحو خمسة قرون ، وأما سفر اللاويين فـ

ألف بعد ذلك بأربعة قرون . وعليه فينبغي التفرقة بين أسفار موسى وبين التوراة

التي أنزلها الله عليه (ر. وافي ، ص ص ١٣ و ١٤)

٢- أسفار أنبياء بني اسرائيل وهي :-

سفر يشوع ويتكون من أربعة وعشرين اصحاحا .

سفر القضاة ويتكون من احدى وعشرين اصحاحا .

- سفر القضاء ويتكون من احدى وعشرين اصحاحا .
- سفر راعوت ويتكون من اربعة اصحاحات .
- سفر صمويل الاول ويتكون من احدى وثلاثين اصحاحا .
- سفر صمويل الثاني ويتكون من اربعة وعشرين اصحاحا .
- سفر الملوك الاول ويتكون من اثني عشر وعشرين اصحاحا .
- سفر الملوك الثاني ويتكون من خمسة وعشرين اصحاحا .
- سفر اخبار الأيام الاول ويتكون من تسعة وعشرين اصحاحا .
- سفر اخبار الأيام الثاني ويتكون من ستة وثلاثين اصحاحا .
- سفر عزرا ويتكون من عشرة اصحاحات .
- سفر نحميا ويتكون من ثلاثة عشر اصحاحا .
- سفر استير ويتكون من عشرة اصحاحات .
- سفر ايوب ويتكون من اثني وأربعين اصحاحا .
- سفر المزامير ويتكون من مائة وخمسين اصحاحا .
- سفر الأمثال ويتكون من احدى وثلاثين اصحاحا .
- سفر الجامعة بن داود ويتكون من اثني عشر اصحاحا .
- سفر نشيد الانشاد ويتكون من ثمانية اصحاحات .
- سفر اشعيا ويتكون من ستة وستين اصحاحا .
- سفر ارميا ويتكون من اثنين وخمسين اصحاحا .
- سفر مراثي ارميا ويتكون من خمسة اصحاحات .
- سفر حزقيال ويتكون من ثمانية وأربعين اصحاحا .
- سفر دانيال ويتكون من اثني عشر اصحاحا .
- سفر هوشع ويتكون من اربعة عشر اصحاحا .

سفر عوبيدا ويتكون من أربعة اصحاحات .

سفر يونان (يونس بن متى) ويتكون من أربعة اصحاحات .

سفر ميخا ويتكون من سبعة اصحاحات .

سفر ناحم ويتكون من ثلاثة اصحاحات .

سفر حبقوق ويتكون من ثلاثة اصحاحات .

سفر صفنيا ويتكون من ثلاثة اصحاحات .

سفر حجسي ويتكون من اصحاحين .

سفر زكريا ويتكون من أربعة عشر اصحاحا .

سفر ملاخي ويتكون من أربعة اصحاحات (ر . بدران ص ١٩٦ - ٢٠٦)

وهناك ثمانية أسفار أخرى لم يعترف المسيحيون بها ولذلك فهي على ما يبدو مجهولة بالنسبة لقراء العربية لأن المسيحيين هم الذين ترجموا العهد القديم الى العربية وقد استعملت في هذا البحث نصوص متفرقة من : سفر يشوع وسفر صمويل الثاني وسفر الملوك الأول وسفر أخبار الأيام الأول وسفر أشعيا وسفر أرميا وسفر حزقيال وسفر دانيال وسفر يوثيل وسفر ملاخي .

والجدير بالملاحظة أن جميع أسفار العهد القديم - على ما فيها من حكم ومواعظ - فانها مليئة بالأخبار الخرافية المتناقضة وهذا ما أثبتته الدراسات الحديثة (ر . بدران ، ص ٢٣ - ٣١ وناجي ، المفسدون في الأرض ، ط ٣ ، دمشق ، السري للإعلان ، ١٩٧٣ ، ص ١٤ - ٢٠) ، وهو دليل آخر على أن هذه الأسفار ليست وحيا من الله بل هي من تأليف البشر ، وحتى الأسفار المنسوبة الى بقية أنبياء بني اسرائيل فانها قد ألفت حسب الظروف في أوقات مختلفة على يد أشخاص مختلفين وهذا يفطيق خاصة على سفر أشعيا الذي اشترك في تأليفه أشعيا الحقيقي وأشعيا الثاني وأشعيا الثالث حسب ما أثبتته الدراسات العلمية الحديثة (ر . النبي أشعيا وأزمة الكيان الصهيوني - رسالة علمية - ص ١٢٧) .

ولأن هذه الأسفار بشرية التأليف فقد حاول الباحثون العثور على المصادر

الأصلية للعهد القديم ففتبين لهم أن من بين تلك المصادر .

• ما كان يقرره اليهود في محافلهم فيضيفونه الى أسفارهم المقدسة .

• الأساطير المنتشرة من قبل في المنطقة .

• الفكر الفرعوني المصري .

• الأفكار البابلية والفارسية القديمة .

• قانون حواربي . (ر . شلبي ، اليهودية ، ط ٤ ، ص ص ٢٦٠ - ٢٦٤) .

وهن أخذ العهد القديم ببعض الأفكار الفلسفية الفرعونية تبين أن ذلك واضح

بعد اجراء مقارنة بين بعض نصوص العهد القديم ونصوص بردية فرعونية قديمة

(ر . بدران ص ص ١٧٥ - ٢٠١)

بعد العهد القديم يأتي في الأهمية بالنسبة لمصادر الفكر اليهودي ، التلمود

وهي كلمة عبرية تعني التعاليم ، وتأتي أهمية التلمود عند اليهود بـ

العهد القديم ان لم تكن قبله عند بعض فرقهم (ر . وافي ، ص ٢٣ ، وبالتفصيل

ر . سعد ، هجيرة التعاليم الصهيونية بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٩ ، ص

ص ٨٩ - ١٠٥) .

ويتكون التلمود من :

المشناه : وهي أصل التلمود وتعني الشريعة الثانية ، وهي خلاصة القانون

الشفهي - وهو ما ينسبه اليهود الى أن موسى قاله ولم يكتب - وتناقله الحاخامات

منذ ظهور الحركة الفريسيه - في القرن الثاني قبل ميلاد عيسى والثقافة اليهودية

الى اليم تنسب في أكثرها الى الفريسيين هؤلاء - . ولفيلسوف اليهود ابن

ميمون مقالة توضح مرحلة كتابة ما كان يسمى بالقانون الشفهي (ر . ظفر

الاسلام ، التلمود ص ص ١٢ ، ١٣ ، ٢٩ ، ٣١) . وقد ألفت المشناه في القرنين

الأول والثاني لميلاد عيسى (ر . وافي ص ٢٣) وهذا العصر هو الذي نشطت فيه

• حركة الفريسيين .

صار اليهود بعد ذلك يضعون الحواشي على المشناه حتى تكون لديهم ما سمي
جيمارا ومعناها " التكملة " . وتطلق كلمة " التلمود " على المشناه وجمارا معا .
وهناك " جمارا " الفت في القدس وأخرى في بابل ؛ ولذلك نجد عندهم
التلمود اليورشليمي والتلمود البابلي .

طبع التلمود بمدة لغات من لغات العالم (ر . وافى ص ٢٥) ، ومعظم
تلك الطبعات محرفة قصدا تنفيذا لقرارات مجمع بولونيا اليهودي ١٦٣١ .
والذي يدعيه العارفون : أن أكمل طبعات التلمود هي طبعة البندقية (ر . مسعد
ص ٩٨ و ر . ظفر الاسلام ص ٢٤) لأنها طبعت قبل المجمع المذكور ما بين سنتي
١٥٢٠ - ١٥٢٣ ولا يوجد من هذه الطبعة سوى ثلاث نسخ (ر . سهيل ديب .
التوراه ، بيروت ، دار الفنائس ، ١٣٩٢ ، ص ٨٣) .

وبالنسبة للغة العربية المشرفة فان التلمود لم يترجم اليها حتى الان
(ر . خليفة التونسي ، مقدمته على : همجية التعاليم الصهيونية ، ص ٦٥) .

الا ان في بعض الكتب التي ألقت عن اليهود باللغة العربية أو ترجمت اليها
نجد استشهادات من التلمود ؛ وان يكن بعضها غير معزو الى جزء معين من التلمود ،
الأمر الذي صعب توثيق كثير من النصوص العربية المنسوبة الى التلمود . ومن
الممكن العثور على شيء من النصوص التلمودية في الكتب العربية التالية : -
الكنز المرصود في قواعد التلمود ؛ وهو عبارة عن أكثر من كتاب مترجم من اللغزة
الفرنسية منذ ما يقرب من مائة عام ، وقد استفاد البحث من هذا الكتاب .

همجية التعاليم الصهيونية ، لمؤلفه : بولس حنا مسعد سنة ١٩٣٨ ، وهو
قريب من كتاب الكنز المرصود الا أنه أكثر دقة بالنسبة لتوثيق المصادر التي ذكر
مؤلفه ان تكون باللغة الفرنسية التي كما يبدو كانت لغة تلك المصادر التلمودية .
والكتاب مديح بمقدمة تخري بالقراءة لأنها بأسلوب الأديب اللغوي محمد خليفة
التونسي . وقد استفاد البحث من هذا الكتاب أيضا .

التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الاسلام خان ، وهو دراسة علمية جدية حازت رضا بعض المصادر المختصة ، وفتح مناسب لمن أراد ولج باب الدراسات اليهودية لذلك فقد كان من المراجع التي استفاد منها هذا البحث .

فضع التلمود . كتاب الفه أحد الابداء النصارى وهو : براناتيس وطبع سنة ١٨٩٢ وترجم الى اللغة العربية الشريفة على يد زهدي الفاتح أحد المهتمين بالدراسات اليهودية في العالم العربي . والكتاب يحوي كثيرا من المعلومات عن التلمود وخبائثه منبته . وقد فات الباحث الاشارة الى محتوياته في هذا التمديد . وهو يحوي نصوصا تلمودية هامة . الا أن مؤلفه كان يريد لقرء من النصارى عليه فقد ركز على كراهية التلمود للنصارى ورغم ذلك فالكتاب مليء بنصوص تلمودية موثقة ، ومقدمة علمية شاملة على التلمود لا مثيل لها بين الكتب التي تتحدث عن ذلك بلغة العربية .

دلالة الحائرين . وهو من كتب الفيلسوف اليهودي الشهير : موسى بن ميمون القرطبي (٦٠٩-) وقد ألفه باللغة العربية مكتوبة بحروف عبرية ، وكأنه قصد بذلك أن لا يقرأه الا أشخاص معينون بلغوا مرتبة عليّة في الديانة اليهودية ، وقد نشره باللغة العربية من عدة أصول : حسين أتابي ودبجه بمقدمة مناسبة والكتاب مليء بنصوص تلمودية اورشليمية وبابلية ، وجعل لها ناشرا لكتاب جداول تسهل للقارئ تناولها ولكن تلك الجداول غير دقيقة مع الأسف . وقصد استعمل الباحث كثيرا هذا الكتاب باعتباره نصا يهوديا لعلم بارز من اعلامهم .

ومن مصادر التراث اليهودي سوى العهد القديم والتلمود ، ورد ذكره الأسفار اليهودية الخفية : وقد كانت هذه الأسفار جزءا من العهد القديم ، الا أن أحبارهم رأوا وجوب اخفائها رغم اعترافهم بقديستها ، حتى لا يطلع عليها الناس ، وهذا هو ما ذكره الله تعالى عنهم في كتابه العزيز : (وما قدروا الله حق قدره ان قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى

نورا وهدى للناس، تجعلونه قراطيس تبدوونها وتخفون كثيرا (٠٠٠) " سورة الانعام ٩١ "

(ر. وافي ص ٢١) .

وهناك مرجع باللغة العربية تحدث باسباب عن الأسفار الخفية ؛ التي اعتبرها من إنتاج " القبلا " وهي فكرة يهودية تعتمد على السحر وطلاسم الحروف والأعداد وتجمع بين الدين والفلسفة . وهذا الكتاب هو لشخص معاصر يدعى صبري جرجس، وهنوا الكتاب هو :

التراث اليهودي الصليوني والفكر الفرويدي ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٠

وليلاحظ القارئ الكريم أن مصادر الفكر اليهودي ؛ العهد القديم والتلمود مليئة بالمفالطات والتناقض والأفكار الغريبة . ولمن أراد في ذلك معلومات أوضح عنها فليعد مشكورا الى المراجع التي تحدثت عن ذلك ؛ وهي الكتب التي أشير اليها آنفا .

وهناك كتب أخرى تتحدث عن اليهود بصفة عامة من حيث تاريخهم ومعتقداتهم ؛ وهي متوفرة باللغة العربية . ومنها :

تاريخ يوسيفوس اليهودي ، وقد طبع هذا الكتاب في بيروت سنة ١٨٧٢ ويتكون من ثمانية فصول تتحدث عن تاريخ اليهود منذ وجودهم حتى خراب القدس على يد الرومان .

قصة الحضارة . كتاب ألفه ول ديورانت وترجم الى اللغة العربية بقلم

محمد بدران ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، ١٩٧٥ ، والجزء المقصود من هذا الكتاب هو الجزء الرابع عشر ويتحدث عن تاريخ اليهود وشيئاً من معتقداتهم من وجهة نظر مفكر غربي معاصر .

التاريخ اليهودي العلم . صابر طعيمة ، بيروت ، ١٩٧٥ . ويتكون من جزئين الأول عن تاريخ اليهود قبل الاسلام . والثاني عن تاريخهم مع الاسلام ومعتقداتهم .

تاريخ فلسطين القديم . ظفر الاسلام خان ، بيروت ، ١٣٩٣ . ويعتبر هذا الكتاب بحق من الكتب القيمة فيما يختص بتاريخ اليهود على صفر حجه .

اليهودية . أحمد شلبي وفي طبعته الرابعة : القاهرة ١٩٧٤ نجد أنه يتحدث بالانفاة الى مقدمة عن علم مقارنة الأديان ، عن : ملخص تاريخ اليهود حتى اليوم ، العقيدة اليهودية وأنبيائهم كما وردت في القرآن الكريم ، عقيدتهم وأنبيائهم من غير ذلك ، مصادر الفكر اليهودي ، العهد القديم ، التلمود ، بروتوكولات حكماء صهيون - وهذا الكتاب مما لم يرجع الباحث اليه في هذا البحث قصدا - ، صور من التشريع اليهودي ، اليهود في الظلام : وهو يتحدث عن اعتبار ظاهرة اثار الفتن مما يتميز به اليهود ، وقد ساق أحمد شلبي أمثلة على ذلك منقولة من مراجع غريبة ، كما تحدث عن علاقة اليهود بالفرق الباطنية بايجاز وكذا عن اثار اليهود للفتن على عهد رسول الله (ص) في المدينة المنورة بين الأوس والخزرج وتشكيكهم في الاسلام ورد القرآن الكريم عليهم في ذلك ، وتحدث الكتاب في فصل مستقل عن سيطرة اليهود على وسائل الاعلام في العصر الحاضر وتسييرهم لها حسب مصلحتهم وأغراضهم . ، وتحدث في فصل آخر عن اتخاذ اليهود التجسس مهنة لهم منذ يهوذا الاسخريوطي الذي اندس بين تلاميذ عيسى عليه السلام وسام الرومان على تسليمه لهم نظير دراهم معدودة ، ومرورا بنفاق اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفرض التجسس على المسلمين ، وضرب بذلك أمثلة : داعس ، وسعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ورافع بن عرلمة ، وختتم ذلك بتجسس اليهود على مصر في العصر الحديث ، وتحدث في فصل آخر عن ظاهرة تستر اليهود خلف أديان أخرى مثل البوذية والمسيحية والاسلام . وفي فصل آخر تحدث عن اتباع اليهود أسلوب التآمر والاغتيال منذ أيام الرومان حتى اليوم ، وفي فصل آخر تحدث عن علاقة اليهود بالجمعيات السرية التي أرادت الكيد بالمسيحية والاسلام وخسر بالذكر وقوفهم خلف القرامطة الباطنيين وغلاة الشيعة ، وكذا الماسونية وما شابهها .

وقد استفار الباحث من كتاب أحمد شلبي في مواضع عديدة .

أحمد عبد الغفور عطار . اليهودية والصهيونية ، بيروت ، ١٣٩١ هـ ، من
الكتب التي تحدثت عن اليهودية والصهيونية باعتبارهما شيئا واحدا ، والكتاب
في جملة تكرار لما شابهه من الكتب التي ترجمت عن لغات أخرى وذلك من حيث
حديثه عن الكتب المقدسة ومعتقدات اليهود ، ولا شك أن للكتاب فوائد
لمن أراد الوقوف على معلومات عامة عن اليهود .

مفد بزغ فجر الاسلام وأضأ بنوره العالم كانت له مع اليهود مواقف مختلفة
ويمكن تصنيف هذه المواقف كما يأتي :-

دعوة اليهود الى الدخول في هذا الدين شأنهم في ذلك شأن النصارى الذين
سأهم الله بأهل الكتاب تمييزا لهم عن غيرهم من أم الأرض مثل : مشركي العرب
والعجور والصابئة .

رد الفعل اليهودي نحو الاسلام تلك الذي يتميز بالكفر والنكران وتطوّر
الى نقض العهد التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فضح القرآن الكريم لهم من حيث تاريخهم المليء بالكفر بآيات الله وكتمانها
واتخاذ أساليب المراوغة والخداع بعد أن أكرمهم الله بموسى وأنجاهم من فرعون
الذي كان يستذلهم وفضلهم على العالمين .

معاربة رسول الله لهم بالبراهين والأدلة التي يعرفونها ثم بالسيف والطررد
لما تبين غدرهم ونقضهم العهد .

انهزام اليهود أمام قوة الاسلام واتخاذهم بعد ذلك أساليب خفية لمحاربتة
والقضاء عليه ، تلك التي تجلت في : نشر النفاق في المدينة ، بث الاسرائيليا
وتكوين حركات سرية لتفتيت دولة الاسلام ، نشوء الحركات الهدامة المنهسل
من الاسلام فكريا ، المساهمة في انشاء الفرق لتفتيت قوة الاسلام .

كل ذلك يمكن معرفته بالرجوع الى المصادر التالية :-

القرآن الكريم

السنة النبوية المطهرة

كتب السيرة النبوية

كتب التاريخ الاسلامي عامة

وقد حفلت المكتبة العربية بمراجع حديثه حول تعامل اليهود مع الاسلام
والمسلمين ، من ذلك :

كتاب : غيف عبدالفتاح طيارة . اليهود في القرآن ، بيروت ، دار العلم
للملايين ١٩٧٤ وهو : تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الأحداث
الحاضرة ، مع قصص انبياء بني اسرائيل ، كما وصفه مؤلفه .

كتاب : صابر طعيمة . بنو اسرائيل في ميزان القرآن الكريم ، بيروت ، دار الجيل
١٩٧٥ . وكلا الكتابين من البحوث البارزة في هذا المجال .

كتاب : عبدالرحمن حبيكة الميداني . مكائد يهودية عبر التاريخ ، بيروت
دار القلم ، ١٣٩٤ . والكتاب يختص بذكر المكائد اليهودية في الاسلام والمسلمين
منذ أيام رسول الله (ص) حتى عصرنا الحاضر .

كتاب : أنور الجندي . المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية فسى
فرو الفكر الاسلامي ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٧٧ . والكتاب من المراجع
التي استعان الباحث بها في هذه الرسالة وهو يقترب كثيرا من كتاب
مكائد يهودية .

كتاب : عبدالله التل . الأفعى اليهودية في معازل الاسلام ، بيروت
المكتب الاسلامي . والكتاب لا يختص بذكر الناحية التاريخية لجهود اليهود
في الكيد بالاسلام منذ بزوغه بقدر ما اهتم بتلك الناحية في العصر الحديث ،
والكتاب بعد ذاته مكمل لكتاب آخر لنفس المؤلف بعنوان : خطر اليهودية
العالمية على الاسلام والمسيحية .

وقد رجع الباحث الى جميع تلك الكتب قبل الخوض في كتابة هذه

الرسالة ولكنها ليست من مراجع البحث الا ما نوه عن ذلك فيه .

عن دور اليهود في الفرق الباطنية وهو موضوع هذه الرسالة فان كل ما ذكر في هذا التمهيد من مراجع ؛ يعتبر مما وقف الباحث عليه واستعان به بدءاً ، بالقران الكريم ، وكتب السنة ، والتاريخ الاسلامي وعلى رأس ذلك كتاب محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك ، وكتب الفرق والمقالات التي كتبها أهل السنة والشيعة ، والصادر الباطنية ، والمراجع التي كتبت عن الفرق الباطنية خاصة والعهد القديم ، وما نشر باللغة العربية من نصوص تلمودية وهو ما يتضح للقارئ جلياً في الملحق - ٢ الخاص بذكر المراجع التي استعان الباحث بها ، وهي لم تكن جميع ما رجع اليه الباحث ، لعدم وجوب ذكر كل مرجع وقف عليه الباحث لأن ذلك يتناقض مع المقصود من قائمة المراجع .

وحسبي أن ذكرت في هذا التمهيد ما عني لي من الحديث حول المراجع

وكان بودي لو تمكنت من اجراء دراسة أوفى لذلك .

ويطيب لي هنا أن أدعو القارئ الكريم لقراءة هذا البحث المتواضع

راجياً منه الصفح عن كل خطأ فيه .

وبالله نستعين

الباب الأول

الغلو الشيعي والفرق الباطنية

تمهيد: قبل الحديث عن الغلو والغلاة والباطنيين ؛ لابد لنا من نظرة

سريعة للتشيع ؛ لأن الغلاة والباطنيين يدعونه لعلي وذريته .

التشيع : يقولون

١. تشييع الرجل ، ادعى دعوى الشيعة .

والشيعة هم :

٢. شيعة علي بن أبي طالب .

ظهور التشيع : اختلف في الفترة التي ظهر فيها التشيع ؛ فقيل : انه

كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد استدل محمد الحسين آل ١٠
(- ١٣٧٣)*

كاشف الغطاء ؛ أحد علماء الشيعة المعاصرين بأحاديث من رواية

أهل السنة ؛ على حد زعمه ؛ يصدق هذه الدعوى ؛ ولن نناقش ذلك

هنا لأنه سيخرج بالبحث إلى موضوع آخر . وعلى ما تقدم قيل ان أصل

التشيع عربي المنبت ؛

١٥ هناك من قال : ان الأمر على نمط آخر بدعوى :

ان العقيدة المتعلقة بالحق الالهي التي أودعت في

الأسرة الساسانية كانت ذات أثر عظيم في تاريخ الفرس والتشيع .

١. الرازي (- ٦٦٠) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر . مختار الصحاح ، بيروت

دار الفكر ، ١٣٩٨ ، مادة ش ر ع ، ص ٣٥٣ .

٢. النويختي والحسن محمد بن موسى ، فرق الشيعة ، ط ٤ ، النجف ، المطبعة

الحيدرية ، ١٣٨٨ ، ص ٢٢ .

٣. انظر : النويختي ص ٣٦

٤. انظر : أصل الشيعة وأصولها ، ط ١٠ ، القاهرة ، المطبعة العربية ، ١٣٧٧ ،

ص ص ١٠٩ فما بعد .

* انظر : ترجمته في : الزركلي ، الاطلام ط ٣ ، ج ٦ ، ص ٣٣٩

٥. محمد السعيد جمال الدين . دولة الاسماعيليه في ايران ، القاهرة ، سجل

العرب ، ١٩٧٥ ، ص ٨

الفصل الأول

الصحابة والغلو في أهل البيت

- مجتمع عصر النبوة ، بعث الله تعالى رسوله محمداً (ص) في مكة المكرمة التي كانت تعيش في جهالة جهلاء ، وضلالة عمياء ، شأنها في ذلك شأن بقية بلاد العرب . قال تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)^{*}
- صار رسول الله (ص) يعرض نفسه على القبائل كل موسم حج حتى آمن به رهط من أهل (يثرب) وبايعوه على مناصرته وتأييده فسماوا الأنصار .
- ١٠ أمر رسول الله (ص) أصحابه الذين آمنوا به في مكة بالهجرة إلى يثرب التي أصبحت بعد ذلك دارا للاسلام ، فهاجروا من مكة هربا بدينهم وتركوا أموالهم وأولادهم فسماوا بالمهاجرين .
- هاجر رسول الله (ص) بعد ذلك إلى (يثرب) التي سميت بعد هجرته بالمدينة ، وآخى بين المهاجرين والأنصار . وهكذا تكون أول مجتمع اسلامي في دار الاسلام .
- ١٥ وصف الله تعالى هذا المجتمع بصفات عظيمة فقال تعالى في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحما بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) . وهذا الوصف يشتمل على صفتين رئيسيتين للصحابة الكرام : ١ - أنهم أشداء على الكفار . ب - أنهم رحما بينهم .

* الجمعة ٢

** الفتح ٢٩

وظهرت الصفة الأولى في حربهم للمشركين خاصة في غزوة بدر الكبرى تلك المعركة الحاسمة بين الكفر الذي يمثله كفار قريش، والاسلام الذي يمثله المهاجرون والأنصار . قاتل الأنصار جنباً الى جنب مع اخوانهم المهاجرين عدوهم المشترك كفار قريش؛ الذين لم يكونوا سوى اقارب في النسب بالنسبة للمهاجرين ، وتلاشت قرابة النسب لتحل محلها الاخوة في العقيدة .

وظهرت الصفة الثانية للصحابة الكرام وهي: أنهم رحما بينهم، على صور مختلفة منها المؤاخاة التي كانت بين المهاجرين والأنصار .

وكان الجامع لكل ذلك محبتهم للهادي الى صراط الله المستقيم محمد (ص) تلك المحبة التي كانت ولا تزال من تمام الإيمان كما نص على ذلك (ص) في الحديث الشريف فقال :

١. لا يؤمن أحدكم حتى يحب اليه من والده وولده والناس اجمعين .

وقد ترجم الصحابة هذه المحبة الكاملة أقوالا وأفعالا تتضال امامها ما عرفته كثير من الأمم من مظاهر الحب والطاعة والتضحية والفداء .

محبة الصحابة لآل رسول الله (ص) :

١٥ قبل التعرف على ذلك؛ تستحسن الاشارة الى المقصود بكلمة " آل " فهي هذا البحث . يقال في اللغة :

٢. آل الرجل أهله وعياله ، وآله أتباعه أيضا .

* وكلمة " آل " مما ورد ذكره في القرآن الكريم ؛ مثل : (آل موسى وآل هارون) و (آل ابراهيم وآل عمران) و (آل داود) . وليس فيما سبق من معني لكلمة

٢٠ " آل " سوى الأهل والعيال . أما الأتباع فان استعمال كلمة آل للدلالة عليهم لم يكن من مقاصد الآيات السابقة ؛ وعليه فان استبعاد هذا المعنى أولى حين نتحدث هنا عن آل محمد (ص) .

١. البخاري ك / ٢٠٦ ب ٨ ، أنظره في فتح الباري على صحيح البخاري ج ١ ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٨٠ ، ص ٥٨

٢. مختار الصحاح ب : أول ص ٣٣

* البقرة ٢٤٨ ** - آل عمران ٣٣ *** - سبأ ١٣

ان آل النبي (ص) أهل بيته ومنهم زوجاته أمهات المؤمنين وهن نساؤه صلى الله عليه وسلم ؛ اللاتي خصهن الله تعالى بالآيات التالية فقال جل من قائل ؛ (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) *

ومن آل النبي كذلك بناته الطاهرات . وينو حاشم وبنو المطلب . وقد أحب الصحابة آل محمد (ص) ولم يناصروهم العداء بل كانت هناك مواقف تشير إلى أنهم كانوا يكون لهم تقديرا خاصا ، كما أثبتت الحوادث ؛ من ذلك ؛

- ١- استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب عم رسول الله (ص) ؛
- ٢- خطبة عمر ابنة علي بن ابي طالب من فاطمة الزهراء وزواجه منها .
- ٣- ارسال علي بن ابي طالب لم المؤمنين عائشة بعد وقعة الجمل إلى المدينة معززة مكرمة . كل ذلك جزء من الأدلة على محبة السلف الصالح لأهل بيت رسول الله (ص) .

موالاة علي بن ابي طالب ؛

كان علي بن ابي طالب أول من آمن من الصبيان برسول الله (ص) ؛ فهو من السابقين الأولين ، وله من المواقف الشجاعة في نصرة الاسلام ما لا ينزال مضرب الأمثال حتى يومنا هذا ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو

* الأحزاب ٣٢ ، ٣٣
١. انظر ؛ صحيح ابن خزيمة ج ٤ ، تحقيق الأعظمي ، دمشق ، المكتسب الاسلامي ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٦٣
٢. صحيح البخاري ك ٦٢ ب ١١ ، انظر ؛ فتح الباري ج ٧ ، ص ٧٧
٣. انظر ؛ ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ، عبد السلام هارون ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ هـ ، ص ١٥٢

وغيرهما . أو ما قيل من أن عليا نفسه كان يرجو أن يكون الخليفة
بعد رسول الله (ص) ، حتى أنه لم يبايع أبابكر إلا بعد وفاة فاطمة
الزهراء .^١

ان الشيعة يقولون: ان رسول الله (ص) نص عليا "امامة علي" في حديث
الغدِير^٢ بعد أن أنزل عليه قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك
من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصك من الناس) .

عند صحة هذا الحديث يصبح حدوث صراع أهلي في المدينة المنورة
أمرا حتميا لا يقل أبدا عن الجهاد في سبيل الله ولا عن حروب الردة التي
قامت حينئذ ، إلا أن الذي حدث غير ذلك تماما . بل إن عليا نفسه
لم يعر الأمر أي اهتمام فبايع أبابكر^٣ . ثم بايع بعد أبي بكر عمر^٤
ثم عثمان^٥ بالرغم من كون علي^٦ أحد الستة الذين رشحهم عمر ليتولوا الخلافة
بعده ، فلو كان منصوصا عليه بالامامة شرعا لرفض أن يقترع مع أناس عاديين
غير منصوص عليهم .

ذلك كله يدل على أن موالاته علي^٧ لم تكن من مفاهيمها أن يكون اماما
للمسلمين .

قد يقال ان عليا - حقنا منه لدماء المسلمين وجمعا لكلمتهم - لم يشأ
أن يصير على المطالبة بحقه في الامامة ، ولكن الذين يعلمون ما تعنيه
كلمة (النص الالهى على امامة علي) يعلمون ضحالة هذا القول ، لأن الذين
رفضوا مبايعة علي^٨ بعد وفاة رسول الله (ص) في هذه الحالة قد اكتسبوا
عداوة الله ورسوله لعصيانهم أمر رسول الله (ص) ، والذي هو هنا وجوب مبايعة
علي^٩ ، فلا بد من محاربتهم ، والله تعالى يقول : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
إذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم) ، وقال تعالى :
* * *

١ . بخ ك ٦٤ ب ٣٨ أنظره في : فتح الباري ج ٧ ص ٤٩٣
٢ . حديث مشهور عند فرق الشيعة ومذكور في كثير من مصادرهم على اختلاف
فرقهم .
* المائدة ٦٧ * الأحزاب ٣٦ .

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء*) ، وقال تعالى :
(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
ولو كانوا آباءهم**) لذلك كان لزاماً على* علي* والموالين له اعتبار كل من بايـح
أبا بكر خارجاً عن الاسلام لعصيانه أمر الله ورسوله ، ولا بد من محاربتـه وارجاعه
الى الحق . وله في ذلك أسوة حسنة برسول الله (ص) الذي حارب قريشاً
وجميع المشركين ؛ اذعانا لأمر الله وأداء رسالته . ولم يكن "علي" مغلوها على
أمره أو خالها من العشيرة أو النـصير ، ولم يكن يوماً جباناً ولا خواراً يهـب
الحرب .

ان مسألة اراقة دماء المسلمين في سبيل الحق ستبدو رخيصة رخص
الدماء والأنفس التي ستذهب في هذا السبيل ، وليس من مطلب لعلي هنا
الا احدي الحسينين . وقد وقف "علي" مثل هذا الموقف تماماً ؛ فلم يبخل بأرواح
المسلمين ، ولم يتوان عن خوض غمار الحرب ، لما دعي الأمر ؛ فكان قتلـه
يوم الجمل عشرين ألفاً وقتلـه صفين سبعين ألفاً كما ذكر خليفة بن خياط^١ . فهل
كان حق "علي" أمام أبي بكر وعمر وعثمان أقل من حقه - بعد أن بويح لـه
بالخلافة - أمام "طلحة" و"الزبير" و"معاوية" و"الخوارج" .

ثمة نقطة أخرى في موضوع الذين بايعوا "أبا بكر" من حيث كونهم حسب
زعم "الشيعة" مناصبين علياً العدا ، وعصيانهم بذلك أمر الله ورسوله . فلا بد
لعلي وشيعته من مقاطعتهم اذا لم يستطيعوا محاربتهم لسبب ما . ولكننا نجد
لعلي من المواقف التي تدل على رضاه التام على هذا الوضع .
مشاركته الايجابية في كثير من الأحكام التي قضى عمر بن الخطاب بها ؛ سواء
بمخالفته اياه عليها أم بموافقته له ، وان مصاهرته لعمر ، وموافقته أن يكون أحد

* الممتحنة ١ ** المجادلة ٢٢

١. انظر : تاريخ خليفة بن خياط ط ٢ ، تحقيق أكرم العمري ، بيروت ، مؤسسة
الرسالة ، ١٣٩٧ ، ص ص ١٨٦ ، ١٩٤ .

أصحاب الشورى ؛ يدل على أن عليا كان نعم الوزير ونعم المشير والصديق
للخلفاء الثلاثة قبله ، ولم يكن مناوئا لهم بأي حال من الأحوال . بل
ان مبايعة الصحابة عليا بالخلافة ؛ تلك التي تمت بعد مقتل عثمان
تعتبر دليلا على أن عليا غير منصوص له بالامامة شرعا ؛ لأن تلك المبايعة
كانت في معظمها من المهاجرين والأنصار ؛ الذين بايعوا أبا بكر وعمر وثمان
وفي هذا معنى ؛ أن هذا المجتمع لم يكن قط مناصبا لعلي العدا ، بل
كان مواليا له ولأهل بيت رسول الله (ص) ؛ ولكن ليست تلك الموالاة
إلا على الطريقة التي رضي عنها علي بن أبي طالب نفسه ورضي عنها
السلف الصالح ، ولم تكن بأي حال تعني "الامامة" .

١٠

سلف أهل البيت الصالح والتشيح ؛

ان كل دارس لفرق الشيعة لابد وأن يتساءل ؛ كيف وبقي بدأ التشيخ ؟
وإعلاقة سلف أهل البيت بالتشيح ؟ حفلت الاجابات التي وردت فسي
كتب الفرق قديمها وحديثها بتعليقات وأخبار منها أن أصل التشيخ
لأهل البيت فارسي ، ظهر بعد زواج الحسن بن علي من ابنة
ملك الفرس . وهناك قول بأن التشيخ انما كان في الأصل لعلي بن أبي
طالب ، كما يقول أبو الحسن النخعي (- ٣١٠) *

١٥

فأول الفرق (الشيعة) وهم فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام
المسمون بشيعة علي عليه السلام في زمان النبي صلى الله عليه وآله ،
وسعداه معروفون بانقطاعهم إليه والقول بامامته .

٢٠

يدل هذا القول على أن التشيخ لأهل البيت كان منذ حياة رسول الله
(ص) وهذا يستوجب أن تكون هناك شيخ أخرى لأشخاص آخر ، كما أن القول

١. انظر محمد السعيد جمال الدين . دولة الاسماعيلية في ايران ، القاهرة ، سجل
الحرب ، ١٩٧٥ ، ص ٨
* أنظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٢٣٩
٢. فرق الشيعة ط ٤ ص ٣٦

بهذا يؤدي بنا الى أن شيعة عليّ اولئك ؛ انما كانوا يشايعونه اما
تعاطفا واهجابا، أو طاعة لله ورسوله .

ان المراجع القليلة التي وقف الباحث عليها لم تذكر أن الصحابة

كانوا شيعا وأحزابا على عهد رسول الله (ص) بل ان ما سبق به الحديث

المدعم بالآيات القرآنية أن رسالة الاسلام بعيدة عن مثل هذه الأمور

(ر . ص ٤٣ ، ٤٤ مجتمع عصر النبوة) فالاسلام لم يأت الا ليجمع ، لا يفرق .

قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله

عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) . ولو صح

زعم "النوختي" لصارت المدينة بعد وفاة رسول الله (ص) ميدان حرب

أهليه بدلا من أن تكون كما كانت عاصمة الاسلام ومنبع الهداية والنور

والعلم ، والقيادات العظيمة التي أبهرت العالم فدكت أسوار أعتى دولتين ؛

الفرس والروم .

وان كان مقصود "النوختي" بالتشيع لعلي التعاطف معه والاعجاب

بشخصيته ومزايه فمن منا غير معجب بأبي الحسن على هذا النحو

الذي لالعلاقة له بوجوب امامته ، أما أن يكون التشيع لعلي على

عهد رسول الله (ص) على النحو الذي يصوره الشيعة ، فان رسول الله (ص)

أجل وأعظم من أن يرضى لفئة من صحابته أن تتكذب هذا ، وتعادي عليا ،

ولا يدلهم على الخطأ الذي يكتنفه ، وهو

الهادي الى صراط الله المستقيم ، والصعوث رحمة للعالمين . ولا يسح

الباحث هنا الا أن ينفي قول النوختي جملة وتفصيلا .

وان كان من رأي لبعض الصحابة في مبايعة علي بعد وفاة رسول الله (ص)

فهو لا يعدو أن يكون رأيا اجتهاديا محضا .

ان السنوات التي تقلد "الخلفاء الراشدون" الأربعة فيها أمر المسلمين كانت تكفي "علياً" كي يوطد أركان "التشيح" له ولولديه الحسن والحسين ووسع

دائرته ؛ اما جهراً أو بأسلوب التقية والطريقة الباطنية السرية . ان ذلك هو واجبه لأنه "الامام الوصي" صاحب الحق كما يزعمون ، فلم لم يفعل

ذلك ابان خلافته فضلاً عن سنوات خلافة الثلاثة الراشدين الذين كانوا قبله . وهو دليل على أنه لا وجود أصلاً للتشيح الذي يقول بالفض الشرمي

على "امامة علي" . ولوتسنى لنا الاطلاع على رأى "الباطنيين" في ذلك لوجدنا انهم - بما يصفونه على علي من صفات تشبه بالغلوس - انهم على غير صواب ،

فهم يقولون ان عليا عالم بما كان وما سيكون وأنه عالم بما سيجرى عليه ممن

أحداث وان ساع للباطنيين أن يعتبروا

هذا عذراً فهو لا يسوغ في نظر القرآن الكريم ، قال تعالى مخاطباً سيـد

الأولين والآخريين (ص) : (قل لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعاً الا ما شاء

الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما سننى السوء) *

ورغم ذلك فان دعواهم تلك لا تمنح علياً من الدعوة لما أستوصاه به رسول

الله (ص) من أمر الأمة ؛ والا لأصبح والعياذ بالله خائناً للامانة وهي

صفة لا ترقى بأي حال الى شخص يؤمن بالله واليوم الآخر فضلاً عن

علي بن أبي طالب ، إن علياً لم يحاول قط توسيح دائرة التشيح المزعوم

بل لم يحاول تكوين شيعة خاصة به ، وان الذي أخبرنا التاريخ : أنه نهى

عن تفضيله على أبي بكر وصه (ر . ص ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ابن سبأ) ، وأنه أحرق الذين

غلوا فيه (ر . ص ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ابن سبأ) مما يدل على أنه لا يد لعلي في نشر

التشيح فضلاً عن تكوينه وتأسيسه .

أما الحسن بن علي الذي يعتبره الشيعة اماماً بعد علي فان فرص

النجاح كانت مواتية له لو أراد تحقيق ما لم يحقته أبوه من نشر التشيح لأهل

البيت والدعوة الى ذلك لو شاء .

ان حادثا جللا مثل مقتل علي بن ابي طالب ؛ وهو من هوجين استشهد ،
ليس على ظهر البسيطة من هو افضل منه ، وهو ابن عم رسول الله (ص) ، ان
ذلك كله يجعل من الحسن بن علي رجلا الساعة والزعيم المنتظر للأمم
الاسلامية ؛ فضلا عن مزاياه الخاصة به فهو ابن بنت رسول الله (ص) وأحد
سيدي شباب أهل الجنة ، ما يؤهله بحق أن يتقلد أمور المسلمين الدينية
والدنيوية ، وفوق ذلك كله النص الشرعي الذي يدعيه الشيعة له . الا أنه
والرغم من مبايعته بالخلافة فانه يتخلّى عن ذلك كله ويتنازل لمعاوية
ليتحقق فيه قول جده المصطفى (ص) :

ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين .^١

وهكذا يتضح أن الحسن لم يقف من التشيخ - القائل بالنص على
امامة أهل البيت - موقفا سلبيا فحسب بل انه مدّ يده الى معاوية مبايعا
ومتنازلا عن بيعة المسلمين له .

يأتي بعد ذلك دور الحسين الذي يشترك مع الحسن أخيه في المزايا
وهزئد عليه بكونه حسب القول القائل : انه آخر من بقى من أصحاب الكساء .

من أحق من الحسين لقيادة الجماهير ؟ ولكن لا شيء في ذلك ،
فالتاريخ أوضح لنا أن أهل الكوفة أغروا الحسين بالخروج ، ولنقل انهم
شيعة وعلى أحمر من الجمر في انتظار اليوم الذي ينتصرون فيه على مختصبي
الامامة . أي تشيخ وأي امامة ؟ ذلك الذي يكون بالعراق وصاحب الدعوة
في الحجاز خال من شيعة المؤيدين ، ألا يكلف نفسه بنشر دعوته ولوسرا ؟
ليس هذا دليلا على أن خروج الحسين لا شأن له بالتشيخ ؟ بل ان القوم
هم الذين ألحوا عليه في طلب القوم .

يخرج الحسين الى العراق ، ونصحه ابن عباس بعدم الخروج ، أين أولئك
الذين ألحوا على الخروج ؟ أين الشيعة ؟ لقد فروا . فلم يكن معه حسين

استشهد رضى الله عنه سوى ستين شخصاً^١ . وهما قيل عن حركة
«التَّوَابِين» بعد ذلك وتدمهم على خذل الحسين ، فان الأمر لا يعدو
أن يكون أكذوبة كبرى عن علاقة أهل البيت بالتشييع سواء ذلك عند
«علي» أو الحسنين ، وهم السلف الصالح لأهل البيت .

- هنا يصيح التشييع عبارة عن أصابع عملت في الخفاء ونسجت في
الظلام مؤامرات لهدم الدين . وأهل البيت بريئون منهم كما رأينا .
وهكذا لا يمكن بأي حال الاعتقاد أن بذور التشييع - الذي يقول
بنص شرعي على أمانة أهل البيت - نشأت في مجتمع الصحابة برعاية
علي وأبنيه الحسنين . وذلك يصبح أهل السنة والجماعة هم المشايخ
حقيقة لأهل البيت والموالون لهم إلى يوم القيامة ، ولكن على نحو لا علاقة
له بفرض الإمامة .

أما الصورة الأخرى للتشييع فقد ظهرت في فئة بعيدة عن الاسلام
وأحكامه وتاريخه وهي صورة الغلو في أهل البيت . ذلك سيكون حديث
الفصل التالي :

الفصل الثاني
ظهور الفيلسو

تعريف الغلو :

يقال : غلا في الأمر جاوز فيه الحد ، وبإبه سما^١ . والغلو المقصود هنا هو غلو بعض الشيعة في علي بن ابي طالب وذريته ، وطلق عليهم^٥ الغلاة أو الغالية . وهرف أبو الحسن الأشعري (- ٣٢٤*) الغلاة من خلال ذكره سبب تسميتهم بالغالية ، بقوله :

لأنهم غلوا في علي ، وقالوا فيه قولا عظيما^٢ .

وهرفهم الشهرستاني (- ٥٤٨**) بقوله :

هؤلاء هم الذين غلوا في أنفسهم ، حتى أخرجوهم من حدود الخليفة ، وحكموا فيهم بأحكام الالهية ، فرما شبهوا أحدا من الأئمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق ، وهم على طرفي الغلو والتقصير^٣ .

١٥ وهو تعريفاً ييدوا أكثر شمولاً .

وقد نهج أصحاب المقالات والفرق طرقاً مختلفة في تحديد فرق الغلاة ، مما يدل على اختلاف لوجهات نظرهم في تحديد هوية الغلاة ، إلا أنه خلاف على ما يظهر شكلي إذا أعيد النظر فيه (ر . ص ٥٧) .

٢٠ وقد صنف برنارد ليس فرق الغلاة على مجموعات أو نزعات ثلاث فقال :

١م مختار الصحاح . مادة غ ل ي ص ٤٨٠

* انظر ترجمته في الأعلام ٦٩/٥

٢م الأشعري . مقالات الاسلاميين ، ج ١ ، تحقيق عبد الحميد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية . د ٠ ص ٦٦

٣م الشهرستاني . الملل والنحل ج ١ تحقيق الكيلاني ، القاهرة ، مصطفى الحلبي ، ١٣٨٧ ، ص ١٧٣

** انظر ترجمته في الأعلام ٨٣/٧

كان أصحاب النزعة الأولى أتباع الأئمة من سلالة علي وفاطمة أي الحسن والحسين وذريتهما ، وأصحاب النزعة الثانية أتباع محمد بن الحنفية ومن خلفه من عقبه . وظهر أن الفاطمية كانت في عصرها الأول تمثل الطرف المحافظ .

ان لويس^٥ جعل الغلاة الذين قالوا بالحسنين^{١٠} نزعة واحدة ذات طرفين أحدهما حسني والآخر حسيني ؛ وهذا معنى قول الباحث أنه جعلهم ثلاث نزعات . ويؤخذ على هذا التقسيم انه اعتبر ظهور الكيسانيين^{١٠} اتباع المختارين ابي عبيد (- ٦٦) بداية لظهور الغلو وفي هذا ما فيه من اغفال للغلو الذي ظهر على يد عبدالله بن سبأ أيام علي وعهد مقتله .

ان انكار وجود ابن سبأ موضوع يمس هذا البحث مساً مباشراً نظراً لما قيل عن أنه كان في الأصل يهودياً . فلا بد من ايفاء حقه من الدراسة قبل الحديث عن فرق الغلاة .

١٠ لويس لويس . أصول الاسماعيلية ، ترجمة جلو وزميله ، القاهرة ،

عبد الله بن سبأ :

من هو عبد الله بن سبأ : اختلفت كتب المقالات والتاريخ في

هوية عبدالله بن سبأ ، فتارة يسمونه : * عبد الله بن سبأ * وأخرى :

* ابن السوداء * ، غير ذلك وغيره ، وقد أوجد هذا الخلاف لبسا كان

من أسباب ظهور آراء متباينة في هذا العصر حول ابن سبأ^٥

وحقيقة وجوده ، وسماه الأشعري القمي (- ٣٠١)

عبدالله بن وهب الراسبي الهمداني^١

ولكن المعروف أن عبدالله بن وهب الراسبي كان أحد زعماء الخوارج

وقد قتل في معركة النهروان (سنة^{٣٨}) وهذه المعركة انما جرت

بين علي والخوارج ، ويرد هذا القول الذي جاء به الأشعري القمي وجود^{١٠}

نشاط لابن سبأ بعد مقتل علي (سنة^{٤٠}) فضلا عن الفترة التي

بعد النهروان . زيادة على البون الشاسح بين الغلاة والخوارج عقديا

وفكريا .

وأورد الجاحظ (- ٢٥٥) أن ابن السوداء ، هو " ابن حرب " ، ولكن أصحاب^٣

المقالات أشاروا الى من يدعى ابن حرب أنه عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي^{١٥}

صاحب فرقة " الحربية " الغالية ، وقد وجدت هذه الفرقة اثر وفاة ابن هاشم

عبدالله بن محمد بن الحنفية (ر . ص ٩٢ ف٥١) .

ولا يخفى علينا ما نوه به الأشعري القمي ، من اتفاق بين مذهب العبداء^٤

أصحاب ابن حرب الكندي مما يدل على أن سبب الالتباس قائم بين (ابن

السوداء) الذي هو ابن سبأ (ابن حرب) وهو ، الاتفاق على مذهب

الخلو ، وهي اشارة الى أن الغلاة هم في الحقيقة امتداد (للسبئية) .

١ . انظر : كتاب المقالات والفرق . تحقيق محمد جواد مشكور ، طه — ران ،

مطبعة حيدري ، ١٣٤١ ش ، ص ٢٠

٢ . انظر تاريخ خليفة بن خياط ص ص ١٩٧ ، ١٩٨

٣ . انظر البيان والتبيين ، ط ٤ ، ج ٣ ، (عبدالسلام هارون) القاهرة ، الخانجي

١٣٩٥ هـ ، ص ٨١

٤ . انظر المقالات والفرق ص ص ٥٦ ، ٥٥ . (٥) انظر تاريخ الطبري ٤ / ٢٤٠

* انظر ترجمته في : الاعلام ٥ / ٢٣٩

*
وقد اعتبر البغدادي (- ٤٢٩) ابن السوداء شخصية أخرى غير (ابن سبا) (ر. ص ٣٣٤ ، ٣٤٤) ووجه الخطأ في ذلك ، الالتباس بين الكنيتين ؛
والا فانه أوجدهما في فترة واحدة ، وجعل أحدهما تابعا للآخر . وليس
ببعيد أن اختلاف شيخ البغدادي في الرواية أوجد هذا التفرق . ولا سيما
وأه سابق اليه .

وذكر أن (ابن سبا) هو (عبدالله بن سبا العجلي) . و (بنوعجل) من
المشهور أنها قبيلة ظهر فيها الخلو لأهل البيت ، ومن أشهرهم في ذلك
(أبو منصور العجلي) صاحب الفرقة (المنصورية) الخالية (ر. ص ١١٧ فما)
ولا يستبعد أنه كان يدعى عبدالله .

١٠ من ذلك يتضح لنا أن (عبدالله بن سبا) ليس ابن وهب أو ابن حرب ،
وليس من بني عجل بل هو : (عبدالله بن سبا اليهودي الصنعاني) . وذكر
النويختي أن ابن سبا :

٣
كان يهوديا فاسلم ووالى عليا عليه السلام

نشأه : ان المعلومات التي توفرت لاتزيد على أنه كان يهوديا من (صنعاء) اليمن ،
وأنه ظهر في خلافة عثمان بن عفان ، وان أفاض بعض المحدثين في حياته قبل
١٥ ذلك ، الا أن هذا من قبيل الاحتمال الذي لم يتأيد بنصوص ؛ فحياته قبل ظهوره
على مسرح الأحداث مجهولة الى حد بعيد .

١. انظر : الشيبني . كامل مصطفي ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ط ٢ ، القاهرة

دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ٩٠

٢. انظر : الألويسي ، محمود شكري ، مختصر التحفة الاثني عشرية ، ط ٢ ، القاهرة ،

المطبعة السلفية ، ١٣٨٧ ، ص ٦

٣. فرق الشيعة ص ٢٠

* انظر ترجمته في الاطلام ١٧٣/٤

هل كان ابن سبأ أسطورة ؟ قبل التعرض للعقيدة التي ابتدعها ابن سبأ اليهودي ، لابد لنا من التعرض لما قيل في شخصيته من أنه مجرد أسطورة أريد بها الطعن في مذاهب (الشيعة) ، فهل كان ابن سبأ كذلك ؟

ان كثيرا من أصحاب الفرق والمقاتلات ، والمؤرخين ، تناقلوا أخمسار (ابن سبأ) ودوره في بث الغلو في التشيع لأهل البيت بين المسلمين ، بهدف القضاء على الدين الاسلامي .

وفي الساحة العربية ، ظهر (مرتضى العسكري) - وهو باحث شيعي معاصر ، وعميد لكلية أصول الدين ببغداد - بكتاب سماه :

" عبدالله بن سبأ واساطير أخرى " . عالج فيه ظاهرة (ابن سبأ) باعتباره

أسطورة ، وبنى رأيه على أن ابن جرير الطبري (- ٣١٠) صاحب التاريخ المشهور نقل أخبار ابن سبأ وفي سند روايته شخص كذاب ، يدعى (سيف بن عمر الضبي التميمي) . (ر . ص ٣١) وقد ظهرت آراء موافقة " للعسكري " من وجوه أخرى ، وكلها مجمع على أن (ابن سبأ) شخصية ملفقة التكوين على أصح الافتراضات .

وعلى الصعيد الآخر أي الذي يثبت وجود شخصية ابن سبأ نجد " عبدالرحمن بنوى " - أحد الذين كتبوا في الدراسات الاسلامية على النحو الاستشراقي - يتحدث عن (ابن سبأ) باعتباره شخصية حقيقية ، ويدفع قول بعض المستشرقين الذين قللوا من خطورة ابن سبأ .

كما أن " عبدالله حافظ " كتب رسالة جامعية تضمنت فصلا رد فيه بصفة خاصة على " مرتضى العسكري " بسلسلة من روايات أئمة الشيعة ، تثبت عكس ما ذهب اليه " العسكري " .

١. عنوان الرسالة : منهج النقد عند الحديثين . وقد قدمت إلى قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة ، ١٣٩٢ هـ

* أنظر ترجمته في الأعلام ١٩٤٦/٦

** ظهر أخيرا بحث مماثل كتبه : سعدي الهاشمي . مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . العدد ٤٦ السنة ١٢ جمادى ١٤٠٠

وقد حذرت " التحفة الاثني عشرية " من انكار شخصية ابن سبأ على النحو التالي :
عبد الله بن سبأ . . . وليس هو هيان بن بيان ^١ وزعم ذلك مكابرةً وانكاراً
للمتواتر .

- وإذا علمنا أن مؤلف (التحفة الاثني عشرية) هو " شاه عبد العزيز الدهلوي " (١٢٣٩ -) ألفها في القرن الثالث عشر باللغة الفارسية ، وأنه اعتمد فيها على المصادر الشيعية ، لوجدنا أن من المحتمل أن تكون مسألة التعرض لشخصية " ابن سبأ " مما ظهر في تلك الأوساط حينئذ على نطاق ضيق ، إذا لم يكن المؤلف المذكور سابقاً الى دفع هذا النفي قبل وقوعه كما هي عادة الباحثين والمناظرين الذين يردون على رأي يتوقعونه من أخصامهم قبل القول به .
- ١٠ الا أنه من المؤكد أن مسألة " محاولة نفي وجود شخصية ابن سبأ ، أو التقليل من قيمتها " . هي ما ظهر في القرن الرابع عشر مع ما ظهر من التشكيك في (التاريخ الاسلامي) اجمالاً .
- ولا ينكر الباحث هنا تسرب بعض الأوهام الى جزء من التاريخ الاسلامي . الآن الواجب يقتضي تمييز الأكاذيب من الحقائق استناداً على البحث العلمي النزاهة الذي يراد به وجه الله تعالى ، لأن هناك من يتمنى أن يحذف بجرة قلم كل ما تميز به تاريخ المسلمين من أمجاد ومفاخر على حساب هنات وقع فيها بعض المؤرخين . وهذا مما له طلاقة قوية وثيقة بصلب العقيدة الاسلامية عامة .
- المستشرقون وابن سبأ : ليس من المستبعد أن تكون مسألة انكار شخصية ابن سبأ أو التقليل من شأنها ، من نتاج الفكر الاستشراقي ، لأن الاهتمام الذي برز في (العالم الغربي) بابن سبأ أكثر من ذلك الذي ظهر على الساحة العربية ، كما أنه متقدم وسابق عليه .

وذكر (برنارد لويس) أن كلا من " فلهاوزن " و " فريد لاندر " و " كيتانبي "

اعتبروا ظاهرة ابن سبأ من اختلاق المتأخرين .

١. مختصر التحفة الاثني عشرية ط ٢ ص ١٦

٢. أنظر: أصول الاسماعيلية ص ٨٦

ومن الملاحظ أن " فريد لاندر " و"فلهاوزن " بنيا رأيهما على طعن بعض

رجال الجح والتعديل في روايات " سيف بن عمر ، ولكن " فريد لاندر " لم
يستطع انكار دور ابن سبأ في نفي موت علي بن أبي طالب .^١

أما " كيتاني " فقد ذهب من قبل مذهبا آخر بنوا عليه رأيه في عدم وجود

دور سياسي لابن سبأ الموافق لرأي " فريد لاندر و"فلهاوزن" على أساس أن
المؤامرات السرية التي نسبت إلى ابن سبأ في عهد " عثمان " لا يمكن أن تتم
بهذه الصورة في هذا العصر :

ان مؤامرة بهذا الاحكام لا يمكن تصور حدوثها في

العالم الاسلامي عام ٣٥ هـ بنظام القبلي ، وأنها تعكس^٢

بالحري أحوال العصر العبّاسي .

وعلى صعيد يهودية ابن سبأ ، فاننا نجد (ديللافيدا) ينكر يهودية ابن سبأ

بلا دليل مقنع . ويقال ان (ديللافيدا) نقل مقاله هذه عن (ويمبي) . واستبعد^٣
كل من (ماسنيون) و (فلهاوزن) أيضا ، أن يكون ابن سبأ يهوديا بل اعتبره
عربيا .^٤

ولا يستبعد الباحث أن نفي يهودية (ابن سبأ) انما قيل اعتمادا على أقوال^٥
خاطئة قيلت في ابن سبأ ، من أنه (عبدالله بن وهب الراسبي) كما قال (الأشعري
القمي) أو أنه من قبيلة (كنده) كما قال (الجاحظ) أو أنه من (بني عجل) كما
نقل عن (الشعرائي) ، وقد سبق تفنيد هذه الأقوال (ر . ص ص ١٦ ١٧) .

١. انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، ط الانجليزية ، مادة " ابن سبأ " ،
طبعة ليدن ، وانظر : عبدالرحمن بدوي ، مذاهب

الاسلاميين ج ٢ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٢٣ ، ص ٢٢٠
٢. عبدالرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ٣٥/٢ ، وانظر : دائرة المعارف

الاسلامية ، ط الانجليزية ، مادة ابن سبأ ٥١/١ .

٣. انظر : مذاهب الاسلاميين ٢٠/٢

٤. انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، ط الانجليزية ، ابن سبأ ٥١/١ .

الباحثون العرب وانكار شخصية ابن سبأ

سبقت الإشارة إلى ما كتب (مرضى العسكري) حيث نفى وجود ابن

سبأ واعتبره من الأساطير .

وهنا يورد الباحث ما استنتجه (العسكري) حول هذا الموضوع؛ انه يقول ان

سند جميع من أورد هذه الأسطورة السبئية [ينتهي]

إلى هذه المصادر الأربعة [وهي الطبري (٣١٠-) وابن عسك

(٥٧١-)] .

وابن ابن بكر (٧٤١-) والذهبي (٧٤٨-) وهـ

ترويه عن سيف [بن عمر الضبي التيمي] وحده لاشريك له فـ

ذلك .

ان (العسكري) بذلك يضاغي قول من سبقه إلى هذا القول من المستشرقين،

الا ان اولئك المستشرقين الذين طعنوا في روايات (سيف بن عمر) لم ينفوا

تماما وجود ابن سبأ على هذه الطريقة .

أيد (العسكري) في دعواه (محمد جواد مغنیه) بأسلوب تجاوز فيـ

الموضوعية العلمية، وأيده أيضا (حامد حفني داود) .

ساهم (طه حسين) في انكار شخصية ابن سبأ، ولكن من وجهة نظر أخرى

قد تكون جديدة، فهو يرى أن عدم ظهور (ابن السواد) في (موقعة صفين)

ولا في فرقة (الخوارج)؛ يستلزم أن يكون وهما وان وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر

كالذي صوره المؤرخون .

وعلى استحيا، ساهم (محمد حسين كاشف الخطأ) العالم العراقي

الشيعة، في انكار شخصية ابن سبأ بالرغم من اعترافه أن " كتب الشيعة "

١. عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى، بيروت، دار الكتاب، ١٣٨٨، ص ٥٦ وما قبلها

٢. انظر: عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى ص ص ٩ - ١٢، ١٣ - ١٦

٣. انظر: الفتنة الكبرى - علي وبنوه، ط ٨، القاهرة، دار المعارف،

القديمة تلعب ابن سبأ حين تترجم له ، إلا أن " كاشف الغطاء " يقول ،

على أنه ليس من البعيد رأي القائل : أن عبد الله بن سبأ . . .

[وأما له] كلها أحاديث خرافة وضعها القصاصون ، وأرباب

السمر والمجون ، فإن الترف والنعيم قد بلغ أخصاه في أواسط

الدولتين الأموية والعباسية .

ومن أنكر شخصية ابن سبأ على نحو آخر " علي الوردي " و" كامل

مصطفى الشيبلي " . وقد عرض " علي سامي النشار " ذلك حين قال :

ولكن كاتب الشيعة الكبير المعاصر الدكتور علي الوردي يقدم لنا في براءة

نادرة تحليلاً بارعاً لقصة عبد الله بن سبأ . . . ينتهي إلى انكار وجود

هذه الشخصية إطلاقاً ، ويحاول أن يثبت أن ابن سبأ ، هو هو عمار بن

ياسر ، ثم حمل النواصب أعداء البيت العلوي " ابن سبأ " تلك الشخصية

الوهمية - تلك العقائد الناشئة المنتشرة في كتب العقائد ، والتي لعنوها

أهل السنة والجماعة جميعاً كما لعنوها الشيعة الإمامية أيضاً . وكذلك

فعل الدكتور كامل مصطفى الشيبلي في بحثه الرائع " بين التصوف والتشيع "

وقد أبرز وثائق جديدة تبين التطابق التام بين شخصيتي عبد الله بن

سبأ وعمار بن ياسر .

ولتوضيح رأي " الوردي " الذي لم أقف بعد - مع الأسف - على كتابه

" وعاظ السلاطين " ، ولكنني استلذت من " كامل مصطفى الشيبلي " السذي

نقل آراءه بالنص ، أقول :

ان " الوردي " بنى رأيه القائل بتطابق شخصيتي " ابن سبأ " و" عمار بن

ياسر " على ما ورد في : " الطبري " من أخبار " ابن سبأ " تلك الأخبار التي رواها

" سيف بن عمر " .

١. أصل الشيعة وأصولها ، ط ٣ ، (نائب بغداد) ، ١٣٦٣ هـ ، ص ٥٠ .

٢. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ج ٢ ، ط ٧ ، القاهرة ، دار المعارف ،

ان " كامل الشيبى " بآراءه حول " ابن سبأ " ما هو الا امتداد
" للموردي " اللذين وصفهما " سامى النشار " بالروعة والبراعة . يقول الشيبى :

وللدكتور علي الوردي أدلة على أن هذين الرجلين

[عمار وابن سبأ] شخص واحد وهذا نصها :

من غرائب التاريخ أن نرى أن كثيرا من الأمور التي
تنسب الى ابن سبأ موجودة في سيرة عمار بن ياسر
على وجه من الوجوه :

١- كان ابن سبأ يعرف بابن السوداء وقد رأينا كيف

كان عمار يكتئب بابن السوداء أيضا .

٢- وكان من أب يمني ومهمل هذا أنه كان من أهنة

سبأ ، فكل يمني يصح أن يقال عنه : " ابن

سبأ " .

٣- وعمار فوق ذلك كان شديد الحب لعلي بن أبي

طالب عليه السلام يدعو له ويحرض الناس على

بيعته في كل سبيل .

٤- وقد ذهب عمار في أيام عثمان الى مصر وأخذ يحرض

الناس . . . وهذا الخبر يشابه ما نسب الى ابن

سبأ من أنه استقر في مصر واتخذ القسطاط مركزا

لعهوته وشرع يرسل أنصاره منها .

٥- وينسب الى ابن سبأ قوله : ان عثمان أخذ الخلافة

بغير حق وأن صاحبها الشرعي هو علي بن أبي

طالب . والواقع أن هذا هو كلام عمار . . . فقد

سمع ذات يوم يصيح في المسجد اثريبعة عثمان :

يا معشر قريش ، اما اذا صرفتم هذا الأمر عن بيت نبيكم
هاهنا مرة وهاهنا مرة فما انا بآمن عليكم من ان ينزعه الله
فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله .

٦- ويمزى الى ابن سبا أنه هو الذي عرقل مساعي الصلح
بين علي وعائشة ابان معركة الجمل حسب ما يقوله الرواة
ومن يدرس تفاصيل [ال] واقعة . . . يجد عمارا يقم بدور
فعال فيها ، فهو الذي ذهب مع الحسن ومالك الاشتهر
الى الكوفة يحرض الناس على الانتماء الى جيش علي ، وكان
وقوف عمار بجانب علي اثناء المعركة سببا من أسباب ندم الزبير
وخرجه منها .

٧- وقالوا عن ابن سبا أنه هو الذي حرك أبا ذر في دعوته
الاشتراكية ولودرسنا صلة عمار بأبي ذر لوجدناها وثيقة جدا .
فكلاهما من مدرسة واحدة هي مدرسة علي بن أبي طالب ،
وكان هؤلاء الثلاثة يجتمعون ويتشاورون معا .

١٥ بعد عرض " الشيبسي " لآراء " الوردية " قلم الأول بتدعيمها بالنصوص على
حد زعمه . فمن تسمية " عمار بن ياسر " بابن السوداء قال ؛
ورد نص رواه علي بن ابراهيم القمي صاحب التفسير الشيعي
القديم لمناسبة الآية (يمنون عليك أن أسلموا . . .) فقال ؛
نزلت في عثكن . بن معاوية يوم الخندق ، وذلك أن مربعمار
يحفر الخندق وقد ارتفع الغبار من الحفرة فوضع عثكن كفه على
أنفه ومرة فقال عمار ؛

لايستوي من بيتي المساجدا * يظل فيها راكما وساجدا

ومن يمر بالغبار حايذا [؟] * يعرض عنه جاحدا معاندا

فالتفت اليه عثكن فقال : يا ابن السوداء اياي تعني ؟ / وأما كونه

[يعني عمارا] ابن سبأ فقد ورد في نسب عمار في طبقات

" ابن سعد " فقال :

هو عمار . . . بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن

قحطان . وكذلك في " طريق الحقائق " (للحاج معصم) نقلا

عن الكامل . . . وكذلك في تاريخ ابن خلدون .

وأضاف " الشيبى " الى آراء " الوردى " آراء أخرى فقال :

١٠ ان الطبرى في تطرقه الى حرب الجمل قد عرض لأنصار علي

فيها فكان اذا عدّهم وذكر اسم عمار في جمعتهم أقفل ذكر ابن

السوداء^١ واذ ذكر ابن السوداء^٢ تهاشى ذكر اسم عمار مما يرجح

أن الرجلين شخص واحد . وقد كان أكثر زملا^٣ حجر [بن عدي]

" يمانيين " أى سبئيين ، وقد سماهم زياد [بن ابيه] بالترابية

١٥ أي العلوية . وبهذا تكون السبئية هي الحجرية وتكون أفكارها

هي أفكار ابن سبأ الذي هو عمار بن ياسر .

ويمكن هنا تلخيص آراء المنكرين لشخصية " ابن سبأ " على النحو التالي :

١- انكار وجود (عبدالله بن سبأ) تماما واعتباره اسطورة ، اعتمادا على تجريح

بعض الرجال لرواية " سيف بن عمر " في الحديث .

٢- انكار ذلك لعدم ظهوره في معركة " صفين " ولا بين " الخواج " .

٣- انكار دوره السياسي فقط .

٤- انكار يهوديته .

١. الصلة بين التصوف والتشيع ط ٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ص ٤٠ ص ٤٠

على رأس ذلك تأتي الروايات التي يرويها " الشيعة " عن ائمتهم فسي
ذم ولعن " عبدالله بن سبأ " كما رواها (محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي *
(- ٣٤٠) في ترجمته لعبد الله بن سبأ ؛ حيث يقول :

- (١) حدثني محمد بن قولويه القبي قال : حدثني سعد عن عبدالله
ابن ابي خلف القبي قال حدثني محمد بن عثمان العبدي ، عن
يونس بن عبد الرحمن عن عبدالله بن سنان قال : حدثني ابي عن
ابي جعفر عليه السلام : أن عبدالله بن سبأ كان يدعي النبوة . الخ .
(٢) حدثني محمد قولويه : قال حدثني سعد بن عبدالله قال : حدثنا
يعقوب بن زيد ومحمد بن عيسى عن ابي عمير عن هشام بن سالم
قال : سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول : - وهو يحدث أصحابه
بحديث عبدالله بن سبأ وما ادعى من الرواية في أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام . الخ .
(٣) حدثني محمد بن قولويه : قال : حدثني سعد بن عبدالله
قال حدثنا يعقوب ابن زيد ومحمد بن عيسى عن علي بن مهزيار
عن فضالة بن أيوب الأزدي عن ابا بن عثمان قال : سمعت ابا
عبدالله عليه السلام يقول : لعن الله عبدالله بن سبأ ، انه ادعى
الرواية في أمير المؤمنين عليه السلام . الخ .
(٤) وهذا الاسناد عن يعقوب بن زيد عن ابي عمير وأحمد بن محمد
ابن عيسى عن ابيه والحسين بن سعيد عن ابن ابي عمير عن هشام بن
سالم عن ابي حمزة الثمالي قال : قال علي بن الحسين صلوات الله
عليهما : لعن الله من كذب علينا اني ذكرت عبدالله بن سبأ فقامت
كل شعرة في جسدي ، لقد اهنى أورا عظيما ماله لعنه الله . الخ .

٥ سعد بن عبدالله قال : حدثني محمد بن خالد الطيالسي
عن عبدالرحمن بن أبي نجران عن ابن سنان قال قال أبو عبدالله
عليه السلام : إنا أهل بيت صادقون لا نخلوا من كذاب يكذب
علينا فيسقط صدقه بكذبه علينا عند الناس . كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أصدق البرية لهجة وكان مسيلة يكذب عليه
وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان الذي يكذب عليه من الكذاب [كذاب]
عبدالله بن سبأ لعنه الله وكان أبو عبدالله الحسين بن علي
عليهما السلام قد ابتلي بالمختار ثم ذكر أبو عبدالله الحارث الشامي
١٠ وبنان فقال : كانا يكذبان علي بن الحسين عليهما السلام
ثم ذكر المنيرة بن سعيد وزيعة والسري وأبا الخطاب ومحمـ
وأبإبشار الأشعري وحمزة اليزيدي وصائد النهدي فقال : لعنهم
الله

٢- ما ذكره " الجاحظ " (- ٢٥٥)

١٥ قال : حباب بن موسى ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن
زحر بن قيس : قدمت المدائن بعد ما ضرب علي بن أبي طالب -
كم الله وجهه - فلقيني ابن السوداء . وهو ابن حرب فقال لي :
ما الخبر ؟ فقلت : ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من
أيسر منها ، ويميش من أشد منها . قال : لو جئتمونا بدماعه
٢٠ في مائة صرة لعلنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه .

١. الكشي . معرفة أخبار الرجال (نشر الحاج الحايي) بومبي ، د . ت
٥ ص ٧٠ ف ، ص ١٩٧ وأنظر : عبدالله حافظ . النقد عند
المحدثين ، كلية الشريعة ، مكة ، ١٣٩٢ ، ص ١٧٨ (رسالة علمية)
٢. البيان والتبيين ، ج ٣ ، ط ٤ ، (عهد السلام هارون) ص ٨١

٣ - ما ذكره " ابن قتيبة " (- ٢٧٦) *

عبدالله بن سبا . وكان أول من كفر من الرافضة ، وقال :-

علي رب العالمين فأحرقه علي وأصحابه بالنار .
١

٤ - ما ذكره " الناشء الأكبر " (- ٢٩٣) **

وروي عن عبدالله بن سبا أنه قال للذي أتى بني سبي

علي الى المدائن ، والله لو اتيتنا بدماعه في سبعين صرة

ما صدقناك ، ولعلمنا أنه لم يموت ، وأنه لا يموت حتى يسوق

العرب بمصاه . فبلغ قوله ابن عباس فقال : لو علمنا هذا

لم نقسم أمواله ولم ننكح نساءه .
٢

٥ - ما ذكره الأشعري القمي (- ٣٠١)

عنه الفرقة تسمى السبائية أصحاب عبدالله بن سبا

وهو عبدالله ابن وهب الراسبي الهمداني وساعده علي ذلك

عبدالله بن حريس وابن أسود ، وهما من أجلة أصحابه . وكان

أول من أظهر الطعن علي أبي بكر وعمر وعثمان والصحابسة

وتبرأ منهم ، وادعى أن عليا أمره بذلك ، وأن التقيية لا تجوز

ولا يحل (كذا) فأخذه علي فسأله عن ذلك فأقره وأمر بقتله ،

فصاح الناس اليه من كل ناحية يا أمير المؤمنين أقتل رجلا

يدعوا الي حبكم أهل البيت والى ولايتك والبراءة من أعدائك

فسيره علي الى المدائن ، وحكى جماعة من أهل العلم : أن عبدالله

بن سبا كان يهوديا فأسلم ووالى عليا . وكان يقول وهو علي

يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بهذه المقالة ، فقال

١١. المعارف . ط ٢ ، (ثروت عكاشة) القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ٦٢٢ .

٢٠. مسائل الامامه (يوسف فان اس) بيروت ، المعهد الالمانى للابحاث الشرقية ، ١٩٧١ ، ص ٢٢ .

* انظر ترجمته في : الاعلام ٢٨٠/٤

** انظر : ترجمته في الاعلام ٢٦١/٤

في اسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي
يمثل ذلك ، وهو أول من شهد بالقول بفرض امامة علي بن
أبي طالب ، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفته
وأكفرهم ، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة ان أصل الرضى
مأخوذ من اليهودية ، ولما بلسغ ابن سبأ وأصحابه نعيي
علي وهو بالمدائن وقدم عليهم راكب فساله الناس ،
فقال ما خبر أمير المؤمنين قال ضربته أشقاها ضربة
قد يعيش الرجل من أعظم منها ويموت من وقتها ، ثم اتصل
خبر موته فقالوا للذي نعاه كذبت يا عدو الله لوجئتنا والله
بدمافه ضربة [كذا] فأقت علي قتله سبعين عدلا ما
صدقناك ، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل وأنه لا يموت حتى يسوق
العرب بعصاه ، ويملك الأرض .

١٥ (٦) ما ذكره النوبختي (- أوائل القرن الثالث) :

وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام
ان عبد الله ابن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام ،
وكان يقول علي يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام
بمثل ذلك . وهو أول من شهر القول بفرض امامة علي عليه السلام
وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفته ، فمن هنا قال من
خالف الشيعة ، ان أصل الرضى مأخوذ من اليهود . ولما بلسغ
عبد الله بن سبأ نعي علي في المدائن قال للذي نعاه : كذبت
لوجئتنا بدمافه في سبعين صرة وأقت علي قتله سبعين عدلا لعلمنا

١. كتاب المقالات والفرق (محمد جواد مشكور) طهران ، مطبعة حيدري ،
١٣٤١ ش ، ص ٢٠ و ٢١

١) أنه لم يموت ولم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض .

(٧) ما ذكره " الطبري " (- ٣١٠) عن الدور الفكري العقدي لابن سبأ :

فيما كتب اليسى السرى عن شعيب عن سيف عن عطية

عن يزيد الفقعسي قال : كان عبد الله بن سبأ يهودياً

٥ من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ثم تنقل

في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز

ثم البصرة ، ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد

عند أهل الشام وأخرجوه حتى أتى مصر ، فاعتمس

فيهم ، فقال لهم فيما يقول : لعجب من يزعم أن عيسى

١٠ يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع ، وقد قال الله عز وجل :

(ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) محمد

أحق بالرجوع من عيسى . قال (الراوى) فقبل ذلك عنه

ووضع لهم الرجعة ، فتكلموا فيه . ثم قال لهم بعد ذلك :

انه كان ألف نبي ولكل نبي وحي وكان علي وصي محمد ، ثم

١٥ قال : محمد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الأوصياء ، ثم قال

بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجزؤية رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، ويشب على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

٢) وتناول أمر الأمة .

(٨) ما ذكره أبو الحسن الأشعري (- ٣٣٠) :

٢٠ أصحاب عبد الله بن سبأ يزعمون أن علياً لم يموت وأنه

يرجع الى الدنيا قبل يوم القيامة فيبلا الأرض عدلاً كما ملئت

جوراً وذكروا عنه (يعنى ابن سبأ) أنه قال لعلي عليه السلام :

٣) أنت ر أنت

١) فرق الشيعة ، ط ٤ ، ص ص ٤٠ ٤١

٢) الطبري ٣٤٠/٤

٣) مقالات الإسلاميين ٨٦/١

٤) القصص ٨٥

(٩) ما ذكره القاضي عبد الجبار الممتزلي (٤١٥) :

وكان (يعني ابن سبأ) بالكوفة ، يظهر تعظيم

أمير المؤمنين بما لا يرضاه أمير المؤمنين - ويستغوي

بذلك من ليست له صحبة ولا فقه في الدين ، وكالهادي

وأهل السواد ، ويتحدث بينهم وربما استقصر عندهم فعمل

ابي بكر وعمر وعثمان ، ويقدم أمير المؤمنين عليهم في الفضل ،

لأنه كان يدعي ما ادعاه أبو الخطاب وهشام بن الحكم . وكان

يدعي عند امثال هؤلاء أن أمير المؤمنين يستخسه ويخرج

اليه بأسرار ولا يخرج بها الى غيره ، وأمير المؤمنين لا يعلم .

... وكان ابن سبأ هذا يقول لأصحابه : إن أمير

المؤمنين قال لي انه يدخل [كذا] دمشق ويهدم

مسجدها حجرا حجرا ويظهر على أهل الأرض ، ويكشف

لهم أسراراً ويعرفهم أنه ربه .

ولقد أتى أمير المؤمنين رضي الله عنه سويد بن غفلة

وكان من خاصته وكبار أصحابه . فقال له يا أمير المؤمنين

مرت بنفسي من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر بنفسي الذي

هما من الأمة له أهل ، ويرون أنك تضر لهما على مثل

ما أعلنوا ، فقال : أعوذ بالله أعوذ بالله مرتين .

**

(١٠) ما ذكره " البغدادي " (٤٢٩) :

عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنه وزعم أنه

كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم أنه اله ، ودعا الى ذلك قوما

أما تثبيت دلائل النبوة . (عبد الكرم عثمان) بيروت ، دار العربية ، ١٣٨٦ هـ

ص ص ٥٤٦ و ٥٤٧

* انظر ترجمته في الاعلام ٤٧/٤

** انظر ترجمته في الاعلام ١٧٣/٤

من غواة الكوفة ، ورفع خبرهم الى علي رضي الله عنه فأمر
بأحراق قوم منهم في حفرتين حتى قال بعض الشعراء في
نلك :

لتم بي الحوادث حيث شاءت

٥ اذا لم تم بي في الحفرتين

ثم ان عليا رضي الله عنه خاف من احراق الباقيين منهم
شماة أهل الشام ، وخاف اختلاف أصحابه عليه ، فنفسى
ابن سبا الى ساباط المدائن ، فلما قتل علي رضي الله عنه

زعم ابن سبا أن المقتول لم يكن عليا وانما كان شيطانا تصور

١٠ للناس في صورة علي ، وأن عليا صعد الى السماء كما

صعد اليها عيسى بن مريم عليه السلام ، وقال : كما كذبت

اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب

والخوارج في دعواها قتل علي وانما رأت اليهود والنصارى

شخصا مصلوبا شبهوه بعيسى ، وكذلك القائلون بقتل علي

١٥ رأوا قتيلا يشبه عليا فظنوا أنه علي ، وعلي قد صعد الى

السماء ، وأنه سينزل الى الدنيا وينتقم من أعدائه .

وزعم بعض السبائية ، أن عليا في السحاب

وأن الرعد صوته ، والبرق سوطه ، ومن سمع من هؤلاء

صوت الرعد قال : عليك السلام يا أمير المؤمنين .

٢٠ وقد روي عن عامر بن شراحيل الشعبي أن ابن

سبا قيل له : ان عليا قتل فقال : ان جئتمونا بدماعه

في صرة لم نصدق بعوته ، لا يموت حتى ينزل من السماء

ويملك الأرض بحذانيها . . . وقد ذكر الشعبي أن عبدالله بن

السوداء وكان يعين السبائية على قولها وكان ابن السوداء

- في الأصل يهوديا من أهل الحيرة فأظهر الاسلام
وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم
أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصي ، وأن عليا رضي الله عنه
وصي محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خير الأوصياء كما
٥ أن محمدا خير الأنبياء ، فلما سمع ذلك منه شيعة علي قالوا
لعلي انه من محبيك فرفع علي قدره ، وأجلسه تحت درجة
منبره ، ثم بلغه غلوه فيه فهم بقتله ، فنماه ابن عباس عن ذلك
وقال له : ان قتلته اختلف عليك أصحابك ، وأنت ما
علي العمود الى قتال أهل الشام وتحتاج الى مداراة أصحابك ،
١٠ فلما خشى من قتل [يعني ابن السوداء الذي يعتبره البغدادي
شخصية أخرى غير ابن سبأ] ومن قتل ابن سبأ الفتنة التي
خافها ابن عباس " فاهما الى المدائن فافتتن بهما الرجاج بعد
قتل علي رضي الله عنه ، وقال لهم ابن السوداء : والله
لينهمن لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض احدهما
١٥ عسلا والأخرى سمنا ويغترف منها شيعة .
وقال المحققون من أهل السنة : ان ابن السوداء كان
علي هوى دين اليهود وأراد أن يفسد علي المسلمين دينهم .
بتأويلاته في علي وأولاده كي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى
في عيسى عليه السلام ، فاتسب الى الرافضة السبائية حين
٢٠ وجدهم أعرق أهل الأهواء في الكفر ودلس ضلالتهم في
تأويلاته .

(١١) ما ذكره الشهرستاني (٥٤٨) :

عبدالله بن سبأ الذي قال لعلي كرم الله وجهه
أنت أنت ، يعني أنت الاله فنفاه الى المدائن ، وزعموا
أنه كان يهوديا فأسلم وكان في اليهودية يقول في
يوشع بن نون وصي موسى بن عمران عليهما السلام مثل
ما قال في علي رضي الله عنه ، وهو أول من أظهر القول
بالنص بامامة علي رضي الله عنه ، ومنه اشعبت أصناف
الخلافة .

٥
١٠
١٥
٢٠
زعم أن عليا حي لم يمت ففيه الجزأ الالهي ، ولا يجوز
أن يستولى عليه [كذا] وهو الذي يجيء في الحساب
والرعد صوته والبرق تبسمه ، وأنه سينزل الى الأرض بعد
ذلك فيملا الأرض عدلا كما ملئت جورا .
وانما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي رضي
الله عنه .

*
١٥ (١٢) ما ذكره " ابن أبي الحديد " (٦٥٦)

[أقول ، انه ذكر رواية عن أبي العباس أحمد بن عبدالله بن عمار الثقفي
عن محمد بن سليمان ابن حبيب المصيصي المعروف بنوين ، وأخرى عن علي
بن محمد النوفلي عن مشيخته أن قوما ^{سأ}الهُوا عليا غير ابن سبأ فأحرقهم علي ،
ثم قال] -

٢٠
ثم استقرت هذه المقالة لسنة أو نحوها ثم ظهر عبدالله
ابن سبأ وكان يهوديا يتمتر بالاسلام بعد وفاة أمير المؤمنين
عليه السلام فأظهرها ، واتبعه قوم فسما السبائية ، وقالوا :

١. الملل والنحل ١/١٧٤ .
* انظر ترجمته في الاعلام ٤/٦٠ وفيه أن وفاته سنة ٦٥٥ .

ان عليا عليه السلام لم يمت وأنه في السماء والرهء صوته
والبرق صوته واذا سمعوا صوت الرهد قالوا : السلام
عليك يا أمير المؤمنين ، وقالوا في رسول الله صلى الله عليه
وآله أفظ قول ، وافتروا عليه أعظم فرية ، فقالوا : كتم
تسعة أئشار الوحي ، فنكس عليهم قولهم الحسن بن محمد
بن الحنفية رض الله عنه في رسالته التي يذكر فيها
الارجاء رواها عنه سليمان بن ابي شيخ عن الهيثم بن
معاوية عن عبد العزيز بن ابان عن عبد الواحد بن أيمن المكسي
قال شهدت الحسن بن علي [كذا] بن محمد بن الحنفية
على هذه الرسالة فذكرها وقال فيها : ومن قول هذه
السبائية : هدينا لوشي ضل عنه الناس ولم خفي عنهم
وزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وآله كتم تسعة
أشبار الوحي ، ولو كتم صلى الله عليه وسلم شيئا مما أنزل
الله عليه لكرم شأن امرأة زيد وقوله تعالى : (تبتغي
مرضاة أزواجك) .

(١٣) ما روي عن يحيى بن حمزة الزيدي (- ٧٤٥) :

وقد روى المؤيد بالله يحيى بن حمزة الزيدي
في آخر كتابه (طوق الحمامة في مباحث الامامة) عن
سويد بن غفلة أنه قال : مرت بقم ينتقصون أبا بكر وعمر
رضي الله تعالى عنهما ، فأخبرت عليا كم الله وجهه وقلت
لولا أنهم يرون أنك تضر ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك ، منهم
عبد الله بن سبأ . فقال " نعوذ بالله . رحمتنا الله . . . ثم
ارسل ابن سبأ فسيره الى الدائن .

١. شرح نهج البلاغة ، ج ٢ ، القاهرة ، مصطفى الحلبي وأخوه ، ص ٢٠٩
٢. الألويسي . محمود شكرى ، مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ط ٢ ، القاهرة ، السلفية
١٣٨٧ هـ ، ص ٦
(*) التحريم ١

- ان الذى يظهر بعد هذا العرض للروايات المختارة التى وقفت عليها السى
الآن ، أن "ابن سبأ" شخصية حقيقية تواتر ذكرها بين المتقدمين والمتأخرين
ولم ينفرد بها "سيف بن عمر" كما يزعم "مرتضى العسكري" ، وكما لمع السى
ذلك "فريد لاندر" و"فلهاوزن" و"دائرة المعارف الاسلامية" ضمن تشكيكهم
في وجود هذه الشخصية ، فقد روى قصة "ابن سبأ" الجاحظ عن الشعبي ،
ورواها "ابن قتيبة" بنص يختلف كلياً عن رواية "الطبري" عن "سيف" ،
وكذا "الناشي" الأكبر ، ورواها "الأشعري النقي" عن جماعة من أهل
العلم ، و"النوختي" عن جماعة من أهل العلم من أصحاب "علي" ، ورواها
"أبو الحسن الأشعري" بنص يختلف عن "الطبري" ، ورواها "عبدالقاهر
البغدادي" عن الشعبي ، و"الشمري" بنص يخالف "الطبري" ، ورواها
"ابن أبي الحديد" بثلاث روايات ، أحدها عن رواية "أبي العباس
أحمد بن عبدالله بن عمار النقي" عن "محمد بن سليمان بن حبيب المصم" ،
المعروف "بنون" ، والثانية ، عن "علي بن محمد النوفلي" عن مفيخته
وهما تخصصان القائلين بتأليه "علي بن أبي طالب" الذين يعتبرهم "ابن
أبي الحديد" عنصراً مغايراً "للسبئية" ، والثالثة تحوي رسالة "الحسن بن
علي بن محمد بن الحنفية" في الأرجاء هذه الرسالة التى يبدو أنها
مفقودة الآن ، وقد رواها "ابن أبي الحديد" عن "سليمان بن أبي شيخ"
عن "الهيثم بن معاوية" عن "عبدالعزیز بن أبان" عن "عبدالواحد
بن أيمن الكسى" ، وهناك الرواية التى ذكرت عن "سويد بن غفلة"
كما رواها "الامام التويد بالله يحيى بن حمزة" ، وذكرها بسندها "ابن حجر"
(٨٥٢) كما يلي :-

قال أبو اسحق الغزاري عن شعبة عن سلمة بن
كهيل عن أبي الزهراء عن زيد بن وهب أن سويد بن غفلة قال :

ان هذه الروايات مع ما اضافته اليها " القاضى عبدالجبار المعتزلى " وما اضافته روايات " الكشي " عن ائمة أهل البيت ، تشكل تواترا واضحا لقصة " عبدالله بن سبا " وانه شخص حقيقى يهودى ، مما يهدد موالى القول ان التعلق برواية " سيف بن عمر " ليس الا مغالطة يتحمل وزرها كل من يقول بها .

٢١ اما ما قاله " طه حسين " في انكاره لوجود " ابن سبا " (رص ٢١) فهو واهى الدليل ، لان لفظال المصادر التاريخية ذكر " ابن سبا " في معركة " صفين " ، لا يعنى عدم وجود شخصيته ، بل ان هناك أكثر من احتمال لسبب غيابها عن تلك المعركة .

١٠٠ وكذلك الأمر بالنسبة لافعال " الخواجه " ذكر " ابن سبا " في مراجعهم اذا صح ذلك ، وهكى افتراض صحة دعوى " طه حسين " من جميع وجوهها فان ورود اسم " ابن سبا " في كتب أهل السنة وكتب الشيعة بذلك التواتر يلفي بكل قوة هذا الزعم .

٣ المتكرون لدور " ابن سبا " السياسى :

١٥ ان المتكرين لدور " ابن سبا " السياسى هم فى الحقيقة المتكرون لرواية " سيف بن عمر " وان تجاوز " مرتضى العسكري " انكار هذا الدور السياسى انكار وجود " ابن سبا " اعتمادا على تكذيب " سيف " فهو ليس الا من قبيح المغالطة المكشوفة .

كما ان من المتكرين لدور " ابن سبا " السياسى كان من انكرو على وجه

٢٠٠ آخر وهو استبعاد حدوث مؤامرة من النوع السياسى فى عصر الخلفاء الراشدين .

رد " عبدالرحمن بدوي " على منكري دور " ابن سبا " السياسى - الذين

اعتمدوا على تكذيب بعض أهل الجرح والتعديل " لاحاديث سيف - بقوله :-

- أما تشكيك " فريدلاندر " و" فليمون " في رواية
" سيف ابن عمر " استنادا الى ما يورده " الذهبي "
فهو . . . لا محل له ، لان كلام " الذهبي " أولا يتعلق
" سيف بن عمر " بوصفه محدثا لا بوصفه مؤرخا
أخباريا . . . والطعن فيه ان صح - فيما يتعلق
بالحديث لا يتطرق بالضرورة على الأخبار التي يرويها .
فضلا عن ذلك ، فهل هناك مصدر آخر معاصر
له أو سبق منه يتكره شيئا مما قاله عن عبد الله بن سبأ ؟
لم نعر على مصدر يتكرر روايته هذه فلا مناص من
اتخاذها الى أن يظهر مصدر أوثق منه ينفيه أو يعدل
من روايته .^١

- ان رأى " عبد الرحمن بن بدي " - الذي يمكن وصفه بالموضوعية - يوضح
لنا أن الذين أنكروا " ابن سبأ " من هذا الوجه لم يكلفوا أنفسهم الا النظر
من زاوية واحدة للموضوع لتحقيق فرض معين لهم وهم في سبيل
هذا الغرض مصممون على عزمهم حتى لو طمسوا بعضا من الحقائق ، التي
تتجلى هنا في نقطتين الأولى : تتعلق بكون " سيف " اخباريا وليس
محدثا . والثانية : تتعلق بعدم وجود مكذب لروايته .

- وقد رد " مرتضى العسكري " على النقطة الأولى : بأن من يتجرأ
الكذب على رسول الله (ص) لا يتورع عن الكذب على سواه . وهذا حقيق
أريد به باطل ، وهو التشكيك في الأصول الغريبة لبعض عقائد " الشيعة
الغلاة " ، و" العسكري " شيعي ، وهو متهم هنا لا سيما وأن عباراته مما
يصعب على المرء أن يصفها بالموضوعية العلمية المجردة . وهنا تهـرز

أهمية التساؤل الذي طرحه "عبدالرحمن بدوي" عن وجود مصدر آخر
معاصر "سيف" أو سابق له ينكر ما قاله عن ابن سبأ .

ويجد الباحث هنا أن من الضروري إيراد جانب مما ذكره "ابن حجر"
عن "ابن سبأ" ؛ لما لذلك من علاقة بالنقطة الثانية التي أثارها "عبدالرحمن
بدوي" ؛ قال ابن حجر :

قال ابن عساكر في تاريخه : كان أصله من اليمن
[يعني ابن سبأ] وكان يهودياً فأظهر الإسلام
وطاف بلاد المسلمين ليقتحم عن طاعة الأئمة
ويدخل بينهم الشره ودخل دمشق لذلك . ثم
أخرج عن طريق سيف بن عمير التميمي في الفتح
له قصة طويلة لا يصح أسنادها .

في النص تكذيب من "ابن حجر" لقصة جاءت إلى "ابن عساكر"
عن طريق "سيف" والتكذيب متأخر في عصره ، فهل في ذلك ما ينحسب
إلى الدور السياسي " لابن سبأ " ؟

بالرجوع إلى "تهذيب ابن عساكر" ؛ فبعد أن ذكر "ابن سبأ" وأصله
اليهودي وطوافه في بلاد المسلمين - كما أورد ذلك "الذهبي" - نجده
يقول :-

وروى سيف بن عمير عن أبي حازمة وأبي عثمان

قالا : لما قدم ابن السوداء مصر عجمهم واستغلامهم

واستخلوه وهرض لهم بالكفر فأهدوه وهرض لهم بالشقاق

فأطمعوه ، فهدأ فطعن على عمرو بن العاص ، وقال : ما باله

أكثركم عطا ورزقا ، ألا سنصيب رجلا من قریش يسوى بيننا ،

فاستحلوا ذلك منه وقالوا : كيف نطيق ذلك مع عمرو

وهو رجل العرب ؟ قال : ستعفون منه .^١

هكذا يتبين لنا أن تكذيب " ابن حجر " لقصة " سيف " هنا لم يكن

له أية علاقة " بعبد الله ابن سبأ " من حيث شخصيته ولا من حيث دوره

السياسي بعمامة بل ان التكذيب كان خاصا بذات القصة .

أما نفي " دور ابن سبأ السياسي " من حيث استبعاد حدوث مثله فسي

" عصر الخلفاء الراشدين " ذلك الذي تزعمه " كيتاني " فقد قال

" عبدالرحمن بدوي " في معرض رده على المذكور

ماذا كان يفعل ابن سبأ اذن في عهد خلافة عثمان ؟

وإذا كان قد أخذ دورا بارزا في عهد خلافة علي القصيرة

(٣٦ - ٤٠) ، أفلا يدل هذا على أنه كان قبل ذلك

ذا شأن بين علي وأنصاره ؟ وهل يظهر بأفكاره الديني

المهدوي والتأليه فجأة بعد وفاة علي ؟ أم أن الأقرب

إلى الواقع والمعقول أن يقال انه لا بد قد كان

ذا دور - ولو خفي مستور - أثناء الفتنة التي انتهت

بمقتل عثمان ؟ نرى نحن أن هذا هو الأقرب إلى

المعقول ، وأن عبد الله بن سبأ شارك - سرا على

استحياء - في هذه الفتنة .^٢

فضلا عن ذلك فان المؤرخين ذكروا وجود تحركات سرية كانت على

هيئة مختلفة منها رسائل مزورة إلى الجماهير باسم " علي " و " عثمان " فقد

أورد الطبري رواية حول هذا الموضوع ، وقد وجدت الرواية نفسها

في " تاريخ ابن خياط " (- ٢٤٠) ذلك الكتاب الذي اكتشفه حديثا " أكسم

العربي " وقدمه مشكورا للمكتبة العربية على اعتباره أقدم تاريخ حولي وصل إلينا

١. ابن بدران (- ١٣٤٦) . تهذيب ابن عساكر ، ج ٧ ، دمشق ، المكتبة العربية ،

١٣٥١ ، ص ٤٢٩

٢. مذاهب الاسلاميين ٣٥٤ / ٢

- حدثنا المعتز بن سليمان ، قال سمعت أبا سي
- قال : نا أبو نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد
- الأنصاري قال : سمع عثمان أن وفد مصر قد أقبلوا
- ٥ . . . [ألى أن قال الراوي] فأخذوا ميثاقه وكتبوا عليه
- شرطا ، وأخذ عليهم أن لا يشقوا عصا ولا يفارقوا جماعة
- وأقام لهم شرطهم ، ثم رجعوا راضين فبينما هم بالطريق
- إذا راكب يتعرض لهم ويفارقهم ، ثم يرجع اليهم ثم
- يفارقهم . قالوا مالك ؟ قال : أنا رسول أمير المؤمنين
- ١٠ الى عامله بمصر ففتشوه فاذا هم بالكتاب على لسان
- عثمان عليه خاتمه الى عامل مصر أن يصلبهم أو يقتلهم
- أو يقطع ايديهم وأرجلهم ، فأقبلوا حتى قدموا المدينة ،
- فأتوا عليا فقال : ألم ترالى عدو الله كتب فينا بكذا
- وكذا ، وأن الله قد أحل دمه فقم معنا اليه . قال : والله
- ١٥ لا أقم معكم قالوا ، فلم كتبت اليها ؟ قال : والله ما كتبت
- اليكم كتابا . فنظر بعضهم الى بعض ، وخرج علي من
- المدينة . فانطلقوا الى عثمان فقالوا كتبت فينا بكذا
- وكذا . فقال : انهما اثنتان ، أن تقيموا رجلين
- من المسلمين ، أو يعين الله الذي لا اله الا هو
- ٢٠ ما كتبت ولا أملكت ولا علمت ، وقد يكتب الكتاب علي
- لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم . قالوا ، قد
- أحل الله ذلك ونقض العهد والميثاق وحصروه
- ١
- في القصر رض الله عنه .

ولنفترض أن قائلًا ما يقول : ان رسالة " عثمان " المزعومة إلى والي مصر
انما كتبها " مروان ابن الحكم تزويرًا منه على " عثمان " ، فما دخل " ابن سبأ " ؟
ولكن هذا بعيد لو اعدنا قراءة النص اذ لو كانت الوامرة مروانية لأصدر
الرسول أن ينطلق إلى مصر بأسرع ما يمكن حتى يصل قبل " الثوار " أو ان
يتفكر حتى لا يفتضح أمر الرسالة ، أما أنه يتعرض لقافلة " الثوار " ثم
يفارقهم ثم يعود إليهم ثانية ، فهو لا شك دليل على أنه مكلف بهذه
التمثيلية ، لأن الغرض ليس اىصال الرسالة إلى عامل مصر بل انه وقوف
" الثوار " على فحواها ليعودوا إلى المدينة وقد جن جنونهم على عثمان ،
بعد خروجهم راضين .

١٠ على ذلك فان الرواية السالفة الذكر توضح جانبًا من الوامرة السريسة
الحكيمة ضد عثمان ، كما توضح اساليب أصحابها الذين اتخذوا أسلوب
الرسائل في اثاره الفتنة ضد " عثمان " . وهذا يدعم رواية " سيف " عن
دور " ابن سبأ " السياسي ، وان كان الصواب عدم الجزم بأن " ابن سبأ "
هو الوحيد الذي قام بتلك التدابير ، الا أنه من الممكن القول أنه كان أحد
أعضاء شبكة سرية تكيد للإسلام .

وهكذا نعود إلى " كيتاني " الذي يستبعد قيام " ابن سبأ " بهذا الدور
في عهد خلافة عثمان للظروف القبلية السائدة يومئذ والتي لا تسمح
بحدوث مثل ذلك فقد رد " عبدالرحمن بدوي " هذا الزعم بقوله : -

ولكن هذا الافتراض من جانب كيتاني لا مبرر له

٢٠ من الواقعات التاريخية ، اذ من الثابت ان مؤامرة دبست
ضد عثمان ، وأنها بدأت في مصر واشترك فيها بمسوخ
أهل المدينة ، وكان من هؤلاء " عبدالله بن السوداء " (أو ابن
سبأ) ماذا يريد كيتاني اذن أن ينكر؟ وما معنى التحدث

- عن النظام القبلي في ذلك العصر، وكانت الخلافة
الاسلامية قد استقرضها كسلطة سياسية فسوق
النزاعات القبلية ؟ وهل كان مقتل عثمان لاسباب
قبلية ؟ ان تدبير المؤامرة ضد عثمان كان تدبيراً
سياسياً فوق مستوى الخلافات القبلية ، ولم يكن
من السعة والبراعة والاحكام بحيث يحتاج الى تصور
ان ذلك غير ممكن للسوق قبل العصر العباسي .

- ان الباحث مع ايراده هذا الرد يجد لزاماً عليه التحفظ على قول
"عبدالرحمن بدوي" باشتراك/أهل المدينة في المؤامرة من حيث هسي
مؤامرة سبئية بل كان اشتراكهم ناهياً من وجهة أخرى غير التي كانت لدى
المتأمرين الذين لم يكن لهم هدف أدنى من ضرب الاسلام وهدمه عن طريق
منها اشاعة الاضطراب السياسي ، فلا مصلحة لأهل المدينة من هذه
الوجهة حيث انهم هم المهاجرين والأصهار ؛ أي أبناء الاسلام حقيقة
وهذا التحفظ على هذه الجزئية لا يقلل من قيمة رد "عبدالرحمن بدوي"
على "كيتاني" الذي نفى الدور السياسي " لابن سبأ " وفي الختام ليس
من الضروري تصديق جميع ما نسب الي " ابن سبأ " في دوره السياسي
لان الذي يهم موضوع هذا البحث هو الجانب العقدي في " ابن سبأ "
وقد ثبتت حقيقته ، وليست مناقشة دوره السياسي الا من هذا المنطلق

٤- المنكرون يهودية " ابن سبأ "

- ان الذين أنكروا يهودية " ابن سبأ " كان معظمهم من المستشرقين
وفيهم بعض اليهود ، واذا جاز اعتبار كل من " الوردى " و" الشيبى " منكرين
ليهودية " ابن سبأ " حيث حولا دوره الذي قام به في خلافة " عثمان " الكس

"عمار بن ياسر" وهو ليس يهوديا بأي حال . فلا بأس بضمهما الكسري
منكري يهوديته جدلا . أما المستشرقون المعنيون فهم " ويماني " و" ليفسي
ديلافيدا" و" ماسنيون " و" فلهوزن " (انظر ص ٣٨ و ٣٩)
وليس من داع الخوض في سبب انكارهم يهودية "ابن سبأ" . الا أن
"عبدالرحمن بدوي" أشار الى أن "ديلافيدا" انما استنتج عدم يهودية
"ابن سبأ" اعتمادا منه على قول "البلاذري" أن "ابن سبأ" هو
عبدالله بن وهب الراسبي . وقد تقدم القول أن "الاشعري القمي"
(- ٣٠١) كان قد ذكر ذلك من قبل كما تبين لنا خطأ هذا القول
(انظر ص ٢٩ من هذا البحث) من هنا فان البناء على هذا الوجه
غير ذي بال لانه مبني على خطأ واضح .

وقد أثبتت مصادر شتى يهودية ابن سبأ، مثل : " الأشعري القمي"
(انظر ص ٣٠ من البحث) و" النوختي" (ص ٣٠ من هذا البحث)
والطبري (ص ٣١ من هذا البحث) ، و" الهخداي" (ص ٣٤ من البحث)
و" الشهرستاني" (ص ٣٥) ، وابن ابي الحديد (ص ٣٥)
من هذا البحث) . بالاضافة الى ذلك فان فيما ظهر به " ابن سبأ"
من أقوال تفصح عن يهوديتها .

٥- انكار وجود "ابن سبأ" واحالة الدور الذي قام به الى "عمار بن ياسر"،
وقد ظهر بهذا القول "علي الوردي" وتبعه وأيده "كامل مصطفى الشيبسي"
(و ص ص ٢٢ فما) وقبل مناقشة ذلك لا بد من الاشارة الكسري أن
من يقول بهذا الرأي لا يمكن أن يعتبر منكرا للدور الذي قام به "ابن سبأ"
اعني الدور السياسي بصفة خاصة - وهذا الاقرار بالدور السياسي السياسي
هو الذي دعا الى تحويل ذلك الدور الى "عمار" أما مدى صدق ذلك فسيوضح

في الاتي :-

- ١ - ان القول باشتراك "ابن سبأ" و"عمار" في كنهيتين، "ابن سبأ" و"ابن
السوداء"، ليس رابطاً بل ليس داعياً لأن يكونا شخصاً واحداً هو عمار.
لا سيما وأن أحداً لا يستطيع أن يدهي أن عماراً كان يكنى أوينادى عليه
"بابن سبأ"؛ بل ان المعلم تاريخياً أن "عماراً" كان يكنى أبا اليقظان.
٥ وكون أحد أجداد "عمار" من يسمي "سبأ" ليس مبرراً لتلبسه شخصية
"عبدالله بن سبأ". أما الرواية التي سقت في ذلك، أن "عثن بن
معاوية" الزعم قال: "أياي معنى" يا ابن السوداء"؛ فلو ثبتت الرواية
فهي تدل على أنه استعمل هذه اللفظة لتحقير عمار وتعميره بأه السوداء
"سمية" رضي الله عنها وهذا - هذا إذا سلم بقبول الرواية - فكيف
١٠ يقال ان فلاناً معروف بأه "ابن السوداء" لأن شخصاً ما شتمه يوماً بذلك
في مجتمع ينهذ التنازع باللقاب؛ مع العلم أني رجعت الى تفسير القمي
طبعة مصر (١٣٥٨) ج ٢ ص ٦ وبحث فيه فلم أشر على ما يتعلق "بابن
السوداء" من هذا الوجه وإنما الذي في المرجح أن عثن قال "لعمار
يا ابن "سمية" وأما ابن سعد فلم أشر له في ذلك على شيء بعد ولا بد هنا
١٥ من إضافة قول "الوردي" نفسه، "فكل يمانى يصح أن يقال عنه انه
"ابن سبأ" . ومنه فان بالاستطاع القول ان كل من أمه سوداء يصح أن يقال
عنه "ابن السوداء" وهذا منطوق عجيب فالتهمة ليست هنا خاصة "بعمار" بل
هي نعم كل يمني أمه سوداء . لا الأمر ليس هكذا فهذه مخالطة
مكتشفة؛ فان التاريخ هو الذي أطلق على "عبدالله بن سبأ" "ابن سبأ" و"ابن
٢٠ السوداء" دون بقية اليمنيين الذين كانت أمهاتهم سوداً .
ب - وقول "الوردي" و"الشهري" في ربطهما بين الشخصيتين؛ أن عماراً
كان شديد الحب "لطي بن أبي طالب"؛ يدعو له ويحرض الناس على بيعته
في كل سبيل" (انظر ص ٢٣).

ان " الوردى " مسئول وحده عن هذه الفثرة حيث لم يعلق " الشيبى " عليها . اما حب " ابن سبا " فليس كذلك لانه متهم بانه قال لعلي ائت بك انت واضع منها انه نفى موته وقال برجمته (انظر ص ص ٢٨ و ٢٩)
فهناك فرق بين مناصرة علي وبين الغلو فيه كما فعل " ابن السوداء " .

ج- وضمن محاولة من " الوردى " في تدعيم رأيه بتطابق شخصيتي " ابن سبا " و " عمار " انه جعل " عمارا " يذهب الى مصر لتحريض الناس كما فعل " ابن سبا " . وهذه مغالطة واضحة المعالم لان الوردى تصرف في خبر سفر " عمار " الى مصر ليصادف هواه . والخبر ذكره " الطبري " في رواية عن " سيف " قال :

١٠ قال (عثمان) : فأتتم شركائى وشهود المؤمنين ،

فأشيروا علي ، قالوا نشير عليك ان تبعت رجالا ممن

تثق بهم الى الامصار حتى يرجعوا اليك بأخبارهم .

فدعا محمد بن مسلمة فأرسله الى الكوفة وأرسل

اسامة بن زيد الى البصرة ، وأرسل عمار بن ياسر

١٥ الى مصر ، وأرسل عبدالله بن عمر الى الشام وفرق

رجالا سواهم ، فرجعوا جميعا قبل عمار . واستبطن

الناس عمارا حتى ظنوا انه قد اغتيل فلم يفاجئهم

الا كتاب من عبدالله بن سعد بن ابي سح يخبرهم

ان عمارا قد استصاه قم بصر (او استعمال قوما بصر)

٢٠ وقد انقطعوا اليه منهم عبدالله بن سبا وخالد بن

ملجم وسودان بن عمران وكنانة بن بشر .

* ما بين القوسين في نسخة اخرى للطبري شذت عن بقية النسخ

بهذه العبارة ؛ ذكر ذلك المحقق في الهامش .

١٠ الطبري ٣٤١/٤ .

مهما يكن من أمر هذا الخبر ، فان إيرادَه هنا بصفته مصدراً " للوردي " استنتج منه ما وصل اليه ومرجعه في ذلك " ولكنسون " و " الطبري " هو مصدر الأخير في الغالب . و اذا كان الأمر كذلك فان في الخبر رداً على الوردِي ؛ لأن " عبدالله بن سبأ " كما يقول الخبر كان بين القوم الذين استمالهم عمار أو استمالوه اليهم ؛ بالاضافة الى أن " عماراً " انما ذهب رسولاً من " عثمان " لاستطلاع اسباب الشكوى من النواة ؛ بمعنى أن شخصاً " عمار " الى " مصر " كان بعد ابن سبأ الذي كان فيها من قبل . فكيف يمكن الاستدلال على أنهما شخص واحد .

د - وفي جمعه بين شخصي " عمار " و " ابن سبأ " ذكر " علي الوردِي " مستدلاً بقول نقله من " عبدالحميد جودة السحار " في كتابه (أهل البيت ص ٦٦) أن عمار بن ياسر سمح ذات يوم يصيح في المسجد بعد بيعته عثمان :

يا معشر قهشر أما اذا صرفتم هذا الأمر
عن بيت نهيكم ها هنا مرة وها هنا أخرى فسا
أنا بآمن عليكم من أن ينزعه الله فيضعه في غيركم
كما نزعتموه من أهله ووضعتوه في غير أهله .

ان النص السابق ورد في " المسعودي " (٢٤٦) واستدل منه " الوردِي " على أن " ابن سبأ " ما هو الا " عمار " . ولا يستساغ أن يكون النص دليلاً على ما ذهب اليه " الوردِي " لو افترضنا صدقه ؛ وهو أمر لا يمكن التسليم به من وجوه منها أن " عماراً " كان ناقصاً على عثمان من مواقف

١. العلية بين التصوف والتشيع ط ٢ ص ٤١
٢. انظره في : مروج الذهب . ط ٥ ج ٢ (محمد محي الدين عبدالحميد)
بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٢ ، ص ٣٥٢ .

كانت بعد خلافته ، والقصة كما رواها السعدي كانت نتيجة لشائعة
عن اغتباط " أبي سفيان ابن حرب " بخلافة عثمان ، وهي تعطي ايجازاً
بأن خلافة عثمان ما هي الا بداية لدولة " بني أمية " . أو أن " أبا
سفيان " يتمنى هذا ، ولما سمع بذلك " عمار " قال العبارات المذكورة
في النص . ونهغي أن لا ننسى أن أبا سفيان كان من الذين يريدون مبايعة
علي بعد وفاة رسول الله (ص) ، فهل يستطيع أحد القول أن أبا سفيان
كان يوماً ما شيعياً ؟ ومعنى ذلك أن عماراً كان متحسناً لخلافة علي كما كان
" أبوسفيان " كذلك يوماً ما ، وليس في ذلك علاقة بالتشيع أو موالة علي
كما يجب الشيعة أن يصوروا مجتمع الصحابة على طريقتهم الخاصة ؛ وبالتالي
ينفذون من عمار لمحو ذلك الصورة الجميلة لتاريخ " عمار " ، فيضعوه
في شخصية " ابن سبأ " البيغضة .

وإذا أردنا مجازات النص كما يريد " الوردی " و " الشيبی " ؛ فهل
يريدون القول أن عماراً كان مناوئاً لأبي بكر وعمر وعثمان . لافعمار لم يكن
كذلك ؛ بل على عكسه والا فما معنى تولية عمر اياه اشارة الكوفة ، وكتاب
عمر اليه وهو في الكوفة أن يسير الى " تستر " لنجدة جيش أبي
موسى الأشعري فيسير عمار ونجد الجيش ؟ معناه أنه لم يكن على خلاف
مع عمر أو غير راض عن خلافته ؛ فضلاً عن خلاف بينه وبين أبي بكر الذي
رشح عمر لخلافته ، فما وجه المقارنة بابن سبأ الذي اشتهر أنه قال :
قمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (ص) (ر . ص ٣١) .
وهذا يدل على أن الخلاف الذي كان بين عمار وعثمان انما هو شخصي عارض
لادخل فيه للخلافة على النقيض الذي كان عليه ابن سبأ تماماً ، وبالتالي
فان في نص " السعدي " عن عمار اعادة نظر .

هـ- قالن " الوردى " بين ابن سبأ وعمار من وقعة الجمل ، فقال :

وعزى الى ابن سبأ أنه هو الذي عرقل مساعى

الصلح بين علي و عائشة ابان معركة [الجمل] البصرة

فلولاه لتم الصلح بينهما حسب ما يقوله الرواة . ومن

يدرس تفاصيل واقعة البصرة يجد عمارا يقوم بسدور

فعال فيها ، فهو الذي ذهب مع الحسن والك

الأشتر الى الكوفة يحرض الناس على الانتما^١ الكسى

جيش علي وكان وقف عمار بجانب علي أثناء المعركة

سببا من أسباب ندم الزبير وخروجه منها^٢ .

١٠ ان هذا الاستدلال لا يقوي وجهة نظر " الوردى " بل يضعفها

لعدم وجود أي علاقة بين مساعى الصلح بين علي و عائشة ، وبين التحريض

على الانتما^١ الى جيش علي ؛ ومن الممكن اضافة ما يأتي : ان المتبجح

لدور كل من عمار و " ابن السوداء " في وقعة الجمل يجد اختلافا كبيرا

بين دور كل منهما وهدفه ؛ فهينما كان هم عمار هو نصرة علي بن ابي طالب^٢ ،

١٥ نجد أن هدف ابن سبأ كان شيئا آخر كما نص الطبري الذي يقول :

فاجتمع نفر منهم عليها بن الهيثم وهدى بن حاتم

وسالم بن ثعلبة العبسي ، وشريح بن أرفى بن

ضبيعة ، والأشتر ، في عدة ممن سار الى عثمان . . .

وجاء معهم المصريون : ابن السوداء و خالد بن

٢٠ ملجم وتشاوروا ، فقالوا ما الرأي ؟ هذا والله علي^٣ ،

وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلته

عثمان ، وأقربهم الى العمل بذلك . . . وتكلم ابن

السوداء فقال : يا قوم ان عزكم في خلطة الناس ، فصانعوهم

١. الصلة بين التصوف والتشبيح ط ٢ ص ٤١

٢. انظر: الطبري ٤/٤٨٢ - ٤٨٧

وإذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ولا تفروهم
للنظر ، فاذا من أنتم معه لا يجد بدا من
أن يمتنع ، ويشغل الله عليا وطلحة والزبير
ومن رأى رأيهم عما تكرهون .^١

- ٥ ذلك هو موقف ابن سبأ من المعركة وهدفه ، أما عمار فقد كان واقفا
الى جانب علي كما ذكر "الوردي" فقد كان علي رأس خيالة علي وانتم به
من موقع . أما ابن سبأ الذي كان محسوبا على بني عبد القيس كما سيأتى
(ر. ص ٥٢) ؛ فقد ولّوه في معركة الجمل قيادة فصيل من جيشهم
كما يقول الطبري .^٢ فإين "عمار" من ابن "سبأ" . وعليه فليس بالامكان
١٠ قبول الزم أنهما شخص واحد كما لا يمكن الإدعاء بأن الطبري تحاشى ذكرهما
معاً ، لأنه ذكرهما بالفعل إبان فتنه عثمان في مصر (ر. ص ٤٧) وذكرهما
في معركة الجمل كلا منهما في رهط مختلف عن الآخر .

- و- وجد "الوردي" أن آراء "أبي ذر الغفاري" - الشهيرة حول توزيع
الأموال على المسلمين ، وتصريحه بذلك أمام "معاوية" والي الشام - إنما
كان بتحريض من "عبد الله بن سبأ" فبنى علي ذلك بأن ابن سبأ هو "عمار بن
ياسر" بزعم أن :

لودرسنا صلة عمار بأبي ذر لوجدناها وثيقة جدا
فكلاهما من مدرسة واحدة هي مدرسة علي بن
أبي طالب . وكان هؤلاء الثلاثة يجتمعون ويتشاورون
معاً .^٤

٢٠

١. الطبري ٤/٤٩٣ و ٤٩٤
٢. انظر : ابن خياط ط ٢ ص ١٨٤
٣. انظر : الطبري ٤/٥٥٥
٤. الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤١

ان الأمر من خلال تصور "الوردي" يظهر أن هناك علاقة سرية بين علي وأتباعه؛ يجعلنا نتعجل في حدوث أسلوب الدعوة السرية الباطنية ولنتخيل أن الأمر أبسط من ذلك؛ فيصبح وجود مدرسة لعلي بن أبي طالب شيئاً ما ماله علاقة بمبدأ "التقية" الذي يستبعد حدوثه من علي بن أبي طالب؛ لأنه حين رفض مبايعة أبي بكر فعل ذلك ولم يخش في ذلك أحداً ولما بايعه فعل ذلك ولم يخش أحداً، ثم ما معنى مدرسة علي بن أبي طالب التي يريد الشيعة تصورها اعتماداً على إعلان "أبي ذر" الخاص بأموال المسلمين؟

ان مدرسة علي بن أبي طالب الغزوة لم تظهر لها أي نتائج تاريخية أو فكرية، سواء علي تاريخ التشيع ذاته أو علي التاريخ الإسلامي عامة (ر. ص ص ٧ - ٩ مولاة علي)؛ ولكن من الممكن القول بكل ثقة ان المدرسة التي كانت لها نتائج تاريخية وفكرية على نطاق العالم كله؛ فهزمت أعتى قوتين على الأرض وأقامت دولة فريدة من نوعها على مر الزمان، ولا زالت إلى اليوم عرقي أكلها كل حين، هي مدرسة محمد بن عبدالله (ص) وأعني بذلك دين الإسلام.

أما مسألة "التقاء" ابن سبأ "بأبي ذر" وأن أولهما أثر في الثاني فهي ليست بذلك؛ ولأنها تحتاج من الباحثين إلى إعادة نظر على ضوء ما يأتي :-
١- كان ظهور ابن سبأ ((ابن السوداء)) سنة اثنتين وثلاثين أو إحدى وثلاثين، على شكل رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام وفي جوار رجل من بني "عبد القيس" اسمه حكيم بن جبلة، وذلك في البصرة، لثلاث سنين خلت من إمارة عبدالله بن عامر بن كرز.

(١) انظر، الطبري ٣٢٦/٤، ٣٢٧، وانظر أيضاً ص ٢٦٤، وابن خيوط

٢- ان مسألة اعتناق "أبي ذر" لأفكار "ابن السوداء" حدثت بنص الطبري
سنة ثلاثين^١ . وهذا يتناقض تماما مع ما ذكر الطبري من أن اعلان (ابن سبا)
لإسلامه وظهوره على السطح كان من سنة احدى وثلاثين ثم قام بجولة
في العالم الاسلامي الكوفة ، ثم الشام ثم مصر^٢ .

٣- ان وفاة أبي ذر كانت في سنة اثنتين وثلاثين^٣ . ومعنى هذا أنه في
الوقت الذي كان ابن السوداء يتجول فيه بين الكوفة والشام ومصر كان
ابو ذر بين الأموات ، وفي الوقت الذي أعلن "أبو ذر" افكاره أمام
معاوية ، لم يكن "ابن السوداء" قد أظهر نفسه أو إسلامه بعد .

ثم ان "أبا ذر" ليس بالشخصية السهلة - كما يتضح من قصة
إسلامه^٤ - حتى يمكن تصديق هذه الرواية عنه . وذكر السعدي^٥

(٢٤٦ -) القصة التالية التي حصلت في مجلس عثمان وفيه أبو ذر :

فقال عثمان : رأيتم من زكوا ما له هل فيه حق لغيره؟

فقال كعب [الأخبار] : لا يا أمير المؤمنين ، فدفع

أبو ذر في صدر كعب ، وقال له : كذبت يا ابن اليهودي

ثم تلا (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب -

الاية) فقال عثمان : أترون بأسا أن نأخذ مالا من بيت

مال المسلمين فننقله فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكوه ؟ فقال

كعب : لا بأس بذلك ، فرفع أبو ذر العصا فدفع بها فسى

صدر كعب وقال : يا ابن اليهودي ما أجراك على القول

٢٠

في ديننا .

-
- (١) أنظر الطبري ٢٨٣/٤
(٢) الطبري ٣٤٥/٤
(٣) أنظر الطبري ٣٠٨/٤ وابن خياط ص ٦٦
(٤) أنظرها في البخاري ك ٦١ ب ١٠ في فتح الباري ٥٥٠٦/٦
(٥) مرجع الذهب ٣٤٨/٢ ٣٤٩
(*) البقرة ١٧٧

في الثمن نجد نقطتين احدهما ما استدل به ابوذر على وجهه نظره
في الاموال التي وُسمت في هذا العصر " باشتراكية ابي ذر " ، وهي
ليست كذلك ، الثانية توضح قوة شخصية " ابي ذر " واستبعاد أن تكون
القصة المسندة اليه من أمه تلقى عليه هذا من ابن السوداء صحيحة ،

كيف بعد ذلك نستند عليها في نفي شخصية ابن سبأ والقصة ذاتها
لم تقع ، واذا كان عمار هو الذي سلط ابا ذر ليقول بتلك الافكار ، فما السذي
منع عمارا أن يقول بها بنفسه أو أن تترسعه كما اثرت عن ابي ذر .
يتضح لنا أن " الوردى " لم يتم على محاولته اثبات أن " ابن سبأ "
هو " عمار بن ياسر " ، الا بأدلة واهية ، وهذا ينطبق على محاولات " الشيبى "
لتدعيم هذه الآراء .

ان استنتاج " الوردى " في أصله منسوق من قبل بالروايات التي تواترت
أخبارها عن دور " ابن سبأ " الفكي ، والذي كان في معظمه بعد وفاة
علي ، بينما كان استشهاد عمار في معركة صفين قبل علي ابن ابي طالب .
لقد ثبتت اذن شخصية ابن سبأ حقيقة . كما اتضح وجهه نظر ككتاب
الشيعة المتقدمين وأئمتهم حول " ابن سبأ " تلك التي تتميز بكرهيتهم له
ولعنهم اياه ، وهي تتطابق تماما مع روايات " أهل السنة " الذين وجهت
اليهم تهمة ايجاد هذه الشخصية من الخيال .

ابن سبأ في الفكر الباطني

ان المصادر الباطنية خالية في معظمها من ذكر ابن سبأ ، الا أن " دائرة

المعارف الاسلامية " أشارت الى أن

مصدرا اسماعيليا يؤيد الحادثة [اي ماري

ان عليا احرق ابن سبأ (ر . ص ٢٩ نص ابن قتيبة)

لصالح " ابن سبأ " مدعيا بأنه تحمل ذلك ظاهريا

فقط (قارن بين : المقدسي ، بدء الخلق ، نشر هارت ،
فصل ، ١٨١ ، وهفت بايي بابا سيدنا ، نشر ايفانوف ،
من رسالتين اسماعيليتين قديمتين . بومي ١٩٢٢ .
١ .
ص (١٥) .

- ٥ ائشار " ايفانوف " في دليله الى ان كتاب " هفت بايي بابا سيدنا " من
كتب الباطنيين النزاريين القديمة منذ كانوا في " قلعة ^٢ قلوت الشميرة ، وتقطن
اعداد من النزاريين " سوريا " اليم (ر : ص ١٥٢)
ويبدو ان ما اشير اليه حول تعاطف النزاريين مع " ابن سبا " معروف لدى
النزاريين اليم بل ويعتقدونه ؛ لان " عارف تامر " وهو نزاري معاصر ، سلك
١٠ مسلكا سبئيا واضحا في مدحه لاهل اليمن ، يتفق الى حد ما مع ما عزته " دائرة
المعارف الاسلامية " الى اسلافه ؛ يقول عارف تامر :

- فلما رحل " عبدالله بن سبا الصنعائي " الى مصر
بعد ان طاف بالكوفة والبصرة والشام التف حوله
المسلمون هناك ، لانه حمل على سياسة الخليفة
١٥ الثالث عثمان التي كانت ماثرا للسخط في العالم
الاسلامي في ذلك الوقت ، ونادى بحب علي لانه اولي
من غيره بالخلافة ، فانضم اليه في مصر عدد كبير
وفي مقدمتهم " محمد بن ابي بكر " وقد ساعد انضمامه
على نجاح ابن سبا في مهمته ، لانه النجل الاكبر
٢٠ للخليفة المناوي لعلي بن ابي طالب .^٣

ان هذا يدل على ان لابن سبا مكانة ما في الفكر الباطني ؛ فضحها النزاريون ، وليس
ببعيد ان يكون هذا رأي الباطنيين جميعا كما لا يستبعد ان يكون النزاريون وحدهم

١. الطبعة الانجليزية من الموسوعة المذكورة : (عبد الله بن سبا) طيدن ١٩٦٥ ص ٥
٢. انظر : (683) pp. 133, 134 Ivanow. ISMAILI LITEATUR; Tehran, 1963
٣. ارى بنت اليم (سلسلة اقرا - ٢٢٠) القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠ .
ص ص ١٠٦٩

هم أصحاب هذا الرأي ، ومعروف ما بين النزاريين وغيرهم من الباطنيين من
خلاف عقدي .

وبعد ، فان البحث بحاجة لتبيان العلاقة بين عقائد ابن سينا
وعقائد الغلاة تلك العلاقة التي لا يستبعد أن تكون نواة لفكر
الباطنيين الذين يدينون في معظم عقائدهم إلى فرق من الغلاة ، كما
يجزم البعض :
٥

الفصل الثالث : الغلو بعد عبدالله بن سبأ

- الغلاة : سبقت الإشارة إلى قول أصحاب المقالات في الغلاة كما سبق ذكر طرف من رأي " برنارد لويس " في تقسيم الغلاة (ر . ص ١٤ ، ١٥) - وبالرغم من تعريف " الشهرستاني " للغلاة (ر . ص ١٤) إلا أنه حذف من الغلاة فرقا تدخل ضمن تعريفه كالكيسانية^١ رغم قوله باعتقادهم فسي محمد بن الحنفية (فوق حده وديرجته) ؛ مما يدل على أن تقسيم الفرق لدى أصحاب المقالات كان يخضع لوجهة أخرى لم تتضح للباحث كما يتضح في ذكر (ابن الحسن الأشعري) " للبيان " و " الحربيه " مرتين احدهما بين فرق " الغلاة " والآخرى بين فرق " الرافضة " وفي ترتيبهم لفرق " الغلاة " نجد أن أصحاب المقالات على خلاف ؛ فهينما كانت " السبئية " عند " النوبختي " أول من قال بالغلو . وكذا كان البغدادي الذي أعطاهم الأولوية في الترتيب بين الفرق التي انتسبت إلى الاسلام وليست منه ؛ إلا أن أبا الحسن الأشعري اعتبرها الصف الرابع عشر من أصناف " الغلاة " .
- ١٥ وعلى صعيد آخر نجد " برنارد لويس " يعتبر ثورة الختار بن أبي عبيد (- ٦٦) بداية للغلو الشيعي ، وعليه فقد قسم الغلاة إلى نزعتين رئيسيتين سمى الأولى " الفاطمية " و " الثانية " الحنفية " ، ويضي في ذلك قائلا :

١. انظر الملل والنحل ١ / ١٤٧

٢. انظر : مقالات الاسلاميين ١ / ٦٦ ، ٦٨ ، ٩٧

٣. انظر: فرق الشيعة ص ٤٠

٤. انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢٢

٥. انظر: مقالات الاسلاميين ١ / ٨٦

كان أصحاب النزعة الأولى أتباع الأئمة من سلالة
علي وفاطمة أي الحسن والحسين وذريتهما ، وأصحاب
النزعة الثانية أتباع محمد بن الحنفية ومن خلفه
من عقبه .

٥ ان تقسيم لويس لا ينسجم تماما مع الحقيقة التي ينكرها
وهي وجود عبدالله بن سبا وفرقة " السبئية " ، الا أن من حق الباحث
أن يستفيد منه ليرتب تقسيم فرق الخلافة على ما يأتي :-

- ١- السبئية ؛ وهم الذين غلوا في علي بن أبي طالب .
- ١٠ ٢- أتباع النزعة " الحنفية " ؛ وهم الذين دعوا إلى إمامة محمد بن
الحنفية وعقبه وغلوا فيهم ؛ وهم : أ - الكيسانية ، ب - الكربية ،
ج - الهاشمية ، د - البيانية [ويقال ان أصل صاحبها
" بيان " كربى ومات هاشميا اي تابعا للفرقة الهاشمية] ،
هـ - الجناحية [أو الحارثية] ، وهي هاشمية ، و - الروندية ،
١٥ وهي هاشمية أيضا .

٣- أتباع النزعة " الفاطمية " ؛ وهم الذين دعوا إلى إمامة الحسنين
وذريتهما وعليه فيمكن تقسيمها إلى :

أ - الحسينية ؛ وهم الذين دعوا إلى إمامة ذرية " الحسن
ابن علي " وغلوا فيهم مثل : المغيرية .

- ٢٠ ب - الحسينية ، وهم الذين دعوا إلى إمامة ذرية " الحسين بن علي " وغلوا فيهم ؛ مثل : أ - المنصورية ٢- الناووسية ٣- الخطايبه
٤- البزمية ٥- المباركية .

ان هذا يوضح لنا ان قصة الغلو بعد " عبدالله بن سبا "

تبدأ بفرقة " السبئية " التي كانت أول فرقة حولت أفكاره الغالية إلى مذهب يدين به مجموعة من البشر، وفي دراستنا للفرق الغالية يجدر بها أن تكون على رأس القائمة :

١- السبئية :

- ٥ هم أتباع " عبدالله بن سبأ " ؛ نسبوا إليه . والعبارة تكتب " السبئية " أو " السبائية " (ر . ص ٣٥) . وقد وجدت عند " البغدادي " السبائية (ر . ص ٣٤ ، ٣٥) وهو مما يستغرب منه ، مع عدم استبعاد أن تكون " السبائية " بدلا من " السبائية " . أو بوجه أدق ، بدلا من السبائية .
وحيث أن يكون ما كتب عند " البغدادي " تصحيفا وقد حاول " كامل الشيبلي " نسبة " السبئية " إلى اليمن ، إلا أن هذا لا يصح إلا من حيث انتسابهم إلى «سبأ» ، أما الفرقة الغالية السبئية ، فإن عدم نسبتها إلى " عبدالله بن سبأ " مخالطة واضحة .

عقائد السبئية : ان من يتمعن في كتب المقالات يجد أن هناك آراء

- عقدية غالية نسبت إلى عبدالله بن سبأ نفسه وهناك آراء مماثلة نسبت إلى " السبئية " ، وفي تعرض الباحث لعقائد " السبئية " لن يفرق بين ما نسب إلى المؤسس وما نسب إلى الفرقة .

أ - القول بحلول اللاهوت في الناسوت :

- نسب " الشهرستاني " هذا القول صراحة إلى " ابن سبأ " حيث قال :
(زم أن عليا حي لم يميت ففيه الجزء الالهي) ، (ر . ص ٣٥) . كما أشار إلى ذلك بعض أصحاب المقالات مثل البغدادي (ر . ص ٣٣) وابن أبي الحديد (ر . ص ٣٦) بأن السبئية يعمون أن عليا في السحاب وأن الرعد

١. انظر : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٩١ .

صوته والبرق سوطه أو تبسمه . وفي " السبئية " قال اسحق بن سويد العدوي
*
(- ١٣١) :

برثت من الخواج لست منهم * من الغزال منهم وابن باب
ومن قم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب

٥ وليس بعيداً عن ذلك ما ذكره ابن قتيبه (- ٢٧٦) من أن " ابن سبأ " قال في علي : انه رب العالمين (ر٠ ص ٢٩) ، وقد ورد مثل ذلك في كتب المقالات ، كقولهم انه قال له : أنت أنت أو : أنت هو . الخ . والقول بحلول اللاهوت في الناسوت مما قالت به " الباطنية " بعد ذلك في اثنتهم (ر٠ ص ٢٢٧ فما) .

١٠ وهذه الدعوى - أي حلول اللاهوت في الناسوت - منزع يهودي الأصل لأننا نجد في العهد القديم :

اخيراً دخل قدامي دانيال الذي اسمه
بلطشأصر كاسم الهي والذي فيه روح الاله
القدوسيين فقصت الحلم قدامه .

١٥ وقد تطورت الفكرة التي ربما كانت ذات أصل بابلي ، فظهرت في منحولات كليمانس (ر٠ ص ٢١٠ فما) .

ب - المهدية والرجعة :

قالت " السبئية " على لسان مؤسسها " عبدالله بن سبأ " ان علياً سيرجع وقد ذكر ذلك : الناشئ الأكبر وأبو الحسن الأشعري والبغدادي والشهرستاني (ر٠ ص ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥) ، وأنفرد " الطبري " بالقول ان ابن سبأ

* نقلت تاريخ وفاته من هامش كتاب : الجاحظ . البيان والتبيين ج ٣ ، عبد السلام هرون ، ص ١٢٢ عن تهذيب التهذيب .
١. البغدادي . الفرق بين الفرق ص ٢٢٤
٢. دانيال ٨/٤ وأنظر أيضاً ٩/٤ ، ١٨ و ١٤/٥

قال في حياة "علي" برجعة سيدنا محمد (ص) (ر. ص ٣١) .
وقد ربطت " الفرقة السبئية " الرجعة بالمهدية ؛ فقالوا ان عليا
سيرجع وأنه سينتقم من أعدائه وأنه سيسوقهم بعصاه وأنه سيمك الأرض
ويملؤها عدلا كما ملئت جورا ، وهو ما نقله " الأشعري القبي " والنوختي
وأبو الحسن الأشعري والبغدادي والشهرستاني (ر. ص ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥) .

ومن الجدير بالملاحظة المعنى الذي اكتسبته المهدية في الفكر
السبئي ؛ فانه الى جانب (ملء الأرض عدلا كما ملئت جورا) - وهي
صفة المهدي عند أهل السنة والجماعة - صفة أخرى هي صفة المسيح
اليهودي الذي سيأتي من السماء ، لينتقم . وقد وردت هذه الصفات في ١٠
العهد القديم (ر. ص ص ٢٨٧ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨)

ان صفة القائم المنتقم في الفكر الباطني طغت كثيرا على صفات المهدي
المنتظر الذي سيملا الأرض عدلا كما ملئت جورا ، فعند النصيرية والاسمايلية
والدروز نجد أن من مهمات هذا القائم ؛ قتل جميع الأضداد بيده ويبيد
أولياءه ، كما نصت بعض المصادر الدرزية على أن الذين سيساعدون القائم ١٥
هذا على عملية الانتقام هم من ذرية بنى اسرائيل الاسباط (ر. ص ٢٩٨)
ويلاحظ أن مهدية " علي " ورجعته التي قالت " السبئية " بها
تتميز بنقطتين ؛

الاولى ؛ أن عينان ستنبعان لعلي في " مسجد الكوفة " تفيض احدهما سمنا
والأخرى عسلا يغترف منها شيعته ، كما نقل " البغدادي " ذلك عن " ابن
السودا " (ر. ص ٣٤) ، ولذلك أصل يهودي ورد في العهد القديم -
ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيرا

والتلال تفيض لبنا وجميع ينابيع يهودا تفيض ماء

ومن بيت الرب يخرج ينبوع^(١)

وكذا ،

يجلب الرب عليك وعلى شعبك ، وعلى بيت أبيك
أياماً لم تأت منذ اعتزال افرائيم عن يهوذا أي ملك
٢٢شور ... ويكون في ذلك اليوم ان الانسان يربسي
عجلة بقروشاتين ويكون أنه من كثر صنعها اللبن
ياكل زبدا فان كل من أبقى من الأرض يأكل زبدا
١٠
وهيلاً .

الثانية : ان " ابن سبأ " كان يزعم ، أن علياً قال له : انه سيدخل

دمشق ويهدم مسجدها حجراً حجراً ، كما ذكر ذلك القاضي عبد الجبار

١٠ (ر . ص ٣٢) . وقد كذب علي في ذلك ، الا أن ابن سبأ يعبر عن

أمنية يهودية جاء ذكرها في العهد القديم : -

وحي من جهة دمشق . هوذا دمشق تنزل

٢
من بين المدن وتكون رجمة ردم .

يقول رب الجنود . وأشعل نارا في سور

٣
دمشق فتأكل قصور بنهدد .

١٥

وبذلك يتضح لنا أن جانبا كبيرا من الرجمة والمهدوية نواصل يهودي

وأن " ابن سبأ " أو " ابن السوداء " انما جاء بها من التراث اليهودي ، وهذا

٤
رأي متفق عليه تقريبا ، لا سيما عند من لا ينكر يهودية ابن سبأ .

١. سفر اشعيا ١٧/٧ - ٢٢

٢. سفر اشعيا ١/١٧

٣. سفر رصيا ٢٦/٤٩ - ٢٧

٤. أنظر : ما نقله عبد الرحمن بدوي عن فريد لاندر في : مذاهب الاسلاميين
٢٥/١ فما ، وقارن ذلك بالنصوص التي وردت في العهد القديم .

ج - الوصاية والامامة :

قالت " السبئية " بالنص على امامة " علي بن ابي طالب " وانه وصي رسول الله (ص) ، وهذا لم يكن معروفا في البيئـة الاسلامية (ر٠ ص ص ٥ - ٩) قبل ان يظهر به " عبدالله بن سبأ " ، كما استنتج الباحث من نصوص " الأشعري القمي " و " النويختي " الشيعيين (ر٠ ص ٣٠) ، وقد نص الباطني " عارف تامر " على ذلك بقوله :-

فباعترادي ، ان اول بذرة وضعت في حقل

الامامة كانت البذرة التي غرسها (عبدالله بن سبأ)

وعلى ذلك اشتهر في الأوساط العلمية منذ القديم ان من خالف الشيعة

قال (ان أصل الرفض مأخوذ من اليهودية) كما نص الأشعري القمي ١٠ والنويختي (ر٠ ص ٣٠) ومن بعدهما ممن تحدث من كتاب الشيعة عن ظاهرة " السبئية " .

ويدل على أصل فكرة الوصاية والامامة اليهودي ما ذكره " البغدادي " أن

" ابن السوداء " ذكر لهم انه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيا (ر٠ ص ٣٤)

وقريب من ذلك ما ذكره الطبري ، أن ابن سبأ قال لهم : (انه كان ألف نبي ١٥ ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد) (ص) (ر٠ ص ٣١) ، كما ذكر المحققون أن ابن سبأ كان يقول بمقالته هذه في يوشع بن نون وصي موسى حينما كان على يهوديته منهم : " الشهرستاني " (ر٠ ص ٣٥) بالاضافة الى " الأشعري القمي " و " النويختي " .

٢٠ وغالب الظن أن عبارة (لكل نبي وصي) غير موجودة في نصوص العهد

القديم حالياً. إلا أن " فلهاوزن " أشار إلى أن هناك فكرة يهودية تقول
" بالزئيل الثاني " لكل نبي ، ولكنه لم يذكر مصدره في ذلك ، إلا أن يكسون
ناقلاً لنص الطبري وغيره - أي معبراً عن وجهة النظر الإسلامية - باعتبار
أن ابن سبأ هو الذي أتى بهذه الفكرة . أن قول " فلهاوزن " هذا يؤيد
أيضاً ما ذكره " البغدادي " على كل حال .

ويكفي هنا أن " ابن سبأ " شبه في معظم الروايات قوله بوصايسة
النبي (صلى الله عليه وسلم) " لعلي " ، بوصايسة " موسى " " ليوشع بن
نون " ، وهو يدل على أن أصل الوصاية بالامامة موجود في الفكر اليهودي
وفي العهد القديم نجد ذلك في هذه القصة :

١٠ فدعا موسى يشوع وقال له ألام أميين
جميع اسرائيل . تشدد وتشجع لأك أنت
تدخل مع هذا الشعب الأرض التي أقسم
الرب لأبائهم أن يعطيهم إياها وأنت تقسمها
لهم . . . وقال الرب لموسى هوذا إيامك
قد قربت لكي تموت . ادع يشوع وفقاً فسي
١٥ خيمة الاجتماع لكي أوصيه .

والموضوع على هذه الصورة لا يحتاج إلى نقاش لوضوحه ، إلا من وجهة
أخرى ، وهي التي يقول بها الباطنيون من أن النص على " علي " موجود في
القرآن .

١: أنظر: أحزاب المعارضة السياسية والدينية في الإسلام ، الشيمسة
والخواج ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ، القاهرة ، مكتبة النهضة
١٩٥٨ ، ص ٢٤٥ .
٢: سفر التثنية ٧/٣١ و ١٤ .

ان وجود النص على * يوشع بن نون * بهذه الصورة الواضحة في العهد القديم ، يحتم وجوده بنفس تلك الصورة في القرآن الكريم ؛ لزمع * الباطنيين * ان الأمور تجري على مسار واحد لا يتغير فما جرى على الأمم السابقة لا بد أن يجري مثله علينا (ر٠ ص ٣٨١) ولمدم وجود النص على * علي * بصورة واضحة قاطعة تماما في القرآن^٥ يتضح بطلان دعواهم ، ويؤكد أن * ابن سبأ * نقل ذلك عن خلفيته اليهودية ليفسد هذا الدين، وهذا القرآن، الذي قال الله تعالى فيه: * ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء *^٨

د - النيل من صحابة رسول الله (ص) وتكفيرهم ؛

ان الله تبارك وتعالى امتدح أصحاب نبيه في كتابه الكريم ، فقال^{١٠} *
تعالى : * لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعوك تحت الشجرة *
وقد سبق الحديث عن الصحابة الكرام (ر٠ ص ٣ فما) والصحابة هم الذين يمثلون أفضل مجتمع اسلامي بل أفضل مجتمع بشري؛ فهم الذين آمنوا برسول الله (ص) حين كذبه الناس ، ونصروا الله ورسوله ، ونشروا الدين في أماكن كثيرة مما نطلق عليه اليوم العالم^{١٥} الاسلامي ، وكفيهم أن الله تعالى اختارهم لصحبة سيد ولد آدم .
ولكن * عبد الله بن سبأ * ورهطه استهدفوا تلك الزمرة المباركة ، فصبوا جام

* النحل ٨٩

** الفتح ١٨

غضبهم وحقدهم عليهم فجعلوهم أظلم الأمة (ر. ص ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦)
وذكر الشعبي ذلك قائلاً :

ولليهود والنصارى فضيلة على الرافضة

في خصلتين ، سئل اليهود من خير أهل

ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب موسى ، وسئلت

النصارى ، فقالوا : أصحاب عيسى ، وسئلت

الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب

محمد ، أمرهم الله بالاستغفار لهم فشتوهم .

وقد انتقلت هذه الخصلة من السبئية الى كثير من فرق الخلافة كما سيتضح

(ر. ص ٧٤ ، ٨١) ، كما حفلت المصادر الباطنية بشتم ابي بكر وعمر

وهثمان (ر. ص ١٩٦ فما) .

هـ - العلم الخفي :

قالت " السبئية " بوجود علم خفي^٣ عندهم ، وهم أول من أدخل ذلك

في الاسلام ، فقد ورد في ((شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد)) ، أن السبئية

قالوا : (هدينا لوحي ضل عنه الناس ، وعلم خفي عنهم ، وزعموا أن رسول الله

صلى الله عليه وآله كتم تسعة أعشار الوحي (٠٠٠) (ر. ص ٣٦))

ان ادعاء العلم السري انتقل من السبئية الى بقية الخلافة ، وخاصة

الكبشانية (ر. ص ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١١٠) ولكن " عبدالرحمن بدوي " استبعد

ذلك من خلال استبعاده وجود تأثير " لفيلون " وتأويلاته الباطنية لدى يهود

جزيرة العرب ، ما سياتى تفصيله حين نتحدث عن التأويل الباطني (ر. ص ٨٧ فما) .

١. ابن عبدربه الأندلسي (- ٣٢٧) . العقد الفريد ، ج ٢ ، تحقيق أحمد أمين وزميليه ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٥ ، ص ٤١٠ .
٢. انظر : مذاهب الاسلاميين ١٦/٢

ولكن رواية ابن ابي الحديد تدل على قولهم بالعلم السرى ، واذا كانت هذه الرواية لاتتهم " ابن سبأ " مباشرة بذلك ، بل انها تتهم " السبئية " الذين كانوا أيام " الحسن ابن محمد بن الحنفية " وبينه وبين " ابن سبأ " فترة ليست قصيرة ، غذا يؤدي الى احتمالين ،

٥ الأول : أن يكون ذلك من قول " السبئية " بعد " عبدالله بن سبأ " أي في عصر الحسن المذكور هذا ، وبذلك لا تكون " السبئية " هنا سوى " الكيسانية " ، وهو رأى يؤيد ما ذهب اليه " فلهوزن " من عدم التفريق بين الكيسانية والسبئية (ر ، ص ٧١) ويكون ابن ابن الحنفية قد سمع هذا القول عن معاصرين له فرد عليهم بما ورد في الرواية .

١٠ الثاني : أن يكون هذا القول منقول عن " ابن سبأ " نفسه . ويقسف ضد هذا الرأى عدم استنكار من كان قبل الحسن بن محمد بن الحنفية عليهم ، هنا يمكن الاجابة بأن آراء ابن سبأ لم تكن تشيع الا بين من لم يكن له نصيب من العلم ممن يقبل كل قول ، وقد ذكر ذلك القاضى عبدالجبار (ر ، ص ٣٢) ؛ فلذا لم يصل كل ما كان يقوله " ابن سبأ " الى أهل العلم الا فيما بعد ، ويؤيد ذلك ما نص عليه القاضى عبدالجبار من أن " ابن سبأ " كان يدعي أن أمير المؤمنين يستخصه ويخرج اليه بأسرار لا يخرج بها الى غيره (ر ، ص ٣٢) ويؤيد ذلك أيضا ما ذكره " طه حسين " عن " البلاذري " (- ٢٧٩) من أن " ابن سبأ " احتفظ بنسخة من خطاب " لعلي بن ابي طالب " ثم حرفه كما يشاء .

٢٠ ويبدو أن " العلم السرى " ظهر عند " السبئية " وظهر معه أيضا التأويل

الباطني عندهم لأن للشعبي (- ١٠٣) السابحي المشهور قولا في ذلك ، وهو :

ما شبت تأويل الروافض في القرآن الا بتأويل
رجل مضعوف من بني مخزوم من أهل مكة
وجدته قاعدا بفناء الكعبة ، فقال ياشعبي ،
ما عندك في تأويل هذا البيت ؟ فان بنى
تميم يغلطون فيه ويضعون أنه انما قيل في رجل
منهم ، وهو قول الشاعر :

بيتازارة محتب بفناءه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

١٠ فقلت له : وما عندك " أنت فيه ؟ قال : البيت

هو هذا البيت ، وأشار بيده الى الكعبة ، ووزارة

الحجر ، زرع حول البيت ، فقلت له : فمجاشع ؟

قال : زعم جشمت بالماء ، قلت : فأبو الفوارس ؟

قال : هو أبو قبيس جبل مكة ، قلت : فنهشل ؟

١٥ ففكر فيه طويلا ثم قال : أصبته ، هو مصباح الكعبة

طويل أسود ، وهو النهشل .

ان تصوير " الشعبي " للتأويل الباطني على هذا النحو تصوير دقيق ، وهو

بالتالي لا يبعد كثيرا عن ما سنعرفه من التأويل الباطني عند الفرق الباطنية .

أما النص الذي يستقى منه قول " ابن سبأ " بالعلم السري ، فهو الذي

٢٠ ذكره الجاحظ وفيه ان " ابن سبأ " حينما نعى اليه " علي بن ابي طالب " قال :

(قد علمنا أنه لا يموت حتى ٥٠٠) وكذا ما ذكره الناشء الأكبر (ر . ص ٢٩)

أما مسألة ادعاء " السبئية " ان الرسول كتم تسعة أمصار الوحيي
فقد وردت في مرجع آخر غير ابن أبي الحديد ، وهو ما ذكره ابن حجر
(- ٨٥٢) الذي أضاف قائلا :

وقال أبو علي الموصلي في مسنده ثنا أبو كريب
ثنا محمد بن الحسن الأسدي ثنا هرون بن صالح
عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي الجلاس سمعت
علياً يقول لعبد الله بن سبأ والله ما أفضى
إلى بشيء كتبه أحداً من الناس .

كل ذلك يوضح لنا وجود " العلم السري " عند ابن سبأ وعند السبئيين
بل ووجود التأويل الباطني في هذه الفترة المتقدمة من تاريخ الفلو ،
ان عقائد الفرقة السبئية في مجملها - وهي تصور للاعقائد عبد الله
ابن سبأ - انما توضح من جانب آخر بداية الفلو بمد " ابن سبأ " .

٢- الفلاة في ابن الحنفية :

ان الفلاة في محمد بن الحنفية يشكلون مجموعة من الفرق ، يجمعهما القول
بامامة محمد بن الحنفية وبنية ، وان يكن من بينهم من دعوا في فترة ما إلى
امامة " عبد الله بن معاوية بن جعفر " ، أو إلى امامة " محمد بن علي بن
عبد الله بن عباس " ، الا أن الذين فعلوا ذلك كانوا من الذين دعوا من قبيل
إلى " محمد بن الحنفية " كما ذكره ، فهم لا ينفكون في الحقيقة عنهم على
هذا النحو ، وقد أطلق على هذه الفرق الغالية " الكيسانية " باعتباره اسماً
لأول فرقتهم ، وقد عدّهم أبو الحسن الأشعري " (- ٣٣٠) اثنتي عشرة فرقة
على النحو التالي - :

١- لسان الميزان ٢٨٩/٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩١
٢- انظر : مقالات الاسلاميين ٩١/١ - ٩٢

١- الفرقة التي نصت على امامة " ابن الحنفية " بعد " علي " .

ك التي نصت على " ابن الحنفية " بعد " الحسين " .

٢- " الكريية " التي زعت الحياة لمحمد بن الحنفية بعد موته باعتباره مهديا متظرا .

٤- الذين زعموا أنه حي عقوبة له لمبايعته " عبدالمك بن مروان " .

٥- " الهاشمية " ، الذين يسوقون الامامة الى أبي " هاشم بن محمد بن الحسن الحنفية " .

٦- لم تذكرها النسخة المطبوعة من كتاب (مقالات الاسلاميين) ومكانها تنقيط

٧- فرقة من " الهاشمية " عادت الى القول بزعامة " ابن الحنفية " بعد

١٠ موت " علي بن الحسن بن محمد بن الحنفية " ولم يعقب .

٨- فرقة من " الهاشمية " قالت بامامة محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بعد " أبي هاشم " .

٩- " الرونديه " ، قالت بامامة بني العباس بالنص النبوي على " العباس " ومنهم " الزمامية " و" الأبو مسلمية " .

١٥ ١٠- " الحريية " ، وقالوا بامامة " عبدالله بن حرب " بعد " أبي هاشم " ثم تركوه الى " عبدالله ابن معاوية " .

١١- " البيانية " أصحاب " بيان بن سمان " ، وقالوا به بعد " أبي هاشم " .

١٢- فرقة نقلت الامامة بعد " أبي هاشم " الى " علي بن الحسين بن علي " . وقد أضاف غير " أبي الحسن " الى هؤلاء غيرهم ، كما سيتضح . الا أن

٢٠ المشهور أن أول فرقهم كانت " الكيسانية " ، وعلى ضوء ذلك يبدأ تفصيل هذه المجموعة من الغلاة .

أ - الكيسانية :

يمكن اعتبار فرقة " الكيسانية " الثانية من الغلاة بعد " السهية " وذلك

من حيث التسلسل التاريخي ، ويبدو أنها ظهرت بعد مقتل "الحسين بن علي" (٦١-) قائلة بامامة "محمد بن الحنفية" (٨١-) وان كان "النوخسي" يرى أنها ظهرت أول ما ظهرت بعد مقتل علي (٤٠-) ، وهذا رأى أبسى الحسن الأشعري كما تقدم وهو أيضا رأي البغدادي ؛ بمعنى أن الكيسانية فرقتين احدهما قالت بامامة "محمد بن الحنفية" بعد أبيه "علي بن أبي طالب" والثانية قالت بذلك بعد "الحسين بن علي".

الا أن الأمر قد يتطلب اعتبارهما فرقة واحدة-ولوعلى سبيل التجاوز- لاعتقاد الباحث أن دعوى اعتبارهما فرقتين صعب القبول .

ان فرقة "الكيسانية" تبت كثيرا من العقائد السبئية ، مما دعى "فلهوزن" الى اعتبارهما فرقة واحدة ؛ ولكن "فان فلوطن" فرق بين الكيسانية والسبئية لان الكيسانية "في رأيه لم يعتقدوا الجزء الالهي في البشر بعكس السبئية ولكن قد يتبين لنا أن الأصوب اعتبار "الكيسانية" فرقة مستقلة مع عدم انكار أنها امتداد للسبئية .

مؤسس الكيسانية : يقال ان "كيسان" هو مؤسس هذه الفرقة ؛ ولكن الآراء تعددت في تعيين "كيسان" هذا ؛ فقول ان :

المختار بن أبي عبيد الذي خرج وطلب

بدم الحسين بن علي ودعا الى محمد بن الحنفية

كان يقال له كيسان . ويقال انه مولى لعلي بن

أبي طالب .

* أنظر ترجمته في الاعلام ١٥٢/٧ ، ١٥٣ ، و فرقة الشيعة ص ٤٤
١. انظر : فرق الشيعة ص ٤١ ، ٤٤ ، وكذا الفرق بين الفرق ص ٢٧
٢. " أحزاب المعارضة (الترجمة العربية) ص ٢٤٣
٣. " السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٣٤ ، ص ٨٠ ، ٨١
٤. مقالات الاسلاميين ٢٧/١ ، وانظر : ابن قتيبة (- ٢٧٦) ، المعارف ، ص ٦٢٢

ولكن " الشهرستاني " فرق بين شخصيتي " المختار " و " كيسان " ، فاعتبر
" كيسان " مولى لأمير المؤمنين " علي " أو تلميذا " لمحمد بن الحنفية " ،
و " المختار بن أبي عبيد الثقفي " صاحباً لفرقة " المختاربية " التي يعتبرها
من " الكيسانية " ، وصور " المختار " على أنه تلميذ لكيسان ، وهذا أمر مهم
بالنسبة لمن أراد دراسة " المختار " ، وهو رأي للفخر الرازي (٥٤٤) أيضاً .
كل ذلك يوضح أن " كيسان " شخص آخر يختلف عن " المختار " ، وقد كنى
" الدينوري " كيسان " بأبي عمرة " ، وذكر أنه صاحب شرطة " المختار "
ونسبه إلى الأعاجم ، وقد أيد " الأشعري " القبي ذلك بل أضاف إليها
اسم كيسان وهو ، السائب بن مالك الأسعدي ، ولكن النسخة المطبوعة من
كتاب (المقالات والفرق) للأشعري القبي ، تشير إلى ما قد يشكك في هذه
التسمية حين قال :

وكان أبو عمرة كيسان بن عمران جهيل يأتي
المختار بالوحي من عند الله .

ولكننا إذا حققنا الأمر نكتشف أن عبارة (بن عمران) لا تناسب مع ما بعدها

والمرجح أنها (يزعم) في الأصل وليلاحظ القارىء الكريم ذلك بعين
الفاحص . وقد فطن محقق الكتاب " محمد جواد مشكور " إلى ذلك فأحـال
القارىء إلى (النويختي) الذي نجد العبارة عنده : (يزعم أن جهيل) ؛
وعلى ذلك فإن " السائب بن مالك الأسعدي " هو المحتمل أن يكون كيسان
مع عدم استبعاد خطأ " الأشعري القبي " كما فعل في اسم عبدالله بن سبأ
(ر ٠ ص ٢٩) .

١. انظر : الملل والنحل ١/١٤٧
٢. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، القاهرة ، مكتبة النهضة
المصرية ، ١٣٥٦ ، ص ٦٢
٣. انظر : النشار . نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ط ٤ ، ٤٥ / ٢ ، وانظر
أيضاً النويختي ص ٤١ .
٤. المقالات والفرق ص ٢١ و ٢٢

أما "المختار" فقد برأه "علي سامي النشار" ما نسب إليه من الغلو ورفعته إلى درجة عالية في التشيع السوي لأهل البيت، ولعله أتى بهذا الرأي من بعض روايات وردت في بعض كتب الشيعة الإمامية، وصب جام غضبه على الزبيريين والأمويين، واعتبرهم المروجين لكل مالحق بالمختار ما قاله فيه أهل الفرق والمقاتل من القول بالغلو وخلافه. وأما الآراء^٥ الغالية التي نسبت من قبل إلى "المختار"، فقد شك "النشار" أن يكون "كيسان" صاحبها، بل الفرقة الكيسانية.

إن آراء "النشار" هذه تعتبر بداية لمشروع نفي وجود الكيسانية الذي بدأ ظهوره على ساحة البحث في الغلو والخلاة.

ومن ناحية أخرى نجد "كامل مصطفى الشبيبي" - أحد الباحثين الشيعة الإماميين - يعتبر "المختار" مشجعاً للآراء الأسطورية التي كانت عند "السبئية" مع تهرته له من تهمة تأسيس فرقة "الكيسانية"، وهو وإن اعتبر (أبا حمزة - كيسان) صاحباً لهذه الفرقة إلا أن نضجها في رأيه كان بعد موت "ابن الحنفية"^٢

وإن كان من تعليق من الباحث على تينك الدراستين، فهوان الكيسانية^{١٥} ليست بأي حال إلا امتداداً للسبئية من حيث العقائد والأفكار، كما قد نلاحظ. إلا أن هناك تغيراً في الشخصيات، فهالما كان اعتبار "كيسان" المؤسس الفعلي لفرقة الكيسانية، وإن كيسان على ما يبدو كان شخصاً سبئياً عمل تحت إشراف "المختار" على تطوير الغلو السبئي إبان ثورة "المختار" للأخذ بثأر "الحسين" سنة ٦٦.

وعلى ذلك فإن الغلو - الذي بذره بذرتة عبدالله بن سبأ اليهودي - وجد

١. انظر: نشأة الفكر الفلسفي، ط ٧، ص ٤٦ - ٥٢
٢. انظر: الصلة بين التصوف والتشيع، ط ٢، ص ١٠٤ و ١١٦

في البيئة العربية والأجنبية من يحضنه ويرعاه في هذه الفترة .

نفي وجود الكيسانية :

- كما تعرضت أقلام بعض المعاصرين الى "عبدالله بن سبأ اليهودي" بالنفي والتشكيك ؛ فان "الكيسانية" أيضا وجدت من يحاول نفيها والتشكيك في وجودها ، ونحن نعيش في بداية ذلك حيث أن هذه الظاهرة لم تتخذ بعد طابع الحماس الذي صاحب حركة التشكيك في "ابن سبأ" . وقد سبق الحديث آنفا عن طرف من هذا النفي على يد "سامي النشار" (ر . ص ٧٢) ظهر أخيرا كتاب سمي "مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام" ومؤلفه شيعي امامي جعفري يدعى "عبدالواحد الأنصاري" ؛ زعم فيه نفي وجود "الكيسانية" وكان بالامكان مناقشة الكاتب المذكور فيما كتب ؛ الا أن اعتماده فيما ذهب اليه كان في معظمه على آراء "طه حسين" ومرضى العسكري^١ في نفيهما لشخصية "عبدالله بن سبأ" ؛ وحيث ان كلا الرايين ما سبق مناقشته (ر . ص ص ٢٦ - ٤٤) . فان في اعادة ذلك تكرار لا مبرر له . ان اعتماد "عبدالواحد الأنصاري" في نفي "الكيسانية" على من نفى "السبئية" ضعيف لثبوت وجود "ابن سبأ" و"السبئية" علميا ، اذ لم^{١٥} نقل انه باطل .

عقائد الكيسانية :

- سبق القول أن "الكيسانية" كانت تقول بامامة محمد بن الحنفية (ر . ص ٧١ فما) وعليه فان ذلك من اميز عقائدهم ، وذكر النويختي أن كيسان^{٢٠} كان^١ يكفر كل من تقدم عليا ويكفر أهل "صفين" و"الجمل" وكان يزعم أن "جبريل" عليه السلام يأتي الختار بالوحى من عند الله عزوجل فيخبره ولا يراه .^٢

١ . انظر : عبدالواحد الأنصاري . مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام ، بيروت مؤسسة الاعلمي ، ١٣٩٣ ص ص ٧٤ ، ٨٤ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٢ ، ٥٨ ، وهامش ص ص ٨٥ ، ٨٦ .
٢ . فرق الشيعة ، ص ص ٤١ ، ٤٢ وانظر : الداعي الرازي ، الزينة (عبدالله سالم السامرائي "الغلو والغلاة) بغداد ، دار الحرية ، ١٣٩٢ ، ص ٢٩٦ .

وقال " البغدادي " ؛ بأن ما اجتمعت عليه الكيسانية ؛

قولهم بجواز البدء [كذا] ^١ على الله سبحانه .

ان جواز البدء على الله مما تعتقده كثير من فرق الشيعة وخاصة الامامية

وأما " الشهرستاني " ؛ فانه يقول :-

الكيسانية ؛ أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي

ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقيل تتلمذ للسيد

محمد بن الحنفية رضي الله عنه ، ويعتقدون فيه اعتقادا

فوق حده ودرجته من احاطته بالعلم كلها ،

واقتراسه من السيد بين الأسرار بجملتها من علم

التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس .

ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل ، حتى

حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة

والصيام والزكاة والحج وغير ذلك إلى رجال .

وذكر النوختي أن نفرا من " الكيسانية " أيام " محمد بن الحنفية "

كانوا يقولون عنه ؛

هو الامام المهدي وهو وصي علي بن ابي طالب

عليه السلام ليس لاحد من أهل بيته أن يخالفه

ولا يخرج عن امامته ولا يشهر سيفه الا بآذنه .

ان للكيسانية عقائد أخرى ظهرت بعد موت محمد بن الحنفية (سنة ٨١)

فتفرقوا أعني تشعبت آراؤهم على نحو آخر وتسموا بأسماء أخرى ، وان ظل

اسم " الكيسانية " علماً يجمعهم .

١. الفرق بين الفرق (بيروت) ص ٢٧

٢. الملل والنحل ١/١٤٧

٣. فرق الشيعة ص ٤٤ ، وأنظر ؛ الزينة (عبدالله سلم السامرائي) ص ٢٩٧ الذي نسب ذلك إلى الكريية .

ب - الكريية :

ان تاريخ ظهور فرقة " الكريية " لا يمكن تحيينه قبل سنة ٨١ - السنة
التي مات "ابن الحنفية" فيها ، وهى السنة التي يتوقع أن تكون بدايية
انقسام " الكيسانية " فكانت " الفرقة الكريية " . وقد نسبها أصحاب المقالات
الى "ابن كرب" ، أو "أبى كرب الضير" . وكان من هذه الفرقة شخصيات
عرفت أسماؤها مثل : " حمزة بن عارة البربري " "صائد النهدي" و"بيان
بن سمعان النهدي" ، كما كان من بينهم الشاعر كبير عزة" وله في عقيدته
هذه شعر وكذا الشاعر السيد الحميري (١٧٣ -) ، وهذا يدلنا على
أن الأفكار الكيسانية عثرت كثيرا ، مما يجعل المرء لا يستغرب ظهور
الدعوة القرمطية في أول أمرها بعقائد كيسانية .

عقائد الكريية :

ان عقائد الكريية في جملتها كيسانية . الا انهم ينفون موت "ابن
الحنفية" كما نفت " السبئية " موت " على بن أبى طالب " .
ان " الكريية " ومن قال بغيبة "ابن الحنفية" ؛
يزعمون أن " محمد بن الحنفية " حي في جبال
رضوى ، أسد عن يمينه ونمر عن شماله يحفظانه ،
يأتيه رزقه غدوة وهشية التي وقت خروجه وزعموا أن
السبب الذي من أجله صبر على هذه الحال - أن يكون
مغيبا عن الخلق - أن لله تعالى فيه تدبيراً لا يعلمه
غيره ، ومن القائلين بهذا القول كثير الشاعروفي ذلك
يقول :

١. انظر فرق الشيعة ص ٤٥ ومقالات الاسلاميين ٩٢/١
٢. انظر النويختي ص ٤٥ والزينة (عبدالله علوم السامرائي) ص ٣٠٥
٣. انظر: أبو الحسن الأشعري ٩٢/١ و ٩٣ والنويختي ص ٤٦ ، ٤٧ ، واعتقاد
فرق المسلمين والمشركين ص ٦٢ .
* جبال رضوى أو جبل رضوى من الجبال المشهورة في جزيرة العرب ، وهى

- ألا ان الائمة من قريش * ولاة الحق أربعة سواه
علي والثلاثة من بنييه * هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وهر * وسبط غيبته كرسلا
وسبط لا يذوق الموت حتى * يقود الخيل يتبعه اللوا
تغيب لا يرى فيهم زمانا * برضوى عنده غسل وماء^١
ويلاحظ على النص الذي أورده أبو الحسن الأشعري خلوه من ذكر العسل
والماء الا فيما نسبه من الشعر الى "كثير" كما أنه ذكر فرقة أخرى تقول
بغيبه "ابن الحنفية" عقلا من الله عليه .
ان النويختي لم يذكر "جبل رضوى" مكانا لاختفاء "ابن الحنفية" فسي
عقيدة "الكريية" رغم تعرضه لعقيدتها ؛ ولكنه نسبه الى فرقة كيسانية^{١٠}
أخرى لم يسمها ؛ وهي التي تقول :-

- ان محمد بن الحنفية حي لم يموت وأنه مقيم بجبال
رضوى بين مكة والمدينة تغذوه الارام تغذوا عليه
وتروح فيشرب من البائها ويأكل من لحومها وعن يمينه
أسد وعن يساره أسد يحفظانه الى أوان خروجه^{١٥}
ومجيئه وقيامه ، وقال بعضهم عن يمينه أسد وعن
يساره نعر ، وهو عندهم الامام المنتظر الذي بشر
به النبي صلى الله عليه وسلم أنه يملأ الأرض عدلا
وقسطا فثبتوا على ذلك حتى فنوا وانقرضوا الا قليلا
من أبنائهم وهم احدى فرق الكيسانية .^{٢٠}

— من مساكن قبيلة جهينة وهو قريب من مدينة "ينبع" أنظر: لسان اليمين
الهمداني (— بعد ٣٤٤) . صفة جزيرة العرب ، الرياض ، دار اليمامة ١٣٩٤هـ
ص ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، ٣٨٣ .

١. الأشعري ، مقالات الاسلاميين ١/ ٩٢ ، ٩٣ ، وانظر البغدادي ص ٢٧-٣٠
والأغاني للأصفهاني ، تصوير بيروت ٣١/٨ وفيه : وسبط لا تراه العين حتى . وكذا
تغيب لا يرى عنهم زمانا ، المقالات والفرق ص ٢٨ ، ٢٩ وفيه : هم الأسباط ليس
لهم خفاء . . يعود الخيل يتبعها اللوا . . . مغيب لا يراهم سنيئا .

ومن الكيسانية السيد ٠٠٠ الحميري الشاعر (- ١٧٣) وهو الذي

يقول :-

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى
حتى متى تحمي وأنت قريش

يا ابن الوصي ياسعي محمد

وكنته نفسي عليك تـذوب

لو غاب عنا عمر لرح أيقنت

منا النفوس بأنه سيثوب

ويقول فيه :-

ألا حي المقيم بشعب رضوى

وأهدله بمنزله السلام

أضر بمعشر والوك منـا

وسمك الخليفة والامـا

وعادوا فيك أهل الأرض طرا

مقامك عنهم سبعين عامـا

لقد أمس بجانب شعب رضوى

تراجعه الملائكة الكلامـا

ان "ابن حزم" نسب مثل هذه المقالة إلى أصحاب المختار بن أبي عبيد

الذي عددهم من "الزيدية" وهو أشد غرابة^٢ ، والذي يهمننا هو وجود فرقة

كيسانية أخرى كانت تقول بمقالة "الكريية" في غيبة محمد بن "الحنفية"

ونظراً لهذا الاتفاق ، فإن الرأي هو جواز اعتبارهما فرقة واحدة كما سبق

بالنسبة لما قيل عن وجود فرقة تقول بإمامة محمد بن الحنفية بعد علي مباشرة،

١. فرق الشيعة ص ٤٦ ، ٤٧ ، وأنظر : الزينه ، (عبدالله سلم السامرائي)

ص ٢٩٦

٢. انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٤ ، بيروت ، تصوير دار المعرفه

١٣٩٥ ص ١٧٩

دون الحسين ، وهو مخالف لما عرف عن " المختاربية " التي كانت تقول
بامامة ابن الحنفية بعد " الحسين " (ر . ص ٧٥) ، فكان اتفاق الفرقتين
في القول بامامة " ابن الحنفية " مبررا لاعتبارهما فرقة واحدة ، رغم ما ورد في
كتاب " الزينة " من نسبة هذه المقالة الى الكريية .

٥ الى هنا لانجد عند " الكريية " أي تطور للعقائد الخالية ، بل تكرار
للعقائد السبئية ؛ فان انكار وفاة الامام والقول بشيئته في جهل رضوى
ما هو الا تهذيبا متواضعا لقول " السبئية " في هلي أنه في السحاب ، والرجعة
هنا هي الرجعة هناك لملء الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما .

الا أن هناك رأيا آخر للكريية ، وهو متعلق بالرجعة ؛ فقد ربطوه

١٠ بقيام القيامة ؛ كما يستفاد من قول النوبختي الذي يقول :-

فأصحاب (ابن كرب) وأصحاب (صائد) وأصحاب

(بيان) . . . يزعمون أن محمد بن الحنفية

يظهر بنفسه بعد الاستتار عن خلقه ينزل الى
١

الدنيا ويكون أمير المؤمنين وهذه آخرتهم .

١٥ ان هذا قد يشعرنا للوهلة الأولى أنه تطوير للعقيدة السبئية ،

وهو من جانب آخر يهمننا جدا في هذا البحث ؛ لامكانية اعتباره مقدمة

لانكار القيامة على الوجه الاسلامي - أي بعد البحث من القبور - وهو موضوع

تطور بعيدا لدى الفرق الباطنية (ر . ص ٩٤ ، فما) . واذ أعدنا الى

آراء عبد الله بن سبأ في رجعة علي وهدمه دمشق حجرا حجرا ونزوله

٢٠ للانتقام من أعدائه وكشف الأسرار لهم وتعريفه لهم أنه بهم ، فاننا

نجد أن ذلك كله ارهاصات لظهور رأي " الكريية " بقيام القيامة على يد

" ابن الحنفية " لا سيما اذا قارنا ذلك بأصوله اليهودية (ر . ص ٣٢-٣٤)

هناك عقائد أخرى قال بها الكرييون ، أعني الذين كانوا يوماً ما أعضاء
في فرقة "الكريية" (ر . ص ٧٦) فتطورت العقائد الكريية على أيديهم
أو كانوا فرقة أخرى .

ان الوقوف على ذلك قد يلقى أضواءً أخرى تنير البحث ، من ذلك :

١- كثير عزة (- ١٠٥) :

ان علاقة " كثير عزة " بالكريية تظهر في الآيات التي قالها عن رجعة

" ابن الحنفية " (ر . ص ٧٧) فهو يتفق معهم في ذلك ، كما يتفق معهم

في القول بمهديته ؛ حيث يقول :

١.
هو المهدي خبرناه كعب * أخو الأخبار في الحقب الخوالي

١٠ من المعروف أن كعب الأخبار (- ٣٢) كان يهودياً فاسلم ؛ فهل لهذا

البيت من الشعر ما يثبت وجود ارتباط بين " الكيسانية " والفكر اليهودي من

جهته ؟. اذا أضيف الى ذلك الآيات التي تحدث فيها " كثير " عن رجعة

ابن الحنفية ، تلك التي تعرض فيها لذكر الأسباط الأربعة ؛

علي والثلاثة من بنيه * هم الأسباط ليس بهم خفاء

١٥ ولذلك علاقة أخرى بالفكر اليهودي ؛ الذي نجد فيه الأسباط الأربعة

٢.
(لاوي ويهوذا ويوسف وبنيامين) كما سيأتي (ر . ص ص ٩٥ ، ٩٦) فان جانب

الشك يقوى .

* هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي وقيل الأزدي ، انظر ترجمته
في الأعلام ٧٢ / ٦ و الأغاني ٢٦ / ٨ وأنظر أيضاً تعليق محمد محي الدين

عبد الحميد في مقالات الإسلاميين ٩٢ / ١ الهامش .

١. أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ج ٣ ، بيروت ، تصوير دار الفكر ، د . ت ،
٠٣٢ / ٨

** أنظر ترجمته في الأعلام ٨٥ / ٦ .

٢. انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ط ٧ ٢٤ / ٢ ، ٧٥ ، ٧٦ .

ان " لكثير " عقائد أخرى غير القول بإمامة محمد بن الحنفية - بعد علي
والحسين - والقول بمهديته ورجعته ، من ذلك ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني
من أنه كان :

يزعم ان الأرواح تتناسخ ويحتج بقول الله تعالى

*
" في أي صورة ما شاء ركبك "

... نظر كثير الى بني حسن بن حسن وهم

صغار فقال بأبي أنتم هؤلاء الأنبياء الصغار .
١

٢- السيد الحميري (١٧٣) :

كان السيد الحميري من أشهر الكيسانيين ؛ إلا أنه قيل انه صار اماميا

في آخر حياته وقال في ذلك قصيدة مطلعها :

تجعفرت باسم الله والله أكبر * تجعفرت باسم الله فيمن تجعفر

ولكن الذي يظهر أن القصيدة منحولة له كما يقول من ترجم له .

وكان السيد الحميري يقول بمقالة الكريية ، وله في ذلك أشعار تقدم
٢

بعضها (ر . ص ٧٨)

١٥ وذكر أبو الفرج الأصفهاني في ترجمته للسيد الحميري كثيرا من أشعاره

التي توضح جوانب من عقيدته الكيسانية ، ما يليق أضواء أخرى على ماورد

عن الكيسانية في كتب أصحاب المقالات ؛ من ذلك .

* سب السلف ولا سيما الخلفاء الراشدين الثلاثة قبل علي ، من ذلك

قوله : شفيت من نعثل في نحت اثلته * فاعمد هديت الى نحت الغويين

* الانفطار ٨

١. الأغانى ج ٣ ، ٣٢ / ٨

** انظر ترجمته في الاعلام ٣٢٠ / ١ والنوختي ص ٤٦ ، والأغانى ج ٣ ٢ / ٧

٥ ٦ ٣ ٦

٢. انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٢

* ادعائه العلم الخاص - (السرى) - لعلي بن أبي طالب في قصيدته
الدالية المشهورة :

أشأقتك المنازل بعد هـنـد * وتريهما وذات السدل دعـد

وفيهما يقول :

٥ ألم يبلغك والأنباء تنمى * مقال محمد فيما يؤدي

الى ذي علمه الهادي علي * وخولة خادم في البيت تردي

* قوله بالرجعة والتناسخ :

جاء رجل الى السيد فقال : بلغني أنك

تقول بالرجعة فقال صدق الذي أخبرك وهذا

١٠ ديني قال أفتعطيني مهيارا بمائة دينار السي

الرجعة قال السيد نعم وأكثر من ذلك ان وثقت

لي بأنتك ترجع انسانا قال وأي شيء أرجع

قال أخشى أن ترجع كلبا أو خنزيرا .

*

٣- حمزة بن عمار البربري (كان معاصرا لعبد الله بن معاوية المتوفى (١٢٩)) :

١٥ تعتبر المراجع الشيعية مصدرا لسيرة " حمزة بن عمار البربري " ، لأن

أكثر من تحدث عنه كان يستقي ذلك من تلك المراجع مثل " فريدلاندر الذي

كان مصدره " الكشي^٢ ، و" لويس " عن " النويختي " و" الاسترهابدي^٣ " و" علي

سامي النشار " عن " النويختي " ، ولكنه رجح أيضا الا الأغاني ، الذي

تحدث عن " عمار بن حمزة " وهو يختلف عن " حمزة بن عمار البربري " ولسو

٢٠ ظاهريا من حيث الاسم وقد يكونان شخصا واحدا . وكان مصدر " محمد السعيد

جمال الدين " عن " حمزة " (النويختي " و" الأشعري القبي " .

١. الإغاني ج ٣ ، ٧/٧ ، ٨ وأنظر أيضا ص ص ٢ - ٢٣

* انظر عن تاريخ وفاة عبد الله بن معاوية في الإعلام ٢٨٢/٤ أما عن معاصرة حمزة له فهو يتبين في الصفحات التالية . وذكر سامي النشار أنه معاصر للإمام الباقر ، انظر :

نشأة الفكر الفلسفي ٧٨/٢ وقد توفي الباقر سنة ١١٤ انظر: الإعلام ١٥٣/٧

٢. انظر: JAOS XXI. P. 90 . ٣. انظره أصول الاسماعيلية ص ص ٩٣ ، ٩٠

٤. انظر: نشأة الفكر ٧٧/٢ ، ٧٨ ، ٧٤ ، ٢٥ انظره دولة الاسماعيلية في ايران ص ١٥

ان نص النوبختي أصل يمكن الاعتماد عليه هنا ، كما أنه لا زيادة تذكر عليه من النصوص الأخرى ؛ فيكون المعتمد عليه في الحديث عن " حمزة بن عمارة " حتى حين . يقول النوبختي :

وكان حمزة بن عمارة البربري ، منهم [يعنى الكرية]

- ٥ وكان من أهل المدينة ففارقهم وادعى أنه نبي ، وأن محمد بن الحنفية هو الله عزوجل تعالَى عن ذلك علوا كبيرا - وأن حمزة هو الامام وأنه ينزل عليه سبعة أسباب من السماء فيفتح بهن الأرض ويملكها ، فتبعه على ذلك ناس من أهل المدينة وأهل الكوفة فلعدنه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام وبرئ منه وكذبه ، وبرئت منه الشيعة ، فاتبعه على رأيه رجلان من نهد يقال لأحدهما صائد وللآخر بيان . . . وكان حمزة بن عمارة نكح ابنته وأحل جميع المحارم ، وقال من عرف الامام فليصنع ما شاء فلا اثم عليه .
- ١٠
- ١٥

ولكن "عبدالواحد الأنصاري" الذي نفى وجود "الكيسانية" (ر . ص

٧٤) ، جعل من " حمزة بن عمارة البربري " كبش فداء لجميع الغلاة ، وصب جام غضبه على " الشهرستاني " وغيره - أي الذين لم يتعرضوا بذكر لحمزة هذا ، وهم أهل السنة كما يبدو - لأنهم تستروا على

- ٢٠ حمزة المذكور وأغفلوا دوره . لقصد في نفوسهم .

وحبذا لو قام " الأنصاري " بالقاء الضوء على شخصية حمزة حتى يصبح لغضبه الشديد معنى ، ولكنه مع الأسف لم يفعل ، بل اكتفى بأن ذكر أنه

وجد في هامش "النوختي" أن اسمه "حمزة بن عمارة البربري الزبيري
اليزيدي". ثم أضاف الأنصاري من عنده إليه لقب: الأموي؛ ليصح "حمزة
بن عمارة البربري اليزيدي الزبيري الأموي". ثم ذكر أن "النوختي" هو
الذي دل على شخصية "حمزة" على أنه المدني الزبيري اليزيدي البربري
وهو بذلك ينسب ما ذكر في هامش كتاب "فرق الشيعة" إلى "النوختي"،
وأخيرا جعل "عبدالواحد الأنصاري" حمزة بن عمارة "مؤسسا لفرق
الفلاة".

هل يريد "الأنصاري" أن يقول: أن "حمزة بن عمارة البربري" ينتسب
إلى "الزبير بن العوام"، وإلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان؟ إن انتساب
شخص ما لأحدهما يكفي ليكتسب عداوة الشيعة فكيف بمن ينتسب إليهما معا.

هل يريد "الأنصاري" أن يقول: أن العباسيين باعتبارهم سنيين استخدموا
شخصية "حمزة" هذا لنشر الغلو بين الشيعة، وعلى ذلك فقد فرضوا
رقابة على نشر أخباره في كتب أهل السنة وأن أهل السنة قد غضوا النظر
عن أخبار "حمزة بن عمارة" قصدا؟ إذا كانت آراء "عبدالواحد
الأنصاري" حول "حمزة بن عمارة" على هذا النحو - وإنها لقريبة من ذلك
وأكثر كما تفيد مقاله - فإن لأهل السنة الحق في اتهام الشيعة أنهم
أجروا تعميما واسع النطاق على شخصية "ابن سبأ" مساهمة منهم في
التقليل من شأن الدور اليهودي في الغلو؛ ذلك الدور الذي تطرق إليه
البحث من قبل حول ما قيل عن أصل الرفض بين أهل المقالات قديما.

ثم إن افتراض وجود التعميم السني المزعوم على دور حمزة الخفي أو الطني
في نشر الغلو في أهل البيت، يجب أن تقابله دراسة موسعة من
الجانب الشيعي، وبصفة أخرى؛ فإن "الأنصاري" "عبدالواحد" لم يستطيع

١. انظر: عبدالواحد الأنصاري، مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام، ص
١٦٧ - ١٧٢.

تأييد ما ذهب إليه من التعقيم السنِّي على حمزة بن عمار حتى بعد إيراد
لما في كتب الشيعة ؛ تلك التي يفترض أن تكون خارج ذلك التعقيم هلّسى
حد قوله . اللهم الا ما ذكر أنه وجدته على هامش كتاب فرق الشيعة عن
خلاف في لقب " حمزة " وان الباحث يستبعد أن تكون ضلالة الحويلة
نتيجة عن إهمال أو تهاون من عبدالواحد الأنصاري لوضح حديثه فسي
الانتصار لرأيه مع الحاجة الماسة لتدعيمه ولكنه لم يجد مستندا أقوى
ما في هامش " النويختي " وعليه فانه اضطر بعد ذلك بأسطر إلى أن ينسبه
إلى النويختي نفسه .

ولو صح افتراضا ما ذهب عبدالواحد الأنصاري إليه من مسألة التعقيم
السنِّي على أخبار حمزة بن عمار ، فكيف يمكن اجتماع نسب زبيري وزبيدي
في شخص واحد يقوم بدور شبه سري ليجرف الشيعة إلى الفلو ، وكيف
يمكن تصديق ذلك .

الراجع كما يظهر أن سبب كثرة ألقاب حمزة ليس كما اشتمى " الأنصاري "
ولكن لأخطاء في النسخ واختلاف بين الرواة ؛ فلا تغيب عن فطن العلاقة
بين : بربري وزبيدي وزبيري ، بل ويريدي ويريدي كما نقل " فريد لاندر "
حول نفس الموضوع .

إذا حسن الظن فان هناك التباساً بين شخصية " حمزة بن عمار البربري "
و " عمار بن حمزة بن مصعب بن الزبير " الذي كان أحد عمال الدولة
العباسية على " فارس " و " الأهواز " ثم على " أحداث البصرة " إلى سنة
(١٦٠) ، وآخر بين " عمار بن حمزة " من " بني هاشم " ذاك السنِّي
رُبي بالزندقة واستكتبه عبدالله بن معاوية " ذي الجناحين " (١٢٩) ، كما
أن هناك " عمار بن حمزة بن كليب " الذي لا يستبعد أن يكون هو المنسوب

١. انظر: مصدر فريدلاندر وهو الكشي، معرفة أخبار الرجال ، هـ ص ١٨٨

ص ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ .

٢. انظر: الطبري ٥١/٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٣ .

الى " بني هاشم " لما قيل من انه من " بني عقيل " بالولا^١.

وليلاحظ القارىء الكريم " عمارة بن حمزة " فهو من الموالي ومتهم بالزندقة

وله علاقة بعبد الله " ذي الجناحين " صاحب الفرقة الجناحية (ر٠ ص ١٠٢)

وهذا ما يقرب من " حمزة بن عمارة البربري " بحيث يحتمل كونهما نفس

الشخص لا أبا وابنه ؛ لورود " عمارة بن حمزة بن كليب " المتأخر نسبيا

عن " حمزة بن عمارة البربري " .

وبالامكان اعتبارا السطور السابقة تقييما لما قام به " عبد الواحد الأنصاري " من

حملة على " الزبيريين " و " الامويين " و " العباسيين " بزعم أن لهم دورا فى

نشأة الغلوفي أهل البيت .

١٠ ان الذي يعيننا أكثر هو أن " حمزة بن عمارة البربري " كان من أهل

" المدينة " ، وكان يقول بمقالة " الكريية " ، وأنه فارقه ، فتبعه أناس من

أهل " الكوفة " منهم رجلان من " نهد " وهما : " صائد " و " بيان " وفى

ذلك دليل على أن اقامته بالمدينة لم تستمر ، وكان معاصرا لمحمد بن علي بن

الحسنى الباقر (- ١١٤) الذى لعنه وبرى^٢ منه وكذبه ، كما أن جعفر

١٥ الصادق (- ١٤٨) لعنه لكذبه (ر٠ ص ٣٨) وعده من الذين تنزل عليهم

الشياطين وهم : المفيرة بن سعيد ، وبنان ، وصائد النهدي ، والحارث

الشامي ، وعبد الله بن الحارث ، وحمزة بن عمارة ، وأبو الخطاب .^٣

١. انظر: الأغانى ج ٤ ٧١/١١ ، ٧٨/١٢ وانظر ج ٥ ٧٠/١٣

٢. انظر: الكشي . معرفة أخبار الرجال ص ١٩٦ .

٣. انظر: رجال الكشي ص ١٨٨ .

عقيدة حمزة بن عمار :

بعد أن ترك " حمزة " الفرقة " الكريية " ، ظهر بعقائد أخرى منها :

* ادعائه النبوة والامامة .

* ادعائه روية " ابن الحنفية " .

* انتظاره سبعة أسباب تنزل عليه من السماء ليملك الأرض .

* تحليله المحارم ونكاح البنات فبدأ بابنته ، لقوله : من عرف الامام

فليصنع ما يشاء فلا اثم عليه .

٤- صائد النهدي :

ان المعلومات عن " صائد " مقتضبة . ومن الصعب اعتباره كريباً

الا تجوزا ، لأن الأصوب اعتباره من الذين قالوا بمقالة حمزة بن عمار

(ر ٠ ص ٨٢) ، ويذكر النوختي أن لصائد أتباع ، وقد سعى أبو حاتم

الرازي (- ٣٢٠) فرقه : النهديية ، وهذا يدل على أن صائدا كان

ذا نشاط أثر في فكر الخلافة مما دعى جعفر بن محمد (الصادق) (- ١٤٨) الى

لعنه وتكذيبه ، بل عده في مرتبة " مسيلمة الكذاب " و " عبد الله بن سبأ "

في الكذب . ولا غرو فان صائداً كان ممن ادعى النبوة . أما نهاية حياته

فهي مجهولة مثل شيخه " حمزة ابن عماره .

١. انظر : فرق الشيعة ص ٤٦
* انظر ترجمته في : سزكين ، تاريخ الترك العربي ٣١٦/٢ وقد تاتي

ترجمة مفصلة له في هذا البحث .

٢. انظر : الزينه (عبد الله سلم السامرائي) ص ٣٠٥ .

٣. انظر : المقالات والفرق ص ٥٥ .

عقيدة صائند :

ليس بالامكان تحديد عقيدة "صائند" الا من كونه تابعا لحمزة بن عماره
وحيث لا يمكن وصفه الا بتلك العقيدة (ر٠ ص ٨٧) بالاضافة الى
ما ادعى من النبوة .

٥ - بيان بن سمان النهدي :

ذكرته بعض المراجع باسم " بنان " ؛ باء فنون (ر٠ ص ٨٦) ولكن
الراجع انه " بيان " كما قيل انه " بيان " وهو ليس كذلك . وكان تابانا يبيع
التبن بالكوفة .^١

تقلب بيان في اتمائه العقدي ؛ فقد كان كريبا مع حمزة بن عماره

- ١٠ البربري (ر٠ ص ٨٢) كما ادعى خلافة " ابي هاشم بن محمد بن الحنفية " .
(- ٩٩) ، وأخرى خلافة " محمد بن علي بن الحسين " (- ١١٤) بالوصاية^٢
أيضا ، وطلب مرة من " محمد بن علي " الايمان بنبوته . (ر٠ ص ٩٢)
كانت نهاية " بيان " الموت حرقا في " مسجد الكوفة " مع عدد من
أتباعه سنة ١١٩ على يد خالد بن عبدالله القسري (- ١٢٦) .^٣

- ١٥ ان " بيان " كونه فرقة خاصة عرفت عند أهل المقالات بالبيانية
وهو وان قال بمقالة الكريية ؛ الا أن فرقة أصبحت علما قائما بذاته بين
فرق الكيسانية ، وقد اعتبرها " أبو الحسن الأشعري " الفرقة العاشرة
ملهم (ر٠ ص ٧٠) وسيأتي الحديث عن " البيانية " باعتبارها فرقة
مستقلة عن " الكريية " (ر٠ ص ٩١) .

١. انظر : المقالات والفرق ص ٣٣

٢. انظر المقالات والفرق ص ٣٣ ، ٣٥

٣. انظر: فرق الشيعة ص ٤٥ والمقالات والفرق ص ٣٣

ج - الهاشمية :

تنسب هذه الفرقة الكيسانية الى "أبي هاشم" و"الهاشمية" بحسب

ذاتها فرق عدة .

وأبو هاشم هو، عبدالله بن محمد بن الحنفية (- ٩٩) ، وقال بإمامته

الذين اعترفوا بموت محمد بن الحنفية (- ٨١) من الكيسانيين الا أن الأشعري^١

القيي^٥ " (- ٣٠١) نسب الى "البيانيه" (ر . ص ٩١) قولهم الذي يجمع

بين العقيدة "الكريية" التي تقول بعدم موت "ابن الحنفية" ويرجعته ،

وإمامة "أبي هاشم" بصفة مؤقتة حتى يرجع "ابن الحنفية" وذكر^٢

"الشهرستاني" أن "الهاشمية" قالت بانتقال الأسرار الى "أبي هاشم"

١٠ من أبيه ؛ وأنه :

أطلعهم على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس ،

وتقدير التنزيل على التأويل . وتصوير الظاهر

على الباطن . فقالوا ان لكل ظاهر باطنا

ولكل شخص روحا ولكل تنزيل تأويلا ولكل مثال

١٥ في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم . والمنتشر

في الآفاق من الحكم والأسرار يجتمع في الشخص

الانساني ٠٠٠ وكل من اجتمع فيه هذا العلم

٣ فهو الامام حقا .

ونسب "الهاشمية" الى "أبي هاشم" المعجزات واحياء الموتى ، وقالوا :

١ . انظر : النويختي ص ٤٨ والشهرستاني ١٥٠/١

٢ . انظر المقالات والفسر ص ٣٤

٣ . الملل والنحل ١٥٠/١ ، ١٥١

ان الامام يعلم كل شىء ، ومن لم يعرف امامه لم يعرف الله .^١

عقائد الهاشمية :

ان أهم ما قالت به " الهاشمية " حتى موت ابي هاشم (- ٩٩) هو :

* الاستيداع في الامامة بمعنى أن ابا هاشم استودع الامامة التي هي

من حق " محمد بن الحنفية " حتى يرجع من غيبته وهو قول " البيانية "

منهم .

* التأويل الباطني المبني على أن لكل ظاهر باطنا .

* ان الامام هو مصدر العلم .

* من لم يعرف امامه لم يعرف الله .

ولا يخيب عن البال ان هذه العقائد تطورت على يد الغلاة ، خاصة

بين الفرق التي تكونت عن " الهاشمية " بعد موت " ابي هاشم " .

الفرق التي تكونت عن " الهاشمية " :

بعد موت " ابي هاشم " (- ٩٩) تفرقت " الهاشمية " الى عدة

فرق وهي أربع كما يرى النوبختي ، وخمس كما ذكر الشهرستاني . ومهما

يكن الامر فان هذا الانقسام كما يظهر كان نتيجة عن تفرق زعماء الهاشمية ،

وهذه الظاهرة لم تحدث بعد موت علي بن ابي طالب ، فان المصادر

الشيعة لم تستطع اثبات تفرق للشيعة بعد موته الا في ما يختص بفرقة

الكيسانية وزعيمها " كيسان " أو " المختار " أما الفرق الأخرى التي تخيلوها

في اذهانهم فانهم لم يستطيعوا ايجاد زعامة لها وهذا يدل على أن عليا

وكذا الحسين لم يشجعا أبدا على انتشار التشيع . وبالنسبة للفرق

" الهاشمية " فان فرقتها هي : -

١ . انظر : المقالات والفرق ص ص ٣٥ ، ٣٨ ، ٦٩

٢ . انظر : فرق الشيعة ص ٤٨

٣ . انظر : الملل والنحل ١ / ١٥١

١- البيانية :

ان زعيم " البيانية " كان " بيان النهدي " (- ١١٩) (ر٠ ص ٨٨) ،
وما علمنا من تقلب " بيان " في انتمائه الخالي ؛ نجد أن من الصعب
القول بأنه كان ينتقل بفرقة من " الكريية " الى " الحمزة " الى الهاشمية .
والذي يبدو أنه انضم الى " أبي هاشم " قبل أن يكون فرقة " البيانية " .
ثم أصبح بعد ذلك شخصية قيادية في الغلو حتى استطاع تكوين فرقة
خاصة به . ادعى بين أتباعها ان أبا هاشم أوصى إليه . بعد أن مكث
أتباعه يقولون بمهدية أبي هاشم ورجعته ؛ شأنهم في ذلك شأن
معظم الفرق الشيعية الغالية بعد موت من تزعم أنه الامام .

١٠ ان فكرة الوصاية هذه تطورت عند " البيانية " الى حلول وتناسخ
بين روح " أبي هاشم " و " بيان " ، وهي تذكرنا بالفكرة السبئية القائلة
بحلول الجزء الالهي في علي بن ابي طالب (ر٠ ص ٥٩) . أما مزاعم
البيانية في ذلك فهي :

ان روح الاله دارت في الأنبياء والائمة حتى

١٥ انتهت الى علي ثم دارت الى محمد بن الحنفية

ثم صارت الى ابنه ابي هاشم ثم حلت بعنده

في بيان بن سمان .

وقد خفف بيان عليا بالالوهية وأنه سيظهر في بعض الأزمنة ، واستدل

على ذلك بقوله تعالى : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام

٢٠ والملائكة) ففسر لفظ الجلالة على النحو السبئي بأنه في الغمام

١. انظر المقالات والفرق ص ٣٥ ومقالات الاسلاميين ٦٢/١

٢. انظر التوحيدي ص ٥٠

٣. البغدادي الفرق بين الفرق ص ص ٢٤١ ، ٢٤٢ وانظر : الشهرستاني

١٥٢/١ ، ١٥٣ .

* البقرة ٢١٠

١
والرعد صوته والبرق تبسمه .

ويبدو أن بيانا ومن نحى نحوه من الغلاة لم يكن يعني بذلك أن عليا

هو الله بقدر ما يعنى تجسد الألوهية في اجساد الأنبياء والأئمة وصفة

خاصة في علي، وقد أشار الى هذه النقطة علي سامي النشار^٢ ، ويوضح

٥ هذه اللفظة ما نسب الى " بيان " بالذات من تجسده معبوده بأنه

هيكل من نور يشبه الانسان في جميع أعضائه ، وأنه يقنى كله

الا وجهه . وقد ادعى " بيان " النبوة معلنا أن "أبا هاشم " هو السذي

٣ جعله نبيا ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : (هذا بيان للناس وهمسدي

وموهظة للمتقين) . وأنه هو البيان والهدى والموهظة^٤ ، وقد أرسل رسالة

١٠ الى محمد بن علي بن الحسين (الباقر) (- ١١٤) يقول فيها :

أسلم تسلم وترثق في سلم وتلج وتغنم

فانك لاتدري أين يجعل الله النبوة والرسالة

٥ وما على الرسول الا البلاغ وقد أهدر من أنذر^٥

كما ادعى بيان معرفة الاسم الأعظم الذي يستطيع أن يدهوبه " الزهرة "

٦ فتجيبه . يمكننا هنا تلخيص أهم عقائد البيانية فيما يأتي :-

عقائد بيان والبيانية :

* التأويل الباطني

* تجسيد الله وتشبيهه بالخلوقين *

١. انظر الشهرستاني ١٥٢/١

٢. انظر : نشأة الفكر ط ٧ ٢٨/٢

٣. انظر : الفرق بين الفرق ص ٢١٤

* آل عمران ١٣٨

٤. انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٢٧

٥. المقالات والفرق ص ٢٧ وانظر : النوختي ص ص ٥٥٠ ٥١

٦. انظر : مقالات الاسلاميين ٦٧/١

- انتقال جزأ لاهوتي حل في بعض البشر عن طريق التناسخ •
- ادعاء "بيان النبوة" •
- ادعاء معرفة الاسم الأعظم •
- عقيدة قائم القيامة التي يشترك فيها مع صائد المهدي •

٢- الحريية

هم أصحاب "عبدالله بن عمر بن الحرب الكندي الشامي" و قيل : ابن عمرو الكندي ، وكان أبوه عمرو بن الحرب زنديقا مشهورا من أهل المدائن ، وهذا ما توفر من معلومات عن "ابن الحرب" من حيث أسرته وأصله •

ليس بعيدا أن تكون زندقة أبيه جاءت إليه من بيثة "المدائن" التي

كانت منفي "لابن سبأ" •

ان الذي يظهر أن هذه الفرقة كانت إحدى الفرق التي تكونت بعد وفاة أبي هاشم (١٩٠) ، ولكن في ذلك نظره في حين يقول "البغدادي" أن ابن حرب كان على دين "البيانية" في التناسخ و نجد الأشعري القمي يقول بوجود عقائد "حريية" قبل موت ابن الحنفية ما قد يعني وجودها قبل "البيانية" و يقول القمي :-

وقال أصحاب ابن حرب أيضا بالاسباط الأربعة

وهم الأئمة يؤمن عليهم الخلف (بالعمد)

والخطأ والزلل • فسبط • علي وسبط •••

الحسن وسبط ••• الحسين وسبط هو الذي

يركب الأسباب ويزجي الرياح وينفخ المد

وسد باب الرهم ••• وهو المهدي المنتظر

١. انظر : الشهرستاني ١/١٥١

٢. انظر : المقالات والفرق ص ٣٥

٣. انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ •

محمد بن علي بن الحنفية امام الحنقق ،

فلما لم يروا من ذلك شيئا في حياته ومات

عيافا قالوا لم يم^١ت .

ولكن " القمي " نفسه أشار الى نقطة عن وجود توافق بين

٥ " الحريية " و " البيانية " في ادعائهم أن عليا في السحاب . وفي هذا

ما قد يؤكد ما ذكره " البغدادي " . وان نص " الأشعري القمي " السذي

ورد أنفا لا يحتم علينا القول بأن الحريية قالوا به قبل موت " ابن الحنفية "

(سنة ٨١) وانما قالوا به على سبيل أن " ابن الحنفية " سيمود وأن " أبا

هاشم " مستودع للإمامة (ر . ص ٨٩) " كالبينانية " ، وعليه فان الذين

١٠ قالوا بالأسباط الأربعة يمكنهم قول ذلك حتى بعد وفاة ابن الحنفية

وقد قال بذلك كثير عزة (- ١٠٥) في ابيات له (ر . ص ٧٧) ، ولكن

الصعب هو وجود الفرقة " الحريية " في حياة " ابن الحنفية " على شكل

فرقة " كيسانية " لاستبعاد استفحال أمر الغلاة فيما خلا فرقة

" الكيسانية الخاصة " ، ويؤكد هذا وجود الفرقة الحريية بعد

١٥ ذلك بما يقرب من خمسين عاما أو يزيد ليكتشف أتباعه بعد ذلك كذبهم

وبهتانه فيتركوه ويتجهون إلى عبدالله بن معاوية (- ١٢٩) كما نص على

٣ ذلك بعض أصحاب الفرق .

ان الأمر على كل حال لا يستحق أكثر مما ذكر فيه لاسيما وأننا

ندرس مرحلة تظلي فيها عقائد " فلاة الشيعة " كالمرجل ، ولا يعرف سافلها

٢٠ من عاليها الا بتدقيق وبحث ليس هنا موضعه .

١ . المقالات والفرق ص ٢٨

٢ . انظر . المقالات والفرق ص ٢٧

٣ . انظر : المقالات والفرق ص ٤٠ ومقالات الاسلاميين ٩٢/١ والمسائل

والنحل ١٥١/١

ان ما يمكن قوله هو أن " الحربية " نشأت بعد وفاة أبي هاشم
(٩٩ -) من فرقة هاشمية اختارت " عبدالله بن عمرو بن الحرب " ليكون
اماماً لها على نحو أن :

روح الله صارت في النبي وروح النبي صارت في علي
روح علي صارت في الحسن وروح الحسن صارت في
الحسين وروح الحسين صارت في محمد بن الحنفية
روح ابن الحنفية صارت في ابيه ابي هاشم وروح ابي
هاشم انتسخت في عبدالله بن عمرو بن الحرب .
فهو الامام الذي خرج محمد بن الحنفية من الشعب .

١٠ وفي ذلك دليل على أن قيام " ابن الحنفية " كان وشيك الوقوع في عقيدة
" الحربية " .

ان النقطة الخاصة بانتظار " ابن الحنفية " رغم القول بأئمة
بعده تعود بنا الى مسألة الأسباط الأربعة التي ذكرها " القمي " وخص
بها الحربية ، بقوله :

١٥ واعتلوا في أن الأسباط أربعة بأن قالوا :
ان القدر والنباهة والعز والنبوة من ولد يعقوب
ابن اسحق عليهما السلام في أربعة وصار الباقيون
اسباطاً بهم فكانوا هم الأنبياء والملوك ولم يكن
للباقيين قدر الا بهم وهم لاوي ويهوذا ويوسف
٢٠ وابن يامين . . . لأن يهوذا ولد داود وسليمان
وفيها الملك الذي لا يشبهه ملك مع النبوة ، ومريم

١. المقالات والفرق ص ص ٢٦ و ٢٧ ، وانظر: مقالات الاسلاميين ١/ ٩٧ ،
والشهرستاني ١٥١/١ والفرق بين الفرق ص ٢٨ .

بنت عمران لم المسيح ، ورأس الجالوت وهو
الملك بعد الانبياء والرسل . وولد لاوي موسى
وهرون وهزير وحزقيال واليلس والبسج وأورصيا
والخضر ، وهؤلاء ولد هرون . ومن ولدهم
ملوك وأنبياء ، ومنهم آصف بن برخيا صاحب
عرش بلقيس ، ومن ولد يوسف يوشع بن نون
ومن ولد ابن يامين طالوت الذي ذكره الله في
كتابه .

قالوا فبنوهاشم أسباط والامامة والخلافة والملك
في أربعة وذلك قول تبارك وتعالى * والتين
والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين * فالكلام
يكون رمزا ومثلا وكناية ووحيا ، فالتين علي
والزيتون الحسن وطور سينين الحسين وهذا البلد
الامين محمد بن الحنفية .^١

١٥ من المعروف أن كلا من لاوي ويهوذا ويوسف وبنيامين من أبناء يعقوب
ابن اسحق ولكن كلمة أسباط** لا تنطبق بأي معنى على بنيه الثلاثة
لاسيما اذا قارنا بأسباط بني اسرائيل ، فهي اذا انطبقت على الحسن
والحسين بالنسبة للنبي (ص) فكيف يدخل في ذلك علي بن ابي طالب
وابنه محمد بن الحنفية ، واذا انطبقت عليهم جميعا بالنسبة لهاشم بن
قصي فالجميع من ذرية عبدالمطلب، واذا انطبقت عليهم بالنسبة لعبدالمطلب

* التين ١

١. المقالات والفرق ص ٣٠ .

٢. انظر: العهد القديم : التكوين ٤٦ وأخبار الأيام الأول ١/١

** الأسباط في اللغة ولد الولد والمفرد سبط انظر : مختار الصحاح ص ب ط

فالجَمِيع من ذرية ابي طالب .

ان قصة الأَسباط هذه غير اسلامية كما هي غير منطقية هنا ؛ وهي
يهودية المصدر فمن الذي يعمه اعطاء أهمية للأَسباط في العالم الاسلامي
سوى اليهود ، هل من الذي يتبرع باجراء مقارنة بين الأَسباط الاسرائيليين
والهاشميين في مطلع القرن الثاني للهجرة ؟ لا أحد سوى أصابع يهودية
خفية ، ظهرت من قبل في صورة عبدالله بن سبا ، وظهرت هنا في الحريية
في شخصية ربما تخفت تحت اسم عبدالله بن عمرو بن الحرب ، أو أحد
اعوانه أو أحد أتباعه . وسوف تظهر لنا هذه الصورة عند السدروز
(ر . ص ص ٢٩٨ ، ٢٩٩) .

١٠ . وحينما تأتي هذه الأقصوصة ذات الأصل اليهودي مشفوعة بتأويل
باطني " لسورة التين " ؛ فان ذلك دليل آخر يؤكد وجود علاقة ما بين
الفكر اليهودي النازي والتأويل الباطني عامة .

ولا يغيب عن البال أن " الحريية " كانت تدين بما دانت به أشباهها
من فرق الغلاة المعاصره لها ؛ مثل القول بـ " ابن الحنيفة " .
١٥ . وخروجه من مكة في عدد أهل بدر ردم " دمشق " برايات سود
ورجال كالأسود .

ويبدو أن " دولة بني العباس " لم تقم بعد حين قالت " الحريية "
بهذا القول ، وقد يكون هذا دليلا على القيمة العلمية للنص الذي حفظ
هذه النقطة ؛ فان " بني العباس " ظهوروا برايات سود .

٢٠ . عن ترك الفرائض والمحرمات نجد ذات الرأي الغالي والقائل بأن (من
عرف الامام فليصنع ما شاء) . ذلك القول الذي قالت به " الباطنية " فيما

١ . انظر: المقالات والفرق ص ٣١

٢ . انظر: المقالات والفرق ص ٣٩

١
بعد حين قالوا (حب علي حسنة لا يضر معها سيئة)

ان " الحربية " وان اعتبرت فرقة هاشمية كيسانية سبئية و الا ان
" الاشعري القمي " انفرد بذكر اخبار عنها - وردت آنفا - قد توحى
بالاستغراب والارتباب مما قد يجعل " الاشعري القمي " في وضع المتهم
بالتحياز ضد هذه الفرقة و الا ان حادثة فريدة وقعت في هذه
الفرقة ، فتفرق أعضاؤها بعدها الى فرقة وربما الى فرق أخرى - هذه
الحادثة - تجعل الباحث يقف موقفا ايجابيا من الأشعري القمي ، وقد
ذكر قصتها بعض أصحاب المقالات و فقال " ابو الحسن الأشعري :

ثم وقفوا على كذب عبدالله بن عمرو بن حرب نصاروا الى
المدينة يلتصون اماما فلقوا " عبدالله بن معاوية بن
عبدالله ابن جعفر بن أبي طالب فدعاهم الى ان يأتوا
به فاستجابوا له .^٢

وقال " الشهرستاني " عن ذات القصة :

والرجل [يعنى ابن حرب] ما كان يرجع الى علم
وديانة ، فاطلع بعض القوم على خيائه وكذبه فاعرضوا
عنه وقالوا : بامامة عبدالله بن معاوية .^٣

اما " الأشعري القمي " فقد فصل القصة كما يأتي :

فبينما هو يوما في منزل رجل بالمدائن وكبرا [؟] أصحابه
معه ان دق جلواز الباب وكان صاحب المنزل وعده حاجة
[هكذا] ولم يعرف عبدالله بن عمرو بالأمرفوثب فزصا
وقال : دعيتم [هكذا] اناكب الشيطان فخرجوا جميعا وظفر

١ انظر: مخطوطة المجالس الحاتمية المجلس السابع من المائة الاولى ق كد
٢ مقالات الاسلاميين ١٧٧١
٣ الملل والنحل ١٥١/١

هو الى دار رجل فاندقت ساقه فخرج صاحب الرجل الى الرجل ، ثم خرج اليهم فقال لابس ، فرجع بعضهم وهرب الباقيون ف قيل لعبدالله أنت كيف تكون اماما كيف تعلم الغيب وما في الأرحام وأنت ستمك مع هذه الغفلة وهذا العقل ؟ فكذبوه ثم اجتمع أمرهم على أن يخرجوا الى المدينة يلتسبون اماما من بني هاشم اذا كان لا بد لهم من امام ، فبينما هم بالمدينة متحيرون إذ أتى آت عبدالله ابن معاوية فاخبروه وخبرهم فأرسل اليهم .

ان هذه القصة مما يستحق الدراسة لأن من عادة " الغلاة الشيعة "

١٠ أنهم لا يتفرقون الا بعد وفاة زعيمهم ، ولا بد من الوقوف قليلا أمام هذه القصة - الظاهرة ، ولا يخرب عن البال أن حادثة كهذه برواية " الأشعري القي " لا تستدعي عند " الغلاة " التفريق والتخلي عن زعيمهم ، لأن من يؤمن ويعتقد بأن انسانا يختفي في السحاب وآخر يعيش سنوات طويلة في غار في حراسة أسد ونمره ، وأن من عرف الامام فليصنع ما يشاء . كل ذلك من مصدر بشري ، لاهون عليه أن يصدق أي أكذوبه يمكن أن يقولها " ابن حرب " للتخلص من هذا المأزق الذي وقع فيه . وهنا يبرز احتمال ان جهة ما يهتما ابراز عبدالله بن معاوية على شكل زعيم هاشمي طالبي بعد استنفاد الغرض من ابن حرب وامثاله ، لا سيما وأن " ابن معاوية " لم يأت بعقائد أقل غلوا مما لدى ابن حرب .

٢٠ ومن جهة أخرى فان حادثة تفريق " الحريية " كما رواها " الأشعري " القس " ، يوضح أنه لم يكن متحيزا ضد هذه الفرقة بقدر ما كان على علاقة بمصادر لم تتوفر لسواه من أصحاب المقالات من ذلك " النويختي " الذي يعتبر استنادا له .

١. المقالات والفرق ص ص ٤١٥٤٠

٢. انظر: محمد جواد مشكور . مقدمة كتاب المقالات والفرق ص ص كج ، كد .

عقائد الحريية :

يمكن تلخيص عقائد فرقة " ابن حرب " على النحو التالي :

- * قولهم بالحلول والتناسخ .
- * قولهم بالتأويل الباطني .
- * قولهم بالرجعة ، وخاصة رجعة ابن الحنفية ومهديته الانتقامية .
- * قولهم بأن من عرف الامام فليصنح ما يشاء .

٣- العباسية أو الروندية :

تخضت " الهاشمية " فيما تخضت عنه عن فرقة تسمى " العباسية " أو " الروندية " وهذه الفرقة تقول ان ابا هاشم اوصى بالامامه الكسى محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، وأنه دفعها الى أبيه " علي بن عبدالله " حتى يبلغ فيسلمها اليه .

وقد افاد بعض المحققين في أمر هذه الفرقة وفرقه شبيهة يمكن أن تسمى " الأبو سلمية " وقد سميت " بالمقنعة " أو " الرزامية " لاعتقادهم في " أبي مسلم الخراساني " وهو قول " الروندية " أيضاً ، وقد اعتبر بعضهم أن بني " العباس " استغلوا فرقة " الكيسانية " الغالية في نشر الدعوة العباسية على نحو سري اعتمد على العددين ١٢ ، ٧٠ وقد أثار^١ فان فلوتن " هذه المسألة على هذا النحو يقال :

وقد أسس هذان الرجلان [سليمان بن كثير الخراساني وشيب بن قحطبة الطائي السرخشيري] مع عشرة آخرين جمعية أشبه بمجلس شورى تحت رئاسة داعي الدعوة ، ثم اتخذ كل منهم لقب " نقيب " على نحو ما كان يفعله

١. انظر : التوختي . فرق الشيعة ص ٥٠

٢. انظر : الرازي . اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٢٩

٣. انظر : الزينة (عبدالله سلم السامرائي) ص ٢٩٨ .

الاسرائيليون في مجلس شورايم (القرآن الكريم ١٥/٤)
الذي كان يتكون من اثني عشر حواريا ، ثم النقبة
من أهل الشورى الذين انتخبهم الرسول من أهل
المدينة ، وهكذا تأثر العباسيون في تنظيم دعوتهم
بمجلس الحواريين عند اليهود من ناحية ، فاتخذوا
اثني عشر نقبيا ، كما تأثروا من ناحية أخرى بمجلس
الشورى في عهد الرسول فاتخذوا سبعين داعيا .

ان ما حكاه " فلوتن " هنا يحتاج الى تفصيل لأن اصطلاح " داعي

الدعاة " لم يعرف بعد في هذه الفترة الزمانية التي نشأت فيها

الكيانية العباسية ، لاسيما وأن المستشرق المذكور لم يسند هذا

اللفظ الى مصدر ، مما يوضح أنه استعار اللفظ من فكر الباطنيين في

" الدولة العبديّة " التي قامت بعد هذا التاريخ بأكثر من قرن ونصف

(ر . ص ٢٦٨ هـ) . وما ذكره عن مجلس شورى الاسرائيليين واستشهاده

بآية قرآنية يعني بها قول الله تعالى * ولقد أخذ الله ميثاق بني

اسرائيل ومعنا منهم اثني عشر نقبيا * وهي لم تذكر الحواريين بل ذكرت

اثني عشر نقبيا . أما ما ذكره عن السبعين الذين ادعى أنهم مجلس

الشورى في عهد رسول الله (ص) ، فان أي مجلس شورى لم يثبت وجوده

على عهد رسول الله (ص) على هذا النحو ، حتى " الباطنيين " وهم

من أكثر الناس تعلقا بالأرقام بين فداة الشيعة فانهم لم يوردوا شيئا

يستندون اليه من هذا الوجه ولو وجدوه لفعلوا ، ولكن المعروف أن النبي

(ص) بعد أن بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية وكانوا ثلاثة وسبعين

رجلا وامرأتين ، قال لهم (ص) :

* المائدة ١٢

١. السيادة العربية (الترجمة العربية) ص ٩٥

أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا . . . قال ابن اسحق
حدثني عبدالله بن ابي بكر بن حزم أن رسول الله (ص)
قال للنقباء : أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين
١
لعيسى بن مريم .

٥ إذا ليس هناك مجلس شورى ولا غيره ؛ بل اثنا عشر نقيبا يكفلون
قومهم ، أما السبعون رجلا ؛ فقد وردت في القرآن الكريم عن ذلك قصة
أخرى ، قال تعالى : " واختار موسى قومه سبعين رجلا ليقاتلنا " - ويبدو
أن " فلوتن " استعان في تربيته للآية الأولى التي تتحدث عن النقباء
٢
بتعداد " فلوجل " الذي يعتبرها الآية ١٥ من سورة المائدة .

١٠ ان الاعتماد على العددين ١٢ ، ٢٠ في القصة يجب أن تستند
بشقيها إلى موسى عليه السلام ، وبذا أيضا يمكن للباطنيين أن يدعوا أن
نظام الدعوة الباطنية الذي سارت عليه فرقهم فيما بعد - في أصله - هو
النظام العباسي ذو الأصل الموسوي ، وقد أخذ به سيدنا محمد (ص) من
قبل .

١٥ لوسلمنا بصحة جميع الآثار فان قيمة هذا الاحتمال يتضح بعد الاتي -
* مدى تمسك " الدولة العباسية " بهذا النظام بعد تكوينها .
* مدى التزام السيرة النبوية بالعددين ١٢ ، ٢٠ في تنظيم الدعوة
الاسلامية .

وإذا لم يكن هناك تعويل على هذين العددين هنا وهناك فان بالامكان
اعتبار أن فلوتن لم يوفق كما يظهر في مقارنته التي أوردها . أما وقد استند
فيما ذهب إليه إلى " تاريخ الطبري " ، فان الطبري يقول -

١. ابن حجر العسقلاني (٨٥٢) فتح الباري ٢٢١/٧
٢. انظر محمد رشيد رضا . تفسير المنار ج ٦ تصوير بيروت ص ٢٧٩
* الاشراف ١٥٥

والنقباء الاثنى عشرهم الذين اختارهم محمد بن عيسى
من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله الى
خراسان سنة ثلاث ومائة أو أربع ومائة .^١

ونص " الطبري " هو الحكم الفصل في القضية .

٥ ثمة مسألة أخرى تتعلق بأحد دعاة " العباسيين " ؛ ويسمى " خدائش " ^٢
ففي كتاب " البدء والتاريخ " أنه أول من قال بالتأويل الباطني ، وهو قول لا يقف
أمام ما سبق ذكره من وجود التأويل الباطني عند الغلاة منذ " السبئية " .

عقائد " العباسية " :

ان " العباسية " في عقائدهم لم يخرجوا عن بقية الكيسانية الا في

١٠ القول بأن أبا هاشم أوصى بالامامة للعباسيين، وقد قالوا أيضا بتسرك
الفرائض وقالوا : الدين معرفة الامام واداء الامانة ، وقد استتاب ابي
جعفر المنصور " الروندي " فرجع بعضهم ، وقتل الذين أصروا على عقيدتهم ؛^٣

٤- الجناحية أو المعاوية :

سميت هذه الفرقة " بالجناحية " نسبة الى زعيمهم " عبدالله بن

١٥ معاوية بن عبدالله ابن جعفر بن ابي طالب " (- ١٢٩) ؛ وقد لقب جده
بالطيار أو هذي الجناحين بعد استشهادهم في معركة مؤتة أيام رسول الله
(ص) ، فسرى ذلك اللقب في ذريته ومنهم عبدالله بن معاوية الذي تزعم
بعض غلاة " الكيسانية " ؛ فسُموا بالجناحية . وذكر " الأشعري القبي " أنهم
يتسمون أيضا بالمعاوية .^٤
^٦

١. الطبري . تاريخ الطبري ٣٧٩ / ٧

٢. انظر : البدء والتاريخ ، ج ٦ ، تصوير طهران ، ص ٦٠ ، ٦١

٣. انظر : الزينة (عبدالله سالم السامرائي) ص ٢٩٨ - ٣٠٠

* انظر ترجمته في : الأعلام ٣٨٢ / ٤

٤. انظر أحاديث غزوة مؤتة ، صحيح البخاري ٤٤ / ٦٤ في فتح الباري ٥١٠ / ٧ -

٥١٥

٥. انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٩

٦. انظر : المقالات والفرق ص ٤٢

أما تكون هذه الفرقة فهو جدير بالإشارة إليه ، وقد سبق القول
ان الحريية صاروا أتباعاً " لعبد الله بن معاوية " (ر ٠ ص ٩٨ ، ٩٩) ، ويدعي
كل من " النوبختي " و " الأشعري القي " أن فرقة غالبية تسمى " الحارثية "
أتباع " عبدالله بن الحارث " انضمت الى " الجناحية " وأنهم هم مكونات فرقة
" الجناحية " ، ويقول البغدادي ان فرقة المغيرة أتباع " المغيرة بن
سعيد " (ر ٠ ص ١١٢) قالوا بإمامة ذى الجناحين أو الوهيتة على
نحو من الحلول والتناسخ في قصة مشابهة لقصة اكتشاف كذب عبدالله بن
عمر بن الحرب ، ولا يخال الباحث الا أن هناك شيئاً ما من اللبس في الأمر
لاستبعاد تكرار القصة ذاتها بين الغلاة الشيعة بالذات . ولكن بالإمكان
القول ان " الجناحية " فرقة تكونت من عدة فرق غالبية ،

أما بالنسبة لاضحلال هذه الفرقة ؛ فان فيه شيئاً ما من الغرابة
ويكفي في ذلك أن بعضاً من أصحاب هذه الفرقة وقعوا في اشكال عقدي
(ربما بعد موت ابن معاوية سنة ١٢٩) مع فرقة " العباسية " والمشكـل
هو أنّ من أوصى " أبو هاشم " (- ٩٩) بالإمامة بعد وفاته ؛ فافتى أحد
علمائهم ويكنى " بأبي رباح " (٢) بأن الوصية كانت لبني العباس ؛ فانضموا
أو اكرههم الى " الروندية " ؛ كما ذكر الداعي " أبو حاتم الرازي " أنه بعد
فتوى " أبي رباح " أو رباح كما يسميه بقيت طائفة منهم على القول بإمامة
ذى الجناحين .

١. انظر : فرق الشيعة ص ص ٤٩ ، ٥١ ، والمقالات والفرق ص ٤١ .
٢. انظر : الفرق بين الفرق ص ٢١٥ .
٣. انظر : فرق الشيعة ص ٥٠ ، والمقالات والفرق ص ٤٠ .
٤. انظر : الزينة (عبدالله سلم السامرائي) ص ٢٩٨ .

ان فرقا تتكون على هذه الشاكلة ثم تفترق في فترة لا تتجاوز ثلاثين عاما
لدليل واضح على الفوضى الفكرية التي كانت تسود فرق غلاة الشيعة .

والظاهر ان هذه " الفرقة " تكرر للفرق الغالية التي سبق
الحديث عنها ؛ فقد قالوا بالتناسخ والحلول الذي ينتج نبوة أو الوهية^١
الزهيمة ، على نحو التقسيم العرفي اليه بالاسباط الأربعة (ر . ص ص ٩٥

٩٦) وقد اعتبروا ان التناسخ الذي يحدث هو الثواب والعقاب
وذلك من حيث الجسد الذي تسكنه الروح وعليه فقد ادعوا عدم فناه

العالم ، كما سمح " الجناحية " لأنفسهم ارتكاب المحارم تأويلا^٢
لقوله تعالى " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا^٣

أو على أن العبد يبلغ مرحلة من المراحل يسقط عنه التكليف اذا وصل
درجة الكمال والبلاغ بمعرفة الامام ، وذكر " البغدادي " ان الجناحية^٤

يعتقدون بأنهم يوحى اليهم بأفضلية بعضهم على الأنبياء والملائكة^٥
ويمكننا اعتبار فرقة الجناحية أول من سُمي مخالفيهم " أهل الظاهر "

وسموا أنفسهم " بأهل العلم الباطن " ؛ رغم أن القول بالتأويل الباطني^٦
ظهر قبل " الجناحية " عند من سبقهم من غلاة الشيعة كما تقدم

(ر . ص ص ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢)

عقائد الجناحية :

* التناسخ والحلول .

* نفي الآخرة والثواب والعقاب ، وأن لا نهاية للعالم .

١. انظر ابو الحسن الأشعري . مقالات الاسلاميين ١ / ٦٧ ، والشهرستاني
١ / ١٥١ والفرق بين الفرق ص ٢١٥ ، والأغاني ج ٤ ١١ / ٧١
٢. انظر المقالات والفرق ص ص ٤٢ ، ٤٣
٣. انظر المقالات والفرق ص ٤١ ومقالات الاسلاميين ١ / ٦٧ والملل والنحل
١ / ١٥١ والفرق بين الفرق ص ٢٤٢
- * المائة ٩٣ - ٤. انظر المقالات والفرق ص ص ٤١ ، ٤٢ ومقالات الاسلاميين
١ / ٦٧ والملل والنحل ١ / ١٥٢ ، واعتقادات فرق المسلمين ص ٥٩
٥. انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٦ . ٦. انظر: عطاء ملك الجويني (١٨١)
تاريخ جهانكشاي (محمد السعيد جمال الدين) ص ١٥٢

* رفع التكليف عن من عرف الامام .

* المهديّة والرجعة .

* التأويل الباطني ، وتسمية مخالفيهم على ضوء ذلك بأهل الظاهر .

٥- فرقة غير معروفة باسم معنى عند أصحاب المقالات :

٥ يمكن تسمية هذه الفرقة " الكيسانية الخلس " أو " المختارية ، كما

سماها " الأشعري القي " و " النويختي " .^١

ان المعلومات المتوفرة حالياً عن هذه الفرقة تنحصر في أنها ساقست

الامامة بعد " أبي هاشم " في ذرية " محمد بن الحنفية " ، وما عدا ذلك

فلا ذكر لمقائد غالبية دانت بها هذه الفرقة رغم أنها نسبت الى بني محمد

١٠ ابن الحنفية ذاتهم - سوى ما قيل عن هودتهم الى القول بانتظار رجعة

" محمد بن الحنفية " بعد موت آخر أئمتهم قبل أن يعقب .^٢

والقول بانتظار رجعة ومهدية ابن الحنفية كما يظهر عقيدة جميع فرق

الكيسانية .

ان تسمية هذه الفرقة " بالمختارية " أو " الكيسانية الخالصة " قد

١٥ يسهل الأمر على من أراد التنقيب عن عقائدهم اذا أضاف اليهم بشكل ما عقائد

" الهاشمية " قبل موت (أبي هاشم) .

هناك اعتقاد حول هذه الفرقة - التي يمكن اعتبارها الجذع لو تصورنا

الفرقة الكيسانية بعامة على شكل شجرة ذات فروع - وهذا الاعتقاد

يرتبط مباشرة بظهور الفرقة الباطنية الشهيرة (القرامطة) ، فقد كتب

١ . انظر : المقالات والفرق ص ٣٩ و فرق الشيعة ص ٤٨

٢ . انظر : مقالات الاسلاميين ٩٤/١ و فرق الشيعة ص ٤٨ و المقالات والفرق

" الطبري " (- ٣١٠) في حوادث سنة ٢٧٨ مؤرخا لظهور القرامطة؛

انه وجد في كتاب أنهم جعلوا من شخص اسمه " أحمد بن محمد بن الحنفية "

شخصا لاهوتيا على النحو الكيساني ، وقد بنى " كازانوقا " على ذلك رأيه

القائل ان الحركة القرمطية انما تطورت عن " الكيسانية " الحنفية ،

ولكن " عبدالعزيز الدوري " اعتبر ما ذكره " الطبري " حجة ضعيفة لكازانوقا^١

وذلك بزم أن في عقائد " القرامطة " عقائد تتصل " بالكيسانية " والاسماعيلية

وحتى " بالخواج " .^٢

ان الواجب في هذا المجال الاستناد الى ما ذكره غير " الطبري " مثل

ابن قرة الصابي " (- ٣٦٥) ، والقاضي عبد الجبار (- ٤١٥) السدي

ذكر من أمر " القرامطة " ما ذكر " الطبري " من حيث الأصل الكيساني الحنفي

لهم ، والذي نسب فيه الى أبي سعيد الجنابي أنه رسول " محمد بن

عبد الله ابن محمد بن الحنفية " المختفي في بعض الجبال وأنه سيظهر

سنة ثلاثمائة ، وأن أبو سعيد ظهر بهذا القول في سني نيف وثمانين ومائتين^٣

وان كان هناك تقارب زمني بين قول الطبري وقول القاضي عبد الجبار

الا أن نسبة " القرامطة " الى " الكيسانية الحنفية " كان معزوا عند

الطبري الى " أحمد بن محمد بن الحنفية " ، الذي افتقده فيما وقعت

عليه يدي من المصادر ، وهذا يدعوى الى احتمال وقوع خطأ ما في الاسم أو أنه

اسم حركي مخترع ،

١. انظر: تاريخ الطبري ٢٦/١٠ وأنظر : ابن قرة الصابي (- ٣٦٥) تاريخ

اخبار القرامطة ، سهيل زكار ، بيروت ، دار الامانة ، ١٣٩١ ، ص ١٠-١٢

٢. انظر : عبدالعزيز الدوري . مقدمة الترجمة العربية لكتاب : أصول

الاسماعيلية لبرنارد لويس ، ص ١٩-٢١ .

* كل ما زاد عن العقد فهو نيف أنظر: مختار الصحاح مادة نى ف ، ص ٦٨٧

٣. انظر: تثبيت دلائل النبوة ٢/٣٧٩ ، ٣٨٠ .

٤. انظر في أسماء ولد محمد بن الحنفية : هروج الذهب ١٢٣/٣ وجمهرة

أنساب العرب ص ٦٦ .

أما نسبة " القرمطة " الى " الكيسانية الحنفية " من حيث عزوها
الى " محمد بن عبدالله بن محمد الحنفية وهو قول " القاضي عبدالجبار"
فان له احتمال يشبه ما قيل عن " أحمد بن محمد بن الحنفية " ^{آثناه}
لأن وجود شخص بهذا الاسم يعني وجود عقب لأبي هاشم الذي هو
" عبدالله بن محمد بن الحنفية " . وقد علمنا المشكلة التي تسببت في
موت أبي هاشم دون أن يعقب ؛ حتى قال بعض " الكيسانية " بأنه
أوصى الى أحد " بني العباس " (ر . ص ص ١٠٠ ، ١٠٦) وما يزيد من
قوة الاحتمالين ظهور " القرامطة " بعد ما يقرب من مائتي عام من موت
أبي هاشم .

١٠ في خاتمة الحديث عن " الكيسانية " يمكن القول : ان هذه الفرقة
ظلت حيناً من الدهر - من منتصف القرن الأول الى ما بعد العقـد
الثالث من القرن الثاني - متسمة ذروة الغلو الشيعي ؛ بل ومرادفة لمعناه
وأن الكيسانية تعتبر بحق حاملة للعقائد السبئية بعد هلاك " ابن سبأ "
وهذا يؤكد قول القائل ان " الكيسانية " تكونت من بقايا " السبئية "
وبنظرة شاملة على عقائد فرق الكيسانية يتضح لنا مدى صدق هذا القول
الذي من الممكن اعتباره النتيجة التي توصل اليها الباحث اليها فيما يختص
بنقل الكيسانية .

عقائد السبئية والفرق الحنفية الكيسانية على ضوء الفكر اليهودي :

ان في عقائد السبئية والكيسانية كثيراً من الجوانب التي لا يستبعد
اتماؤها الى الفكر اليهودي بشكل أو بآخر مثل :

٢٠ ١- القول بحلول الجزء الالهي في أجساد البشر . قال به السبئية
(ر . ص ٥٩ ، ٦٠) والكيسانية حين ادعى " حمزة بن عمارة " أن محمد بن
الحنفية هو الله (ر . ص ٨٧) ، وقالت " البيانية " بحلول روح الله في

الانبياء والائمة (ر.ص ٩١) ، وقالت الحريية بحلول روح الله في
الذي تم في علي ، حتى صارت في عبدالله بن عمرو بن الحرب (ر.ص ٩٥)
وهذا الحلول هو الذي تطور عند بقية فرقتهم الى القول بالتناسخ
كما سبق ، وكما هو حال الفرقة الجناحية (ر.ص ١٠٤) . وقد سبقت
الاشارة الى وجود ذلك من حيث مبدئه في الفكر اليهودي كما ورد في
سفر دانيال (ر.ص ٦٠) الذي نجد فيه ماله علاقة بالقول بالاكوار
والادوار والتناسخ ؛ وهو قول دانت به بعض الكيسانية كما ذكر آتفا .

٢- المهدي المنتقم ورجعته بعد الغيبة :

ان الرجعة في بحث السبئية والكيسانية مختلفة ؛ فعند السبئية
نجد أنها جعلت عليا في السماء وأنه سينزل بصفة المهدي المنتقم
من أعدائه وان لم يطلقوا عليه ذلك (ر.ص ٦٠ ، ٦١) والرجعة عند
الكيسانية " ليست من السماء بل انهم جعلوا ابن الحنفية مختبئا
في "جبال رضوى" (ر.ص ٧٦) علي نحو ما وسيمود مهديا لينتقم أيضا
وفي الفكر اليهودي نجد صيغة رجعة " علي بن أبي طالب " من السماء
على النحو السبئي ؛ (ر.ص ٢٨٦) .

وقد تقدم ذكر نماذج أخرى من العهد القديم تعبر عن العقيدة السبئية
في رجعة علي بن أبي طالب مثل ما ورد في " سفر يوشع " و" سفر اشعيا " و
" سفر أرميا " (ر.ص ٦١ ، ٦٢) .

وبالنسبة لمهدية ابن الحنفية ورجعته من بين الجبال التي يظن أنها
صدى لما ورد في العهد القديم كما ذكر ذلك فلهوزن (ر.ص ٢٨٧) . وقد
تجلت صلة القرابة بين الكيسانية والفكر اليهودي في هذه النقطة صراحة
في أشعار كثير عزة (ر.ص ٨٠) وما قالت به الفرقة " الحريية " التي اعتنقت

فكرة الأسباط الأربعة (ر٠ ص ٩٥ فما) وان للرجعة في الفكر اليهودي نصيب ، وهي مما أدى بهم الى القول بالتناسخ حيناً وورط ذلك بمجىء المسيح ثانياً (ر٠ ص ص ٢٩٢ ، ٢٩٣) .

٣- القول بالامامة والوصاية :

٥ ان القول بامامة علي بن أبي طالب وأنه وصي رسول الله (ص) عقيدة لعبد الله بن سبأ اليهودي وهو أول من قال بذلك وظهر به في "الاسلام" (ر٠ ص ٢٩ ، ٣٠) وقد سار على ذلك "الكيسانية" ، وظهر ذلك جلياً في أشعار "السيد الحميري" (ر٠ ص ص ٨١ ، ٨٢) ، وهي عقيدة جيمس "الشيعة" كما هو معلوم . وان يكن هذا الحكم لا ينسحب بالضرورة الى الزيدية .

١٠ وترتبط هذه العقيدة بالفكر اليهودي ، حيث نسب اليها ذلك منذ ظهور ابن سبأ بها (ر٠ ص ٦٣ ، ٦٤) كما ربطها الشعبي بهذا الفكر حين تحدث عن خصل الرافضة ، وفي العهد القديم ما يؤكد صحة ما ذهب اليه الشعبي اليه من قولهم بأن الملك لا يكون الا في ذرية داود (ر٠ ص ٢٣٦) .

٤- التأويل الباطني :

١٥ سنرى أن التأويل الباطني من أخص عقائد الباطنيين . وقد قالت به السبئية ، على أنه العلم الخفي (ر٠ ص ص ٣٦ ، ٣٧) كما قالت به الكيسانية (ر٠ ص ص ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٧) . أما عن علاقة ذلك بالفكر اليهودي فيستضح مفصلاً في بحث التأويل الباطني (ر٠ ص ص ١٩٠ فما)

٥- تجسيد الله وتشبيهه بالخلق :

٢٠ ان هذه العقيدة ظهرت بين الكيسانية بخاصة في الفرقة "البيانية"

حسين جسد " بيان " معبوده على نحو له طلاقة بالحلول (رص ۱۱) ،
وكان لهذه العقيدة أثرًا واضحًا في الفرق الباطنية التي تصور " الامامة "
على هيكل من نور يتلبس من نُصِّ عليه بالامامة (رص ۲۳۸) .

ان معظم اليهود يقولون بتشبيه الخالق بالخلق ، وقد نفى ابن^۱

ميمون اليهودي (- ۱۱۰۲) ذلك مستدلا بما جاء في سفر اشعيا^{*}

۴۰ / ۱۸ ، ۲۵ ، وما جاء في سفر ارميا ۶ / ۱۰ ؛ ولكن ما جاء في " سفر التكوين "^۲

يوضح لنا أنهم شبهوا الله بالخلق ، والقصة كما يأتي :-

فبقي يعقوب وحده وصار^ه انسان حتى طلوع الفجر

ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذ^ه وانخلع حلق

فخذ يعقوب في مصارحته معه وقال اطلقني لانه قد

طلع الفجر قال لا اطلقك ان لم تباركني فقال ما اسمك

فقال يعقوب فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل

اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل

يعقوب وقال اخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي

وباركه هناك .

فدعا يعقوب اسم المكان فنثيل قائلا لاني نظرت

الله وجهها لوجه ونجيت نفسي .^۳

۱. انظر: الرازي . اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ۸۲
۲. انظر ترجمته في : مقدمة دلالة الحائرين . حسين آتاي ، ص ۱۱۱
۳. انظر : دلالة الحائرين . تحقيق حسين آتاي ، انقره ، مطبعة
جامعة انقره ، ۱۹۷۴ ، ص ۱۳۶
۴. سفر التكوين ۲۴ / ۳۲ - ۳۰

٦- القول بجواز البداهة على الله :

ان عقيدة "البداهة" تعني أن يظهر لله صواب على خلاف ما أراد وحكم وهو البداهة في العلم ، أو أن يأمر بشئ ثم يأمر بعكسه بخلاف ذلك وهو البداهة في الأمر . وقد كتب "علي سامي النشار" نبذة عن ذلك .^١

٥ وقد نسبت هذه العقيدة الى المختار بن أبي عبيد الثقفي فـي أصلها (ر.ص ٧٥) والذي يظهر أن هذه العقيدة ما أختص به غلاة الشيعة عموما وأما أهل السنة فليس في عقيدتهم مثل ذلك .

وقد أورد المستشرق اليهودي "فريدلاندر" أن بعض اليهود يفضلون القول بالبداهة ، ولم يدفع الكاتب المذكور هذه الدعوى ولم يرفضها ،^٢

١٠ مما يدل على أن هناك شيئا ما من ذلك في الفكر اليهودي ؛ مع العلم أن "الشهرستاني" ذكر أنهم لا يجيزون هذا القول .^٣

ثالثا ، الغلاة ذوي النزعة الفاطمية :

١- الغلاة الحسينيون : وهم الذين غلوا في ذرية "الحسن بن

علي بن أبي طالب" وقد اشتهرت منهم فرقة واحدة ؛ هي :

١٥ المفيرية :

ان فرقة "المفيرية" دعت فيما دعت الى امامة "محمد بن عبدالله بن

الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب" الشهير بالنفس الزكية

(- ١٤٥) ؛ وأحسب أن "المفيرية" هم الوحيدون بين غلاة الشيعة

١. انظر : التفكير الفلسفي في الاسلام ط ٧ ص ٥٧ ، ٥٨
٢. انظر مقالة "فريدلاندر" في : JAOS VOL : XXIX م. 72
٣. انظر : الملل والنحل ٢/٢١١
* انظر : ترجمته في : الاعلام ٧/٩٠

في القول بامامة " النفس الزكية " ، ولكن " ابن حزم " ذكر أن طائفة من الفرقة الغالية " المنصورية " (ر . ص ١١٧ فما) قالت بامامة " النفس الزكية " أيضا .

سبقت الاشارة الى أن " المغيرة " تفرقت عن الفرقة الجناحية كما

يقول البغدادي (ر . ص ١٠٤) ، وهو أيضا قول " الأشعري القسبي " ،

الذي أضاف الى " المغيرة بن سعيد " - صاحب هذه الفرقة - القول

بامامة " أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين " ؛ الباقر (- ١١٤) ، وأن الباقر

أوصى الى " المغيرة " حتى خرج المهدي " النفس الزكية " ؛ وعلى ذلك

يمكن القول ان هذه الفرقة تقلبت في غلونها بين شعب الغلاة الثلاث ؛ فقد

كان " المغيرة " كيسانيا حينما كان " جناحيا " و " الجناحية " كيسانية في أصلها ،

كما كانت " حسنية " حين قالت بمهدية " النفس الزكية " . وقالت أيضا بامامة

" الباقر " ؛ وهي هنا " حسينية " الغلو .

وإذا عدنا الى النص المنقول عن " جعفر بن محمد " (ر . ص ٢٨ ، ٨٦)

فإننا نجد " المغيرة بن سعيد " أول السبعة الذين لعنهم لكذبهم

عليه ؛ وهذا يعني أن المغيرة هذا كان إحدى الشخصيات ذات الدور

الواضح في الغلو الشيعي . وقد قيل في " المغيرة " أنه كان من موالي

" خالد بن عبدالله القسري " ؛ الذي قتله وصلبه ، أو أحرقه فيمن أحرق

مع " بيان النهدي " (ر . ص ٨٨) في ستة نفر أو سبعة في سنة ١١٩ . أن

عدد القتلى هؤلاء قد يستدل منه على أن الفرق الغالية الشيعية لم تكن

١. انظر : الفصل ١٨٦/٤

* انظر : النويختي . فرق الشيعة ص ٧٣

٢. انظر المقالات والطرق ص ص ٤٣ ، ٧٧ وكذا النويختي ٧٥

٣. انظر : المقالات والفرق ص ٧٧ والملل والنحل ١/١٧٦

٤. انظر : تاريخ الطبري ١٢٩/٧

تتكون الا من أفراد قلائل ؛ ولكن في ذلك من هذا الوجه - على الأقل - شيئاً من عدم الدقة ؛ لأن " الفرقة المغيرية " ليست هي كل من أبـاد " القسري " ؛ بل ان " المغيرية " استمرت بعد " المغيرة " ؛ فاختلفوا عقدياً ؛ فمنهم من قال برجعة المغيرة ؛ ومنهم من قال بامامة ابنه " عبدالله بن المغيرة " ، ومنهم من استمر على مقالة المغيرة ، وهذا بالاضافة ٥ الى كونه دليل على عدم قلة عددهم ؛ فانه أيضاً دليل على غرابة أمر غلاة الشيعة .

عقائد المغيرية ؛

٣. ظهرت في هذه الفرقة من العقائد الغالية الشيء الكثير ، وهذه العقائد وان تميزت بوجود الجديد فيها ؛ الا أنها في معظمها لم تخرج كثيراً عن ما تقدم من عقائد " الكيسانية " ذات الأصل السني . وأشهر تلك العقائد ؛
- * ادعاء " المغيرة بن سعيد " النبوة .
 - * تجسيم الذات الالهية .
 - * ايمان " المغيرة " بقدرة النجوم وتأثيرها لذا فقد ادعى القدرة على ١٥ احياء الأموات بالسحر .
 - * التأويل الباطني ؛ وهذا مشهور عنهم من تفسيرهم " للأمانة " في قوله تعالى : (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض) بأنها ؛ منع علي من الامامة .

١. انظر : الفصل ١٨٤ / ٤

٢. انظر : المقالات والفرق ص ٤٤ والملل والنحل ١٧٧ / ١

٣. انظر : المقالات والفرق ص ص ٥٠ ، ٥٥ ، ٧٧ وفرق الشيعة ص ٥٦ ، ٧٥ ،

ومقالات الاسلاميين ٧٠ / ١ ، ٧١ والملل والنحل ١٧٧ / ١ ، ١٧٨ وتاريخ الطبري ١٢٨ / ٧ والكمال لابن الأثير ٢٠٩ / ٥ والفصل ١٨٤ / ٤

* وقوفهم من الرجعة والكراة موقفا حياديا ، وهذا غريب منهم باعتبارهم

فرقة شيعية غالبية ، ولكن المغيرة كان يقول بالتناسخ .

* قولهم بأن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع .

عقائد المغيرة على ضوء الفكر اليهودي :

٥ تجسيم الذات الالهية-الذي قال به المغيرة-نسب الى اليهود كما
تقدم الحديث (ر٥ ص ١١١) .

الايان بالقدرة السحرية على احياء الموتى ، التي كان المغيرة يدعيها

موجودة بجلاء في الفكر اليهودي ، وهو ما يعتقد " حاخامات اليهود " على نفس الطريقة .

١٠ جاء في التلمود (سنهدرين ص ٢ فما) أن أحد مؤسسي
ديانة التلمود كان بإمكانه أن يخلق [كذا] رجلا بمعد
ان يقتل آخر .

وكان يخلق [كذا] كل ليلة عجلاً عمره ثلاث سنوات
بمساعدة حاخام آخر وكانا ياكلان منه معا .

١٥ وكان أحد الحاخامات أيضا يحيل القرع والشمس
الى غزلان ومعيز (سنهدرين ص ٧٠) .

التاويل الباطني : ان التاويل الباطني مما سبقت نبذة عنه في هذا المجال

(ر٥ ص ١١٠) وسيأتي الحديث عنه تفصيلا في الباب الخاص بعقائد

الباطنيين (ر٥ ص ١٨٠ فم) .

٢٠ قول المغيرة بأن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع ، مما عساه

١. الكنز المعبود في قواعد التلمود ، ط ٢ ، بيروت ، ١٣٨٨ ، ص
ص ٥٦ ، ٥٧ .

"لويس" الى فرقة " العيسوية " اليهودية التي ظهرت أيام عبدالملك
ابن مروان (تولى الخلافة من ٦٥ - ٨٦) . وكانت " العيسوية " تقول
بصدق نبوة محمد (ص) وعيسى (عليه السلام) بالنسبة لوطنيهما
وشعبيهما اللذين ظهرا فيما به واعتبر " لويس " ذلك نواة لما تطور عند
الباطنيين - بعد ذلك - وسماه شمولية العقيدة .^١

وتحدث " الشهرستاني " عن الفرقة اليهودية " العيسوية " المنسوبة
الى " أبي عيسى اسحق بن يعقوب الاصفهاني " ؛ أو " عوفيد الوهيم اى عابد
الله " فذكر أنه :

كان في زمن المنصور [العبّاسي الذي تولى الخلافة
من ١٣٦ - ١٥٨] ، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني
أمية مروان بن محمد الحمار [تولى الخلافة من ١٢٧ -
١٣٢] ، فاتبعه بشر كثير من اليهود .^٢

زعم أبو عيسى أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر .
وزعم ان للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحدا
بعد واحد . وزعم ان الله تعالى كلمه وكلفه أن يخلص
بني اسرائيل من أيدي العاصين والملوك الظالمين . وزعم
ان المسيح [ربما يعني المنتظر] أفضل ولد آدم ، وأنه
أعلى منزلة من الأنبياء الماضين ، وأنه هو رسوله فهو
أفضل الكل .^٢

* انظر ذلك في: الاعلام ٣١٢/٤

** انظر: الاعلام ٢٥٩/٤

*** انظر: الاعلام ٩٦/٨ ، ٩٧ .

١ . انظر : أصول الاسماعيلية ص ١٩٤

٢ . الملل والنحل ٢١٥/٢ ، ٢١٦

وعلى ضوء ما ذكر " الشهرستاني " فإن عصر الفرقة العيسوية ليس

في أواخر القرن الأول كما ذكر " لويس " بل في أوائل القرن الثاني بين

الدولتين الأموية والعباسية ؛ وفي هذا مقال . ومن ناحية أخرى

فإن ما ذهب إليه " لويس " من اعتباره دعوى " العيسوية " في عيسى

ومحمد (ص) بداية للقول بشمولية العقيدة ؛ كل ذلك يكاد يكون

بعيدا . وإن ما يمكن للباحث قوله هو : أن شها ما قد يقع بين تفكير

" المغيرية " وما ذهب إليه " العيسوية " ، ويحتمل أن تكون دعوى

" شمولية العقيدة " مما شجع اليهود على انتشاره ليظلوا متميزين بين

غيرهم ؛ ولكن على نحو آخر له علاقة تشبه ما قيل عن : " بروتوكولات

حكما صهيون " وأمثاله وهو بحث يحتاج الى دقة أكثر كي يقال فيه

رأي .

وعلى العموم فإن " المغيرية " - سواء من حيث كونها كيسانية حنيفة

أم حسنية أم حسينية - لم تعتمد في عقائدها عن الأصل السبئي

أو المنهج السبئي للخلوكثيرا .

ب - الفلاة الحسينيون :

هم الشيعة الذين غلوا في الأئمة من ذرية " الحسين بن علي بن

أبي طالب " ؛ وهؤلاء يمكن اعتبارهم - منذ النظرة الأولى - البعد

التاريخي للفرق الباطنية على هذا الأساس . وأشهر فرقهم :

١ - المنصورية :

ظهرت هذه الفرقة كما سيأتي بعد وفاة " أبي جعفر محمد بن علي بن

الحسين " الباقر (- ١١٤) إذ زعم مؤسس هذا الفرقة ، " أبو منصور المجلي "

أنه الإمام بعد " الباقر " على سبيل التفويض والوصية ، وكان " أبو منصور "

١ . انظر : المقالات والفرق ص ٤٦ و فرق الشيعة ص ٥٤ و مقالات الاسلاميين

يلقب " بالكسف " اثر مخاصمة بيته وبين نظرائه في الغلو^١ " بالمغيرية "
ناول على نفسه الآية الكريمة " (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا
سحاب مرکم) ، كما لقب أيضا " بالخنق " لأسره أتباعه باغتيال مخالفينهم
خنقا وسره " الجهاد الخفي " ، وذكر " ابن حزم " سبب ذلك نقلا
عن " هشام بن الحكم الرافضي " في كتابه " الميزان " ، وهو أن " المنصورة "
و " المغيرة " ؛

لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذي ينتظرونه ، فهم
يقتلون الناس بالخنق والحجارة^٣ .

يمكن بعد ذلك القول أن ، المنصورة من قال بأن ظهور القائم
المنتظر هو اعلان لظهور دولتهم ، و اعلان للجهاد ضد مخالفينهم ؛ ولذلك^{١٠}
علاقة بما يوجد في عقائد بعض الغلاة أمثال " جابر الجعفي " (١٢٨)
الذي ذكر سفيان بن عيينه (١٩٨) تفسيرا غالبا للآية (فلن أبرح
الأرض حتى يأذن لي أبي) (١٠١) بأنهم ينتظرون مناديا ينادي من السماء
ان اخرجوا مع فلان ونسب ذلك التأويل الباطني الى جابر المذكور ، وقد
سبق الحديث عن " حمزة بن عماره البربري " الذي ينتظر سبعة أسباب^{١٥}
من السماء ليملك الأرض (ر . ص ٨٧) ، وكل ذلك علاقة بفكرة
القائم المنتظر المنتقم ؛ السبئية الأصل (ر . ص ٦١) وهذا مما له
علاقة وثيقة بما قالت به الباطنية من أن القائم السابع رمز على الدعامة

-
١. انظر : المقالات والفرق ص ٤٨
* السطور ٤٤
** انظر ترجمته في الاعلام ٩٣/٢
*** انظر ترجمته في الاعلام ١٥٩/٣
**** سورة يوسف ٨٠
 ٢. انظر : المقالات والفرق ص ٤٧ و فرق الشيعة ص ٥٤
 ٣. الفصل ١٨٥/٤
 ٤. انظر : صحیح مسلم بشرح النووي . القاهرة ، المطبعة المصرية ومكتبتها ،
د . ت . ٤ ص ص ١٠٢ و ١٠٣

السابعة من دعائم الاسلام وهي الجهاد^١ . ومن رأي
" المنصورية " هذا بذاته يمكن القول ان العمل في الخفاء ظهر على
يد هذه الفرقة اول ما ظهر عند الخلافة حتى صار رمزا للعقيدة
الباطنية .

ولكن لقب الخنق الذي اُتُرن "بأبي منصور" وفرقتة؛ اُتُرن كذلك
بمقتل " ابن ابي منصور " وخليفته من بعده " الحسين بن أبي منصور "
الذي قتله أحد الولاة وكان يلقب " بالخنق " أيضا ؛ فهل في ذلك
التباس أم مجرد مصادفة .

وبالعودة الى ائتماء هذه الفرقة الشيعية الغالية فان من

الصواب الاشارة الى أنها لم تكن حسينية تماما ؛ بل ان فرقة منهم قالت
بعد وفاة أبي منصور (- ١٢٥)^{*} بامامة " النفس الزكية " وأنه اسلم
صامت . وربما كان هذا اول قول بالامام الصامت .

ان " المنصورية " ظهرت بعقائد غالية كان بعضها معروفا
لدى من سبقها من الخلافة ؛ كما قالت بعقائد غالية أخرى لم تعرف
من قبل .

ففي الامامة مثلا ؛ قال أبو منصور :

٤ .
آل محمد هم السماء والشيعه هم الأرض .

١ . انظر : القاضي النعمان . دعائم الاسلام ج ١ ، ط ٣ ، تحقيق آصف
فيضي ، القاهرة ، دار المعارف ١٣٨٩ ، ص ٢

٢ . انظر : المقالات والفرق ص ٤٧ وفرق الشيعة ص ٥٤

* انظر في هذا التاريخ ؛ لويس ص ٩٥

٣ . انظر : المقالات والفرق ص ٤٨ والفصل ١٨٦/٤

٤ . المقالات والفرق ص ٤٨ وانظر أيضا ؛ مقالات الاسلاميين ١/ ٧٤

ان " ابا منصور العجلي " بعد ان ادعى الامامة بعد ابي جعفر
" الباقي " بالوصاية والتفويض ؛ بدأ يخلط - كمادة زعما الفرق
الغالية حينئذ - بين النبوة والرسالة والامامة ؛ فقال :

كان علي بن ابي طالب نبيا رسولا وكذلك الحسن
والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وأنا
بعدهم نبي ورسول ؛ والنبوة والرسالة في سنة
من ولدي يكون همدي آخرهم المهدي القائم .

يلاحظ على النص وهو " للأشعري القمي " ان عبارة (يكون همدي)

غريبة وقد لا تنسجم مع ما قبلها وما بعدها ، ولذلك لا بد من الاشارة ان العبارة

وردت عند " النويختي " هكذا (يكونون همدي انبياء) وهذا يرجح

احتمال خطأ في نسخ النسخة الوحيدة لكتاب " الأشعري القمي " .

ومن ناحية أخرى فان ما ذكره " الأشعري القمي " و " النويختي " مؤيد

بملاحظة منسوبة " لابن فقيه " [؟] ذكرها " دي جويه " ونقلها

عنه " فريد لاندر " ، وهذه الملاحظة تقول : ان ابا منصور :

كان يتولى سبعة انبياء من بني قريش [كذا] وسبعة من بني عجل .

ان ما نقل عن ابن فقيه ، قد يختلف عن نص النويختي والأشعري

القمي في نقطة هي ان قول ابي منصور بسبعة انبياء من قريش لا يتأتى

الا باضافة سيدنا محمد (ص) ومحمد بن الحنفية ، وهو احتمال قد لا يحتاج

١. المقالات والفرق ص ٤٧ وأنظر أيضا " النويختي " ص ٥٤
* الشخص غير معروف عندي وأنظر في الاطلام ٤/٥٥ ترجمة عن من ورد فيه
بهذه الكنية وهو : ابن فقيه (صه - ١٠٧١) ، واسمه : عبد الباقي
بن عبد الباقي بن عبد القادر .

٢. انظر مقالة فريد لاندر في : JAOS vol. xx p. 89

اليه ، لأننا بصدد دعوى جاء بها " أبو منصور " فحواسها أن هناك سبعة

أنبياء من بني عجل : أولهم " أبو منصور " وآخرهم " المهدي القائم " .

أضاف بعض أصحاب المقالات الى " أبي منصور " زهما آخره وهو :

ان الله بعث محمدا بالتنزيل وبعثه يعنى نفسه

بالتأويل ، وأن منزلته من رسول الله منزلة يوشع

بن نون من موسى بن عمران ، وأنه الذي يقيم الأمر بعده .

قد يتطرق الشك الى صحة هذا النص لمصادمته ما ورد آنفا من قول

أبي منصور بنبوة " علي بن أبي طالب " ومن بعده من ولده فلا يعقل أن يعتقد

في هذا العدد من الأنبياء ، ثم يعتبر نفسه الزميل الثاني لمن بينه وبينه ما يقرب

من قرنين من الزمان ، وعليه فاحتمال أن أبا منصور لم يعن نفسه بقدر ما عنى

علي بن أبي طالب قائم ، وأقول هذا عطفًا على ما في النص من دلائل ، وإضافة

الى وجود تلك العقيدة من قبل لدى الخلافة .

وقد يكون مغزى ما ذهب اليه " أبو منصور العجلي " مما يتعلق بالحلول

الذي يعتبر روح الله حالة في شخص ثم في شخص آخر بعد موت الأول (رص

٢٣٩) وبذلك يكون وصفه لنفسه بأنه مبعوث بالتأويل على هذا الأساس

الذي قد يكون له علاقة بما قالت به الباطنية من عدم انقطاع الامامة لأنها

تنتقل من شخص لآخر ولذلك لن نستغرب ما قال به أبو منصور من أن :

٢

• رسل الله لا تنقطع أبدًا .

• وذلك بمعنى التأويل وليس بمعنى التنزيل .

١. انظر : المقالات والفرق ص ٤٧ و فرق الشيعة ص ٥٤
٢. مقالات الاسلاميين ٧٥/١ وانظر : الفصل ١٨٥/٤ و التحفة الاثني عشرية ص ١١

ونقل أن "أبا منصور" زعم أنه عرج به إلى السماء ، وأنه قابل ربه ورسيت عليه وقال له " بالفارسية " أو " السريانية " : يا بني بلغ عني .^١

وقالت " المنصورية " بالتأويل الباطني ؛ وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في تفسيرهم لكلمة " الكسف " ، كما أولت هذه الفرقة الجنة ؛ بأنها

رجل أمروا بمولاته وهو امام الوقت والنار آخره؛ أمروا بمعاداته وهو خصم الامام . وكذا الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر وغير ذلك

أولوها إلى رجال حرم الله مولاتهم ؛ فاستحلوا المحارم وأسقطوا الفرائض واستدل أبو منصور في ذلك بقوله تعالى : (ليس على الذين آمنوا واصلوا

الصالحات جناح فيما طعموا) ، وذكر " الشهرستاني " مقصودهم من ذلك التأويل ؛ ما يمكن أن يلخصه الباحث بإرجاع القاري الكريم إلى ما ذكرته

الغلاة بأن من عرف الامام فليصنع ما يشاء (ر . ص ٨٧) .

وليس بعيدا أن تكون المنصورية موجودة بشكل أو بآخر حتى سنة

١٦٠ أو ما بعدها لأن " عمر الخناق " الذي قتل " الحسن بن أبي منصور "

كان في زمن " أبي جعفر المنصور " (- ١٥٨) وفي رواية أخرى أن قتل

الحسن المذكور كان على عهد الخليفة المهدي بن أبي جعفر (- ١٦٩) .^٣

عقائد المنصورية :

على ضوء ما سبق يمكن تلخيص عقائد أبي منصور وفرقته على النحو التالي :

* ادعائه الرسالة والنبوة والامامة .

١. انظر فرق الشيعة ص ٥٤ والمقالات والفرق ص ٤٦ والفرق بين الفرق ص ٢٣٤ والملل والنحل ١/١٧٩

* المائدة ٩٣

* انظر ترجمته في: الاعلام ٧/٩١

٢. انظر: الملل والنحل ١/١٧٩ وانظر ايضا: مقالات الاسلاميين ١/٧٥ والفصل ١٨٥/٤

٣. انظر: المقالات والفرق ص ٤٧ وفرق الشيعة ص ٥٤ والفرق بين الفرق ص ٢٣٥ والفصل ١/٨٩ والملل والنحل ١/١٧٩ .

* القول بسبحة أنبياء أو أئمة آخرهم المهدي القائم .

* القول بالامام الصامت والامام الناطق .

* القول بالاستيداع في الامامة .

* القول بعدم انقطاع الرسل والرسالات .

* القول بالتأويل الباطني .

* تجسيد الله وادعاءه ابي منصور انه قابل معبوده وأنه ربت على رأسه .

وناداه بالأبوة .

* اغتيال الخصم سراحتي يظهر القائم المنتظر .

الفكر اليهودي في عقائد " المنصورية "

١٠ حيث ان معظم عقائد " المنصورية " مما سبق الحديث عنه في فرق الغلاة الشيعة من حيث علاقتها بالفكر اليهودي ، فان لبعض العقائد التي ظهر بها علاقة ما بالفكر اليهودي من ذلك مثلا :

* قوله بالتسييع وقد سبق الحديث عن ذلك في فرق الراوندية والعباسية

(ر . ص ١٠٠) وسيأتي تفصيل له في عقائد الفرق الباطنية (ر . ص ١٩٩ فما)

١٥ * وقولهم باغتيال الأخصام سرا ليس من الأساليب الاسلامية في نشر الدهوة

فهولم يؤشر في عقيدتنا ، وما ذكر من ذلك حول مقاتل بعض أفراد من

اليهود في المدينة على عهد رسول الله (ص) انما حدثت بعد حرب

بين المسلمين واليهود ولجأ فيها اليهود الى الخيانة والمؤامرة للنيل من

الاسلام ولم يكف شرهم الا بعد قتل الطلائع التي كانت تتزعم تلك الطريقة .

٢٠ واسلوب الاغتيال للاخصام قد يوجد في أي بيئة تظهر فيها دعوى

جديدة ، الا ان اليهود كما هو معروف يتعاطون هذا الأسلوب حسب عقائدهم

الخفية وله طقوس تتعلق بعباداتهم ، كما تفصله حادثة مقتل

١
القس توما

* زعم أبي منصور أنه عرج به الى السماء في قصة تشبه ما نسب الى

الفرقة اليهودية " العيسوية " التي ادعى مؤسسها " أبو عيسى الاصفهاني "

نفس هذه الدعوى ، كما تقدم ذلك من قول الشهرستاني (رء ص ١١٦)^٢

وكما نقل " فريد لاندر " عن " المقرئزي " ، ونبه الأول الى وجود تشابه

أو علاقة ما بين الفرق اليهودية التي تكونت تحت السلطة العربية

- على حد قوله - ، وبين الفرق الاسلامية ؛ وخاصة الشيعية منها . ان عبارة^٣

فريد لاندر قد لا تحوي بأي معنى ؛ الا أن يكون قصد وجود تأثير من الفلاة

١٠ وخاصة الفرقة المنصورية في الفرق اليهودية التي ظهرت حيثئذ

وهذا عكس الصورة التي كانت معروفة وهي الوجود اليهودي في الفرق

الباطنية . وهذا لا يعني عدم صحة الاحتمال الجديد فالفرقة اليهودية

العيسوية كانت معاصرة تقريبا للمنصورية بل كانت المنصورية سابقة

لها ؛ لأنها ظهرت بعد وفاة " الباقر " (- ١١٤) بينما ظهرت " العيسوية "

أيام مروان بن محمد الشهير بالحمار الذي تولى زمام الحكم (سنة ١٢٢) أي بعد

١٥ وفاة أبي منصور العجلي (- ١٢٥) ، ولكن توافق المنصورية مع " العيسوية "

في هذه النقطة الخاصة بالعروج الى السماء وما الى ذلك ، وفي مسألة

أخرى هي قول أبي منصور بسبعة أنبياء من بني عجل آخرهم المهدي القائم

(رء ص ١٢٠) وقول أبي عيسى الاصفهاني بظهور خمسة من الرسل قبل

مسيحه المنتظر . واذا اعتبر أبو عيسى اليهودي الرسل الخمسة غيره ؛ فانه

٢٠ يكون بهم ستة والسابع هو المسيح ، أما اذا اعتبر نفسه أحد الخمسة

١. انظر ما كتب عن الحادثة بالتفصيل في كتاب الكنز المرصود ص ص ١١١ -

٢١٨ .

٢. انظر: دائرة المعارف اليهودية العامة *(Isfahani, Abu Isa)* p. 60 و J.E ٥

٣. انظر مقالته : JAOS, ٤٠ x x ١٠ p. 90

فيكون المسيح المنتظر هو السادس . وفي كلا الحالتين فالتقارب واضح جدا بين " المنصورية " و " العيسوية " وهذا يجعل الباحث في حاجة ماسة الى الانتظار كي يصدر حكما في هذه المسألة .

ب- الخطابية :

*

- فرقة ظهرت أيام أبي عبدالله جعفر بن محمد " الصادق " (١٤٨ -) وسميت بالخطابية نسبة الى زعيمها : أبي الخطاب بن أبي زينب ^١ وهو : محمد بن مقلص بن أبي زينب الأجدع البراد ^٢ ؛ عبد بني أسد ، كما نسبه جعفر بن محمد نفسه . وقد كني " أبو الخطاب " أيضا بأبي الظبيان وأبي اسماعيل ^٣ ، وللكنية الاخيرة أبعاد عدة تتعلق بنشأة الاسماعيلية فليلاحظ ذلك من الآن . وذكر الأشعري القبي أن " الخطابية " أو فرقة ملهم يسمون بالخمسة لقولهم بظهور الله عزوجل في خمسة أشباح هم : محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ^٤ .

سبقت الإشارة الى أن " جعفر بن محمد " لعن أبا الخطاب بين السبعة

الذين لعنهم (ر. ص ٢٨) .

- ولكن تاريخ أبي الخطاب " كان قبل لعن " جعفر " له كما يرى الباطنيون وغيرهم فقد :

كان أبو الخطاب في عصر جعفر بن محمد (ص) من أجل

دعائه ، فأصابه ما أصاب المغيرة [يعني صاحب فرقة المغيرة]

فكفر وادعى النبوة ، وزعم أن جعفر بن محمد اله .

* انظر: ترجمته في الاطلام ١٢١/٢

١. انظر: مقالات الاسلاميين ٧٦/١

٢. انظر: المقالات والفرق ص ٥٥

٣. انظر: رجال الكشي ص ١٨٧

٤. انظر: المقالات والفرق ص ٥٦

٥. القاضي النعمان بن حيون المغيرة (داعي الدعاة) (٣٦٣) . دعائه

الاسلام ، ج ١ ، ط ٣ ، تحقيق آصف فيضى ، القاهرة ، دار المعرف

١٣٨٩ ، ص ٤٩ ، وانظر ايضا : الملل والنحل ١٧٩/١

وإذا صدق هذا الوصف لحالته أبي الخطاب في فاته يكرر لنا شخصية

"عبدالله بن سبأ اليهودي" في حين كان يتقرب إلى أمير المؤمنين علي في
الوقت الذي كان ينشر الغلو كما ذكر ذلك عنه القاضي عبدالجبار (ر . ص
٣٢) والبغدادي (ر . ص ص ٣٣ ، ٣٤) ، والذي ذهب الباحث إليه

٥ بنصه يتضح في رواية " الكشي " عن أبي عبدالله جعفر بن محمد ، أن
أهل بيت صادق لا تخلوا من كذاب يكذب علينا ٠٠٠ (ر . ص ٢٨) ، وذكر
سلسلة من الكذابين بدءاً بمسيلمة فابن سبأ وانتهاءً " بأبي الخطاب " .

ان " مسيلمة " وأن كان أول الكذابين شهرة ، إلا أنه لم يكن على الصورة
المخادعة التي ظهر " ابن سبأ " بها فقد كان مقيماً باليمامة في فادى النبوة
وأرسل خطاباً بذلك إلى النبي (ص) بداه بقوله :

١٠ من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ٠٠٠

ان مسيلمة وان وفد إلى " المدينة المنورة " فانه لم يكن بهيئة صحبة
النبي (ص) ليكذب عليه ، بل انه قدم إليها ليفاوض رسول الله (ص) على أن يكون
الأمير له بعده .^٢

١٥ أما " عبدالله بن سبأ " فقد اندس بين المسلمين على أنه واحد منهم وليحيك
في الظلام أمراً مبيتاً ، وكذا فان " أبا الخطاب " وأمثاله ظهروا من خلال
دعوى مشايعة أهل البيت النبوي والدعوة إليهم في فغيروا في الاسلام وبدلسوا
وقدموا ديناً جديداً على أنه الاسلام كذبا وزورا ، فهل كان أبو الخطاب قسازا
ليد مجهولة أم أنه شخصية تنكرت بهذا الاسم ؟

١ . يراجع كتاب مسيلمة في أبي داود ، ك ١٥ ب ١٥٤ وانظره أيضا في

٢ . تاريخ الطبري ١٤٦/٢ .
انظر الأحاديث عن ذلك في صحيح البخاري ، في فتح الباري ج ٦ ، ك ٦١
ب ٢٥ ج ٣٦٢٠ ص ٦٢٦ و ج ٨ ك ٦٤ ب ٧٠ ح ٤٣٧٢ ص ٨٩ و
ص ٩١

وعلى ذلك فلا غرابة اذا قيل ان ابا الخطاب ادعى :-

ان جعفر جعله تيمه ووصيه من بعده وأنه علمه اسم
الله الأعظم . . . [كما ادعى أيضا] أنه جعفر بن محمد
وأنه يتصور في أي صورة شاء ، وذكر بعض (الخطابية
ان رجلا سأل) جعفر بن محمد عن مسألة وهو
بالمدينة فأجابها فيها ثم انصرف الى الكوفة سأل [كذا]
أبا الخطاب عنها فقال له : أولم تسألني عن هذه المسألة
في المدينة فأجبتك فيها ؟

وقد أجرى "علي سامي النشار" دراسة حول تناقض وجده بين ما ادعاه

- ١٠ "أبو الخطاب" من صحبة "جعفر" ثم تأليه له ، الأمر الذي شككته
فيما اجتمعت عليه المصادر السنية والشيعية على حد قوله فيما أسماه
بأساطير حول الرجل - أبي الخطاب - وقامت النشار دراسته الى القول
بان ابا الخطاب بريء من آراء الفرقة الخطابية .

ولكن الأمر يبدو على غير ذلك تماما اذا درس من زاوية أخرى ، أكثر

- ١٥ موضوعية ، وهذا يتطلب الوقوف على المصادر "النصيرية" التي رُفِضَ
الخرافات المسيطرة عليها فاننا نستطيع من خلال تبجيلها لأبي الخطاب أن نستشف
ما كان عليه هذا الرجل من الغلو الذي أجمعت عليه مصادر السنيين ،
والشيعة بالإضافة الى النصيريين ، ورغم ذلك فليست الفرقة "الخطابية"
بمنأى عن عقائد غالية نسبت الى أبي الخطاب ، وفوق ذلك فليس أبو
٢٠ الخطاب شخصا طارئا بخلوه بهل هو حلقة في سلسلة الغلاة ، والعقائد
التي جاء بها أو نسبت اليه ليست شيئا جديدا على هذه الطائفة .

* ما بين القوسين زيادة من المحقق .

١. المقالات والفرق ص ٥١

٢. انظر : نشأة الفكر الفلسفي ٢٣٤/٢ - ٢٤٣

وفي مرجع " نصيري " نجد حديثا مقترنا بالاهجاب بابي الخطاب
والحديث تأكيد لظهور ابي الخطاب بدعوى غالبية ، وهو كما يلي :-

اليوم الذي نصب فيه " جعفر " محمد الزينبي " واقامه

للناس علما وقال من كنت وليه فمحمد وليه " .

و قال " محمد بن سنان " سئلت عن اليوم الذي

أظهر فيه أبو الخطاب الدعوة بدار الرزق فقتل . فقال

د

ذلك يوم عظيم .

ان دعوة ابي الخطاب التي أظهرها في " دار الرزق " فقتل من أجلها

هي غلوه في ابي عبدالله جعفر بن محمد بادعاء الألوهية فيه وادعاءه

النبوة والرسالة لنفسه ، وقد ذكر الأشعري القبي القصة بالتفصيل ووضع

أن ظهوره بهذه الدعوى كان في " مسجد الكوفة " وأن " دار الرزق " كانت

المكان الذي قتل فيه أبو الخطاب وصلب على يد " موسى بن عيسى " عامل

٢

أبي جعفر المنصور على الكوفة .

الفرق الخطابية :

الغالب في فرق غلاة الشيعة أنها لا تفتت الا بعوت زعيمها ، أو الامام ١٥

الذي تنتسب اليه ، وقد شذت عن هذه القاعدة بعض الفرق ، من ذلك

ما كان من أمر " الخطابية " التي قيل أن تفرق أصحابها كان بعد لعن جعفر

٣

أبا الخطاب ولعنهم وتبرأ منه ومنهم ، وقيل في تفرقتهم أنهم أصبحوا أربع فرق

كما قيل أنهم غير ذلك . ولن نتحدث الا عن أربع فرق من الخطابية اكتفا بما أشير

٤

اليه .

١. مخطوطة ، مجموع حقيقة حق اليقين في معرفة سر أسرار مولانا أمير

العلومين . مكتبة جامعة كامبرج رقم : BROWNE. Ms.E2. ص ص ١١٨ .

١١٩ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

٣. انظر المقالات والفرق ص ص ٨١ - ٨٣ وانظر أيضا : الزينة (عبدالله سلوم

السامرائي) ص ص ٢٨٩ - ٣ - انظر : المقالات والفرق ص ص ٥١

٤. انظر : مقالات الاسلاميين ٧٦/١ والمقالات والفرق ص ص ٥١ والفرق بين الفرق

ط صبيح ، ص ٢٤٧ والفصل ١٨٦/٤

١- المغمرة : قالوا بامامة "معمر" بعد أبي الخطاب وهدوه كأي الخطاب

على نحو من حلول روح الله فيه بعد خروجها من جعفر الى أبي الخطاب
٢
"فمعمر" واسمه "معمر بن الأحمر" بياح الطعام .

٢- البزيعية : أو البزيفية ؛ وهم أصحاب بزيع أو بزيع بن يونس أو أبين

٣
موسى . وكان حائكا في الكوفة . وقال أتباعه فيه انه شريك أبي الخطاب

٤
في النبوة والرسالة أي زميله في ذلك ؛ مثل هارون وموسى . وهذا

يذكرنا بحبارة الزميل الثاني التي ظهرت في البيئة الاسلامية على

يد عبدالله بن سبأ باسم الوصي ، ومن المحتمل أن ذلك رأي كثير من

الفرق الباطنية في علي بن أبي طالب .

٣- العميرية ، أو العجلية ، اتباع عمير أو عمر بن بيان العجلي التبان

٥
بالكوفة ..

٤- الخطابية المطلقة : وهي الفرقة التي ثبتت على "أبي الخطاب"

٦
وأنكرت امامة من بعده ؛ وليس ببعيد أن تكون هذه الفرقة أساسا

للفرق الباطنية القائمة اليوم ؛ لأننا نجد "النصيرية" تقول بآراء

١٥
خطابية أو مؤيدة لأبي الخطاب . والنسبة للاسماعيلية فإن

تكونها من الخطابية أو فلولها ما أشار اليه الأشعري القمي والنوختي

وذكر الداعي أبوحاتم الرازي أن أبا الخطاب كان يقول بامامة اسماعيل

ابن جعفر . وفي ذلك نظر ، وقد أكد الداعي الباطني المذكور ما ذهب

٧
اليه الأشعري القمي والنوختي .

١. انظر : مقالات الاسلاميين ٧٨/١ والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٨

٢. انظر : المقالات والفرق ص ٥٣ والفصل ١٨٦/٤ والمطل والنحل ١٨٠/١ ،

والزينة (السامرائي) ص ٣٠٦

٣. انظر : المقالات والفرق ص ٥٢ ومقالات الاسلاميين ٧٨/١ والبغدادي

ط صبيح ص ٤٨ والفصل ١٨٦/٤ والمطل والنحل ١٨٠/٠ والتحفة الاثنى

عشرية ص ١٠ . انظر : المقالات والفرق ص ٥٢

٥. انظر : الفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٩ والفصل ١٨٦/٤ والتحفة

ص ١٢ والمطل والنحل ١٨٠/١ - ٦. انظر الفرق بين الفرق ط صبيح

ص ٢٥٠

٧. انظر الزينة (السامرائي) ص ٢٨٩ والمقالات والفرق ص ٨١ وفرق الشيعة

ص ٨٠

وردت في كتب المقالات أسماء لفرق خطابية أخرى مثل : الخبيسة
والفضلية وأصحاب السري الأقسام والميمية والمينية . ولمعظم هذه
الأسماء عقائد خطابية ظهرت بشكل أو بآخر في الفرق الباطنية.

قالت الفرق الخطابية :

١. ان الأئمة أنبياء محدثون ، ثم قالوا : انهم رسل الله وحججه على خلقه
وقالوا بالناطق والصامت ؛ فالناطق محمد (ص) والصامت علي ، واستدلوا
على ذلك بقوله تعالى : " ثم أرسلنا رسلنا تنزيهاً " .

٢. ان الأئمة يعلمون ما كان وما هو كائن وان طاعتهم مفترضة على
جميع الخلق ، ثم ادعوا الوهيتهم وخاصة جعفر بن محمد ، وهذا
دليل على قولهم بالحلول ؛ ويوضحه قولهم بظهور الله عز وجل في أصحاب
الكساء وهذا يخص فرقة الخمسة منهم (ر. ص ١٢٦) حينما قالت
فرقة منهم بذلك ردوا عليهم بقولهم :-

كيف يكون هذا ومحمد صلوات الله عليه لم يزل مقرا أنه
عبد الله وأن الله الهه واله الخلق أجمعين وهو اله واحد
وهو رب السماء والأرض والهما ، واله من فيهما لا اله
غيره ، قالوا : ان محمدا كان يم قال هذا عبدا رسولا
وكان الذي أرسله أبو طالب ، وكان النور الذي هو الله في
عبد المطلب ثم صار في أبي طالب ثم صار في محمد ثم صار
في علي فهم الهة كلهم .

١. انظر : مقالات الاسلاميين ٧٩/١ ، والفرق بين الفرق ط صبح ص ٢٤٩
والممل والنحل ١٨١/١ والمقالات والفرق ص ص ٥٢ ، ٥٦ وفرق الشيعة
ص ٥٨ والزينة (السامرائي) ص ٣٠٧
٢. انظر : مقالات الاسلاميين ٧٦/١ والفرق بين الفرق ط صبح ص ٢٤٧ ،
والممل والنحل ١٧٩/١ والتحفة الاثني عشرية ص ١٢ .
* المؤمنون ٤٤

وقالوا : ان بني الحسين أو الحسن والحسين أبناء الله وأحباؤه ثم
قالوا ذلك في أنفسهم ، ونسب الأشعري القبي ذلك الى فرقة منهم تولت

نبوة " السرى الأضمر " ، وهم :

١. زعوا أن جعفرًا هو الإسلام والأسلام هو السلم والسلام

هو الله ونحن بنو الإسلام ، كما قالت اليهود : نحن

أبناء الله وأحباؤه .

٢.

وقد قال رسول الله لسلمان ، سلمان بن الإسلام .

إذا وضع مفهوم العبارات التي احتواها النص السابق في إطار

أصح ، فإنها تذكرنا بكلمة اليهود عن أنفسهم أنهم (شعب الله المختار)

وبما ورد في القرآن الكريم ، قال تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن

أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق (.....))

وقال الخطابيون : ان الدنيا لا تفتنى ، وعليه فقد اعتبروا الجنة ما يصيب

الانسان من خير ونعمة وعافية ، والنار ما يصيبه من خلاف ذلك وقد عزا

الداعي الباطني " أبو حاتم الرازي " ذلك الى جميع أصناف الغلاة . وقد

٣. انظر المقالات والفرق ص ٥١ ومقالات الاسلاميين ٧٦/١

٤. انظر المقالات والفرق ص ٥١ ومقالات الاسلاميين ٧٧/١ والفرق

بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٧ والملل والنحل ١٧٩/١ ودعائم

الاسلام ٤٩/١ .

٥. المقالات والفرق ص ص ٥٣ ، ٥٤ وانظر فرق الشيعة ص ص ٦٠٥٥٩

* المائة ١٨

١. انظر : مقالات الاسلاميين ٧٧/١ والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٧

والملة والنحل ١٧٩/١ والتحفة الاثني عشرية ص ١٢ والفصل ١٨٧/٤

٢. المقالات والفرق ص ٥٢ وانظر ايضاً فرق الشيعة ص ٥٨

** المائة ١٨

٣. انظر : مقالات الاسلاميين ٧٨/١ والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٨

والملة والنحل ١٨٠/١

٤. انظر : الزينة (السامرائي) ص ص ٣٠٨ ، ٣٠٩

وجد مثل ذلك عند الباطنية واليهود (ر. ص ٣٠٠ فما) .

وقالوا بعدم موثهم واستبدلوا به البلوغ وهو العلو والارتفاع في العبا ،
فان أحدهم اذا بلغ النهاية في دينه رفع الى الملكوت، وأتبعوا معاينة
مرفوعهم بكرة وعشياً . وكذبت فرقة ملهم هذا القول وهي الفرقة
" العميرية " وقالت بالموت ،^٢

وفي التأويل الباطني سارت الخطابية على ما سار عليه نظراؤهم
من الغلاة ؛ فقادهم ذلك الى استحلال الزنا والخمر وسائر المحرمات
وزم " معمر بن الأحمر " أن كل شيء فرضه الله في القرآن وحرمه وأحله ؛
فانما هو رجال وتأولوا على ما استحلوا لانفسهم قوله تعالى : (يريد الله أن
يخفف عنكم)^٣ وذكر داعي الدعاة الباطنيين القاضي النعمان (- ٣٣٦) ؛
أن الخطابين كانوا ؛

كلما ثقل عليهم أداء فريضة ، أتوه وقالوا : يا أبا
الخطاب خفف علينا ، فيأمرهم بتركها ، حتى تركوا
جميع الفرائض .^٤

وفي مثل ذلك قال كل من النويختي والاشعري القمي ؛ أنهم ؛
قالوا خفف عنا يا بني الخطاب ووضح عنا الأغلال
والاصار يعنون الصلاة والزكاة والصيام والحج .
ونجد مثل ذلك عند الفرق الباطنية (ر. ص ١٧٠ ، ١٧١) .

-
١. انظر مقالات الاسلاميين ١/ ٧٨ ، ٧٩ والفرق بين الفرق ط صبيح
ص ٢٤٨ والفصل ١٨٧/٤ .
 ٢. انظر : الفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٩ .
 - * النساء ٢٨
 ٣. انظر : المقالات والفرق ص ص ٥١ - ٥٣ ومقالات الاسلاميين ١/ ٧٨ ،
والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٨ وفرق الشيعة ص ٥٧ .
 ٤. دعائم الاسلام ١/ ٤٩
 ٥. فرق الشيعة ص ٥٨ وانظر أيضا : المقالات والفرق ص ٥٢

وفي التفسير الباطني لقوله تعالى : (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون
في البحر فأردت أن أعيبها) ؛ فان الخطابين يقولون :

ان السفينة أبو الخطاب وان المساكين أصحابه
وان الملك الذي وراءهم عيسى بن موسى ، وهو الذي
قتل أبا الخطاب ، وان أبا عبد الله أراد أن يصيبنا
يلعنه ايانا في الظاهر ، وفي الباطن عنا [ربما كان
الصواب على] أضدادنا ومن خالفنا .

وذكر " الأشعري القمي " أن " جعفر بن محمد " لما سمع تلك المقالة
أكسده لعه لأبي الخطاب نفسه فسماه ونسبه (ر. ص ١٢٥) .

ذكر " ابن حزم " ان الخطابية كثروا في الكوفة حتى تجاوز عددهم
الألوف ، ولعل ذلك سبب بعض المشاكل من حيث احتكاكهم بسواهم
في المجتمع الكوفي ؛ ما حدا بزعيمهم أبي الخطاب الى أن يحلل لهم
شهادة الزور ضد خصومهم ، وقبل مناقشة هذه الظاهرة التي عرفت عن
الخطابية لابد من ايراد النصوص التي تتحدث عن ذلك . قال أصحاب المقالات
ان الخطابية ،

أباحوا الشهادات بعضهم لبعض ، وقالوا من سأله
أخوه في دينه أن يشهد له على مخالفه فليصدق وليشهد
له بكل ما سأله وان ذلك فرض واجب عليه ، فان لم يفعل
فقد ترك أعظم فريضة من فرائض الله بعد المعرفة .
وهم يتدينون بشهادة الزور لموافقهم .

-
١. المقالات والفرق ص ص ٥٤ ، ٥٥
 ٢. انظر : الفصل ١٨٢/٤
 ٣. المقالات والفرق ص ٥١ وأنظر ذلك في : فرق الشيعة ص ٥٧
 ٤. مقالات الاسلاميين ٧٨/١ وانظر : التحفة الاثني عشرية ص ١٢

بين عقائد الغلاة ، فان الباحث ينظر بعين الاعتبار الى عقائد تميزت بها
الفرقة الخطابية ، في الوقت الذي وجدت فيه تلك العقائد في الفكر
اليهودي ، من ذلك ،

١- قول الخطابية أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وقد اشير حين الحديث عن ذلك
الى ما قيل من تشبههم في ذلك بما قالته اليهود بأنهم شعب الله المختار
(ر. ص ١٣١) ونجد في التلمود :

ان نفوس اليهود مُنعم عليها بأن تكون جزءا من الله
فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر
أبيه [schefer, tal. f. 4; Schene Luch. heb. f. 262, 352
ungrand nombre de rabbins].

وهذا السبب يجعل نفس اليهودي أكثر قبولا وأعظم
شأنا عند الله من نفوس سائر شعوب الأرض ، لأن هؤلاء
تشتق نفوسهم من الشيطان .

[schefer, t. f. 4, 2; Menachem, p. 23, —
f. 221, 4.] .^١

٢- افكار الخطابية للثواب والعقاب في الدار الآخرة :

ان قول الخطابية هذا الذي ينسبه البعض الى جميع الغلاة جعلهم
يعتبرون الجنة والنار هي ما يصيب الانسان في هذه الدنيا من خير أو شر
(ر. ص ١٣١)

ان مثل هذا القول نسب الى اليهود صراحة (ر. ص ١٣٦) على
اعتبار أن التوراة في أصلها خالية من ذكر القيامة .

ولكن الملاحظ أن التلمود أشار الى النعيم والجحيم في أسلوب قد يشير
الى أنهما يقعان في دار غير الدنيا .

١. بولس حنا مسعد . همجية التعاليم الصهيونية ، بيروت ، دار الكتاب العربي
١٩٦٩ ، ص ١٢٧
٢. انظر : همجية التعاليم الصهيونية ص ١٣٠ ، ١٣١ والكنز المرصود
ص ٦٢ ، ٦٣ .

ومن ذلك يمكن القول باختلاف الأقوال في ايمان اليهود بالثواب
والعقاب في الآخرة ؛ اننا اذا رجعنا الى القرآن نجد أن الله خاطب
موسى بما خاطب به سواه من النبيين . ومن ذلك قوله تعالى : (ان الساعة
آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدك عنها من لا يؤمن
بها واتبع هواه فتردى) . وقوله تعالى مخاطبا لليهود : (أنتم منون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفتى ذلك منكم الا خزي فسي
الحياة الدنيا ويمم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما
تعملون) . وهذا يعني أن الدين اليهودي في أصله كان يوجب الايمان
باليم الآخرة ؛ الا أنهم على ما يظهر حذفوا ذلك من عقيدتهم تحريفا لها
فبدت التوراة خالية من ذلك كما سلف القول واعتبروا الثواب والعقاب دنيويين
كما هو حال الخطابية ،

ولم تدر فكرة البعث في خلد اليهود ، الا بعد

أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في الأرض .

... والدارس للكتب الاسرائيلية يجدها تسيروممع

الفكر الذي أوضحناه آنفا ، فهي لم يرد فيها شيء

عن البعث واليم الآخرة ، وانما ورد بها حديث عن

الأرض السفلى والجب التي يهوي اليها العصاة ولا يعودون

" وأن الذي ينزل الى الهاوية لا يصعد " ويقول ARTHUR

HERIZDERS ان الكتاب المقدس نفسه يمسد

الحياة الدنيا وحدها هي عالم الانسان ، وليس هناك

اعتقاد بعد ذلك في بعث أو جنة أو نار [Judaism, p. 205]

١. انظر ، أحمد شلبي . اليهودية ، ط ٤ ، القاهرة ، مكتبة النهضة
المصرية ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٨ و ١٤٩
* سورة طه ١٥ - ١٦ ** البقرة ٨٥

٥٠٠ ، وعلى العموم فان فكرة البحث لم تجد لها
أرضاً خصبة في عالم اليهود ، وقد حاول بعض
الفرسيين القول بها ، ولكن هذه المحاولة لقيت
معارضة شديدة ، أما باقي الفرق اليهودية فلم
تعرف عنها شيئاً .^١

ولن يزيد الباحث على ما سبق الا اشارة الى أن بعض الفرق الباطنية
حين تتحدث عن القائم المنتظر تشير الى ما يؤول اليه أصدادهم حينئذ
وقولهم في ذلك بالسلسلة والعذاب الأكبر (ر. ص ٣٠١) .

٣- اباحة الخطابية شهادة الزور على مخالفيهم :

١٠ سبق الحديث عن هذه الظاهرة التي انفرد بها الخطابية عن جميع
من تعرض لهم البحث من الغلاة (ر. ص ١٣٣ فم) ، ولا يستبعد أن تكون
من تأثير الفكر اليهودي على " الخطابية " ، وإذا أردنا التأكيد من ذلك
فعلينا بعد مراجعة النصوص التي وصفت " الخطابية " بهذه الرخصة مقارنتها
بآراء اليهود حول هذه النقطة ؛ فالتلمود شرع ما يأتي :-

١٥ على اليهودي أن يؤدي عشرين يمينا كاذبة ولا يعرض

أحد اخوانه اليهود لضرر ما .^٢

في ختم هذا التلخيص للخطابية وعقائدها يمكن القول ان البحث تعرض
لكثير من " فرق غلاة الشيعة " التي وجدت عندها عقائد باطنية غالبية ،
تلك التي مهدت لظهور الفرق التي سميت بعد ذلك بالفرق الباطنية ؛ والتي
من أشهرها الفرق الاسماعيلية التي صارت كلمة الباطنية علما عليهما . والسؤال
٢٠ المطروح الآن قبل الحديث عن الباطنيين هو : هل الفرق الباطنية امتداد

١. شلبي . اليهودية ص ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
٢. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٩٥ .

لفرق الغلاة أم أنها ظاهرة أخرى منفصلة قائمة بذاتها ؟ ان الجواب
عن هذا السؤال قد يستوجب منا اللعام بالفرق المباطنية وثكونها ومقائدها
مع عدم افعال ما سبق من لفتات نحو توافق بين بعض عقائد الغلاة ومثيها عند
الفرق الباطنية ؛ الا أن الفصل التالي قد يوضح لنا ان كان هذا التوافق
من الندره بحيث يمكن وصفه بأنه صدفة أم أنه غير ذلك وهو ما يعطي الاجابة
التفصيلية للسؤال



(الفصل الرابع)

ظهور الفرق الباطنية من الغلاة

تمهيد

اتضح مما سبق أن هناك ظاهرة شتلفت الانتباه في فرق الغلاة وهي

- ٥ أن هناك انقساماً ما يحدث عادة بعد موت زعيم الفرقة أو الامام المسمى
تنتسب إليه بعض الفرق الغالية فيحدث بموجب عدد من الفرق ، وقد
أشير إلى ذلك من قبل (ر٠ ص ٩٩) . وقد تجلت هذه
الظاهرة في انقسام الكيسانية بعد وفاة محمد بن الحنفية (- ٨٦) وبعد
وفاة ابنه أبي هاشم عبدالله بن محمد (- ٩٩) على سبيل المثال
(ر٠ ص ص ٧٦ ، ٩٠) .

وقد كانت في أيام جعفر بن محمد " الصادق " (- ١٤٨) فرق غالية
مختلفة ، لمن جعفر زمامهم (ر٠ ص ٢٨) ومنهم " أبو الخطاب
الزبيني " صاحب الفرقة الخطابية التي تفرقت بدورها إلى عدة فرق
(ر٠ ص ٢٨ فقط) .

- ١٥ وكان الغلاة في العادة يلتصقون أحد أهل البيت ليكون اماماً لهم
ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن يكون هذا الامام موافقاً لآراء تلك
الفرق التي تنتسب إليه ، كما لا يعني هذا عدم وجود فرق شيعية
غير ذات غلو تنتسب إلى أحد أئمة أهل البيت ، ومن المحتمل أن
يكون الامام في هذه الحالة محتضناً لتلك الفرقة . ان هذه الحالة قد
٢٥ تنسجم تماماً على جعفر بن محمد الذي لمن أبا الخطاب ، في نفس
الوقت الذي كان الأخير يدعي امامية جعفر حيناً من الزمان .

كما لا يستبعد أن تكون لجعفر فرقة تدعوا إلى امامته وربما كانت هذه

الفرقة أقل غلوا من الخطابية ، فالصادر الباطنية خاصة تُدهي وجود
فرقة كهذه كما سيأتي .

وكان لجعفر بن محمد ستة أبناء ، اسماعيل وموسى ومحمد وأحسب
وعبدالله . وهكذا نستطيع أن نخيل كم فرقة ستحدث بعد وفاة جعفر .

٥ ان الذي يهنا هو الفرق الباطنية ، وهذا الاهتمام يجعلنا نشير
بدقة اللى الاسماعيليه وهي التي اشتهرت اكثر من غيرها بالقول بمقائيد
باطنية . ولكن هذا لا يمنعنا من الاحاطة بالفرق التي ظهرت في هذه
الفترة من الزاوية التي نحن بصددنا ، مثل :

١- الناووسية ، وهي الفرقة التي ساقته الامامة الى ابي جعفر

١٠ محمد بن علي بن الحسين ، الذي نص عندهم على جعفر بن محمد ، وهذا
يدلنا على قدم هذه الفرقة .

قالت الناووسية بحياة جعفر بن محمد بعد موته على الطريقة السبئية

وأستدلوا بحديثين عن جعفر يقول فيهما انه صاحبهم صاحب السيف المنتظره

وفي قول للشهرستاني ان هذه الفرقة زعت ان عليا باق وستنشق الأرض عنه

١٥ يوم القيامة فيملأ الأرض عدلا .

وسميت " الناووسية " بذلك نسبة الى رجل من أهل البصرة يقال

له : فلان بن الناوروس أو عجلان بن ناووس أو ناووس أو ناوس المصري أو قريه

يقال لها ناووسا . كما سميت " بالناوسية "

١ انظر : جمهرة أنساب العرب ط ٤ ص ٥٩

٢ انظر : مقالات الاسلاميين ١٠٠/١

٣ انظر : المقالات والفرق ص ٧٩ والملل والنحل ١٦٦/١ ، وفرق الشيعة

ص ٧٨ ، ومقالات الاسلاميين ١٠٠/١ .

٤ انظر : الملل والنحل ١٦٧/١

٥ انظر : المقالات والفرق ص ٨٠ وفرق الشيعة ص ٧٨ ومقالات الاسلاميين

١٠٠/١ والفصل ٨٠/٤ والملل والنحل ١٦٦/١ .

ويبدو أن هذه الفرقة هي التي تقول عنها مراجع الباطنيين انها رجعت
بالامامة القهقرى؛ أي قالوا بالامامة جعفر بعد وفاته - وطى أي حال فان هذه
الفرقة لم تستمر طويلا اذ انقرضت كما يقول للداعي ابو حاتم السمراني
١
(- ٢٢١) .

٥ ٢- الشمطية : تسمى : الشميطية أو السمطية أو السميطية .^٥ أو
الشمطية ؛ نسبة الى يحيى بن أبي السميطة ، أو ابن أبي شميطة أو ابن
أبي سميطة أو ابن أبي شمط ،^٢

ساق هؤلاء " الامامة " بعد " جعفر بن محمد " في ولده " محمد " .
وولده من بعده ؛ واحتجوا في ذلك لعديث عن جعفر ، وقال الشهرستاني
عنه ان جعفر قال لهم : صاحبهم اسمه اسم نبيكم وذكر الداعي الباطني
ابو حاتم أنهم بالاضافة الى قولهم بالامامة في محمد بن جعفر قالوا بهسا
في اخيه اسحق بن جعفر ،^٣

١٥ ٣- الفطحية ؛ سميت كذلك نسبة الى " عبدالله الفطح بن جعفر بن
محمد " الذي قيل انه كان فطح الرجلين أو الرأس أو برئيس لهم كان
يسمى عبدالله فطح أو ابن فطيح ؛ كما قيل ان اسم رئيسهم صار ، وقبيل
في اسمهم أنهم الفطحية .^٤

قالت الفطحية بامامة " عبدالله بن جعفر " أكبر ولد جعفر ؛ وهو
شقيق اسماعيل بن جعفر وقد اختلف في أيهما الأكبر الا أن المشهور أن
جعفر كان يكنى بأبي عبدالله (ر . ص ص ٢٧ و ٢٨) .

١. انظر : الزينة (السامرائي) ص ٢٨٦

٢. انظر : المقالات والفرق ص ٨٧ و فرق الشيعة ص ٨٧ ومقالات الاسلاميين
١٠١/١ والملل والنحل ١٦٧/١ والزينة (السامرائي) ص ٢٨٦ واعتقادات
فرق المسلمين ص ٥٤

٣. انظر : المقالات والفرق ص ٨٦ و فرق الشيعة ص ٨٧ والملل والنحل ١٦٧/١
والزينة (السامرائي) ص ٢٨٦

٤. انظر : المقالات والفرق ص ٨٧ و فرق الشيعة ص ٨٨ ومقالات الاسلاميين
١٠٢/١ والملل والنحل ١٦٧/١ والفرق بين الفرق ص ٥٢

٥. انظر : مقالات الاسلاميين ١٠٢/١ والملل والنحل ١٦٧/١

وقيل في سبب قولهم بامامة عبدالله أنهم رَووا في ذلك أحاديث عن جعفر بن محمد وأبيه بأن الامامة في أكبر أبناء الامام ، وقيل أنهم رَووا حديثاً عن جعفر أنه قال : الامامة فيمن جلس مجلسي ، وحديثاً عنه أنه قال : الامام لا يفصله الا الامام وأنه هو الذي تولى غسله والصلاة عليه .^١

وقد انقرضت هذه الفرقة أيضاً؛ حيث لم يعش عبدالله بن جعفر بعد أبيه سبعين يوماً ولم يخلف ولداً ذكراً ، وقيل ان عجز " عبدالله بن جعفر " في الاجابة عن بعض المسائل كان سبباً في الشك بامامته من قبل كثير من مشايخ الشيعة وفقهائها الذين قالوا ذلك .

٤- الموسوية : هي الفرقة التي قالت بامامة " موسى بن جعفر "،

وقد قال بعض اصحاب المقالات أن الذين شكوا في امامة " عبدالله بن جعفر " انضموا الى " الموسوية " .

منذ ظهور هذه الفرقة بعد وفاة جعفر بن محمد سنة ١٤٨ وحتى

سنة ٢٦٠ وهي السنة التي يدعي الاماميون الاثنى عشريون اختفاً امامهم

فيها ؛ ظهرت فرق موسوية كثيرة ، لا يهمننا منها في هذا البحث سوى

الفرقة " النصيرية " التي ظهرت على يد (السيد أبي شعيب محمد بن نصير النميري) الذي ادعى وخلفاؤه وراثه الأئمة الاثنى عشر^٣ .

النصيرية ؛ تعتبر إحدى الفرق الباطنية ، ولها أتباع الى يومنا هذا

١. انظر : المقالات والفرق ص ٨٧ و فرق الشيعة ص ٨٨ و الزينة (السامرائي) ص ٢٨٧ .

٢. انظر : الزينة (السامرائي) ص ٢٨٧ و المقالات والفرق ص ٨٧ و فرق الشيعة ص ٨٨ ، ٨٩ و مقالات الاسلاميين ١٠٢/١ و الفرق بين الفرق ص ٥٢ و الملل والنحل ١٢٧/١ .

٣. انظر : مصطفى غالب . مقدمة الهفت الشريف ، بيروت ، دار الأندلس ١٩٦٤ ، ص ١٥ .

في أماكن مختلفة من سوريا (التي صار لهم فيها إلهم حكم ومكانة)
وقد هاجر بعضهم إلى أميركا الجنوبية وأفريقيا ، كما توجد قطاعات
منهم في أنطاكية واسكندرونه وأضنة مما يعرف اليوم بتركيا .^١

ان عقائد " النصيرية " في مجملها باطنية فهم يقولون بالتأويل الباطني
والحلول والتناسخ ؛ كما سيتضح ذلك حين يأتي الحديث عن عقائد
الباطنيين . الا أن أهم عقائدهم هي ؛ القول بالوهية علي بن
أبي طالب على النحو السبئي . ويقول مصطفى غالب ان دعوى الوهية
علي بن أبي طالب هي عقيدة فرقة رئيسية منهم تسمى الشمالية ، وهناك
فرقة أخرى تسمى الكلازية تدين بعبادة الشمس والقمر ؛ ويقول سليمان
الأذني *
١٠

ان الكلازية يعتقدون بأن السواد الذي في القمر هو
المعبود علي وله يدان ورجلان ويدن وعلسى
البدن رأس وعلى الرأس تاج ويده سيف هـ
ذوالفقار .^٣

٥- الاسماعيليه ؛ هم الذين ساقوا الامامة في اسماعيل بن جعفر أوفي ابنه
محمد بن اسماعيل بن جعفر ؛ والاسماعيلية فرق عديدة يجمعها هذا
الاسم ، ويمكن لتسهيل التعرف على هذه الفرقة تقسيمها الى قسمين حسب ظروف

-
١. انظر ؛ مصطفى غالب . مقدمة الهفت الشريف ، ص ص ١٤ ١٧٤
 ٢. انظر ؛ مصطفى غالب . مقدمة الهفت الشريف ، ص ١٩
 - * كان سليمان الأذني أحد نصيرية انطاكية ولد سنة ١٢٥٠ ثم تخصص
وفضح مذهبه السابق في رسالة أسماها الباكورة السليمانية .
 ٣. الباكورة السليمانية . ط بيروت القديمة ، صورة عن نسخة في مكتبة
كلية اللاهيات جامعة انقره .

نشأتها واستمرارها .

١- الاسماعيلية الأولى ،

وأسماء فرقتهم ؛

- ١- الاسماعيلية الخالصة ؛ وهم الذين قالوا بإمامة اسماعيل بن جعفر بن محمد (- ١٣٣) وستأتي ترجمته مفصلا (ر . ص ص ٢٦٠-٢٦٨)^٥ ذكر الداعي أبوحاتم الرازي أن "أبا الخطاب الزبيني" صاحب الفرقية الغالية "الخطابية" كان يقول بإمامة اسماعيل^١ وإذا علمنا أن كلا من اسماعيل بن جعفر وأبي الخطاب ماتا قبل جعفر بن محمد (- ١٤٨) لشعرنا بخطورة هذا القول الذي جاوبه أبوحاتم الرازي وربما قال به غيره من أصحاب المقالات كما سيأتي ؛ لأنه لم يحدث في تقاليد الفرق الشيعية الغالية^{١٥} عموما ولا الباطنية أن دعوا لشخص غير الامام القائم عليهم بالنص على حـد قولهم .

- وقد ادعى هؤلاء أن وفاة اسماعيل قبل أبيه كان على سبيل التلييس من أبيه جعفر "الصادق" على الناس ، كما ادعوا أنه القائم المنتظره واستدلوا على دعاوهم أن أباه جعفر أشار اليه بالإمامة بعده وأنه صاحبهم^{١٥} والامام لا يقول إلا الحق ، ولما أعلن جعفر موت ابنه اسماعيل هذا أيقنوا بصدق ذلك فيه .^٢

- وزعم كل من "الأشعري القمي" و "النوختي" أن الاسماعيلية الخالصة هم "الخطابية"^٣ وفي هذا تأييد لما قال به الداعي أبوحاتم في أبي الخطاب وهذا يذكرنا بأحدى كنى "أبي الخطاب" الذي كان يكنى أيضا "أبا اسماعيل".^{٢٠}

١ . انظر الزينة (السامرائي) ص ٢٨٩ .
٢ . انظر : المقالات والفرق ص ٨٠ و فرق الشيعة ص ٧٩ والزينة (السامرائي) ص ٢٨٧ والملل والنحل ١ / ١٦٧ .
٣ . انظر : المقالات والفرق ص ٨٠ و فرق الشيعة ص ٨٠ .

ويقول الداعي "أبو حاتم" أن الاسماعيلية الخالصة قالت بعد ذلك
بإمامة محمد بن اسماعيل وأنكروا امامة جميع أولاد جعفر^١ وهو اقرار
بموت اسماعيل ، الا أن هذا القول منسوب عند بعض أصحاب المقالات
إلى فرقة من الاسماعيلية ، وقد قالوا بذلك على زعم ،

أن النص لا يرجع القهقري ، فالإمام بعد اسماعيل : محمد بن اسماعيل^٢
وهذا تفسير لقول آخر عنهم بأن الامامة لا تكون الا في الأقطاب
بعد الحسن والحسين . وهذا انكار لرأي الكيسانية في امامة محمد بن
الحنفية .

٢- المباركية : نسبت هذه الفرقة إلى شخص يسمى المبارك ، وكان
يوالي جعفر بن محمد وقيل انه كان مولى لاسماعيل بن جعفر ، ويبعدو أن^٤
بعض أصحاب المقالات ظنوا أن فرقة المباركية هي الفرقة التي انفصلت
عن الاسماعيلية الخالصة فقالت بإمامة محمد بن اسماعيل ، وهذا غير
ما ذهب إليه الداعي أبو حاتم الذي يعتبرها فرقة أخرى مستقلة .

ظهرت من الفرقة المباركية فرقة القرامطة المشهورة وهي فرقة لا تنفك
أبدا عن الفرق الباطنية لاعتبارات فكرية وتاريخية .

١٥ ان الخطابية باعتبارهم اسماعيليين، والمباركية والقرامطة غير موجودين
في عصرنا باعتبارهم كيانا مستقلا ، الا أن كثيرا من عقائدهم لا يزال باقيا في
الفرق الباطنية على اختلاف نزعاتها .

١. انظر: الزينة (السامرائي) ص ٢٨٧
٢. الملل والنحل ١/ ١٦٨
٣. انظر: المقالات والفرق ص ٨٣ وفرق الشيعة ص ٨١
٤. انظر: الزينة (السامرائي) ص ٢٨٩ والمقالات والفرق ص ٨٣ وفرق
الشيعة ص ٨١ .

ب - الاسماعيليون العبيديون :

ان هذه التسمية لم ترد في أي من كتب أصحاب المقالات ، وانما أطلقها الباحث على سبيل التجوز .

ان هذه الفرقة في الحقيقة ظهرت قبل ظهور الدولة العبيدية وكان الأولى تسميتها بالاسماعيلية القداحية نسبة إلى ميعون القداح الذي يعتبره الكثيرون المؤسس الحقيقي لهذه الفرقة ؛ ولأن هذا لم يتأكد تماما في هذا البحث فان تسميتها بالاسماعيلية العبيدية أقرب للصواب لان الدولة العبيدية الشهيرة بالفاطمية ظهرت بعقائد هذه الفرقة .

١٠ وليس معنى تسميتهم بذلك فصلهم عن الاسماعيلية الأولى التي قادها الخطابيون والمباركيون .

ان القيمة العلمية لدراسة هذه الفرقة تأتي في الدرجة الأولى بين الفرق الباطنية عموما ؛ وذلك لاعتبارات عدة منها :-

١- أن هذه الفرقة لاتزال تعيش بين ظهرانينا بفكرها وأشخاصها .

١٥ ٢- أنها حكمت رقاب المسلمين حينما من الدهر باسم الأئمة الفاطميين من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر .

٣- ان لها تراثا فكريا غزيرا يمكن للباحثين من خلاله الوقوف على

عقائدها من أقلام أهلها مباشرة ؛ وهم السرية والكتمان السني

يحاول زصاؤها حتى اليوم - فرضها على ذلك التراك .

٢٠ ظهور الاسماعيلية :

ان هذه الفرقة باطنية العقيدة والأسلوب ، بخلاف الفرق الغالبية التي سبقت دراسة بعضها وكانت تدين بالتأويل الباطني ؛ الا أنها لم تتخذ

السرية لسلوبها . ولأن الاسماعيليه العبيدييه دانت بذلك فسان نشأتها وتكونها كان ولا يزال مما يكتنفه الغموض والتناقض .

ان المصادر الباطنيه حين تتحدث عن ظهور الفرقة الاسماعيليه تتحدث عنها بأسلوب متناقض فخاص مطلق سواء ما كان يختص باسماعيل

بن جعفر ؛ الذي تنتسب اليه الفرقة (ر . ص ص ٢٦٠ - ٢٦٨) أو ما يتصل^٥ بمحمد بن اسماعيل ؛ الذي أضافوا اليه من الصفات الغاليه الشيعيه الكثير (ر . ص ص ٢٧٥ - ٢٧٧) أو ما يتصل بالأئمة المستورين الثلاثه الذين تلقوا الامامه واحدا بعد آخر عن محمد بن اسماعيل (ر . ص ٢٧٩) .

ومن الممكن القول ان الفترة التي تبدأ بوفاة جعفر بن محمد سنة ١٤٨ وتنتهي بظهور دولة العبيديين في المغرب على يد عبيد الله المهدي سنة ٢٩٦ . فترة ١٠ غامضة متناقضة يصعب على الباحث ترتيب أوراقها ، فيما عدا جزئيه بسيطه منها تبدأ من سنة ٢٦٧ تقريبا وتنتهي بظهور دولة عبيد الله المذكور ولا أعني منها الا ما يختص بظهور الدهوه الباطنيه في اليمن والمغرب (ر . ص ص ٤٠٢ فما)

١٥ وأما غير الباطنيين ؛ فان ما ورد في كتب أصحاب العقالات لا يتحدث الا عن ما أشير اليه في هذا البحث بالاسماعيليه الأول (ر . ص ١٤٤) .
أما الحركة الاسماعيليه التي صارت بعد ذلك كلما لكثير من الفرق الباطنيه ؛ وهو ما أطلق عليه هنا بالاسماعيليه العبيدييه فان تاريخ ابن رزام الذي عاش مؤلفه في أوائل القرن الرابع كما خمن^١ لويس ؛ يعتبر أول من تحدث عن نشوء هذه الفرقة ؛ ونسب هذه الفرقة الى ميمون القداح^٢ وابنه عبدالله ابن ميمون وقد ذكر ابن رزام هذا أن القرامطه نشأوا عن

الاسماعيلية القداحية ، كما أورد ما يمكن أن يعتبر أول تاريخ للاسماعيلية
هذه ، وذكر القاضي عبد الجبار ما يقرب ذلك من نسبة تكون هذه
الفرقة إلى القداحيين ، وتحدث عن نشوء الاسماعيلية من هـ
الوجه: محمد بن مالك بن أبي الفضائل (- أواسط القرن الخامس) فقال:

وأصل هذه الدعوة الملعونة ظهور
عبد الله بن ميمون القداح في الكوفة ، وكان
ظهوره في سنة ست وسبعين - ومائتين
وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية
ويظهر الاسلام وهو من اليهود من ولد
الشلح .^٣

وقد أشتهر هذا النص بين الذين اهتموا بتاريخ الباطنية الاسماعيلية
من أهل اليمن كما نجد ذلك فيما كتبه محمد بن الحسن الديلمي
(القرن الثامن) الذي نسب إلى أهل العقالات اتهامهم في نشر
عقائد هذه الفرقة إلى المجوس والفلاسفة واليهود .^٤

ان نسبة نشأة هذه الفرقة إلى ذرية ميمون القداح ما تشير
إليه بعض المصادر الباطنية نفسها ؛ تلك المصادر التي تعتبرهم دعواة
للائمة من ذرية محمد بن اسماعيل (ر . ص ص ٤٣٠ فما) ، وقد
مرعلينا في فرق الغلاة من كان يدعو للائمة من أهل البيت باسمهم
على كره منهم لذلك كما حدث بالنسبة لأبي الخطاب الذي كان يدعو
لجعفر بن محمد زورا ما دعى بجعفر إلى لعنه وتكذيبه (ر . ص ١٣٢)

١. انظر: ابن النديم (- ٣٧٨) ، الفهرست ، القاهرة ، المكتبة التجارية
د . ص ص ٢٧٨ - ٢٨٠ .
٢. انظر: تثبيت الأيل النبوه ٥٩٧/١
٣. ابن أبي الفضائل . كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، القاهرة ،
عزت العطار ، ١٣٥٧ ، ص ص ١٦ ، ١٧ .
٤. انظر: الديلمي . قواعد عقائد آل محمد ، القاهرة ، عزت العطار ،
١٣٦٩ ، ص ص ١٢ ، ٣١

واستنادا الى ما سبق ذكره عن نشأة الاسماعيليه نجد أنها على أي حاله وضعت فان جانب الغموض والتناقض يكتنفها بوضوح لا يقبل الجدل ، ولا ينك عن فرق الغلاة من ناحية أخرى .

تفرق الاسماعيليه :

- ٥ ان الفرقة الباطنية الاسماعيليه لم تشذ عن مثيلاتها من فرق الغلاة من حيث التفرق الى عدة فرق بالرغم من أن هذه الفرقة تميزت عن الغلاة بالقوة بحيث أستطاعت تكوين عدة دول كانت ذات تأثير على التاريخ الاسلامي سياسيا وفكريا ؛ من ذلك كانت فرقة القرامطة ؛ ان فرقة القرامطة في حقيقتها ليست الا فرقة اسماعيليه باطنيه كما يظهر من عقائدها ؛ سوا في ذلك نسبتها الى الاسماعيليه الأول ؛ كما فعل النوختي الذي نسبها الى المباركية ، أو نسبتها الى الاسماعيليه القداحية كما أشير الى ذلك من وجهه نظر ابن رزاق (ر٥ ص ١٤٧) .

وقد قامت الفرقة القرمطيه بأعمال لاتزال الى اليوم مضرب مثل للوحشية والقسوة والاستهانة بالاسلام والمسلمين ومعاداتهم ومحاربتهم .

- ١٥ وقد انتهت هذه الفرقة واضمحلت وصارت ماثلة لمن سبقها من الفرق الخاليه .

ولا يمكن للباحث أن يعتبر القرامطة فرقة منفصلة عن الباطنيه الاسماعيليه لأنها ليست الا جناحا لها فحسب .

أما أول انفصال حقيقي في الفرقة الاسماعيليه الباطنيه ؛ فهو كما سيتضح ظهور الفرقة الدرزيه ؛

٢٠

الدروز ، ظهرت فرقة الدروز في القاهرة عاصمة العبيديين ، في أيام
"الحاكم بأمر الله" سنة ٤٠٨ ، وكانت هذه الفرقة بزعامه شخصيات أحسبها

متعددة وعلى رأسهم كان : حمزة بن علي النوزني الذي يلقبونه بأنه :

قائم الزمان حمزة بن علي بن أحمد هادي

المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف

مولانا الحاكم جل ذكره .

وقد قالت الدرزية : بنسخ جميع الأديان والشرائع السابقة ،
وبالحلول والتناسخ ، وتاليه الحاكم بأمر الله . كما قالوا بالتأويل الباطني ،
والغيبية والرجعة .

انتشار الدرزية :

ظهرت هذه الفرقة في مدينة القاهرة ، إلا أن المجتمع المصري لم
يستجب لها ، كما لم يستجيب للعقائد الباطنية عموماً .

انتشرت هذه العقيدة على نطاق ضيق في جبال الشام ، ويعيش
الدروز حالياً في سوريا ولبنان .

ظهور فرقتي النزارية والمستعلية :

كانت وفاة المستنصر بالله العبيدي (٤٨٧ -) ايذاناً بانقسام آخر للفرقة

١. التبعي . اسماعيل بن محمد بن حامد . كتاب تقسيم العلوم ، مخطوط
في الخزانة التيمورية ، عقائد - ٦٦٢ ، ص ٦٦٢ وانظر : محمد
كامل حسين . مقدمة الرسالة الواعظة . مجلة كلية الآداب جامعة
القاهرة ، مايو ١٩٥٢ ، ص ٥ . ومحمد عبدالله عنان . الحاكم
بأمر الله ، القاهرة ، دار النشر الحديث ، ص ٤٠ ، ص ١٩٣

٢. انظر : الحاكم بأمر الله ص ١٨٤
* انظر ذلك في : المعري . اتعاظ الحنفاء باخبار الأئمة الفاطميين
الخلفاء ، ج ٣ ، القاهرة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
١٣٩٣ ، ص ١١ .

الباطنية الاسماعيليه ؛ بسبب النزاع الذي صار على الامامة بين ابن
المتنصر الاكبر " نزار " واخيه " المستعلي " ، وكان كل منهما يدعي
الامامة لنفسه بأقوال مروية عن أبيهما المتنصر ، وهذا يذكرنا بما كان
عليه الحال بعد وفاة جعفر الصادق وادعاء كل فرقة من فلاة الشيعة امامة

أحد أبنائه بأقوال رووها عن جعفر نفسه (ر. ص ص ١٤٠ - ١٤٢) .

النزارية : هم الذين قالوا بامامة " نزار بن المتنصر " ورفضوا امامة
" المستعلي بن المتنصر " . وقد أستطاع النزارية اقامة دولة باطنية
في بلاد فارس بزعامة الحسن بن الصباح صاحب " قلعة الموت " الشهيرة
التي ادعى أنها محكومة بيد الأئمة من أولاد نزار . ويدعى " المستعليية " ^{١٠}
أن " نزارا " لما قتل بمصر قتل معه أبنائه ما يعني أن الأئمة الذين ادعت
النزارية مختلفون كما يرى المستعليون . وهذا ما نفته المراجع النزارية ^٣

ويعرف " النزارية " اليوم بالاسماعيلية " الآخانية " ؛ نسبة إلى

امامهم الذي يتخذ لقب آخاخان ؛ وهو حاليا الأمير عبدالكريم ^٤

آخاخان الرابع وهو امامهم التاسع والأربعون .

وتعتقد النزارية اعتقادات غالية باطنية ؛ مثل تأليه الأئمة ، ولعل ^{١٥}

أقرب مثال لذلك ما ذكره محمد كامل حسين عن ذكرياته مع آخاخان الثالث

(- ١٩٥٢) - امامهم الثامن والأربعون - ؛ قال محمد كامل حسين له :

-
١. انظره تاريخ جهانكشاي (محمد السعيد جمال الدين) ص ١٧٩
 ٢. انظره جمال الدين الشيال . الوثائق الفاطمية ، ج ١ ، ط ٢ ، القاهرة دار المعارف ، ١٩٦٥ ، ص ص ٢١٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ومصطفى غالب . سنان راشد الدين شيخ الجبل ، بيروت ، دار اليقظة ، ١٩٦٧ ، ص ٥٨
 ٣. انظره مصطفى غالب . اعلام الاسماعيليه ، بيروت ، دار اليقظة ، ١٩٦٤ ، ص ٥٨
 ٤. انظره محمد حسن الاعظمي . حاشية مقدمة تأويل الدعائم ، ج ١ القاهرة دار المعارف ، ص ٢٤ .

لقد أدهشتني بثقافتك وهقليتك ، فكيف
تسح لأتباطك أن يدعوك إليها ؟ فزححك
[يعني الاغاخان] طويلا جدا وعلت تفهوماته
ودمعت عيناه من كثرة الضحك ثم قال :

هل تريد الاجابة عن هذا السؤال ، ان
القوم في الهند يعبدون البقرة ، أليس
١
خيرا من البقرة !!

٥ مواطن النزارية : تعتبر مدينة كراتشي مركز الاغاخان ، وهذا يدل على
وجودهم في شبه القارة الهندية الباكستانية . والنزارية بالاضافة .
الى ذلك موجودون في سورية ، وشرق افريقيا ، مثل كينيا وأوغندا ومدغشقر
٢
وزنجبار .

الستعلية :

ينتسبون الى الستعلي بن المستنصر ، وقد ظلوا يحكمون مصر منذ
١٥ اعتلاء المذكور مدة الحكم سنة ٤٨٧ حتى سنة ٥٢٥ وهي السنة التي
انقسمت فيها الستعلية الى قسمين طيبية وحافظية .
٣

١٥ أما الحافظية فقد تولى الامامة منهم ، الحافظ والفائز والعاقد (٥٦٧) .
الذي كان آخر من حكم مصر من العبيديين ، وتسلمها بعدهم الأيوبيون .
٤

٢٠ أما الطيبية فهي في الحقيقة استمرار للمستعلية ، وقد اضطر امامهم
الطيب ابن الامر بن المستعلي^{الدخول الى} كهف الستر - على حد زعمهم - وتحولت

-
١. محمد كامل حسين . طائفة الاسماعيلية ، المكتبة التاريخية - ٤ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ ، ص ١٢٦ .
 ٢. انظر : طائفة الاسماعيلية ص ٢١٢ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .
 ٣. انظر : طائفة الاسماعيلية ص ٦٠ .
 ٤. انظر : محمد حسن الأعظمي . حاشية مقدمة تأويل الدعائم ص ص ٢١ - ٢٣ .

دعائه إلى بلاد اليمن حتى سنة ٩٤٦ فانتقلوا إلى الهند .

حدث بعد ذلك انقسام آخر للمستعلية في الهند بعد وفاة

الداعي : داود بن عجب شاه (- ٩٩٧ أو ٩٩٩) فانقسموا إلى

قسمين :

٥ الداودية : وهم الذين يطلق عليهم " البهرة " ولزمهم اسم الداودية

من داعيهم المطلق داود بن قطب شاه (- ١٠٢١) الذي استقل

بالامر .

١ السليمانية : نسبوا إلى داعيهم سليمان بن الحسن (- ١٠٠٥) ، ويطلق

على أتباع هذه الفرقة (سليماني بهرة) في بلاد الهند وباكستان

١٠ وفي اليمن يسمون (المكارمة) ، ويقال ان زعيمهم يعيش الآن في

مدينة نجران في جنوب المملكة العربية السعودية ، وتعتبر هذه

المدينة مركز هذه الفرقة حاليا .

ان عقيدة المستعلية " البهرة الداودية " يصفها محمد كامل حسين

بأنها :

١٥ لا تختلف عن عقائد غيرهم من المسلمين في الظاهر

أما عقيدتهم في " الباطن " فهي بعيدة كل

البعيد عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، فهم

مثلا يؤدون الصلاة كما يؤديها المسلمون ..

ولكنهم يقولون ان صلاتهم هذه ، للإمام الاسماعيلى

٢ المستور من نسل الطيب بن الامر .

٢٠ ان " البهرة الداودية " يعتبرون أكثر الفرق الباطنية قربا للمسلمين ، ولكن

١. انظر : طائفة الاسماعيلية ص ٥٢

٢. طائفة الاسماعيلية ص ٥٣

ذلك لإعفيهم من القول بالتأويل الباطني ، والفلو في الأئمة ، وقصد

كشفت ذلك بعض كتبهم السرية التي ظهرت أخيرا .

مواطن البهرة الداودية ، ان مركز هذه الفرقة في مدينة "بومباي"

بالمهند ، ويحمل زعيمهم رتبة الداهي المطلق وهي إحدى مراتب الدهسوة

الباطنية (ر. ص ٢٦١ فما) ، ولهم في تلك البلاد مراكز ثقافية منها علسي

سبيل المثال " الجامعة السيفية في مدينة "سورت" ، والبهرة منتشرون

في الهند واليمن ، ولهم في الأماكن المقدسة بيوت يأوي إليها حجاجهم

ويسمى " رباط البهرة " ويقع رباط البهرة في مكة في محلة جباد فسي

الجانب الشرقي من مستشفى جباد ويطلقون عليه اسم " المحل السيفسي "

كما تدل على ذلك لافتة على بابه ، أما رباط البهرة الذي في المدينة

المنورة فيقع في محلة باب الجيدي ويطلقون عليه اسم " المحل البرهاني "

كما ان لهذه الفرقة أماكن للزيارة في العراق .

أما عقائد " البهرة السليمانية " أو " الكارمة أو " الكريمة " ، ^{فهي} أكثر غلوا

من الداودية ، كما تدل على ذلك مراجعهم الخاصة ، وستضح عقائدهم

في الباب الثاني ، مع كثير من عقائد الباطنية الأخرى .

ان هناك تكوينات أخرى للفرق الباطنية الاسماعيلية العبيدية ولكنها

فروع لما ذكر من فرقهم .

وقد يلاحظ عدم توسع الباحث في الحديث عن هذه الفرق كما توسع في

فرق الغلاة ، فان ذلك يعود لسببين :

١- عدم توفر المعلومات الكافية التي تتأكد بها كثير من الأقاويل نحوهم .

٢- ان التوسع في الحديث عن هذه الفرق ، قد لا يخدم البحث من ناحية

العقائد التي ظهوروا بها ، فمعظم التطورات التي ظهرت في عقائدهم انما هي
ما حصل في التاريخ القديم فالعقائد الباطنية في معظمها لاتزال كما هي .

في ختام هذا الباب نجد أن الباحث توصل الى أن ،

١- المجتمع الاسلامي الأول في المدينة لم يعرف الغلو في رسول الله

(ص) وفي أهل البيت النبوي . سواه ذلك عهدُ رسول الله (ص) و عهد

الخلفاء الراشدين الأربعة .

٢- ان ظهور الغلو الشيعي مناط بشخصية يهودية تظاهرت بالاسلام

وعرفت باسم " عبدالله بن سبأ " .

٣- ان عبدالله بن سبأ شخصية حقيقية كانت ذات دور فكري واضح وسياسي

خفي ، وكان لهذا الدور الأثر البالغ في عقائد غلاة الشيعة على مر

العصور .

٤- ان هناك عقائد تتصل بالفكر اليهودي بشكل أو بآخر ظهرت لدى غلاة

الشيعة .

٥- ان الفرق الباطنية الأربعة المشهورة ، الاسماعيلية والقرامطة والنصيرية

والدروز ليست في أصلها الا من بقايا الغلاة الذين ظهوروا في الفسرق

الشيعة ما بين منتصف القرن الأول حتى منتصف القرن الثاني .

٦- ان الأفكار الباطنية لم تظهر في العالم الاسلامي أول ما ظهرت الا على

يد غلاة الشيعة قبل ظهورها في الفرق المعروفة بالباطنية .

وعليه فان التفريق بين الباطنية والغلاة ليس معنيا به على أي حال ما يختص

بالعقائد فكلها عند الفريقين واحد تقريباً .

الباب الثاني :

عقائد الفرق الباطنية

جرى الحديث في الباب الأول عن استعراض لظاهرة الغلو الشيعي ونشأتها وأشهر الفرق التي قالت بالغلو ، كما جرى الحديث عن كثير من عقائد الغلاة ؛ تلك التي أشير خلال الحديث عن بعضها ^{التي} وجود تلك العقيدة في الفرق الباطنية .

ويجد الباحث هنا لزاما عليه التحدث عن العقائد التي ظهرت في الفرق الباطنية بشيء من التفصيل .

ولكن ما هي عقائد الفرق الباطنية ؟ انها عقائد كثيرة . أمض

- ١٠ المحققون في ذكرها ، وقد اتهم بعض كتاب أهل السنة في أنهم لفقوا على الباطنيين كثيرا من العقائد لم يقولوا بها . وعلى ذلك فان من الصواب الرجوع الى المصادر الباطنية في مسألة عقائدهم .

ان التأويل الباطني يعتبر أهم ما في العقائد الباطنية ؛ فجميع تلك العقائد مبنية عليه ، وسيكون بحث التأويل الباطني في المرتبة الأولى بين عقائد الباطنية ثم تأتي بعد ذلك عقيدة التسبيح أي الاعتماد على رقم ٧ خاصة ؛ لان لهذه العقيدة أثرًا على العقائد الباطنية كما لها نفس الأثر على أسلوب الدعوة عندهم وبعد ذلك عقيدتهم في الله عز وجل وملائكته وبعد ذلك عقيدتهم في النبي محمد (ص) ، فعقيدة الامامة والائمة ، يتلوه ذلك الحديث عن عقيدة المهدي المنتظر الذي يسميه الباطنيون قائم القيامة .

- ٢٠ نمة عقائد نسبت الى الباطنيين ولم يتمكن الباحث أن يشير اليها بالتفصيل مثل عقيدة الحلول وعقيدة التناسخ ، ولكن البحث بصفة عامة لم يخل من الحديث عنهما في فصول مختلفة منه ، سيطلع عليها القاري الكريم

في حينه .

أما بالنسبة لعقائد الباطنيين في الآخرة والثواب والعقاب والجنسنة والنار، فقد رأى الباحث أن هذه العقائد في الفكر الباطني مرتبطة بعقيدة المهدي المنتظر، فهي مدرجة فيه .

- ٥ وقد حوى هذا الباب ترجعتين الأولى، لاسماعيل بن جعفر الذي تسمى به بعض الفرق الباطنية وأعني بذلك الاسماعيلية . والثانية، لابنه محمد ابن اسماعيل باعتباره الشخصية التي تعلق الباطنيون الاسماعيليون بها، ولكن قد يسأل سائل ما علاقة ذلك ببحث يختص بالعقائد، والجواب هو أن الباحث لم يجد بدءاً من ادراج هـ بين الشخصيتين في هذا الباب باعتبارهما ظاهرياً الشخصيتين اللتين قامت باسمهما الفرق الاسماعيلية الباطنية .
- ١٠

الفصل الأول في التاويل الباطني

تمهيد : من أبرز ما تميزت به الفرق الباطنية عن غيرها ، " التاويل الباطني " ومن أجل ذلك لقبوا بـ " الباطنية " ، قال الشهرستاني : -

من أشهر ألقابهم " الباطنية " وإنما لزمهم

هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل

تنزيل تاويلا .

فالتاويل الباطني وقولهم به كان سبب تسميتهم " بالباطنية " ،

ما هو التاويل الباطني ، تتكون الجملة من كلمتين : التاويل - الباطني .

وفي اللغة : فان التاويل :

تفسير ما يؤل اليه الشيء .

وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم ، قال تعالى (هل ينظرون الا تأويله

يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسلنا بالحق .)

وقال تعالى : (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة

وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله .)

أما الباطني : فنسب الى الباطن ، وهو خلاف الظاهر ، كما ورد في

القرآن الكريم . (فحرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله

العذاب .)

ولنعرف ما هو الظاهر وما هو الباطن في فكر الباطنية ، لابد لنا أن نستعبر

عبارة لأحد الدعاة الباطنيين الذي يقول : -

١. الملل والنحل ١ / ١٩٢ وأنظر : قواعد عقائد آل محمد ص ٣٤

٢. مختار الصحاح مادة : أول ص ٣٣

* الاعراف ٥٣

** آل عمران ٧

*** الحديد ١٣

١. ان الله . . . جعل ظاهر القرآن على باطنه دليلاً .

وهجاءً أخرى نسبها الباطنيون إلى النبي (ص) ؛ فزعموا أنه قال ؛

٢. ان الله أسس دينه على مثال خلقه ، ليستدل بخلق على دينه .

من ذلك يتضح أن لهم في كل شيء ظاهرًا وباطنًا فللقرآن ظاهر

٥ هو الذي بين يدي الناس ، وباطن لا يعرفه إلا هم لأن علم الباطن بزعمهم ؛

صعب مستصعب وسر مستتر مكنع بالأسرار مبطن برموز لا يحمله

٣. إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان .

وللحديث النبوي ظاهر وباطن وللشهادتين وأركان الإسلام ظاهر وباطن

٥ وللجنة والنار ظاهر وباطن وهكذا لكل شيء عندهم ظاهر وباطن .

١٠ وعلى ذلك يمكن القول ان الباطنيين قسموا الدين الاسلامي إلى قسمين:

ظاهر وسوء التنزيل وهو ما جاء به محمد (ص) وسوءه أيضا العبادة

العملية أو الدعوة الظاهرة .

وباطن سوء التأويل وهو خاص بعلي بن أبي طالب وسوء العبادة العلمية

٤. أو الدعوة الباطنة .

١٥ ولعل ذلك يتضح حين ترد نماذج من تأويلهم الباطني (ر . ص ١٩٩ فما)

أهمية كل من الظاهر والباطن عند الباطنيين ؛

كاد يجمع أصحاب المقالات على أن الباطنيين يقولون بتفضيل الباطن

على الظاهر .

١. محمد كامل حسين . في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة ، دار الفكر العربي

١٩٦٣ ، ص ٢٧ .

٢. الداعي المؤيد ؛ المجالس المؤيدية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر

١٩٧٥ ، ص ٢٥٣ .

٣. شهاب الدين أبو فراس (- ٩٣٧) مطالع الشموس في معرفة النفوس ، نشر

عارف تامر ، أربع رسائل اسماعيلية ، بيروت ، دار الكشاف ، ١٩٥٢ ، ص ص

٣٤ ، ٣٥ وأنظر النص ذاته في: كشف أسرار الباطنية ، القاهرة ١٣٥٨ ، ص ١٥ .

٤. انظر: مسائل مجموعة في الحقائق (شروثمان . أربعة كتب اسماعيلية) جوتنجن

١٩٤٢ ، ص ص ٣٠ ، ٢٨ .

نقل الشيبني أن الاملي (٣٩٤ -) يقول : انهم يفضلون الباطن على الظاهر .^١ كما نقل محمد حسين الذهبي (١٣٩٧ -) عن الكازرائي أن مذهبهم انكار الظاهر ، وذكر البغدادي (٤٢٩ -) انهم يقولون : ان الظاهر كالقشر والباطن كالباب واللب خير من القشر .^٢ وقد نقل هذه المقالة عنهم : الامام الغزالي (٥٥٥ -) والمهدي بالله المرتضى ، وفي قواعد عقائد آل محمد ؛ أنهم يقولون ؛

انه لابد لكل ظاهر من باطن وهو المقصود في الحقيقة ، وهو بمنزلة اللب والظاهر بمنزلة القشر .^٣

وفي الحملة التي يشنها بعض الكتاب المعاصرين ضد أصحاب المقالات الذين ناقشوا رأي الباطنية في أهمية الظاهر والباطن ، ودرجة كل منهما ؛ ظهر محمد كامل حسين بقول يرد فيه عليهم قائلا ؛

اخطأ القدماء في اطلاق لقب " الباطنية " على فرقة الاسماعيليه ، لأن هذه الفرقة تدين بالباطن والاسماعيليه يقولون بالباطن حقا ولكنهم يقولون بالظاهر أيضا وأوجبوا الاعتقاد بالظاهر والباطن معا ، بل كفروا من اعتقد بالباطن من دون الظاهر أو بالظاهر من دون الباطن ، ومن ذلك يقول الداعي المؤيد في الدين هبة الله

١. انظر: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، بغداد ، مكتبة النهضة ، ١٣٨٦ ، ص ١٣٠ .
٢. انظر: التفسير والمفسرون ، ج ٢ ، القاهرة ، دار الكتب الحديثه ، ١٣٨١ ، ص ٥٥ .
٣. انظر فضائح الباطنية ، (عبد الرحمن بدوي) الكويت ، دار الكتب الثقافية ، ص ١١ .
٤. انظر مخطوطة المنية والامل ، مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ١٥٣ علم الكلام ، ق ٣٨ ، ص ٥٩ .
٥. انظر: قواعد عقائد آل محمد ص ٥٩ .

الشيرازي * من عمل بالباطن والظاهر معا فهو مناه
ومن عمل بأحدهما دون الآخر فالكلب خير منه وليس
منا .^١

وفي معرض ذلك يقول الدايمي الباطني جعفر بن منصور اليميني (عاش

حتى أواخر القرن الرابع) :

ولا يستقيم الباطن الا بالظاهر الذي هو

جثته والدليل عليه . . . كما لا يصلح في الحياة

جسم الا بروح ولا يثبت روح الا في جسم .^٢

وقال يمثل ذلك الدايمي القاضي النعمان . ان كل هذه الأقوال تؤيد

- ١٠ ما ذهب اليه محمد كامل حسين وأعني به نسبة الخطأ إلى القدماء في تسمية الباطنية بذلك ، ولعل كامل حسين يعني بالقدماء المؤرخين وأصحاب المقالات ، وهذا يعني أن عددا كبيرا من أهل السنة والجماعة يدخلون تحت هذه التهمة كما يدخل تحتها بعض علماء الامامية أمثال : الاملي والكارزاني ، والزيدية مثل الديلمي والمهدي بالله المرتضي . وهواتهام خطيرة لعلماء المسلمين قاطبة حيث لم يبق أحد خارج هذه التهمة . فهل
- ١٥ صحيح أن تجنيا ما وقع على الباطنيين من هذا الوجه ؟ ان كان هناك شيئا من ذلك فلا بد من توضيحه للملأ وتبرئة الباطنيين من ما نسب اليهم زورا وظلما .

١. طائفة الاسماعيلية ص ١٤٨ وأنظر أيضا : مقدمته لديوان المؤيد في الدين ، القاهرة ، دار الكاتب المصري ١٩٤٩ ، ص ١٠٥ .
* أنظر ترجمته في : اعلام الاسماعيلية ص ١٨٥ و

٢. جعفر بن منصور . مخطوطة الشواهد والبيان ، الخزانة التيمورية

عقائد رقم ١٨٤ ، ص ٩

٣. انظر : القاضي النعمان . أساس التأويل ، مخطوط غير مرقم في مكتبة جامع صنعا الغربية ، ق ٢٠ ب .

وهذا يتطلب عودة إلى المصادر الباطنية على مختلف نزعاتها حتى تكسبون النتائج أكثر دقة :

ان الكاتب الباطني المعاصر عارف تامر - وهو نزارى - يصف الاسماعيليه فيقول :

- ٥ الاسماعيليه كنز مقفل [٠٠٠] أو قل عنها ،
عالم قائم بنفسه سعي عالم المثل أو باطن الأشياء
وأما ما هيته أو جوهره أو الفكرة المجردة التي
لا تقع تحت مكان أو حس أو زمان ، أما عالم
الطبيعة المحدود بالزمان والمكان فهو غير
عالمها ، وأنه مثولها والمثل ليس كالمثول .
١٠

ان هذا تصريح خطير من قلم من يعتقد العقيدة الباطنية ذاتها
ما يدل أن لهذا التصريح أصلا باطنا غاب عن محمد كامل حسين ، ومن
نحا نحوه ، وانا قلبنا الأوراق الباطنية التي كتبها دعواتهم نجد الداعي
أبا فراس شمس الدين بن أحمد الطيبي (- ٩٣٧) وهو أحد نزارية سوريا
يقول في قصيدة له :

- ١٥ انما النفس للخليقة لب * وكذا الجسم في الحقيقة قشر^٢
فاطلب اللب وأترك القشر * يشح لك صدر ثم يوضع وزد
هنا نجد أنه لا فرق بين تصوير القدماء من أصحاب المقالات لقيمة الظاهر
والباطن عند الباطنيين ، وبين تصوير الداعي أبي فراس ، الذي نص على
أن لا قيمة للظاهر عند الباطنيين سوى قيمة القشر بالنسبة لللب الذي
هو هنا الباطن الذي يدينون به . الا أن هنا قول لبعضهم وهم النزاريون ، عليه

١ أربع رسائل اسماعيلية ، المقدمة ، بيروت ، دار الكشاف ، ١٣٧٢ ، ص ٨
٢ عارف تامر . أربع رسائل اسماعيلية ص ٢٣ ، ٢٤

*

فلا بد من الرجوع إلى سواهم ؛ حيث نجد ناصر خسرو (- ٤٨٠) يؤيد
الباطن دون الظاهر كما صرح بذلك في ديوانه الشهير ، ونجد للسردوز
ذات الوجهة حيث يقولون :

٢.

الظاهر في الأصل ٠٠٠ دين الاسلام وباطنه الديانة الباطنة .

- ٥ بالامكان هنا القول بأن لقب الباطنية لازم لهم ليس لتسمية القدماء
لهم به ولكن لنصهم على تفضيل الباطن على الظاهر .
يبرز هنا احتمال طالما تحجج الباطنيون بمثله ، في دفاعهم عن
مذهبهم ؛ وهو أن القول بالباطن ليس الا من أقوال غلاتهم ، وأن المعتدلين
منهم بريئون من أولئك ومن أقوالهم ، ولعل في ذلك شيئا من الصواب
١٠ اذا وقفت المناقشة عند هذه النقطة ؛ لأن النصوص التي استدل
بها الباحث في التحقق من هذا القول ليست سوى نصوصا نزارية
ودرزية ، وقولاً عن ناصر خسرو ، وهذا لا يكفي لأن بقية الطوائف
الباطنية وعلى رأسها المستعلية الذين يصفون أنفسهم بالاعتدال لازالوا
خارج هذا التصنيف .

- ١٥ اذا عدنا إلى نصوص الذين وصموا الباطنية بتفضيل الباطن على الظاهر
نجد من بينهم المهدي بالله المرتضى ومحمد بن الحسن الديلمي (ر.ص ١٦٠)
وكلاهما من زيدية اليمن ، مما يدل على أن مصادرهما في أقوالهما عن
الباطنية انما هي من المصادر اليمنية وهي باطنية مستعلية . وليسوا
دروزا ولا نزاريين بل هم معادون لهم . فلماذا تطابق النص اليمني مع نص

١. انظر : أعلام الاسماعيلية ص ص ١٦١ ، ٥٦٨

٢. رسالة النساء الكبيرة ، مخطوطة في الخزانة التيمورية ، تحت رقم

٢٦٦ عقائد ، ص ١٠٨

* انظر ترجمته في أعلام الاسماعيلية ص ٥٦٢ فما

الداعي أبي فراس النزاري في القول بأن الظاهر كالقشر بالنسبة للباطن الذي هو كالبهائم ، ما يرجح أن مصادر باطنية مستعينة بطيبة تقبول بذلك ، وأن هذه المصادر ما لا يزال في الكتمان في مكتبات الباطنيين بالهند أو اليمن .

- ٥ ولكن دعنا من الاحتمالات والظنون والترجيحات فلدينا نص يوضح قيمة كل من الظاهر والباطن ، وأن الباطن هو المقصود . ومصدر النص مرجع باطني موسوم بالاعتدال التام والمكانة العلية لدى المفكرين وهو القاضي النعمان الذي يروي قصة جرت بين المهدي عبيد الله (مؤسس الدولة العبيدية) وحفيده المنصور بالله وكان المهدي قد أهداه كتابا وأوصاه أن لا يطلع عليه حتى على أبيه القائم بزعم أنه كتاب من كتب الطب وكان قد نصحته بالقراءة في الطب . قال المنصور بالله :

فلما صرت الى مكاني ، نظرت فيه فاذا فيه من علم الباطن ، وأنا لا أعرف يومئذ ذلك ، فتحيرت فيه ، وتوهمت أنه أمثال مخروبة في الطب ، وأقمت يومي وليلتي أدرس فيه فلا أرى إلا علم الباطن محضاً فلما دخلت الى المهدي (صلح) من غد . أدنانسي وقال لي : نظرت في الكتاب ؟

قلت : يا مولاي نظرت فيه وليس فيه من الطب شيء . فان كان أمير المؤمنين أراد به الطب فليس في هذا الكتاب شيء منه .

٢٠ فتبسم (ص) وقال لي : يا بني . ذلك هو الطب الحقيقي وهو طب الأرواح الباقية في السدار الآخرة ، به يعالج من ألمها ويداوى من سقمها

فأما الابدان الفانية فهي أقل من أن يرفع بها

هذه الرفعة . انظر فيه واحرف معانيه واحفظ

أصوله فان فيه أصولا من العلم الشريف .^١

وله فان القول بتفضيل الباطن على الظاهر يضاف الى جميع الفرق

الباطنية كما أضيف اليهم القول بظاهر وباطن . ويصبح القدماء على

صواب في تسميتهم الباطنية بذلك سواء كان على هذا الوجه أو على

وجه آخر ؛ اذا علمنا أن الباطنيين يسمون مخالفيهم أهل الظاهر

أما من حيث واقع الباطنيين فان المتبع لمذهبهم يستطيع بسهولة

أن يرى قيمة الباطن بالنسبة للظاهر عندهم لا سيما في العقائد

وسياقي تفصيل ذلك في الفصول التالية ان شاء الله .

ماهية الظاهر عند الباطنيين ، في دفاعهم عن عقيدتهم يقول الباطنيون

ومن يتحمس للدفاع عنهم ؛ انهم في ظاهر العقيدة والشريعة لا يختلفون

عن بقية المسلمين ؛ بل هناك من يقول ان مذهبهم الفقهي لا يختلف

كثيرا عن المذهب المالكي .^٢

ان القاضي النعمان الذي يعتبر من مفاخر الفكر الباطني بل انهم

يعتبرونه الواجبة المشرفة لهم ؛ فهو أول من دون فقههم ، لذا فهم

لا يترددون في دعوة أي شخص لقراءة كتبه لظنهم أن ليس فيها سوى

ما يرفع من قدرهم بين مخالفيهم - هذا الداعي الباطني لم يستطع أن يخفى

أن الظاهر الباطني يختلف عن ظاهر الأمة ؛ فهو يرى أن على المتجيب -

أي الذي يدخل مذهبهم لأول مرة - أن يتعلم أول ما يتعلم ظاهر دين

١. المجالس والمسائرات ، ص ص ٥٠٢ ، ٥٠٣

٢. من حديث مع عباس همداني ، بالجامعة الأمريكية ، القاهرة ، في يوم الجمعة ٥/٢/١٣٩٩

٣. انظر: محمد حسن الأعظمي . مقدمة تحقيق كتاب تأويل الدعائم .

الأئمة ويترك الظاهر الذي كان عليه من قبل^١ . وهذا دليل على أن ظاهرهم يخالف ظاهر الأمة الإسلامية . هذه واحدة ، والثانية ، أن الداعي النعمان المذكور ؛ ألف كتابا أسماه (دعائم الإسلام) وهو من أجل كتبهم الظاهرية ، وذكر فيه أن للإسلام عندهم سبع دعائم هي : الولاية ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد . لماذا جعل دعائم الإسلام سبعا ؟ لقد جعلها كذلك بل قل جعلوها كذلك كي تتناسب مع باطنهم الذي يقدر التسبيح وكل ما يمت إلى رقم ٧ بصلصة (ر ، ص ١٩٩ انظر) كما حصروا الرسالة الإلهية في سبعة من الرسل سموهم النطقاء (ر ، ص ٢٢٥) .

١٠ ان الصيام صيام شهر رمضان وكذا الحج الذي يكون يوم التاسع من شهر ذي الحجة يومه الأكبر لا يتحقق زمانهما - وهما مما يعتبره الباطنيون من ظاهر الشريعة - إلا برؤية الهلال عند جميع المسلمين بدليل قوله تعالى " يستلوثك عن الأكلة قل هي مواقيت للناس والحج " وقوله تعالى ، " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان " * * * فمن شهسد منكم الشهر فليصمه وبدليل الحديث الذي يرويه الباطنيون أنفسهم : " صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته " يعني الهلال .

١٥ إلا أن الباطنيين لا يعتبرون ذلك أبدا بل ان لهم جدولا لا يتغير أبدا جعلوا فيه شعبان ٢٩ يوما ورمضان ٣٠ يوما ، ويزعمون أن رؤية الهلال لا تتحقق إلا من خلال رؤية الأئمة ؛ الذين صنعوا لهم ذلك الجدول الذي يصومون بموجبه ويحجون بموجبه أيضا .

١. انظر : تأويل الدعائم . ج ١ ، تحقيق الأعظمي ، القاهرة ، دار المعارف ، ص ٤٩ .
٢. انظر : فيض . مقدمة دعائم الإسلام ص ٩ ومحمد كامل حسين . مقدمة ديوان المؤيد في الدين ص ٦٧
٣. انظر المجالس المؤيدية ص ١٦٢ - ٤ . انظر : المجالس المؤيدية ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، والمجالس المستنصرية . تحقيق كامل حسين ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ص ١٣١ .
- * البقرة ١٨٩ * - البقرة ١٨٥ * * * - الحديث في البخاري كتاب ٣٠ باب ١١ انظره في فتح الباري ١١٩/٤ .

هذه أمثلة للظاهر الذي يدين الباطنية به فما أبعدنا عن ظاهر

بقية المسلمين ، ناهيك عن باطنهم الذي يقولون عنه انه غيب لا يدرك .^١

وعلى ذلك فقد صنف الباطنيون الناس إلى قسمين : ١- أهل الظاهر

الذين لا يؤمنون بظواهرهم ولا بباطنهم . وقد تعود الباطنيون أهـل

الظاهر بالعذاب الأكبر . وفي وصفه لأهل القبلة يدعي القاضي النعمان

أنهم في الباطن هم أهل ولاية امام الزمان ومعني بهم الباطنيين . ان^٢

تسمية الباطنيين مخالفيهم أهل الظاهر كانت منذ أيام الفرقة الجنايمية

الغالية الذين سوا مخالفيهم أهل الظاهر ، وسوا أنفسهم أهـل

الباطن ؛ وجدير بالذكر أنهم أول من وضع جدول أشهر السنة (ر . ص

١٠٥) .

٢- المؤمنون وهم يعنون بذلك أنفسهم أي الذين يؤمنون بالظاهر

والباطن على نحو ما سبق الحديث من الاهتمام بالباطن واعتباره لسبب

العقيدة . أو الايمان بظاهر الغرض منه خدمة الباطن الذي هو الهدف

المقصود ، ولذلك فان الباطنيين لا يصرحون للمستجيب أول ما يصيدونه

بأي فكرة باطنية بل يهدون له بأمور ظاهرية ثم يلوحون له بالباطنيات

شيئا فشيئا (ر . ص ٣٢٦) كما أن هناك مرحلة ليس مطلوب فيها من

المستجيب الا أن يعلم أن هناك باطنا يجب عليه الايمان به ، أما ذاك

الباطن ما هو فلا يدري ؛ فهو يعامل معاملة الطفل . ومع الأسف الشديد^٣

فان بعضا من اتباع الباطنية اليم في اليمن والمند لم يتعدوا هذا الدور

١ . انظر : تأويل الدعائم ٣١٨/٣

٢ . " " " " " "

٣ . انظر : دعائم الاسلام ٦٧/٢ .

الذي يسمونه دور الترييه اذ لو علموا حقيقة الباطن الذي يؤمنون به لتخلوا عنه لما فيه من التناقض والعجائب - لاسيما في هذا العصر الذي يصعب فيه التصديق بمثل هذه الأمور - وهؤلاء هم عامة الباطنيين ويؤدون الواجبات الدينية الظاهرية بلا خلاف .

٥ سقوط العمل بالظاهر اتهم بعض أصحاب المقالات الباطنيين بأن مذهبهم يخطط كي يسقط عن أتباعه الظاهر الذي هو في حقيقة الأمر الدين الاسلامي ؛ كما يقول الدرور (ر . ص ١٦٣) مثل الصلاة والصوم والحج وخلافه ، قال البغدادي :

زعموا [أي الباطنية] أن من عرف معنى

١٠ العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك قوله

تعالى (واعبد ريك حتى يأتيك اليقين) واليقين

٢ معرفة التأويل .

وقال الفزالي (- ٥٠٥) في معرض حديثه عن سبب تسميتهم بالباطنية :

فان من ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف

١٥ واستراح من أعبائه ، وهم المرادون بقوله تعالى :

٣ (و يضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم) .

وقال المهدي لدين الله المرتضى (- ٨٤٠) : إنهم يقولون -

إن فائدة الظاهر من الأعمال أن يتوصل

بها الى فهم الباطن فمتى فهمه العبد سقطت

٤ عنه الأعمال اذ قد حصل المقصود بها .

٢٠ ١. أنظر : الداعي محمد بن طاهر الحارثي (- ٥٨٤) الأنوار اللطيفة في الحقيقة ، (نشر محمد حسن الأعظمي . الاسرار الخفية) . القاهرة

الهيئة المصرية العامة ، ١٩٢٠ ، ص ١١٩

٢. الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٠ ، ٣ فضائح الباطنية ص ١٢

٤. مخطوطة المنية والأمل ق ٣٨ ب

* الحجر ٩٩ ** الاعراف ١٥٧ .

ونقل الديلمي والمهدي المرتضى ما كتبه أبو القاسم القيرواني في كتابه
" البلاغ " إلى وصيف المحدثي . أنه حله من عقاله وأطلقه من وثاقه
فلا صم عليه ولا صلاة ولا حج ولا جهاد ، ولا يحرم عليه شيء من
طعام وشراب وكساح .^١

٥ وقد شاعت عن الباطنيين قصص في تخليهم عن الشرائع وكان للناحية
الجنسية في ذلك أكبر الدور ، فقد ذكر الطبري : أن امرأة هاشمية
وقعت في أسر القرامطة فصاروا يتناوبون مجامعتها وولدت ولادت ولا تدري أيهم
أب الوليد .^٢

كما نقل عن علي بن الفضل الجدلي الباطني الذي كان أول من
دعا إلى مذهب الباطنية في اليمن مع منصور اليمنى ، نقل عنه احلال
الحام كما نقلت هذه القصيدة عن شاعره ،

خذي الدف يا هذه والعبى * ونبي هزاريك ثم اطريسي
تولّى نبي بني هاشم * وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة * وهذي شرائع هذا النبي
فقد حظ عنا فروض الصلاة * وحط الصيام ولم يتعب
١٥ إذا الناس صلوا فلا تنهضي * وان صوموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا * ولا زورة القبر في يشرب
ولا تمنعي نفسك المعرسين * من أقربي ومن أجنبي
فكيف تحلي لهذا الخريب * وصرت محرمة لسلاب^٣

١. انظر: قواعد عقائد آل محمد ، القاهرة ، ص ٩٥ والمنية والأمل ق ٢٣٨

٢. انظر: القصة كاملة في تاريخ الطبري ١٠/١٠١/١٠٢٦

٣. كشف أسرار الباطنية ص ٣١ .

ولا ينبغي عن البال أن مثل هذا الانسلاخ كان موجودا عن الفسلة

(ر. ص ٨٣، ٩٧، ١٠٥، ١٢٢، ١٢٣) .

ان الموضوع الّی هنا لا يزال من أقوال المخالفين للباطنيين فماذا يقول

الباطنيون عن ذلك .

- ٥ ذكر القاضي النعمان عن تجاوزات لبعض الدعاة الباطنيين مثل تحليل
الحرام و خلط الدين بالفلسفة ، وأن المعز لدين الله أعرب عن أن هذا
تغيير في الدين ، ومع الاعتراف الباطني بحدوث ذلك بين دعواتها فسان
الاستنكار الرسمي لا يمكن اغفاله . وفيه احتمال أن يكون ذلك الاستنكار
من الامام الباطني حقيقي وبه تكون مسألة اسقاط الظاهر عن الباطنيين
١٠ مجرد اشاعة مفروضة من أعدائهم وأن هذه الاشاعة مرتكزة على
تجاوزات لدعاة كانوا في منأى عن سلطان الامام الذي لم يرضه ذلك حين
سمع به .

ولكن بالعودة الى الكتب السرية نجد أن للمعز لدين الله نفسه

دعاء اشتهر في الاوساط الباطنية بدعاء يوم السبت ، يتحدث فيه عن

٢

- ١٥ محمد بن اسماعيل بن جعفر بأن الله عطل بقيامه ظاهر شريعة محمد
صلى الله عليه وسلم (ر. ص ٢٧٦) ، ورضم محاولة الباطنيين تأويل
هذه الوصية من تصريح المعز ، الا أن ذلك لم يزد الأمر الا اوضحا
حيث حاول الباطنيون اخفاء ما أظهره تاريخهم من اسقاط الظاهر عليهم
منذ ظهورهم بهذا المذهب ، وقد أفصحت مصادرهم عن مرحلة

١. انظر : المجالس والمسائرات ، نشر الجامعة التونسية ، ١٩٧٨ ، ص

٤٠٨ .

٢. انظر ايفانوف . المنتخب - زهر المعاني للداعي ادريس ص ٥٦
وانظر الحقائق الخفية - كتاب الأنوار اللطيفة في الحقيقة ص ١٣٠

من المراحل يصل اليها الانسان فيسقط عنه الظاهر. وعن وجود مجموعة من الدعاة يسقط عنهم الظاهر؛ فعند النصيرية- وهم ليسوا اسماعيلية كما تقدم- نجد رواية عن جعفر الصادق يقول فيها:

نعم من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه

عمل الظاهر . . . [واستدل بقوله تعالى:]

(وأن اليك المنتهى) . . . وانصا

وضعت الأصفاد والأغلال على المقصرين،

أما من قد بلغ وعرف هذه الدرجات التي

قرأتها عليك فقد أعتقه من الرق ورفعت عنه

الأغلال والأصفاد واقامة الظاهر، ثم تلا قوله

تعالى (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات

جناح فيما طعموا . . .)^١

جناح فيما طعموا . . . الآية)

وعند الاسماعيلية النزارية نجد داعيهم سنان راشد الديين

يقول عن الانسان :

متى عرف الصورة الدينية ، فقد عرف

حكم الكتاب ورفع عنه الحساب وسقط عنه

التكليف وسائر الأسباب .^٢

* . النجم ٤٢

** المائدة ٩٣

١ . الهفت الشريف ص ٦٥

٢ . مصطفى غالب . شيخ الجبل الثالث ، بيروت ، دار اليقظة العربية

ص ١٤١ .

وعند الاسماعيلية المستعلية ، الذين يعتبرون الفرقة الباطنية
الحافظة نجد أن :

حجج الليل هم أهل الباطن المحض المرفوع
عنهم في أدوار الستر التكليف الظاهرة لعلو
درجاتهم .^١

وعند المكارمة ان :

لكل امام اثني عشر حججا [كذا] في حضرته
السامية وهم أهل الحقائق السانية لا يدخلون
تحت التكليف لأنهم قاموا بذلك قبل التصريف .^٢

١٠ يمكن القول هنا أنه ليس بعيدا أن تكون مسألة اسقاط الظاهر عند
الباطنيين مسألة نسبية ، إذ تتساهل بعض الفرق فيها حتى يصبح
من السلطات الخاصة بتلك الفرقة اسقاط الصلاة والصوم وسائل التكليف
عن أفرادها منذ الجلسات الأولى^{***} كما هو حال الاسماعيلية النزارية فقد
ورد في رسالة " الدستور ودعوة المؤمنين للحضور " الباطنية ؛ استعمال
الآية : (ليس على الذين آمنوا ووصلوا الصالحات جناح ٠٠٠ الايسة)
ثم بعده يشرب الجلوس الخمر على أشكاله وهو ما سماه المؤلف شعاعا وماء
في قدحين .^٣

وكذا عند المستعلية ذكر مثل ذلك وأشد ؛ ذكره محمد بن مالك
اليمني ، الذي دخل مذهبهم أيام الدولة الصليحية ؛ ولكن لا يمكن

١. الأعظم ، الحقائق الخفية - الأنوار اللطيفة ص ١٠٢
٢. حياة الأحرار مخطوط مصور في حوزتي ق ٦١ ف
٣. انظر ذلك بالتفصيل في أربع رسائل اسماعيلية ص ٧٦ فما
*** المقصود بالعبارة : منذ الجلسات الأولى لدخوله المذهب الباطني

للباحث أن يعتمد على مقال غير باطني رغم اعتقاد صدقه فيما قال
لا سيما وأنه لمن من يكذب عليهم ودها عليه .

وأن بعض الباطنيين كما يبدو يتشددون في اسقاط الظاهر عن
اتباعهم فيصبح وقفا على خاصتهم دون عامتهم ؛ وهذا ربما كان
من سياسة خاصة بهم ، كما أنه ليس بعيدا أن يكون سبب ذلك
ماله علاقة بالترتيب التصاعدي لدرجات المجتمع الباطني ، وقد عبرت
النصوص عما يشعر بذلك ، كما أن " الرسالة الجامعة " التي يدعي
الباطنيون أنها من تأليف أحد أئمتهم المستورين - أحمد بن عبدالله
ابن محمد بن اسماعيل - تقول ان الله سبحانه نزه بعض الملائكة
عن السجود لآدم ، هزم أنهم هم الذين عناهم الله بقوله : (استكبرت
أم كنت من العالين)

ما يدل على أن المقصود بالزمام بعضهم العمل بالظاهر واسقاطه
عن خاصتهم هو المفاضلة والا فانه ليس في الظاهر الا أنه دليل
على الباطن كما قال قائلهم :

يامعشر المؤمنين ان الله ضرب لكم الامثال
جملا وتفصيلا ولم يستح من صغر المثال
اذا بين به مثولا ، وجعل ظاهر القرآن على
باطنه دليلا .

-
١. كشف أسرار الباطنية ص ص ١٢ - ١٦
* سورة ص ٧٥
٢. انظر : الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا ، تحقيق مصطفى
غالب ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩٤ ، ص ١٧
٣. انظر النص في : كامل حسين . في ادب مصر الفاطمية ص ١٩٦

وقول الداعي المؤيد في ديوانه-هذا الداعي الذي يعتبر معتدلا

في فكره:-

١. اقصد حتى مثوله دون المثل * ذا ابر النحل وهذا كالعسل

هنا نقطة أخرى حول الظاهر والباطن ؛ وهي تتعلق بما يقولون من

٥ ظهور قائم الزمان المنتظر ، وأنه سيسقط العمل بالظاهر ، وهذا ما يتفق عليه متطرف الباطنيين ومعتدلهم . (ر . ص ٢٢٨ فما) .

ان الذي تحقق الان من خلال مراجعهم وعلى لسان أئمتهم ودعاتهم

ان قيمة الظاهر عندهم أيا كانت ، وان أقاموه ليست كقيمة الباطن

بل هي أقل ، وهنا نعلم أن المشكلة ليست في تطبيق الظاهر

١٠ أو عدم تطبيقه .

أما الباطن وقربه أو بعده عن الاسلام فسيتضح لنا أكثر حين نقف

على أمثلة من التأويل الباطني (ر . ص ١٩٩ فما) .

أصل التأويل الباطني ؛

من أين جاء التأويل الباطني ؟ من أين جاء القول بظاهر الشريعة

١٥ وباطنها ؟ هل ذلك مما أنزل على محمد ؟ أم هو دخيل على الاسلام ؟

ان الأقوال في ذلك تتضح من خلال ما يأتي :-

تاريخ الباطن عند الباطنيين ؛ ان الباطنيين يرون أن دينهم نشأ مع

بدء الخليقة . واذ قال قائل ؛ ان القول بالباطن والظاهر كان منذ

آدم فقد أخطأ بزعمهم لأنهم لا يعتبرون آدم أبا للبشر على حقيقته بل

٢٠ لا يصورون بدء البشرية على النحو القرآني ؛ فهم يرون أن هناك آدم الكلي

١. ديوان المؤيد . تحقيق كامل حسين ، القاهرة ، دار الكتاب المصري

١.

وآدم الجزئي وآدم الأول وآدم الروماني وآدم الجسماني وآدم الستـ

وان في مذهبهم أن الله خلق ثمانية وعشرين شخصا من غير تناسل

٢.

كان آدم أبو البشر من بينهم وصرح الداعي الباطني " سنان راشد

الدين " (- ٥٨٨) أنه يعرف ثلاثمائة وستين آدم وعن الأمم التي تناسلت

٥ من كل منهم وأديانهم ومذاهبهم إلى أن ينقضي دوره ويأتي آدم آخر

من ذريته ، ويبدو أن آدم أبا البشر كان آخر آدم ؛ لذ فقد لقبوه

٣. بالادنسى ، أما اسمه عندهم فهو عبدالله بن تنجيم .
٤.

ان الباطنيين يزعمون أن آدم قام رسولا ناطقا وأقام دعوة ظاهرة

فاخرى باطنة وكذلك من جاء بعده ؛ فكان نوح وابراهيم وموسى وعيسى

٥. ومحمد صلى الله عليهم وسلم .

١٠

وعن انتقال الدعوة الباطنية بالتفصيل قال الباطنية ؛

لما تم دور آدم (د) بأخر متميه قام بعده

نوح دعائه [كذا] بالدعوتين الظاهرة والباطنة

إلى أن تم دور نوح (ع) بأخر متميه ، وقام

١٥ بعده ابراهيم (ع) ناطقا . . . فاجتمعت

عنده النبوة والرسالة والوصاية والامامة . .

و اقام دعوته إلى أن استخرج منها ولده اسماعيل

١. انظر مجهول . مسائل مجموعة في الحقائق ، ايفانوف ، أربعة كتب

ص ص ٩ ، ١٩ ، ٢٠ ، ١٠٠ ، ١٢٩ ، ١٣٣ .

٢. انظر ، طاهر الحارثي (- ٥٨٤) الأنوار اللطيفة في الحقيقة ، نشر

الأعظمي ، الحقائق الخفية ، القاهرة ، الهيئة المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ص

١٠٠ - ١٠٣ .

٣. انظر : أبوفراس . مناقب الولي راشد الدين نشر مصطفى غالب . شيخ

الجبل الثالث ، بيروت دار اليقظة العربية ، د . ت ، ص ص ٢٠٤ ،

٢٠٥ .

٤. حياة الأحرار ق ٢٢

٥. انظر : ابن الوليد . رسالة تحفة المرتاد وفصة الأضداد ، نشر

ايفانوف ، أربعة كتب ص ص ١٦٣ - ١٦٨

- ٥٠٠٠ وصيا وسلم اليه رتبة الوصاية والامامة
بأمر الله تعالى ٥٠٠٠ وسلم الى ولده اسحق
رتبة النبوة والرسالة وجعله خادما بين يدي
أخيه اسماعيل (ع) وحجابا عليه وداعيا اليه
٥ ، ، وانتقل ابراهيم (ع) الى دار كرامته
الله تعالى ، وقام ولده اسماعيل بعده وصيا في
مقامه مستترا وقام اسحق حجة له ظاهرة ، وحجابا
عليه الى أن أتت نقلة اسماعيل (ع) . وسلم
الى ولده قي دار الامامة والوصاية ، ولم تنزل
١٠ متسلسلة في ولد قي دار من ولد الى ولد ٥٠٠٠
وسلم اسحق الى ولده يعقوب رتبة ولم تنزل تنقل
فيهم ٥٠٠٠ الى أن تسلمها قائم ولد اسماعيل
فاجتمعت [عند عبدالمطلب] ٥٠٠٠ الرتب الأربع
التي اجتمعت عند جده ابراهيم (ع) ٥٠٠٠
١٥ [وكانت اثنتان منهن مدخرتين لقائم ولد اسماعيل
هما الوصاية والامامة واثنتان لقائم ولد اسحق
(ع) وهما النبوة والرسالة ٥٠٠٠ فسلم عبدالمطلب
رتبة الوصاية والامامة الى أبي طالب ورتبة
النبوة والرسالة الى عبدالله ٥٠٠٠ فلما أتت نقلة
٢٠ عبدالله استودع أباه عبدالمطلب لولده محمد (ص)
رتبة النبوة والرسالة ٥٠٠٠ [ثم] قام أبو طالب بالرتب
الأربع الى أن بلغ محمد أشده ، وسلم اليه
ما استودع له وهي رتبة النبوة والرسالة ٥٠٠٠ وهو

قائم ولد اسحق (ع) الذين سبق القول عليهم .
وكان هيكلا نورانيا ومقاما الهيا اجتمعت عنده
صور أهل الدعوات الظاهرة ، القائمين بالعبادة
الظاهرة والقائمين بالأعمال الصالحة .

- ٥ من اسحق بن ابراهيم الى عبدالله بن
عبدالمطلب . . . [فقام] بالأمر وأعلن بالشهادتين
وأقام دعوته الظاهرة دون الباطنة . . . فلما كملت
[فاطمة] زوجها أبوها أمير المؤمنين (ص) بأمر
الله ووصيه فتم التمام ، واتسق النظام ، وأزدوج
٦ الايمان والاسلام ، وجرت الدعوة الظاهرة على
حالتها والدعوة الباطنة في ضمنها واستمر أمرها
الى ان استخرج من الدعوة الظاهرة الحسن (ع)
ومن الدعوة الباطنة الحسين (ع) وكانت الدعوة
الظاهرة قسط الناطق ، والدعوة الباطنة قسط
١٥ الوصي الى أن أوفى الناطق خدمته وسلم الوصي
ولده الحسن رتبة النبوة والرسالة ، وجعلها
مستودعة له عند أمير المؤمنين ، ان كان ذلك
قسط الحسن (ع) . وانتقل الناطق (ص) وقام
الحسن بما وجب له به القيام ، الى أن انتقل
٢٠ بعد أن سلم الى أخيه الحسين (ع) رتبة
النبوة والرسالة فصارت الأربع عند الحسين (ع)
غير خارجة منه ، ولا من ذريته ، حتى تسلم

١.
جميع ذلك قائم القياس .

هذه صورة تاريخ الباطن عند الباطنيين كما تصوره مراجعهم ؛ والذي
يهمنا من كل ذلك ما يأتي :-

١- التأويل الباطني يتناقله الأنبياء والأئمة منذ آدم حتى قيام

قائمهم ابننا عن أب .

٢- أن رسول الله (ص) لم يكن الا صاحب التنزيل أى تنزيل القرآن .

وهو معنى للظاهر مطلقا .

٣- ان علم الباطن - وان نزله على محمد (ص) فقد خص به عليا ؛ لذلك

فهو صاحب التأويل .

٤- ان أئمتهم هم أصحاب التأويل الذي ورثوه عن علي .

٥- ان من مميزات الباطن أنه سري منذ أن كان ، لا يعرفه الا القليل .

سبق للباحث أن نفى التأويل السري عن علي والحسين ، بل ان تصرفهم

الذي أثبتته التاريخ لا يدل على وجود شيء من ذلك عندهم (ر. ص ١١)

والا لظهرت آثاره ، وحتى لو كانوا يعملون على نشر التأويل الباطني سراً

لعرف ؛ كما عرف المؤرخون وأصحاب الفرق من قال بالتأويل الباطني من

الفلاة ، وكما وقف أهل العلم اليوم على مؤلفاتهم الباطنية السرية ، رغم

كل المحاولات التي بذلها الباطنيون ، وعلى ذلك فان ما ذكره الباطنيون عن

تاريخ التأويل الباطني ليس الا من نسج الخيال ، وكما كان بود الباحث

١. الأنوار اللطيفة في الحقائق (محمد حسن الأعظم . الأسرار الخفية)

ص ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

وانظر عن الدعوى الظاهرة والباطنة ؛ مسائل مجموعة من الحقائق

(شتروتمان . أربعة كتب) ص ٣٨ .

ر. تحفة المرئاد وغصة الأضداد (شتروتمان . أربعة كتب) ص ١٦٣

- اجراء مقارنة بين " رسائل اخوان الصفا " و " الرسالة الجامعة " لها وبين الكتابات المتأخرة للدعاة الباطنيين ؛ كي يتضح مدى الصدق في تاريخ التأويل الباطني الذي يدعونه ؛ لأن " الرسالة الجامعة " بصفة خاصة تحيل التأويل الباطني صراحة على الحكماء والفلاسفة^١ حيث لم يدر بخلد مؤلفها أن من سيأتي بعدهم من الباطنيين سيضطر إلى نسبة علم الباطن إلى أهل الديانات لأن أصحاب أو صاحب " الرسالة الجامعة " لم يُقدِّر أبدا الفرق بين الدين الاسلامي الذي يعتمد على القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبين ما كان يضعه من أفكار باطنية بل اذا كنا أشد صراحة فإن الباطنيين أصحاب " رسائل اخوان الصفا " كانوا يتصورون أن الاسلام سيضمحل ليحل محله الدين الباطني .

- ٥
١٠
١٥
٢٠
- أما ما قاله الباطنيون عن انتقال التأويل الباطني بين أئمتهم ؛ فإن تاريخهم أثبت استحالة ذلك ، في مثل امامة اسماعيل بن جعفر المختلف في حياته ومات (ر . ص ص ٢٦٤ فما) وفي امامة محمد بن اسماعيل الذي عاش في المدينة المنورة ردحا طويلا ولم فيها من الأبناء من اعتبرهم الباطنيون خاليين من الامامة ، وتحويل الامامة إلى ابن له ولد ونشأ في ظروف غامضة صعبة التصديق (ر . ص ص ٢٧٤) وكذا اعتبار بعضهم ان " عبدالله المهدي " ليس من الأئمة المستقرين ونفس بعضهم ذلك عنه (ر . ص ص ٤١٩ فما) وغير ذلك من الأمثلة كثير ؛ يستحيل فيها انتقال علم الباطن من أب لابنه مطلقا .

١. انظر: الرسالة الجامعة ص ٨ ١٨ ٢٧ ٣٦ ٣٧ ٥١

تاريخ الباطن عند غير الباطنيين :

- ان معظم من تحدث عن التأويل الباطني عزّاه الى الفلاسفة اليونانيين ،
من أولئك كان الشهرستاني (٥٤٨ -)^١ ، وابن الجوزي (٥٩٦ -)^٢ ، وعطاء
الملك الجويني (- نهاية القرن السابع)^٣ ، وابن تيمية (٧٢٨ -)^٤ وغيرهم
ومن المحدثين قال بذلك المستشرقان : دي بور وبراون (١٣٤٣ -)^٥ الذي
يضيف أن المذهب الباطني قد استمد كثيرا من أسسه من المذاهب الايرانية
والسامية القديمة . هذا وان محمد كامل حسين ذكر أن الباطنيين أخذوا
التأويل الباطني من خلال الكتب اليونانية التي ظهرت باللغة العربية
في عصر الترجمة أيام المأمون العباسي وما بعده .^٦ ولكن هذه الدعوى
لا تصدق أمام المصادر القديمة التي ذكرت أن التأويل الباطني ظهر عند الغلاة
قبل هذه الفترة بزمن طويل (ر . ص ١٤٠) . الأمر الذي يدل
على أن التأويل الباطني لم يظهر من خلال عصر الترجمة بل ظهر من خلال
أفراد انضموا إلى الفرق الخاليسية أو أسسوها لغرض هدم الدين الاسلامي .
- اتجهت اصابع الاتهام بعد ذلك إلى المجوس واليهود ؛ لأن لهذين
الفريقين مصالح في النيل من الدين الاسلامي ردا منهم على الانتصارات
الاسلامية التي أبادت نفوذ اليهود في شبه الجزيرة العربية وأبادت
دولة الفرس في بلادهم .

-
١. انظر الملل والنحل ١/١٩٢
٢. انظر : عبد الرحمن بن الجوزي (٥٩٦ -) . تلبيس اهل اليس ، نشر
الاسلامبولي ، ١٣٩٦ ، ص ١٠٦ .
٣. انظر : حمايكشاي ، ترجمة جمال الدين . ص ١٥٠
٤. انظر مجموع الفتاوى ، ج ٣٥ ، ابن قاسم ، مكة ، مطبعة الحكومة ، ص ١٣٣
٥. تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ترجمة أبوريدة ، القاهرة ، لجنة التأليف
١٣٥٧ ، ص ٩٥ .
٦. انظر ما كتبه الشيبني ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ط ٢ ص ٢٠
٧. في ادب مصر الفاطمية ص ٢٨ .

بالنسبة للمجوس فان " اصابع الاتهام قد تصدق في مظاهر أخرى
للغلو الشيعي . أما التأويل الباطني بخاصة ، فان المصادر القليلة
التي تيسرت للباحث ، لم تقل بوجود التأويل الباطني عندهم على
النحو الفلسفي اليوناني ، ولكن رغم ذلك لا أحد يستطيع نفى الجهود
المجوسية في المساعدة على نشر الباطنيات ، فهم وان لم يكونوا مصدرا
للتأويل الباطني فقد أعانوا على نشره .

أما اليهود فان في تاريخهم ما يشي بوجود التأويل الباطني
الفلسفي اليوناني في فكرهم على نحو واضح الى حد ما ، وهذا يدعو
الى مرافقة التأويل الباطني الفلسفي اليوناني في رحلته الى فكر
اليهود .

اليهود والتأويل الباطني :

قبل الحديث عن التأويل الباطني عند اليهود ، لا مناص من العلم
بشيء عن أصل التأويل الباطني عند اليونان . وشيء من سيطرة
اليونان على اليهود .

ان اليونان أخذوا بالتأويل الباطني بعد ظهور شعر هوميروس
فحينما أصبح هذا الشعر ناصا ذا سلطة ، أخذ المفكرون اليونانيون
والأدباء في القرن الخامس قبل الميلاد في تأويله .

ثم سلك هذا المسلك (زينون الرواقى) وتبعه عليه (فسيفوروس)
أما عن انتقال التأويل الباطني الى اليهود فقد أتى من اعجابهم

باليونان على النحو التالي :-

بعد احتلال " قورش " ملك فارس (٥٣٨ ق م) لبابل صار له سلطان
على أرض يهوذا التي كانت تحت النفوذ البابلي . وقد مكن هذا الاحتلال
الفارسي اليهود من الفكك من الأسر البابلي و فعادوا إلى فلسطين
الآن :

٥ عودة اليهود من المنفى [كان] عودة الجموع
وليس عودة الدولة فان بعض بني اسرائيل
عادوا ولكن دولتهم لم تعد ، فقد صاروا جماعة
تابعة للحكم الفارسي ، ولكن دولتهم لم تعد
فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي ، وخاضعة
١٠ له وكانت المناوشات لا تنقطع بينهم وبين حكامهم
من الفرس ، ومن أجل ذلك رحبوا بالاسكندر
الأكبر حينما زحف على فلسطين سنة ٣٢٠ ق م ،
وقد آل حكم فلسطين إلى الهطالسة بعد
الاسكندر .

١٥ [ولا شك أن لهذا الترحيب باليونان آثاراً أهمها
الاتصال بالحضارة اليونانية .]

ولكن الديانة اليهودية القديمة ، بفضل
اتصالها بالحضارة اليونانية التي كانت آخذة في
التقدم حول فلسطين . . . بصورة حتمية ، أقله
٢٠ في أوساط الارستوقراطية اليهودية التي استهوتها
هذه الحضارة ، ورغبت في ارضاء الملوك اليونانيين

١. انظر : شلبي . اليهودية ، ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٧٤
ص ٨٨ .
٢. شلبي . اليهودية ، ص ٨٩ .

وقد انتشرت الحضارة اليونانية انتشارا أوسع في مجتمعات
اليهود المهاجرين المقيمين في مصر وفي المدن الآسيوية
[ويبدو أن ذلك وغيره مهد إلى قيام] ٠٠٠ ثورة
الماكابيين [سنة ١٦٦ ق م] ٠٠٠ والتي انتهت بفضـل
٥ ضعف الملكة السلوقية إلى قيام دولة يهودية مستقلة
٠٠٠ ولكن سرعان ما انتهت دولتهم المستقلة ، فسي
أواخر القرن الثاني قبل المسيح ، إلى ملكية همل أول
ملك فيها اسما يونانيا هو أرسطوبولوس ، ويكي هذا الحديث
للدلالة على أن مناهضة الحضارة اليونانية التي بدأت
١٠ بثورة الماكابيين قد أخفت ٠٠٠ ثم إن الأدب اليهودي ٠٠٠
قد تأثر ، مع محافظته على طابعه الديني بالفلسفة اليونانية
كما نرى في كتابي " الجامعة " و " الحكمة " . ويتضح أن
واضع هذا الكتاب الأخير لم بالأفلاطونية من مفهـم
الألوهية التي لا تتصل اتصالا مباشرا بالعالم ، وهكذا
١٥ فقد تمهدت الطرق لمؤلفات " فيلون " في العهد التالي .
ولنرى بعد ذلك من هو " فيلون " هذا الذي جاء في العهد التالي ، وما
علاقته بالتأويل الباطني .

٢٠ فيلون : فيلسوف يهودي من بعد العصر الهليني أي ما
يقارب ٢٠ سنة قبل المسيح ، عاش في الإسكندرية - أي ملكة
مصر القديمة ، الكثير عن حياته غير معروف ، في سنة ٤٠ بعهد
المسيح كان زعيما لبعثة يهودية أرسلت إلى (جاليجولا)
طالبة منه التوقف عن ملاحقة الدين اليهودي واليهود ٠٠٠٠ كانت

١. موسوعة تاريخ الحضارات العام . الحضارة اليونانية والديانة اليهودية ،
بيروت ، عويدات ، ١٩٦٤ ، ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ .

المفكرون اليونانيون على ما في التوراة (العهد القديم) من
قصص واساطير ساذجة أو غير معقولة ، مثل بهج بابل ،
والحيمة التي أفرزت حواء في الجنة ، وضرب الله ، وأحلام
يوسف ، فاضطر فيلون إلى الدفاع عن التوراة بتأويل هذه
المواضع الاسطورية وغير المعقولة الواردة في التوراة تأويلاً
بالباطن ، ورأى أن التأويل بالباطن هو روح النص المقدس
وأن التفسير بالمعنى الحرفي - هو مجرد جسم هذا النص
المقدس (Philon de Migr Abr 1, 450) -

لنص سيؤدي إلى الكفر والاحالة .^١

١٠ وفي ذلك تقول موسوعة تاريخ الحضارات العام ان فيلون :

يفسر حوادث التوراة تفسيراً مجازياً ، منها ظهور يهوه
ومداخلته في شئون بني البشر . وهكذا توصل بفضل
ما اقتنيس من نظريات أفلاطون وزينون الفلسفية أن ينسخ
كل اتصال مباشر لله مع العالم الخارجي .^٢

١٥ وقالت دائرة المعارف اليهودية عن فيلون :

انه يعظم مكانة الاله ومن طهارته ومن كماله ، ولكنه يجعل
من فلسفته [أن] العالم مبني على مواد أزليه كعالم الأفكار

١ - الترجمة السبعينية للتوراة هي ترجمة الى اللغة اليونانية قام
بها بطليموس وقد أخذت هذه الترجمة على لسان سبعين من
علماء اليهود استجلبوا من فلسطين لهذه المهمة " انظر في ذلك
: تاريخ يوسفوس اليهودي ، ط بيروت ١٨٧٢ ، ص ٤٩ -
٥١ .

١ - عبدالرحمن بدوي . مذاهب الاسلاميين ، ج ٢ ، بيروت ، دار

العلم للملايين ، ١٩٧٣ ، ص ١٢

٢ - الحضارة اليونانية والديانة اليهودية ص ٤١٨ .

الخيالية ، انه اي الاله يؤثر على العالم بطريقة

غير مباشرة مبدئيا من خلال التوسط وبعض الأحيان من

١. خلال الملائكة والشياطين والنجم .

بالمكان هنا التعرف على ماهية التأويل الباطني عند فيلون على

٥ ضوء المصادر السابقة ؛ وهي أنه ، ينسخ كل اتصال مباشر لله مع

العالم الخارجي أي أن تأثير الاله على العالم يكون بطريقة غير مباشرة

من خلال وجود واسطة بين الله وخلقته . وظهر هذا عند فيلون يعتبر

ترجمة لما ذهب اليه من أن التأويل الباطني للنص هو الروح .

ان التأويل الباطني حسب ما سبق ظهر بعد أن أصبح شعر هوميروس

١٠ نصا ذا سلطة وهذا تفسير لما ذكره الشهرستاني بأن ،

٢. وجود الشعر [عند الأفرسقي] كان قبل الفلسفة .

وهذا يعني أن التأويل الباطني الذي هو جزء من الفلسفة الأفريقية

انما كان وسيطة اجتماعية للهروب من النص الذي صار أمرا ذا سلطة

والنص الذي هو الشعر هنا بشري وكذا التأويل الباطني له بشري من جنسه .

١٥ ان هذا لا يمكن تطبيقه أبدا على التوراة فهي نص سماوي ذو سلطة على

بني اسرائيل منذ نزوله على موسى في القرن الثالث عشر قبل المسيح تقريبا .

ولكن التأويل الباطني لم يظهر للتوراة الا في القرن الثاني قبل المسيح

حينما ظهر قبل فيلون الاسكندري ، مع أن اليهود تعرضوا لكثير من النواصب

خلال هذه الفترة ، الا أن أيا منهما لم يؤد إلى ظهور التأويل الباطني

٢٠ للنص التوراتي ذي السلطة . وان ظهور هذا التأويل في فترة استقرار

١. دائرة المعارف اليهودية : ٤٩٦ (Philon)

٢. الملل والنحل ج ٢ ص ١٠٨

اليهود يعني أن سلطة النص لم تكن هي الدافع للتأويل الباطني - مما يعني أن مجازات الحضارة اليونانية كانت السبب في ظهور التأويل الباطني هنا بالامكان التساؤل : هل معنى ذلك أن اليهود نقلوا التأويل الباطني من افريق ثم انتقل بواسطتهم إلى الباطنيين ؟ •

- ٥ اجاب عبدالرحمن بدوي على ذلك بالنفي لأنه يزعم أن التأويل الباطني الذي ظهر به فيلون لم يجد صدًى كبيراً في الفكر اليهودي عامة فضلاً عن أن يكون له صدًى في يهود جزيرة العرب وعليه فان من المستبعد أن يكون عبدالله بن سبأ مثلاً قد علم التأويل الباطني الفيلونسي ونقله الى فكر الغلاة وبالتالي تم نقله إلى الباطنيين • ان رأى "بدوي" هذا الذي استقاه من اساطين الفكر الفريسيين • وهذا يعني أن أهل هذا الفن توقفوا عند هذه النقطة •
- ١٠

وحيث قد سبق للباحث ان استبعد انتقال التأويل الباطني عن طريق المجوس ، كما استبعد انتقاله عن طريق ترجمة الكتب اليونانية في صـ المأمون (ر. ص ١٨٠) ؛ فان في الأمر حلقة مفقودة ، أو أن

- ١٥ هناك تقييماً خاطئاً لفترة تاريخية ما •

ان عبدالرحمن بدوي قد فطن إلى ذلك فذكر أسباباً تدعوا الفـرق الباطنية للأخذ بالتأويل الباطني أو للجوء اليه دون أن يدلهم اليه أحد ، وذلك لدواعي :

١- التحرر من قيد النص للتوفيق بينه وبين الرأي الذي

- ٢٠ يذهب اليه صاحب التأويل •

٢- التحرر منه ابتغاء التوفيق بين ما يفهم من صريح

اللفظ وبين ما يقتضيه العقل •

١.
٣- الرغبة في تعميق صريح النص الساذج .

ان هذا الرأي يتلخص في أن الحاجة تفتق الحيلة . وهو احتمال
يفتقر إلى وقائع ثابتة . كيف يمكن الأخذ به وهو في أحسن حالاته
تهرب من وقائع أثبتتها هذا البحث . بعد الرجوع إلى المصادر الخاصة
بأصحاب المقالات والفرق ؛ وهم الذين تتبعوا التأويل الباطني وظهوره
في فرق الغلاة ، وقد أشير إليه في مواضع مختلفة من الباب الأول في
هذا البحث . ان العودة إلى ما كتب في ذلك يوضح لنا بجلاء أن
احتمال ظهور التأويل الباطني في الفرق الباطنية كان لأسباب فطرية
وليس بتدخل عوامل خارجية انما هو احتمال يفتر إلى الكثير ليكن
احتمالا صادقا .

١٠
متى ظهر التأويل الباطني عند الغلاة ؟

ظهر التأويل الباطني أول ما ظهر على زم وجود علم سري عند علي

بن أبي طالب .

ذكر ذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي والبغدادي وابن أبي الحديد ،

وكان بطل هذه الدعوى عبدالله بن سبأ اليهودي وجماعته السبئيين

وكان هذا " العلم السري " عبارة عن أخبار توراتية ، ودعوى تأويلية

مثل هدم دمشق حجرا حجرا (ر : ص ٢٢) ونهب عين من مسجد الكوفة

(ر : ص ٢٤) وادعاء أن رسول الله (ص) كتم تسعة أعشار الوحي (ر : ص ٣٦)

كما ذكر كثير من الذين أرخوا لابن سبأ ، قوله لمن جاء ينعي إليه أمير المؤمنين

٢٠ ، كذبت . . . لعلنا أنه لم يمت ولا يموت حتى . . . واذا عدنا إلى التورات

اليهودي فاننا نجد أن " العلم السري " ظاهرة معروفة ؛ إلا أنني لا أزم

أنه التأويل الباطني للفلسف بمينسه .

في محاضر التحقيق في حادثة مقتل الكاهن النصراني "توما" الشهيرة ،
وجه أحد الحقيقين سؤالا إلى الحاخام "موسى أبو العافية" الذي أسلم
وتسمى "محمد أفندي" قائلا له :

٥ قلت [بفتح الأخيرة] انهم أخذوا الدم لأجل الفطير مع
ان الدم عند اليهود محرم وهورجس ، ولو كان دم حيوان
فكيف هذا التناقض ؟ فسر لنا ذلك ان كنت من الصادقين .
- بموجب التلمود هناك دمان مقبولان عنده تعالى : دم
الفصح ودم الظهور فصادق الحاخام يعقوب العيتاني على
١٠ هذا التفسير .

{قال الحق} : ان جوابك لا يظهر جليا كيف يحل استعمال
الدم البشري ؟

{قال محمد أفندي} : هذا سر من أسرار الحاخامات الكهنة
كما أن كيفية استعمال الدم هي من أسرارهم أيضا .

١٥ ان العلم السري عرف عند اليهود أيضا باسم "القانون الشفهي" السني
يتناقله الحاخامات جيلا بعد جيل ثم كتبوه وسموه التلمود . وهذا القانون
الشفهي ما اشتغل به فيلون .
انتقل "العلم السري" إلى الكيسانية فيما انتقل من العقائد السبئية على يد
"المختار الثقفي" الذي :

٢٠ شجع الآراء الاسطورية عند غلاة الشيعة - وهم الان السبئية -
وسمح بتكوين عقيدة جديدة تقوم على محاولة اسباغ علم سري
على الامم .^٤

على ما تقدم من الروايات يمكن القول : ان عقيدة "العلم السري" لم تقم على أكثاف

١- الكنز المرصود ص ١٤٧ ٢- انظر الكنز المرصود ص ٤٥
٣- انظر: دائرة المعارف اليهودية ٤- الشيمى: الصلة بين التصوف والتشيع ط ٤٢
ص ١٠٤

ماكانت هذه العقيدة قائمة من قبل لدى السبئيين ، وانما ترهعت لدى الكيسانية على اختلاف فرقهم كما ذكر الشهرستاني عن الكيسانية ؛ وتأويلهم الأحكام الشرعية الى رجال ، وكذا ما اعتبروه في شخصية " ابي هاشم " مما أخذ من أبيه " محمد بن الحنفية " من أسرار التأويل الباطني (ر٠ ص ٨٩) ، وما أظهره حمزة بن عمارة البربري من تحليل المحام (ر٠ ص ٨٣) . وقد اتخذ التأويل الباطني أشكالا مشابهة لتحليل المحام وتأويل الأحكام الشرعية . لدى فرق الغلاة الكيسانية بعد أبي هاشم ؛ بل ان جميع فرق الغلاة بعدهم قالوا بالتأويل الباطني .

كما لم يظهر التأويل الباطني عند " الخطابية " " والباركية " ومن سار سيرتهم ؛ الا على ذلك النحو وتلك الوتيرة ، وان لم يخل الامر من تأويلات فلسفية ظهرت عندهم وهم الذين يعتبرون نواة للاسماعيلية ؛ كل ذلك كان قبل عصر الترجمة العباسي .

يتضح لنا ان التأويل الباطني انما أدخله عبدالله بن سبا اليهودي ، وسارت الغلاة عليه تطوره وتزيد عليه . وقد اتضح لنا ان عبارة " العلم السري " انما هي اصطلاح يهودي ؛ ولذا فان اللفظ المشترك ومعناه يتطابقان مع مدلول نفس اللفظ عند السبئية فهو أحد العوامل المشتركة في ذلك بين اليهود والباطنيين ، أما العامل الثاني فهو :

تعدد تأويلات العبارة الواحد ؛ فقد ذكروا أنهم يروون عن الأئمة أن :

الكلمة لها سبعة وجوه ، فقال قائل سبعة وجوه . فقال :

سبعون . فقال القائل : سبعون . فقال : سبعمائة ...

١. الديلمي قواعد عقائد آل محمد ، القاهرة ، ص ٥٢ وأنظر تأكيد ذلك في مسائل مجموعة من الحقائق (شترنمان . أربعة كتب) ص ٣٢ .

وكقول بعض الطوائف اليهودية بتعدد تأويل العبارة الواحدة مع التناقض
في التأويل :

قال الحاخام " مناحم " في أقوال الحاخامات
المتناقضة ، انها من كلام الله مهما وجد فيها من
التناقض ، فمن لم يعتبرها ، أو قال انها ليست من
أقوال الله فقد أخطأ في حقه تعالى .

ان أقوال الحاخامات المتناقضة منزلة من السماء
ومن يحتقرها فمناها جهنم وبئس العسير .

حصلت مشاحنة يوما بين حاخامين أحدهما يدعى

- ١٠ الرابي (شايا) والثاني (باركبارة) وحلف كل منهما
أن أحد الحاخامات قال له : كيت وكيت مما ادعوه
ولم يُفصل في الخلاف الواقع بينهما . فجاها الحاخام
(روسكي) وقال : " ان الحاخامين المذكورين
قالا الحق لأن الله جعل الحاخامات معصومين
من الخطأ " .

١٥

يزم التلمود أن أقوال الحاخامين ذات سلطة متعاقبة

وذلك لأن نداء مقدسا هتف على (جابنيه Jabneh)

قائلا : كلمات هذا وذاك كلمات الله الحي .

الظاهر أن تعدد تأويل العبارة الواحدة لم يظهر عند الغلاة كمبدأ ساروا

- ٢٠ عليه بقدر ما كان عاملا فرضته اختلاف زعمائهم باعتبار كل فرقة من فرقهم في الحقيقة
مدرسة غالية مستقلة ، أما ما حدث بعد ذلك فقد كان باختلاف تأويلات دعاة
الباطنية المتناقضة ، فلما اكتشفوا ذلك في مذهبهم صاغوا له تلك الرواية كما فعل

١. الكنز المقصود ، ط ٢ ، ص ٤٧
٢. ظفر الاسلام . التلمود تاريخه وتعاليمه ، ط ٢ ، بيروت ، دار النفائس
١٩٧٢ ، ص ٣٥ .

اليهود من قبل .

أما ثالث ما تطابق عليه اليهود في التأويل الباطني مع الباطنية فهو :-

أن باطن النص هو المقصود . وأنه كالروح بالنسبة للجسد ؛

أشار الباحث فيما سبق الى ما يؤيد القائلين بأن المقصود من النص

أيا كان هو باطنه وأن ظاهره قد كُيف ليتلائم مع الباطن في كثير من

الأمور (ر . ص ص ١٦٥ ، ١٦٦)

أما اليهود فابتدأ " من " فيلون " يقولون بذلك في نصوصهم ، وقد سبقت

الإشارة الى النص الذي أورده عبدالرحمن بدوي من كتاب ألفه " فيلسون "

نفسه ، بأن التأويل بالباطن هو روح النص (ر . ص ص ١٨٥) ، والتلموديون

ينهجون الطريقة نفسها في صرف النظر عن ظاهر نص التوراة ؛ يقول

(باركلي) عن ذلك ؛

الأساس الكلي الذي يقوم عليه القانون الثالثي

أو الشفهي هو عدم الالتفات لما صح به موسى

في التوراة .

١٥ ان الباحث هنا يجد نفسه أمام النصوص القوية التي تشير الى

تطابق التأويل الباطني عند الغلاة وعند اليهود عامة و " فيلون " خاصة ،

يشير بالاتهام الى عبدالله بن سبأ لا سيما وأن شيئا من ذلك ظهر في العقائد

التي نشرها هذا اليهودي . ويحدد استبعاد دوره في ذلك ؛ فان الأمريكاد

يصبح مثل الأقصوصة التي تقول ان هناك شخصا في يده مسدس وآخر

٢٠ على مرمى سلاحه مخرج بالدماء . فكيف يستساغ القول ان صاحب

المسدس غير متهم باطلاق النار على المجندل بحجة أننا لم نر الرصاصة حين

خرجت من المسدس وانطلقت حتى استقرت في جسم القتيل ، مع اعترافنا بأن

رصاصه أطلقت ؟ هل يستساغ ذلك ويمكن قبوله ؟

نماذج من التأويل الباطني للقرآن الكريم عند الباطنيين :

تفسير آية الكرسي *

- ان قوله تعالى : " الله لا اله الا هو الحي القيوم " هو تنزيله
من القائل للمبدع الحق تعالى الذي لا تجاسر نحوه الخواطر
وان كانت الألفاظ لا تقع عليه حقيقة كما قال سيدنا حميد الدين اعلى
الله قدسه ، ان حروف المعجم لما كانت محدثة لم تدل الاعلى
محدث مثلها ، وانما يضطرنا العجز الى ان نكفي عنه بما يستحقه
اسماؤه العليا ، لعدمنا ما نصفه به ، فكان المعنى عنه حقيقة
بالحي القيوم ، وسائر النعمت المذكورة في الآية ، هو اول مبدع
ابدعه الله تعالى وهو اسمه الأعظم . وقوله : " لاتأخذه سنة ولا نوم "
هو تنزيله له عما يعترى أبناء الطبيعة من السنة التي هي الغفلة
والنوم ؛ قوله تعالى " له ما في السموات وما في الأرض " هو اخبار
ان من لاتجاسره الخواطر ملكه ، لما خصه به ، وانعم عليه ممن
المدة الأزلية التي كانت جزاء عن تزيهه لمبدعه عن جميع ما في
العوالم الروحاني والطبيعي والديني ، وما احدثت عليه سمواتهم
وأرضهم والسموات الطبيعية هي الافلاك والأرض هي المركز في
عالم الكون والفساد . والسموات في عالم الروحاني والديني هم
المفيدون والأرض هم المستفيدون ، فكل واحد منهم سما لتاليه
وأرض لعاليه ، والمبدع الأول تعالى مبدعه مالك للجميع ممد
للكل ، وبأمره الساري اليهم قاموا ، ومعادته الأزلية المتصلة
بهم داموا واستقاموا . وقوله تعالى : " من ذا الذي يشفع عنده
الا بآذنه " معناها أنه لا يقدر على الشفاعة ويقبل منه ، الا من قام

في مرتبة من مراتب المالمين الروحاني والديني بانه ، وفساد
وهدى بامر الوساطة من سبق عليه من الحدود . وقوله تعالى
: يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم " فالذي بين أيديهم هي
الآخرة والذي خلفهم هي الدنيا وعلمه محيط بالكل . وقوله
تعالى : ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء " إخبار منه
سبحانه أن أحدا من هذه العوالم لا يحيط بعلم الا بما أفاضه
عليه وشاء أن يهديه اليه . وقوله تعالى " وسع كرسيه السموات
والأرض " فكرسيه في العالم الروحاني هو تاليه الذي اقامه لهداية
أهل عالم الابداع وسعهم رحمة ، وافادة ، وكرسيه في العالم
الديني ، هو كل مقام في عصره من نبي ووصي وامام وهو
الذي وسع من في ضمنه من سموات الدين وأرضه هداية ورحمة
وكرسيه في العالم الحسي الطبيعي النفس الفلكية والحيوة
المحركة لها العناية الالهية التي وسعت كل ما في عالم
الطبيعة تجرسة ونقل لكل شيء من جزئياتها الى ما يليق
به من كون او فساد . وقوله تعالى " ولا يؤده حفظهما وهو
العلي العظيم " معناه أنه لا يثقله ولا يشغله ما صرف اليه
مبدعه تعالى من حفظ العوالم بأمر لكونه عاليا في شريف منزلته
عظيما في تدبيره للخلائق بأمر موجد وقدرته . فاعلم .

- تفسير قصة ابني آدم ؛ وهي قوله تعالى : (واتل عليهم نبأ ابني
آدم بالحق اذ قريا قريانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر
قال لاقتلك قال انما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت الي يسدك
لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتك اني أخاف الله رب العالمين .
٥ اني أريد أن تبوء بانبي واثك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاؤا
الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين .
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سواة أخيه
قال ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الخراب فاواري سواة
أخي فأصبح من النادمين * . كما وردت في كتاب الرياض للداعي الكرمانى ،
١٠ ان كلا من الضد والولي اعتقد في العبادة لله تعالى
شيئا هو قربانه الذي به يتقرب الى الله تعالى فالضد اعتقد
أن العبادة ليست الا بالظاهر من الأعمال فقط ، وأن الخلاص
ليس الا به وأما سيكون بهذا الاعتقاد والاخلاص فيه هو القائم
مقام الرسول (صلعم) والولي اعتقد أن العبادة لله تعالى
ليست الا بالظاهر الذي هو العمل ، والباطن الذي هو
١٥ العلم وأن الخلاص ليس الا بهما جميعا ، وأن القائم مقام
الرسول (صلعم) من قدمه الرسول صلى الله عليه وآله وارتضاه
فتحاربا في ذلك يوما واختصا فيه الى النبي وأوضح كل منهما
اعتقاده له فيما تعبد الله به ، وذلك قوله : (اذ قريا قريانا)
٢٠ أى اعتقد كل منهما فيما يقربه الى الله تعالى والى رسوله
شيئا فتقبل من أحدهما وهو الوصي أي ارتضى الناطق القائم

مقام الله اعتقاده في الله وفي عبادته ولم يتقبل من الآخر وهو
الضد أي لم يرتضي [كذا] الناطق اعتقاده كونه على غير
وجهه ، وكان ارضاه الناطق عليه السلام ما ارتضاه من اعتقاد الوصي
في نفسه من غير أن يصح ظاهرا اشفاقا من أن ينسب الضد
منه الميل الى الولي من دونه ، فقال : (ان أكرمكم عند الله
أتقاكم) * وكان قد سمع الضد منه صلى الله عليه وآله
يقول : أتقاكم أبو بكر فقد رجح سماه ذلك من الرسول الآية
التي قرأها . انما قرأها لارتضائه اعتقاده وطريقته ،
وأنه القائم بعده ذلك [كذا] ، فقام وفي قلب الضد أنه قد
غلب الولي ، فقال له لاقتلك أي لأدفعك من هذا الاعتقاد
الذي لم يرتضيه منك وعن الأمر الذي تقدره أنه لك ، فقال
له الولي : (انما يتقبل الله من المتقين) يعني أن القائم مقام
الله الذي هو الرسول لا يقيم مقامه أحدا ، ولا يرتضي من أحد
اعتقادا الا من المتقين الذين يجمعون بين العلم والعمل ، ويتقربون
الى الله تعالى باقامة معالمها جميعا ، فعمد الضد الى الطمئن
والوقية في الولي ، وأنه لا يعرف شيئا فانهما ترافعا الى النبي
عليه السلام في اعتقادهما فرضي اعتقاده من اعتقاده ، فقال
الولي : (لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي
اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين) اي لئن أعنت عليي
وسطت لساك في ووضع من مقداري ، وقلت في غير الواجب
ولا ترص بما اعتقد في عبادة الله رب العالمين فاني لا أعمل
بك مثل ذلك ولا أطمع فيك فاني تحت أمر الناطق القائم مقام الله

- الذي هو صاحب الدور ، ورب الأمة ، وتحت طاعته ،
وأخافه ولا أقدم على شيء إلا بأمره ، فعمل هذا القول
من الولي في الضد ففتر عما كان عليه ، فطوعت له نفسه
قتل أخيه ، فنفسه على الضد الثاني ، جرى على الضد
الذي كان لا يحل ولا يعقد ولا يشاور الا معه ، أي لما
أعاد الضد الأول ما جرى على الضد الثاني ، قال له
ليس الاعتقاد في الله وفي عبادته إلا ما قلت ، والذي قاله
هذا يعني الولي فهو الحاد ، وحسن له الأمر في الوضع
من الولي ، ومنعه من رتبته ، ونسبه إلى أنه لا يحسن
شيئا ، قتله أي دفعه عن مرتبته ، وتغلب عليه وقال : ليست
العبادة إلا بهذا الظاهر ، ولا بما يقوله له هذا ، فأصبح
من الخاسرين لما عبد الله بطاعة الناطق ، من دون طاعة
الأساس ، وبالظاهر من دون الباطن (فبعث الله غرابا
يبحث في الأرض) ، أي لما تناولت المدة وحان اتقنال
الضد ، أراد الولي أن يحكم الحجة عليه ، لتكون مفارقتة
العالم بعد تذكير ، فبعث إليه (وهو قوله فبعث الله) أي القائم
مقام الناطق الذي هو القائم مقام الله رجلا من أصحابه ليوضح
له أمره ومنزله ، وما لله تعالى عنده من السر في سكوته عن طلب
حقه ، ويجعل له مخرجا مما فعله ، ويشوقه إلى رد الحق
إلى أهله ، وذلك معنى بحث الغراب في الأرض ليريه
كيف يتخلص مما جنى على نفسه ، ويرشده إلى الواجب ،
فالرجل الذي بعثه ولي الله لذلك هو (محمد بن أبي بكر)
أذ هو من المختصين بالولي من جهة الدين ، وبالضد من جهة

النسب ، ففعل محمد ما بحث لأجله ، فتنبه الضد لجنائته ،
ولانت نفسه ، وانقاد إلى التزام ولايته ، فغلب الضد
الثاني على رأيه ، ومنعه من مراده ، فيما همم به من الاقترار
للولي بحقه ، فتحسّر فقال في نفسه لما منع : (يا ويلتلى
عجزت أن أكون مثل هذا الغراب أي ياليت أي في مثابة
هذا الرجل يعني محمدا ولده ، الذي هو غريب عن الولي
ومثله في المحافظة على عهد الله ودينه وكتمان أسرار وليي
الله ، فأصبح من النادمين على ما فات من اتباع الولي أولاً وعلى
فعله الذي يتنقل عليه إلى دار الآخرة آخراً .

- ١٠ وفي هذا البحث نماذج أخرى للتأويل الباطني للقرآن ؛ نذكر منها على
سبيل المثال تأويل قوله تعالى : " اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والأرض " (ر٠ ص ٢١٤) وتأويل قوله تعالى : " الله لا اله الا هو
رب العرش العظيم " وقوله تعالى " الله يتوفى الأنفس حين موتها " (ر٠
ص ٢٢٠) . وتأويل قوله تعالى : " ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابغين
والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر " (ر٠ ص ٢٢٦) ، وكذا
ما قيل في تأويل قوله تعالى : " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله " (ر٠ ص ٢٢٩) .
ان كل هذه التأويلات ليست مما نسبته أهل المقالات إلى الباطنيين
ولكنه مما في كتبهم الباطنية فحسب ، وهي كافية في اخبارنا عن حقيقة
الدعوى الباطنية عموماً والتأويل الباطني خصوصاً .

٢٠

١. الداعي الكرمانى . كتاب الرياض ، تحقيق عارف تامر ، بيروت ، دار الثقافة
١٩٦٠ ، ص ١٨٢ - ١٨٥ .
* الأنعام ٧٩ ** النمل ٢٦ *** الزمر ٤٢
**** البقرة ٦٢ ***** التوبة ٣٣ .

الفصل الثاني : التسييع :

تمهيد : ان الباطنيين يقدسون الاعداد بصفة عامة . الا ان أهم عددین

في عقيدتهم هما سبعة واثني عشر؛ يقول الداعي جعفر بن منصور اليماني :

جعل الله سبع سموات وسبع أرضين ، وسبع [كذا]
أبحر وجعل الأيام سبعة والليالي سبعة ، وجعل أيضا في
السماء اثني عشر برجاً والأرض اثنتي عشرة جزيرة [١] وفي كل
يوم اثنتي عشرة ساعة وفي كل ليلة اثنتي عشرة ساعة وجمع
السنين في كل سنة اثني عشر شهراً فجعل السبعة والاثني
عشر موجودة في كل ما خلق . ثم خلق الانسان وجعل
طوله سبعة أشبار ، كل انسان طوله سبعة بشبره [١]
وغير ذلك من دلائل السبعة والاثني عشر في كل شيء
ما يطول شرحه ولا يجهله من تدبره ، وانما جرى الذكر
بذلك تنبيها عليه ولما جعل الله عز وجل دينه انما
يقوم بالرسول والائمة واسبابهم جعل مراتبهم ومقاماتهم
على السبعة والاثني عشر وجعل هذه المخلوقات دلائل
[كذا] عليهم وأمثالا لهم وإشارات اليهم . وسماهم
الايات في الباطن .

ولا يخفى أن هذه التسييعات وتلك الاثني عشريات من الأمور التي لاعلاقة
لها بالعقيدة الاسلامية ، كما أنها ليست في الحقيقة على الصورة التي
ذكر الداعي الباطني فالشهر مثلا ليس سبعين يوما وكذا السنة ليست كذلك ،
والاصابع ليست سبعة وكذا الاذان والعيون والأنفاه والوجوه وغير ذلك كثير ،
وقد رد على الباطنيين في هذا القول محمد بن الحسن الديلمي (القرن الثامن)

١- مخطوطة كتاب الشواهد والبيان ، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧

١.
فذكر ما يدحض تلك الآراء .

ان الذى يهمنى هنا استعرانى هذه العقيدة التى بنى الباطنيون عليها كثيرا من أفكارهم ، ولما كان للرقم (٧) مالم يكن لغيره من الأعداد عندهم فهو أخص ما فى العقيدة الباطنية منها بل هو قطب الرحا بالنسبة للباطنيين ، فقد اخترته نموذجا لما تقول به العقيدة الباطنية من تقديس للأعداد .

التسبيح عند الباطنيين ، ذكر النوختي أن القرامطة :

كانوا فى الأصل على مقالة المباركية ثم خالفهم فقالوا لا يكون بعد النبى محمد صلى الله عليه وسلم الا سبعة أئمة . . . وأولوا العزم عندهم سبعة . . . باضافة علي عليه السلام ومحمد بن اسماعيل على معنى أن السموات سبع والأرضين سبع وان الانسان بدنه سبع ، وأن الرأس سبع .

ولهذه العقيدة أصل عند الفلاة ، فان الفرقة المنصورية قالت بما يشبه ذلك (ر . ص ١٢٠) ، وقد طور الباطنيون عقيدة التسبيح حتى لازمتهم فسموا بالسبعية .

١٥ فى عقيدة التسبيح دروب شتى ؛ فقالوا بأن هناك سبعة كواكب تدبر عالم الكون والفساد ، وفى التأويل الباطني قالوا بأن للكلمة سبعة معانى وسبعين وسبعمائه (ر . ص ١٩٠) ، وفى الدعوة الباطنية من التسبيح الشئ الكثير وفكر الباطنيين عموما زاخر بتسبيحات شتى .

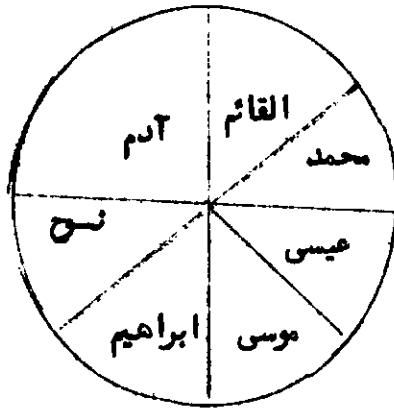
-
١. انظر قواعد عقائد آل محمد ، القاهرة ، ص ٣٥
 ٢. فرق الشيعة ، ط ٤ ، ص ٨٢
 ٣. انظر : الامام المستور : الرسالة الجامعة ، مصطفى غالب ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩٤ ، ص ص ٤٠١ - ٤٠٩ ، والأنوار اللطيفة (محمد حسين الأعظمي . الأسرار الخفية) ص ص ٩٥ ، ٩٦
 ٤. انظر : المحالس المؤيدية . تحقيق عبدالناصر ، القاهرة ، دار الثقافة ١٩٧٥ ، المجلس ٢٤ ، ص ص ١١٢ - ١١٥ .

عقيدة الأدوار السبعة : ان عقيدة الأدوار السبعة في الحقيقة جانب رئيسي من جوانب التسييح عند الباطنيين وهذه العقيدة توضح لنا مدى قيمة السبعية عندهم ، وهي أخص ما في التسييح .

فالباطنيون يصورون حياة البشر على هذه الدنيا ، على طريقة خاصة ؛

- ٥ فهم يرون أن الحياة على هذا العلم لا تنتهي أبدا ، بل انها على شكل دائرة تبدأ من حيث انتهت ، أم تحيا وأخرى تمت ، وقسموا هذه الدائرة الى سبعة أقسام سماكلا منها دورا ، وجعلوا كل دور منسوباً الى أحد الناطقين السبعة والناطق كلمة قد تترادف كلمة الرسول (ر : ص ٢٢٥) والناطقون السبعة هم آدم ، نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ، القائم المتظر ، على هذا النحو ،

١٠



الأدوار السبعة .١

سعى الباطنيون هذه الدائرة باسم الخلق الدينية وهي مقابلة للخلق الطبيعية التي تصور مراحل تخلق الانسان كما تشير اليه الايات الكريمة (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين

- ١٥ ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغ فخلقنا المضغ عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) .

١. انظر : الداعي ابو يعقوب السجستاني (- قبل ٣٨٦) كتاب اثبات النبوات بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٦ ، ص ١٣١ وانظر : رسالة بسدر الحقائق ص ١٦٨ .

قادم عليه السلام مقابل للسلالة وبن للنفقة وابراهيم
للعلة وموسى للمضفة وهيسى للعظام ومحمد صلى
الله عليه وعليهم مقابل اللحم .^١

واعتبروا القائم المنتظر مقابلا للخلق الاخر . واعتبروه آخر الرسل وآخر

النفقاء .

ان التصوير الباطني هذا يوضح ان فكرهم ينهل من منابع غير اسلامية
وان هدفهم هو تحقيق دين لا علاقة له بالاسلام ، فهدفهم من الاستشهاد
بالآيات الكريمة السالفة الذكر ليس تعظيم القرآن الكريم ، بل انهم أرادوا بذلك
صبغ فكرهم بالصبغة الاسلامية للتغريب بالبسطاء الذين ينظلي عليهم
مثل هذا ، والدليل على ذلك : أنهم حذفوا قصدا بقية الآيات التي تصور
خلق الانسان وموته ثم بعثه بعد موته وهو أمر لا يؤمنون به فاقصر استشهادهم
بما على ما يؤيد عقيدتهم التسيبية على طريقة من قال : لا تقربوا الصلاة .
لان الله تعالى بعد أن قال : (ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن
الخالقين) قال : (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون)
فأففلوا مرحلتين ليم بذلك ما ذهبوا اليه من القول بالتسيب .

وشبه الباطنيون الناطقين السبعة بأيام الاسبوع فجعلوا آدم مثلا على
الأحد . . . ومحمدا مثلا على الجمعة والقائم المنتظر مثلا للسبت . قال
الداهي جعفر بن منصور اليميني :

والجمعة مثل محمد صلى الله عليه وسلم . . . فلماذا أمرنا بتعظيم
يوم الجمعة وتشريفه فاتخذناه عيدا تعظيما لنبينا محمد صلى الله عليه
وسلم . . . والسبت مثل القائم من آل محمد صلوات الله عليه
وعليهم أجمعين فهو سابع النطقا والسبت سابع الأيام وهو اليوم الآخر .^٣

١. رسالة تحفة المرتاد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٦٢
٢. أنظر : الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الأسرار الخفية) ص ١٠٧
* المؤمنون ١٥ ١٦٤ ٣. مخطوطة : الشواهد والبيان ص ٤٠

ولعل القارئ الكريم تنبه الى ما فى النص من تلغيز تعودناه من الدعاء

الباطنيين فهو أسلوبهم في نشر دعوتهم . هذا التلغيز الذى يوحى

بتعظيم السبت أكثر مما عظمت الجمعة لأن السبت من نصيب القائم المنتظر

الذى هو فى نظرهم أفضل من سيدنا محمد (ص) . (ر. ص ٢٣٠)

وهم بذلك يضايقون قول اليهود بتعظيم هذا اليوم لليهود أعتقاد

آخر يتصل بالسبت وهو أن مسيحيهم المنتظر يجي من نهر

السبت . والمقارنة واضحة .

وتلتقى عقيدة التسيبع مع عقيدة التناسخ التي دان بها الباطنيون

في عقيدة الأدوار السبعة هذه لأن الباطنيين يرون أن بعد الدور السابع

الذى هو دور القائم سيعود دور آدم من جديد ، وسيأتى بعد آدم نوح

فابراهيم . الخ . كما توضحه صورة دائرة الأدوار السبعة .

فشل الباطنيين في اثبات التسيبع واقعيا .

إذا أعيد النظر الى الدائرة السبعية فلنتخيل أن كل سُبج منها انما

هو في حد ذاته دائرة تتكون من سبعة أجزاء ، لأن دور كل ناطق عند

الباطنيين يحتوي على سبعة أئمة ، فبعد آدم كان وصي وستة أئمة وبعده

نوح كذلك وكذا بعد ابراهيم وموسى وهيسى ومحمد (ص) . وقد ظل

الباطنيون يقولون بهذا الرأي حينما من الدهر كما ورد في نص النويختي عن

القرامطة (ر. ص ٢٠٠) وكما أشارت رسالة المهدي عبيد الله السى

١. انظر : العهد القديم سفر التكوين ٢/٢ ٣٦

٢. انظر : الاب الطويان . كشف الفضايع الدرزية ، مخطوط مصور

في مكتبة تيمور ، عقائد ٦٦٣ .

٣. استشهادا بالآية (كما بدأنا أول خلق نعيده) سورة الأنبياء ١٠٤ .

انظر تفصيل ذلك في الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي ، الاسرار)

ص ص ٩٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ فما .

باطنية اليمن الذين كانوا يعتقدون كما يعتقد جميعهم أن :-
بين الناطق الى الناطق سبعة أئمة .^١

ولكن بعد قيام الدولة العبيدية أضر الباطنيون الى التخلي عن
تلك الدعوى ، بعد أن أوجدوا لذلك تبريرا على الطريقة الباطنية ، فقالت
رسالة المهدي عبيد الله الى أهل اليمن :

انما هي سبع مراتب ، تدور كما تدور الأيام ، يكون فيها
من الأئمة ما شاء الله ، حتى يظهر الناطق بغتة متى
أراد الله سبحانه .^٢

وقد أيد الداعي ابو يعقوب السجستاني ذلك فقال :-

محمد صاحب الدور السادس وأساسه علي ومن
بعده أئمة كثيرون حتى القائم الذي هو صاحب الدور
السابع .^٣

وعلى ذلك يمكن القول ان عقيدة التسييح لم تكن أمرا ذا بال في الفكر
الباطني بعد ظهور دولتهم العبيدية التي وقع فيها كثير من الانتهاكات
لهذه العقيدة . والأصح أنهم لم يستطيعوا تطبيقها عمليا .^٤

وعلى اثر قيام الدعوة الدرزية لتأليه الحاكم بأمر الله العبيدي في
عهد ، كتب الداعي الكرمانلي دحضا لتلك الدعوى ، ولكنه في نفس الوقت
أضفى على الحاكم بأمر الله صفات أكبر من صفات أي امام سابق عند الباطنيين
فقال :

١. في نسب الخلفاء الفاطميين ، نشره الجامعة الامريكية ، القاهرة ، ص ١٩٥٨ ، ص ١٤
٢. في نسب الخلفاء الفاطميين ، ص ١٤
٣. اثبات النبوات ص ١٩٣
٤. انظر : أصله بين التصوف والتشييع ص ٢٠١

ان امير المؤمنين الحاكم بأمر الله سلام الله عليه في كونه
اماما في وقته وقائما في زمانه وقائدا لاهله وشفيعا للمتعلقين
بحبلة وان لم يكن سابعا من الأسباب في القوة والتأييد
المتد اليه من جهة الله تعالى بموازنته للأعداد التي من شأنها
افادة التمامية ومناسبتها اياها ما يخدمه باذن الله تعالى الفلك
بأجرامه والزمان بشهوره وأعوامه فينجز الله تعالى به ~~وهو~~
لحمد جده صلى الله عليه ، بقوله تعالى : " يوم تطوى السماء"
كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا اننا
كما فاعلين *
٥

١٠ ويلاحظ أن كلمة (التمامية) التي وردت في النص ذات علاقة بالامام
السابع في الفكر الباطني وقد ورد نص يوضح ذلك في هذا البحث
(ر. ص ١٧٥، ١٧٧).

ان عدم استطاعة الباطنيين السير بالتسبيح كما وضعت نظرياتهم
لدليل على فساد تلك النظريات وأنه لا علاقة لما يصير على هذه الدنيا
بحركات الكواكب والبروج التي يرون أنها ذات سيطرة على الحوادث (ر. ص
٢٠٠) لان حركات الكواكب تخضع لنظام لا يتبدل ولا يتغير بينما
الأحداث التي تقع بين الناس لا يمكن وصفها بذلك والتاريخ الباطني خير
شاهد على ذلك . خاصة قيام دولتهم وزوالها .

* الأنبياء ١٠٤

١- الرسالة الواعظة . مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة
مايو ١٩٥٢ ، ص ٢٣ ، وأنظر كتابه : مباسم البشارات .

أصل التسبيح : من أين جاء الباطنيون بالتسبيح ، هل هو من تأثير الديانات البابلية القديمة مثلا كما قد يظن البعض . أم أن عقيدة التسبيح ونحوها من تقديس الأعداد كان من تأثير القبلا اليهودية ، في الفكر الباطني .

- ٥ أن فكر القبلا اليهودية يعتمد على السحر ويقولون انه منزل من الله الى الأنبياء ، لذا فلا غرابة أن يقدسوا الأعداد ، ولا شك أن القبلا قد حشرت التسبيح في كثير من المصطلحات . فهم في اعتقادهم أن اليهود هم النسل الطاهر من آدم الى يعقوب يقولون عن آدم $\text{אָדָם} \text{עֲבָרָה}$ = [آدم قديم] ويلاحظ أن العبارة تتكون من سبعة حروف ، ومن اللفظ يظهر ما يشبه الحرف قبل الحرف الأخير وهو [ב] وهو ليس بحرف بل هو حركة مد للحرف الذي قبله وهو [ב].

وإذا عدنا الى عقيدة الأدوار السبعة ، فقد ضرب لها الباطنيون مثلين رئيسيين أحدهما عن حياة الانسان في بطن أمه حتى ولادته ، وقد اشير الى أن اعتمادهم كان على الآيات الكريمة (ولقد خلقنا الانسان من سلاله... الآيات) . وأشير الى أنهم كتبوا آيتين تدلان على الموت ثم المبعث بعد الموت في يوم القيامة . وذلك لغرض تحقيق التسبيح الذي لا تحققه الآيات المقهمة الا بكتمان الآيتين (ر. ص ٢٠٢) لذلك فان هذا الاستدلال لا يحقق لعقيدة الأدوار السبعة شيئا ، ولكن الذي تستطيع عقيدتهم تحقيقه هو اعتمادهم على السبعة الأيام التي أعطوا كل ناطق

١. انظر : ساس النشار ، نشأة الفكر الفلسفي ط ٢ ، ص ٢٠٧

٢. ظفر الاسلام خان . التلمود ، ص ٣٧

٣. انظر ، مقالة فريدلاندر في JAOS vol. X x 1x 1٠٤

٤. انظر: ربيعي كمال . المعجم الحديث - عبي - عربي ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٧٥ ص ١٩

من ناطقيهم السبعة يوما وأعطوا الناطق السابع يوم السبت (ر. ص ٢٠٢٤٢٠٢ م)
وهذا يدل على معان كثيرة منها أن العنصر اليهودي واضح في
الاستدلال لأن الباطنيين يدعون أن دور الناطق السابع - قائم
الزمان - . إنما هو خلوه من الشرائع التكليفية وسموه دور الكشوف
(ر. ص ٢٢٨ فما) ومعنى الخلو من الشرائع التكليفية الاستراحة
من العبادات التي تتطلب العمل فلا صلاة ولا صوم ولا حج ، وما قالوه
عن الجهاد في هذا الدور لا يعني شيئاً لأنه لا يعني الجهاد المقصود
به اعلاء كلمة الله ليدخل الناس في دين الله ؛ ولكنه يهدف
فقط الى الانتقام من أعدائهم على طريقة مسيح اليهود المنتظر (ر. ص ٢٩٧)
وفوق ذلك فانهم أشاروا صراحة الى أن دور القائم المنتظر سبت واذاعدنا
الى العهد القديم وجدنا أن الله استراح في اليوم السابع الذي هو
يوم السبت ، واليهود مأمورون بالاستراحة من الأعمال في هذا اليوم
ففي العهد القديم :

اذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع

جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك

لاتصنع عملاً ما أنت وابنتك وابنتك وعبدك وأمك وبهيمنتك

ونزيتك الذي دخل أبوابك .^١

ستة أيام يُعمل عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة

محفل مقدس . عملاً ما لا تعملوا . انه سبت للرب في

جميع مساكنكم .^٢

١. خروج ١٥/٨-١٠

٢. لاويين ٢٣/٢

كل ذلك دليل على أن تقسيم الأدوار السبعة ، بحيث يكون آخر الأدوار
- السابع - خاليا من العبادات التكليفية . كل ذلك يدل على أن الأمر
لم يأت اعتباطا ، سيما وأن للباطنيين في كل شيء من عقيدتهم رمز ومثـل
بعيد الإدراك . وهو هنا يدلنا على الأصل اليهودي للفكرة وهو نابـع
من السبت وما تعنيه الكلمة عند اليهود .

ذكر محمد كامل حسين أن عقيدة الأدوار السبعة عبرانية وبابلية
قديمة في أصلها^١ ، وقوله هذا يذكرنا بما وقع بين دانيال ونبوخذ نصر ملك
البابليين وقد أشير إلى طرف من القصة في هذا البحث (ر. ص ٦٠)
وتكلمتها أن دانيال طلب من الملك البابلي أن يتخلى عن ملكه ليعيش
سبعة أزمنة مع الحمر الوحشية ويطعم حشيشا كالثيران . الخ ، ويمكن
اعتبار هذه القصة التي وردت في سفر دانيال نموذجاً لفكرة تناسخية
قال بها اليهود ، كما يلي :-

أما اليهود الذين يعرقون من دينهم أو يقتلون
أحد أبناء ملتهم فان نفوسهم بعد الموت تسير تـسـا
إلى الحيوانات والنباتات وتقطن بها ، ثم بعد حياة
شقية يرسلون إلى الجحيم ليحتلوا ألوان العذاب اثني
عشر شهرا . وعقب انتهاء المدة يبعثون أحياء ويتقلون
متجسدين في الجماد والحيوان وعبدة الأوثان وعندما
يظهرون يعودون إلى اليهودية [Seph. emek hamef. f. 16, I].

وهذا الانتقال الروحاني والجسماني هو رحمة من
الرب الذي يريد أن يشرك جميع أبناء إسرائيل بسعادته

الخالدة . [Seph. abad, hak II, 40, 2; & Nischim. Chaij m, f. 163, 2].

١. انظر : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٦

٢. انظر هامش ١٠١ الصفحة التالية

ا.

وفات الباحث في حديثه عن الفلاة أن يتحدث عن هذه النقطة التي

قال بثلمها * الخطابية * الذين ،

زعموا أن أرواح من جحد أمرهم يجري في كسل

الانشاء [كذا وربما كان الصواب تجري في كل الاشياء]

في الانسانية وغير الانسانية ، وانما يجري في كل ذى روح

وفي جميع المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات ..

حتى النجوم والكواكب فاذا جرى في ذلك كله صار جمادا

صخرة أو مدرة أو حديدا وتأولوا في ذلك قول الله : قل

كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون

من يعيدنا قل الله الذي خلقكم [كذا والصواب هو : قل

الذي فطرکم أول مرة *] فذلك عندهم جهنم يعذب بذلك

أبد الأبدین .

وزعموا أن المؤمن العارف منهم لا يتقل روحه في شئ

من الأشياء وان روح المؤمن منهم ألبس سبعة أبدان بمنزلة

سبعة أقصه .

وبالنسبة لأقصة مؤمني الخطابية بزعمهم فانها مشابهة لما نسب إلى

اليهود من أنهم يقولون :

بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت أمارا أقلها ثلاثة

وأكثرها سبعة وذلك لأجل تكميل الوصايا التوريه [ربما كانت

١ هججبة التعاليم الصهيونية ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، وانظر الكنز المرصود

ص ٦١

* - انظر الآية في سورة الاسراء ٥١

٢ المقالات والفرق ص ٥٨ ، ٥٩

التوراتية] حتى لا يملك منهم ولا واحد .
وقد نسب الباطنيون ذات الفكرة التناسخية التي تقول بانتقال الروح
خلال الكائنات الى الكواكب في مراحل طويلة . يقول الداعي علي بن
محمد بن الوليد (- ٦١٢) *

- ٥ وقد دفعت تلك العناية السارية صفو ذلك
المعدن والنبات والحيوان من بين سائر الخلقة التي
شخص الانسان فيتناول ذلك الصفو مقتديا بمعدنه
ونباته وحيوانه المحلل الصاعد بعد طول انحداره
وترادف كراته فتنقله الى الدائرة البشرية وترفعه
١٠ بعد الركب والعكس والنكس والوكس الى القاصدة
الالفية [يعني البشرية] ويتجه ان قارنه التوفيق
الى الطريقة المثلى السوية .^١

وفي مصدر باطني آخر نجد :

- ان اهل العذاب اذا ماتوا وشاعت نفوسهم فسي
١٥ اجسادهم سلك بها في براج العذاب وقصه السبعين
المشار اليها بالسلسلة وكون زحل والمريخ نحسي
الفلك يتوليان من موجودات عالم الطبيعة الاخر منها
الارذل من معدنه ونباته وحيوانه التي يسك فيها
اهل العذاب فتلك الروحانيات اشارة الى تحرك
٢٠ زحل والمريخ لما هو يتولى له من هذه البراج حركة
خفيفة بها يكون تنقل المعذبين في مراتب العذاب
فاذا بلغوا غاية ذلك وهو آخر السلسلة وأوقفوا السي

* أنظر ترجمته في اعلام الاسماعيلية ص ٤٠٨ فما

١. مخطوطة كشف الفاضح الدرزية ق ٨

٢. الداعي ابن الوليد . رسالة الايضاح والتبيين في تسلسل ولادتي الجسم
والدين (شروثمان . أربعة كتب) ص ١٤٤

١. أو ان القيامة ليحصلوا في العذاب الأكبر .

ونعود بعد ذلك الى عقيدة الأدوار السبعة التي يعتبر ما مضى جزءاً منها بطريق غير مباشر كان الفرض منه اثبات أن هذه العقيدة وان نسبت بطريقة ما الى البابلية القديمة فان اتصال الباطنيين بها لم يكن الا بوساطة اليهود .

ولكننا نجد فريد لاندر يعود بهذه العقيدة - الأدوار السبعة -

الى منحولات كليمانس المسيحي (١٥٠ - ٢١٢ م) * ذكر فريد لاندر

ما قيل من أن الرسل الحقيقيين هم آدم وأنوش ونوح وإبراهيم وإسحقي ويعقوب وموسى ، وفي قول آخر له نجد فريد لاندر يحذف موسى

١٠ ليضع بدلا منه المسيح بين حاصرتين هكذا [المسيح] ، وهذا القول الأول الى سيمون المجوسي ، والثاني الى معلق على كلام

٢. سيمون . ولكن هذا الرأي لا ينسحب بالضرورة الى الفكر المسيحي ، لأن

ما يستفاد من عبارات فريد لاندر يعني تناسخ الأنبياء - أى أنهم شخص واحد يتبدل جسمه كل مرة ، وليس فيما نسب الى كليمانس هنا من علاقة

١٥ بالتسبيح بقدر ماله من علاقة بالتناسخ الا من حيث كون عدد الأنبياء سبعة فذلك صحيح . وأما قول سيمون المجوسي فليس في تسلسله السبعي

لرسل ذكر لنبي بعد موسى ، ما يرجح وجود النكبة اليهودية الخالصة فيه ، ويؤيد رأي الباحث هذا ما ذكره فلها وزن حول هذا

١. مسائل مجموعة من الحقائق . . . (شتروتمان . أربعة كتب) ص ٦٤ وانظر أيضا ص ٤١ وانظر مخطوط حياة الأحرار ق ٢٢٧ * انظر عن كليمانس : يوسف كرم . تاريخ الفلسفة اليونانية ، بيروت دار القلم ١٩٧٧ ، ص ص ٢٦٣ فما .

٢. انظر : JAOS . Vol. xxix . pp. 104, 85 ، وعن سيمون المجوسي اقلب الصفحة

الموضوع من حيث علاقته بكليمانس من جهة وبالتناسخ من جهة أخرى
فاحتمل - بصيغة التأكيد - كون الفكرة يهودية الأصل .^١

على العموم يمكن اعتبار كلا الفكرين ، الباطني واليهودي زاخران
بتسبيحات كثيرة في الملائكة (ر. ص ٢١٥) والرسل والانبياء ، والدعاة
ومراتب الدعوة (ر. ص ص ٣٢٧ و ٣٥٦) والتناسخ والشياطين والكواكب
وغير ذلك !

ثمة نقطة أخرى تتعلق بالحروف وما لذلك من علاقة وثيقة بالأعداد
وهي جديرة بالبحث هنا الا أن الوقت لم يسمح الباحث في التحدث
عنها وهي ما نجده في الفكر الباطني من استعمال حساب الجمل عند
الاسماعيليين والدروز وعلاقة ذلك بالقبالا .^٢ وحيث أن الموضوع لم يطرق
فلا بأس بالإشارة إليه على هذا النحو .

٢. يقول فان فلوتن ، سيمون المجوس صاحب الفرقة الفلسطينية السذي
جمع بين العقائد التوراتية وعقائد الوثنيين (انظر : السيادة
العربية ، هامش ص ٧٥) .

١. انظر : فلهاوزن . أحزاب المعارضة (الترجمة العربية) القاهرة ،
مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ ، ص ٢٤٩ .
٢. انظر في القبالا ، النشار . نشأة الفكر الفلسفي ٢/٥ ط ٤ وفي
علاقة الباطنيين بالحروف رسالة الاسم الأعظم (شتروثمان . أربعة
كتب) . خاصة ص ١٢٥ وانظر ؛
الشيبي . الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ص ص ٢٢٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤
٣. انظر نموذجاً من ذلك في مخطوطة . رسالة نسخة تقليد
المقتنى . دار الكتب المصرية . رسائل درزية سرية - ٥٤ ق ٦٠ .

الفصل الثالث : الاله عند الباطنيين

ان دعوى العمل بالظاهر والباطن التي يحتج الباطنيون بها ، تصبح شيئا عجيبا غربيا اذا كان الحديث عن الذات " الالهية " وفعالته تعالى . فمن افعال الله تعالى سبقت الاشارة الى أن " فيلون اليهودي " نسخ كل اتصال مباشر لله مع العالم الخارجى بفضل ما درسه عن نظريات " افلاطون " و " زينون الرواقي " ، وكذا ما فعله اليهودي صاحب كتاب " الحكمة " الذى سبق " فيلون " في التأويل الباطني للكتب السماوية (ر. مرص ١٨٣ ع ١٧٦) .

ان التأويل الباطني عند الفرق الباطنية يسير على ذات المنوال ، ولتوضيح

- ١٠ ذلك لا بد من معرفة قصة الخلق عندهم ، وحيث يقولون : -
- ان الله ابدع عالم الأمر دفعة واحدة بلا زمان بل اوجدهم كما قال سيدنا حميد الدين الكرمانى في كتاب (راحة العقل) دفعة واحدة . . . لا شرف لأبيهم على غيره عند الابداع ، بل الكل في الكمال واحد متساوون
- ١٥ فكان من واحد منهم أنه فكر في ذاته بذاته لا من معلم ولا من ملهم ، بل جعل له من ذاته تصور وعلم أنه له ولجميع ما معه من أبناء جنسه مبدعا وخالقا ليس هو كهم فنفس حينئذ عن نفسه الألوهية وأقر لمبدعه بالوحدانية وهو قوله تعالى " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو " فكان هو الشاهد بالغييب
- ٢٠

سبحانه فلم يسم ولم يكن بل قال : الاله لقلبة
احاطته بمبدعه وتصوره عن ذلك .^١

جدير بالملاحظة أن هذا النص في تفسيره للآية الكريمة ، يجعل
من كلمة " الله " ذاتا مخايرة لكلمة " هو " التي تعني هنا الذات الالهية ،
فالباطنيون كما سيأتي لا يعتبرون اسم " الله " واقعا على الذات الالهية ،
لأن الذات الالهية عندهم لا تسمى ولا تكتفى ، فحروف المعجم محدثة
لاتقع الا على محمد لذا فان ميسن يقرأ الكتب الباطنية سيفاجأ بأنهم
يطلقون على الاله من لاتجاسر نحوه الخواطر .

أما ذلك المبدع (بفتح الدال) الذي تحدث النص السابق عنه فهو
ليس الا " العقل الأول " وهي تسمية فلسفية يونانية ، كانوا يطلقون
عليها " اللوفوس " .

بعد العقل الأول الذي يعتبرونه أول من اكتشف مبدعه ، نجد
الباطنيين يكررون القصة مع عقول أخرى فأوجدوا " العقل الثاني " أو النفس
الكلية " أروح القدس ، فالقدس هو العقل الأول وروح العقل الثاني .^٢
وهكذا حتى تكونت لديهم عشرة عقول ، هذا هو كل ما خلق الله عندهم
وفعله . أما سوى ذلك فهو من فعل تلك العقول العشرة ، ولتقف على
أفعال أدنى هذه العقول وهو العاشر وهو مدبر عالم الطبيعة ، يقول
الباطنيون :

قدرة مدبر عالم الطبيعة التي تسير . . . في كل لحظة
الى عالم الكون والفساد والنفس مجبورة على ذلك الفصل

١ . حاتم الحامدي (٥٦٦) الداعي الباطني . رسالة زهر بذرة الحقائق
نشر : عادل العوا ، دمشق ، الجامعة السورية ، ١٣٧٨ ، ص ١٦١
١٦٢ .
٢ . كتاب الأنوار اللطيفة . (محمد حسن الأعظمي ، الأسرار الخفية) ص ٨٤

بتلك القدرة لا تختاران تفعل ذلك ولا تشعر به بل هي
مثل الفضة التي يصفوها الصائغ أي صورة أراد بالالات
صيافته ، كذلك مدبر عالم الطبيعة يصور كل مادة من
المكونات من معدن أو نبات أو حيوان أي صورة شاء بحسب
ما يستحقه بالآلة التي هي القوة الفلكية والامهات الطبيعية .
٥

وفي تفسيره لقوله تعالى " اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض
حنيفاً وما أنا من المشركين " يقول أحد الدعاة الباطنيين ،

اني وجهت وجهي للذي فطر الأنبياء العظام ، وأرسلهم
بالظواهر في الأنام . وأرسل حججهم بتأويل ما أتوا به
وبحقائقه وأسراجه ودقائقه وما أنا من القائلين انه يحل
في الأجسام ، بل هو يتجلى في كل زمان ومكان بكل
مقام وذلك هو العقل العاشر والمدبر الظاهر .
١٠

بعد أن عرفنا مهمة " العقل العاشر " ليس بالضرورة معرفة مهمة من
فوقه من العقول ، الا أن هناك ملاحظة وهي ان العقول التي بين
التالي الذي هو النفس الكلية والعاشر الذي نحن بصدده عقول
أخرى وهي الثالث والرابع والخامس . . . الخ ، ويسمها الباطنيون
الكروبيين السبعة .
١٥

قبل الحديث عن الكروبيين السبعة لابد من الاشارة الى نص " حياة
الأحرار " الانف الذكر الذي نفى عن نفسه اعتقاد أن العقل العاشر

١- مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ، ص ٢٣ ، ٢٤
وأنظر أيضا ص ٦ ، ٧ وأنظر حياة الأحرار ق ١٤
* الانعام ٧٥
٢. حياة الأحرار ق ٢٤ ب .

يحل في الأجسام ، انه ينفي ذلك عن نفسه بخلاف " التصيريين " الذين يقولون بالهية علي بن أبي طالب ، كما قال أصحاب عبد الله بن سبأ اليهودي . وأنكر البعض قول الدوروز بظهور الاله في الأشخاص البشرية عن طريق الحلول بل عن طريق التجلي أيضا .

ولكنه في نفيه تلك التهمة عن نفسه أثبتتها من وجه آخر حيث يقول :
ان مدبر عالم الطبيعة يتجلى في كل مقام ومعني بكل مقام فيما يعني أئمة .
أما ما قاله الباطنيون عن الكروبيين السبعة فهم :

كما وصفهم سيدنا المؤيد أعلى الله قدسه في
مناجاته . . . وذكر أن كل واحد منهم ناظر إلى
فلك من الأفلاك الجبرائية مثل لتدبيره وأدارته لاحظ
لكل ذي مرتبة من رتب الدين مقبل عليه بامداده
وافادته . . . وأما أسماءهم فهم الموسومون بالكروبية
وبالعقول المجردة بلسان الدعوة وبالملائكة بلسان
الشرعة فاعلم ذلك .
٢

ووردت في رسائل اخوان الصفا كلمة الملائكة بأنهم كواكب السماء خلقهم
لعمارة عالمه وتدبير خلائقه . ولفظة الكروبيين يهودية وردت في " العهد
القديم " بلفظ " الكرويم " واليهود يزعمون انهم الملائكة .
وليس المقصود هنا التشابه اللفظي للكروبيين عند كل من الباطنيين وان كان
أمرا مهما ولكن العمل الخاص بالكروبيين عند الفريقين يكاد يكون متقاربا ، لأن تصويرهم

-
١. انظر : مخطوطة كتاب تقسيم العلم ، دار الكتب المصرية ، عقائد النحل ٥٤ ق ق ١٠٥ أ - ١١١ ب وفيه ما يشبه القول بالحلول .
 ٢. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٣٣ وانظر أيضا ص ص ٦٢ ، ١٣٢ .
 ٣. انظر : عارف تامر . مقدمة كتاب الايضاح ص ٧
 ٤. انظر : سفر التكوين ٢٤/٣ وسفر الخروج ١٧/٢٥ وسفر خرقيا ١

في الفكر الباطني أنهم يمدون أصحاب المراتب الدينية ويفيدونهم
وأن العمل الخاص بالنفس الكلية هو محاسبة الناس يوم القيامة وان العمل
المطلق " للسابق " أو " العقل الأول " ؛ انه أبداع كل شيء . ان ذلك
يدل على أنهم نحو كل اتصال مباشر لله تعالى بالعالم الخارجي . ذلك
الذي أثبتته القرآن الكريم * * *
و يؤكد ذلك على توافق
آخر بين تأويلات الباطنيين وتأويلات فيلون وفي مايمائله . اليهود ، وفوق
ذلك نجد " ابن ميمون اليهودي " (- ٦٠٢) يسلك نفس المسلك
حيث يقول :

ان شريعتنا [يعني شريعته اليهودية] لا تنكر كونه

تعالى يدبر هذا الوجود بوساطة الملائكة .

ان ابن ميمون يعتبر من عظماء المفكرين اليهود ، ومن عرفه فأنسه
سيقف على خطورة هذا التصريح الذي أدلى به باسم الشريعة اليهودية ،
وإذا وقف شخص ما قائما بالاعتراض على هذا النص بزعم أن فكر ابن ميمون
مشوب بالفلسفة اليونانية ؛ فان الباحث على استعداد لاستبعاد الجانب
الفلسفي اليوناني من الموضوع عند كل من الباطنيين وابن ميمون ، لتصبح
الفكرة المجردة عند كل ؛ أن تدبير أمر هذا الوجود يتلخص في أن هناك
من يعين الله فيه - تعالى الله عن ذلك - ان هذه الفكرة موجودة عند
اليهود قبل ابن ميمون فحكما التلمود يقولون ان الله :-

تبارك وتعالى لا يصنع شيئا دون أن يستشير الحشم

فوق . [هذا اللفظ مأخوذ من التلمود اليورشليمي ،

براشيت ره ١٢ وسنهدرين ٢ والتلمود البابلي ؛ سنهدرين

[٣٨] ٠٠٠ وفي براشيت ره أيضا قالوا : أينما قيل : والرب
[القصد منه *] هو ومحكمته :

١. انظر: الرسالة الجامعة ، ص ٣٦٠ ٢. دلالة الحائرين ص ٢٩١
٣. دلالة الحائرين ص ٢٩١ * الحاصرتين وما بينهما من وضع المحقق .
** أنظر في ذلك: سورة النمل الآيات ٥٩ - ٦٦

ورد أيضا في كتب اليهود :

ان عمل الملائكة الرئيسي هو سكب النعم على عيون
البشر وحراستهم في الليل ، أما في النهار فانهم
يصلون عن البشر ، ولذلك يجب أن نلجأ
اليهم [Jal/khod. p. 118]

ان ما مضى من نصوص يهودية يوضح لنا وجود هذه العقيدة عند
الباطنية واليهود ، أما في الدين الاسلامي فان الله تبارك وتعالى يقول في
كتابه العزيز (ان الله لغنى عن العالمين) وقال : (الاله الخلق والأمر
تبارك الله رب العالمين) وقال : (قل أنتم لتكفرون بالذى خلق الأرض في
يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين) وقال : (ولقد خلقناكم
ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فيبين سبحانه أنه غني
عن العالمين وأن له الخلق والأمر ، وفي الآية الأخيرة دليل على أن صيغة
الجمع في قوله تعالى (ولقد خلقناكم) لاتعني أن معه شركاء في
الخلق أو نوابا بل تعني الذات الالهية بدليل قوله تعالى : (ثم قلنا
للملائكة) ان لا يمكن أن يتكلم الله عن ذاته وملائكته كمجموعة خلقت وصورت
ثم يقول ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ان لا يعقل أن يأمر هو وملائكته
مطلق الملائكة بالسجود لآدم .

ان فكرة العقول العشرة ودورهم في تدبير الكون ، لاتعدو أن تكون
فكرة شركية بعيدة كل البعد عن الاسلام ، وهي مما جرّه القول بالتأويل
الباطني على الباطنيين . هذا عن أعمال الله .

١. همجية التعاليم الصهيونية ص ١١٦

* العنكبوت ٦ ** - الأعراف *** فصلت ٩

*** الأعراف ١١

أما عن اسم الله فان الباطنيين لا يجدون غضاضة في ذكر اسم
الله تعالى ؛ فكتبهم تبدأ بالبسملة والحمدلة . الا أن باطن هذه الكلمة
لا يشير بالضرورة الى ذي العزة والجلال رب العالمين كما تقدم .
انهم كما أشركوا مع الله عقولا عشرة في الملك والخلق والرزق وتدبير
الأمر ؛ فانهم أشركوا معه غيره في لفظ الجلالة ذلك اللفظ الذي
لا يدل على سواه عند جميع المسلمين ، وزادوا على ذلك أن لفظ الجلالة
انما هو في الأصل مما يستحقه العقل الأول ؛ فقد نقلوا عن الداعي
الكرماني :

ان اسم الالهية لا يقع الا على المبدع [بفتح الدال]

الأول ، وان ذلك اشتق من الوله الذي هو التحير في
ادراك مبدعه ومن الهانية التي هي الاشتياق الى
الادراك ، والمجزر يمنعه عن ذلك لجلالة مبدعه
تعالى أن يدرك .^١

ويقول داعي باطني آخر عن العقل الأول :

وترادفت عليه الأسماء المذكورة في القرآن ، وهو
أيضا يستحق اسم الله وذلك لوله المعقول فيه ، ووليه
في مبدعه فبذلك قيل : " شهد الله أنه لا اله الا هو " .^٢

ان الباطنيين يدعون العمل بالظاهر والباطن ولكنهم في الحقيقة
لا يعملون الا بالباطن ؛ والا فما معنى قولهم بأن اسم الله هو العقل
الأول بحجة :

١. مجموع مسائل في الحقائق (شروثمان . أربعة كتب) ص ٨١
٢. رسالة بذر زهرة الحقائق (عادل العوا) ص ١٦٢

الالهية خاصة ؛ غير ذلك تماما ، ولما كان الأمر غير اسلامي
الصيغة ؛ فان الباحث يستغرب أصل الاشتراك اللفظي في كلمة
" الله " بينه عزوجل وبين سواه ؛ ففي العهد القديم نجد خطابا
موجها لموسى :

٥ هويكون لك فما [يعني هرون] وانت تكون له الها .^١

ليس يخاف أن عبارات العهد القديم تتحدث عن مرافقة هـارون

لموسى الذي يشك من لسانه الثقيل ، وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم

ذلك في قوله تعالى على لسان موسى : " وأخي هرون هو أفصح مني لسانا

فأرسله معي ردا ، يصدقني اني أخاف أن يكذبون . قال سنشد عضدك

١٠ بأخيك ونجعل لك سلطانا . . . " ، ولكن التحريف اليهودي هو الذي

جعل من موسى الها لهرون ؛ وهو يدل على الاشتراك اللفظي في اسم

الله في الفكر اليهودي عامة كما فصل ابن ميمون أنه :

قد علم كل عبراني أن اسم الله مشترك للاله والملائكة

٢ والحكام مدبري المدن .

١٥ وعلى أي وجه كان تعليل ذلك الاشتراك ؛ فان الذي يهمننا هو

ذات الفكرة . وهي هنا الاشتراك اللفظي لاسم الله مع ما سواه وأصل ذلك

عند الباطنية .

ان تأثر الباطنيين بالفكر اليهودي واضح في الاشتراك اللفظي لاسم الله

كما وضع من قبل في أعمال الله الخاصة بذاته العملية كالخلق والرزق والاحياء

٢٠ والامانة وتديير الامور التي جعلها كلا الطرفين : الباطنيون واليهود موزعة

بين العقول المفارقة والكروبيين .

١ : خروج ١٦ / ٤
٢ : دلالة الحائرين ص ٢٨
* القصص ٣٥

ولا يفوتنا هنا الحديث عن تأليه النصيرية لعلي بن أبي طالب ، وأنه

في القمر . وهو رأي طائفة منهم (ر . ص ١٤٣) .

ان تأليه النصيرية لعلي بن أبي طالب يذكرنا بعقيدة السبئية

الذين قالوا بمثل ذلك وأنه في السحاب ٠٠٠ الخ (ر . ص ص ٢٣-٣٥) ،

وكذا نجد مثل ذلك عند " البيانية " الذين قالوا بحلول الاله في

طائفة من البشر حتى انتهت الى علي ثم الى ابنه محمد بن الحنفية

فابنه أبو هاشم فبيان بن سمعان (ر . ص ٩١) .

كما قال الدروز بأن روح الله تعالى كانت في أجساد عدد من البشر

كان آخرهم الحاكم بأمر الله (ر . ص ٤٢٣) .

١٠ وعليه فان مسألة الألوهية عند الباطنيين عموما لا تعتمد كثيرا عن الحلول

أو التجلي على بعض البشر . ويحضرنا هنا قول باطني عن قصة جرت

بين علي زين العابدين وجابر بن عبد الله الأنصاري ، قال زين العابدين

بعدها لجابر ،

أعقلك يحتمل هذا يا جابر ، هي قصص في كل وقت

١٥ وزمان تتبدل القصص ولا أتبدل فالأنبياء والأئمة

هم هياكل النور المتجلي بهم الحق عند الظهور .

والمرجع من مصادر المستعلية ، الذين يقال انهم أخف الباطنيين

غلوا .

الفصل الرابع

عقيدة الباطنيين في سيدنا محمد (ص) وفي كونه خاتم الانبياء والمرسلين

ان الباطنيين حسين يتطرقون الى سيدنا محمد (ص) بالحديث
فانهم يقرنون ذلك بالصلاة والسلام عليه وعلى آله ؛ في اغلب مصادرهم
وهم يقرنون اسمه (ص) أيضا بمثل ما يقرنه به المسلمون عموما ؛ فكلمة
خاتم النبيين ترد بكثرة في معظم المصادر الباطنية ؛ وخاتم النبيين
وسيد المرسلين أحيانا .

وفوق ذلك ؛ فقد ذكر الداعي جعفر بن منصور اليميني ؛

أن محمدا صلى الله عليه قال : أنا أفضل الأنبياء ؛

وقال : أنا سيد ولد آدم ولا فخر . فلايشك مسلم
أن محمدا أفضل الأنبياء جميعا .

وأكثر منه ما قاله الداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي (- ٥٩٦) عن سيدنا

محمد (ص) ؛

ففسخ شريعة عيسى وقام بشريعة جديدة وأمر

جديد . وأمر (صلح) ونهى ؛ وختم الله ببعثته الرسل

وختم بملته الملل وجعله الله خاتم النبيين وأشرفهم

وأفضلهم لأن به وبشريعته كمال الدين . وخاتم المرسلين

لأنه سلام الله عليه صاحب الكمال والتمام .

وفي محاوره بين المعز لدين الله وأسير له يدعى ابن واسول ؛ قال المعز ؛

فيما بلغنا أنه انتهى اليك هنا أنا ندفع نبوة محمد

(ص) ونُدعي النبوة بعده ؛ وندفع سنته وشريعته ؛ وندعوا

١- انظر : السجلات المستنصرية ؛ تحقيق ؛ ماجد ؛ القاهرة ؛ دار الفكر العربي

١٩٥٤ ؛ في مواضع كثيرة منه

٢- مخطوطة كتاب الشواهد والبيان . عقائد تيمور ؛ ص ٢٣

* انظر ترجمته في : الحبشي . مصادر الفكر العربي والاسلام في اليمن ص ١٠٠

٣- مخطوطة المجالس الحاتمية . صورته . المجلس السابع من المائة الاولى ؛ ق ١٣٣

الى غيرهما ؟ . . . فلعن الله من قال هذا وانتحلسه

١.

وادعاء . ومن تقوله علينا ، ورمانا به ، ونسبه الينا .

ان هذا النص يدل على أن هناك اتهامات للباطنيين منذ أيام

المعز (- ٣٦٥) حول نبوة محمد (ص) وشرعته الالهية ، وهذه

التم وردت في كثير من الكتب المناهضة للفكر الباطني ، ولنقف سويا

٥ امام نص ذكره الديلمي اليماني الزيدي حول رأي الباطنيين في نبوة محمد (ص) وشرعته وكونه خاتم الأنبياء والمرسلين ، يقول الديلمي :

يطعنون على الأنبياء صلوات الله عليهم خصوصا

محمد صلى الله عليه وسلم ، ويسمونهم زعم الأمانة

المنكوسة .

١٠

ويقولون ان القرآن كلام محمد صلى الله عليه وسلم ؛

*** ٢ .

لقوله تعالى (انه لقول رسول كريم)

ما تقدم يظهر أن خصم الباطنيين يرمونهم بالطمع في خاتم النبيين

والمرسلين والوحي الذي نزل عليه ، ويدعون الى غير سنته وشرعته .

١٥

يمكن الحكم على صحة دعوى المخالفين وفسادها بالرجوع الى المصادر

الباطنية . واذاعلمنا أن العقيدة الباطنية تبني الكثير من أحكامها

على التأويل الباطني والتسبيح (ر . ص ص ١٥٨ ، ١٩٩ ، ١٩٩) فانهم يقولون

بوجود سبعة ناطقين وكلمة ناطق قد تكون مرادفة لكلمة رسول أو نبي

(ر . ص ص ٣٦١) ، والباطنيون يعرفون الناطقين بأنهم :

* أنظر ترجمته في اعلام الاسماعيليه ص ٥٢٦ فما

١ . القاضي النعمان : المجالس والمسائرات ، ص ص ٤١٥ ، ٤١٦

٢ . قواعد عقائد آل محمد . ص ص ١٥ ، ٤٨

*** الحاقه ٤٠ والتكوير ١٩

أرسلو الهداية المخلوقات وتنظيم المبدعات

ومن الشرائع والأحكام ، والتبليغ والانذار ، والشهادة

فهم العباد المكرمون الذين لا يسبقون [كذا] بالقول

* ١ .

وهم بأمره يعملون .

- ٥ ولن يتطرق الباحث لمناقشة هذا التعريف . حصر الباطنيون تعريفهم السابق في : آدم ونوح وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد (ص) وأضافوا اليهم ناطقا سابعا هو القائم المنتظر الذي ذكروا أن اسمه أيضا محمد بن عبد الله ، ويدعون أن سيدنا محمدا (ص) بشر بظهوره ، وبأنه موافق له في الاسم والكنية واسم الأب .
- ١٠ ان معظم المصادر الباطنية لا تتحاشى الخوض في مسألة القاسم المنتظر ، تصريحاً أو تلميحاً باعتباره ناطقا سابعا . فنجد الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا - مثلا - تقول بأن محمدا (ص) هو صاحب الدور السادس . كما أن هذه الرسالة التي يزعم الباطنيون أن مؤلفها من ذرية علي بن أبي طالب أي أن جده محمدا (ص) ، هذه الرسالة تستهزئ بمحمد (ص) ، ففي معرض حديثها عنه تقول : ان المولود لا يعيش اذا ولد في الشهر السادس ، ووجه ذلك الاستهزاء والطعن أن الباطنيين يعتقدون أن السبعة النطقاء انما جاءوا ليكونوا في المجتمع البشري صورة تماثل تكون الجنين في بطن أمه (ر . ص ٢٠ ، ٢٠٢) ولأن ترتيب النبي محمد (ص) في هذه السلسلة السبعية الحلقات أنه صاحب الدور السادس فقرنوا ذلك بأن المولود اذا ولد في الشهر السادس فان نموه لم

١ . الداعي أبو فراس . مطالع الشمس (عارف تامر . أربع رسائل) ص ص ٣٣ ،

٣٤ وانظر ، الرسالة الجامعة ص ٣٣

* الذي في القرآن عن الملائكة : لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . سورة

الأنبياء ٢٧ .

- يكتمل بعد . لذلك فان الطعن موجه الى ذاته (ص) . ومن ضمن هذا الطعن ما قالته الرسالة المذكورة أن صاحب الدور السادس يملك الأجساد ، وأن صاحب الدور السابع (رسولهم المنتظر) يملك نفوس أهل الدور السادس ونفوس وأجساد أهل دوره السابع .^١ ولتفسير معنى ملكية محمد (ص) لأجساد أهل دوره دون نفوسهم ، لا بد من الإشارة الى أن الباطنيين يعتقدون أن ملوك الدنيا أمثال الاميرين والعباسيين مثلا ، كانوا يملكون أجساد الناس وأن أمتهم هم مالكو نفوس تلك الأجساد .^٢ وكلمة النفوس في الفكر الباطني مرادفة لكلمة الروح في بعض معانيها .
وبناءً على ذلك نجد الداهي جعفر بن منصور اليميني في تفسيره لقول الله تعالى : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يقول :

- انما عني الله عزوجل أن من آمن بالله واليوم الآخر يعني به القائم سابع النطق . فمن آمن به من كل فرقة وعمل صالحا بطاعته كان لهم آخر ذلك عند ربهم ولا خوف عليهم ومن كان منهم في التكذيب لمن قبله من الرسل . لأنه خاتم الرسل وصاحب الفصل صلى الله عليه .^٣

- لا بد هنا من اشارة الى القارئ الكريم بأن يعود الى نص آخر لصاحب هذا النص في أول هذا الفصل في مدحه ل محمد (ص) للمقارنة (ر.ص) ٢٠ . (٢٢٣) .

١ . انظر الرسالة الجامعة ص ٥١٩ ، ص ٥٢٣ .
٢ . انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ٢٨ ، ٦١ .
٣ . مخطوطة كتاب الشواهد والبيان . ص ٤٢ .
* البقرة ٦٢ وانظر أيضا المائدة ٦٩

ومثل هذا النص الطاعن في سيدنا محمد (ص) وما قاله الداعي

الكرماني في أبيات عن الناطق السابع ٥

١
وهما قليل يسـزل العنا^١ * ويكمل ديننا به قد ختم

ومثل ذلك ما ذكر عن المعز في دعائه الموسم بدعاه يوم السبت (ص ٢٧)

٥ وفيه يقول بأن محمد بن اسماعيل نسخ ظاهر شريعة محمد (ص) وأنه

الناطق السابع . قارن بين ذلك وبين ما جاء في أول هذا الفصل في دفاعه

عن الباطنيين أمام أسيره ابن واسول (ص ٢٢٣، ٢٢٤) وانظر أيضا الأنوار

اللطيفة ص ١٠٧ وثبتته ، ومثله ما ذكر الداعي الحارثي عن أمضلية القائم

٢
على الستة الذين قبله .

١٠ ان آخر الرسل عند الباطنيين يقينا هو القائم المنتظر ؛ وحيث أنهم

اعتبروا اسمه كاسم النبي (ص) فقد لبسوا ذلك على الناس وعلى أنفسهم

من حيث: من هو خاتم الأنبياء والمرسلين ؛ فتارة يقولون بأنه محمد بن

اسماعيل وتارة أنه منتظر لم يوجد بعد ، ولا بد هنا من الإشارة الى أنهم

يعتبرون أن اسم محمد بن اسماعيل الحقيقي هو محمد بن عبدالله كما ورد

١٥ في رسالة للمهدي عبيد الله لأهل اليمن . (ر . الملحقا) ونجد نفسي

قول المعز في دعاه يوم السبت وفي قول للداعي الحارثي سيتبع ما يؤيد

أن محتوى رسالة عبيد الله تعبر عن فكرة سادت المعتقدات الباطنية في فترة

ما وكذا ما أورده جعفر بن منصور اليمن الذي اعتبر محمد بن اسماعيل خاتما

٣
للرسل .

٢٠ ما يمكن للباحث أن يعتبره توثيقا لرسالة المهدي عبيد الله لأهل اليمن . أما

١. رسالة أسبوع الستة . (عارف تامر . أربع رسائل) ص ٦٦

٢. انظر ، كتاب الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الأسرار الخفية)

ص ١٠٧

٣. انظر: مخطوطة الشواهد والبيان ص ص ٤٧ ، ٤٨ .

نص الداعي الحارثي حول محمد بن اسماعيل فانه يقول : -

فكان محمد بن اسماعيل متم الدور وخاتم الرسل

المنتهية اليه غاية الشرائع المختومة به .^١

وفوق ذلك فقد ادعوا أن جملة (أشهد أن محمدا رسول الله)

التي ترد في الأذان ؛ انما المقصود بها محمد بن اسماعيل . وان رسول

الله (ص) حينما يقول تلك العبارة انما يعني محمد بن اسماعيل أيضا ،^٢

اذ لا يمكن أن يقول ذلك عن نفسه بزعمهم .

والتفسير الباطني لقوله تعالى : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين

الحق ليظهره على الدين كله) لا يذهب بهما إلى سيدنا محمد (ص) بل

إلى القائم المنتظر - الرسول السابع . بزعم أن نبينا محمدا (ص) انتقل

إلى جوار ربه واليهود لا يزالون على دينهم وكذا النصارى وغيرهم وهذا

بزعمهم تكذيب للآية وعليه فالمقصود هو: المنتظر .^٣

أما مسألة نسخ شريعة محمد (ص) فذكر بعض المحققين أنها خلافية

فيما بين الباطنيين . الا أن الباحث يرى أن من يقول هذا بعيد عن

الصواب لأن الداعي الكرمانى الذي نفى نسخ الشريعة الحمديّة في كتاب

الرياض ذكر أن التكاليف الشرعية ستنسخ في دور الناطق السابع القائم^٤

كما ينقل الباطنيون أنفسهم ذلك عنه ، وان لم أشر على ذلك في كتابه المذكور

بعد . وليس بعيدا أن تكون العبارة الدالة على ذلك قد حذفت من النسخة

المطبوعة من كتاب الرياض لأن محققها عارف تامر متهم من زميله الباطني مصطفى

١. الداعي الحارثي . الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الأسرار الخفية)

ص ١٥٩ * - التوبة ٣٣ والفتح ٢٨ والصف ٩

٢. انظر: مسائل مجموعة من الحقائق ص ٩٩ ، الأنوار اللطيفة ص ١٦١

٣. انظر: مخطوطة : الشواهد والبيان ص ٣٢ ، ٣٣

٤. انظر: الداعي الكرمانى . كتاب الرياض ص ٢٠١

٥. انظر: مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٩١

وانقسم ذلك النور نصفين في عبد الله

وأبي طالب فقال الله تعالى يا هذا كن محمدا

ويا هذا كن عليا .^١

بل ان بعض تلك المصادر اعتبرت عليا في مقام اللوهورج الشريفة

الحمدية ، وعلى ذلك كان "علي" عندهم المولى الذي كان في خدمة

عبد الله الذي هو "محمد" (ص) (ر. ص ٣٢٥) وهذه العقيدة

لا تتعد كثيرا عن عقيدة النصيرية .

يمكن هنا العودة الى الأقوال الباطنية التي صرحت بأن محمدا

هو خاتم الانبياء وسيد المرسلين وغير ذلك تلك الأقوال التي وردت في

هذا الفصل (ر. ص ٢٢٣) .

ان تلك الأقوال تضع أمام الباحث احتمالات منها :

١. أن أفضلية محمد (ص) التي ذكروها إنما تعني أفضليته على من سبقه

من المرسلين . وهذا الاحتمال مؤيد بقول باطني يدعي أن محمدا (ص) .

سيكون أفضل الحاضرين مجلس قائم الزمان المنتظر - الناطق السابع وأن القائم

١٥ سيضعه في المقام الحمود .^٣ وقول باطني آخر يزعم أن القائم المتظـ

السابع ليس في مرتبة الانبياء والمرسلين إنما هو في مرتبة أعلى من ذلك،

وهو قول العيسوية اليهود (ر. ص ١١٦) .

ان المقصود بمحمد في كل ما تشير اليه المصادر الباطنية على أنه خاتم

الانبياء ليس سوى القائم السابع سواء كان محمد بن اسماعيل أو محمدا

١. تحفة المرتاد وخصّة الأضداد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٦٨

٢. أنظر ، الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظم . الحقائق الخفية) ص ٧٦

٣. أنظر مسائل مجموعة من الحقائق العاليه (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٢١

آخر ينتظرونه لزعمهم أن رسولهم المنتظر اسمه واسم أبيه وكنيته كالنبي محمد "ص" ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك مقرونا بأدلة باطنية (ر. ص ٢٢٥) .

- يعن للباحث أن يفترض عدم وجود تلك الاحتمالات ، ويفترض أنهم
يعنون بقولهم خاتم الانبياء والمرسلين ؛ شخص محمد (ص) ؛ هنا
يظهر في المراجع الباطنية مفهوم آخر لكلمة خاتم الانبياء والمرسلين
غير المفهوم الاسلامي بأنه (ص) آخر نبي وآخر رسول . وهذا المفهوم
الباطني يرتكز على رأي لهم يقول ان المقصود من وجود النطق السبعة،
تشكيل صورة تشبه تكون الانسان في بطن أمه الذي يتدرج من السلالة
الى النطفة الى العلقة الى المضة الى العظام الى اللحم (ر. ص ٢٠٢) .
ثم يكون بعد ذلك خلقا آخر حينما يخرج الى الحياة . وقد جعل
الباطنيون لكل ناطق مرحلة من تلك المراحل السابق ذكرها فكان آدم مقام
السلالة . ومحمد (ص) مقام اللحم الذي كما العظام وبه تم تشكيل
الصورة وانتمى ؛ والناطق السابع سيكون مقامه مقام الروح التي تجعل الصورة
متحركة .

- ولذا فان كلمة خاتم النبيين بصورها الداعي المؤيد في الدين بقوله ؛
الا ان الوقوف في كمال الصورة عند اللحم الذي هو
مثل على النبي (ص) وكما أنه عند انتهاء التصويري
الى اللحم يقع الختم على الصورة ان تقبل أشكالا
أخرى غير ما هولها ، كذلك اذا انتهت النبوة الى
محمد (ص) يقع الختم عن أن تُغير الى غير ماهي
عليه فمن ذلك قيل خاتم النبيين .

الفصل الخامس : الامامة

تعريف الامامة :

قال في مختار الصحاح :

(أم) القوم في الصلاة يؤم مثل رد يرد (امامة)

و (أتم) به اقتدى . و (الامام) الصفح من الأرض

والطريق . [- الناحية منه] . قال تعالى : " وانهما

لبامام مبين " و (الامام) الذي يقتدى به وجمعه

*** . ١

(أمة) وقرئ : " فقاتلوا أئمة الكفر "

ومن معانيها القدوة ، قال تعالى : (واجعلنا للمتقين إماما) ، وقوله

٢

صلى الله عليه وسلم : انما جعل الامام ليؤتم به .

أي ليقتدى به المصلون في قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه ، وتمسك

اللفظ إلى الامام الأعظم وهو أمير المؤمنين - مطلقا - الذي يتولّى

شئونهم وجاء فيه :

سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله . . .

٣

[و ذكر الامام العادل] .

الشيعة والامامة :

تميزت فرق الشيعة عامة بالقول بالنص على الامامة في أهل البيت ، حتى

أن احدى فرقهم لقبت (الامامية) نسبة لذلك .

والباطنيون يعتبرون الامامة الدعامة الأولى من دعائم الاسلام . يقول القاضي

النعمان :

* الحجر ٧٩ *** التوبة ١٢ *** - الفرقان ٧٤

١- مادة (أ م م) ص ٢٦

٢- صحيح البخارى ك ١٠ ب ٥١ أنظر : فتح البارى ١٧٣/٢٠

٣- صحيح مسلم ب: ١٢ أنظره في . شرح النووى على مسلم ١٢٠/٧

رُوينا عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : بني الاسلام
على سبع دعائم . الولاية وهي أفضلها وبها والولي
يوصل الى معرفتنا .^١

وذكر أن المقصود بالولاية ولاية الأئمة من أهل بيت رسول الله
أجمعين . وهو قول باطني فيه من الغرابة ما فيه لتناقضه مع تخصيصهم
للإمامة أبناء محمد بن اسماعيل وآبائه ، حتى أن أحب القابهم إليهم
هو ، الاسماعيلية . وبمعنا هنا أن الباطنيين يعتبرون الإمامة مركزا لدائرة
عقائدهم كما يشير الى ذلك النص السابق .

ولكن هل الإمامة على هذا النحو أصيلة في دين الاسلام أم أنها مبتدعة ؟

- ١٠ ان الله تعالى يقول في كتابه العزيز (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)^{*}
فلا بد أن تكون الإمامة مما أشار إليه القرآن وذلك من حيث تخصيص علي
وذريته بها . انهم يقولون : نعم فقد ورد ذلك في قوله تعالى : (يا أيها
الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله
يعصمك من الناس)^{**} ويمكن الرد عليهم أنها اذا دلت على الإمامة كما
١٥ تقولون فقد أصبحت أمرا حتميا أن ينصاع المسلمون لأمر الله ؛ وان لم يفعلوا
ذلك فهم عصاة . ولكن الذي حدث غير ذلك فلم يخبرنا التاريخ عن مقاومة
علي بن أبي طالب على ما عرف عنه من قبل ذلك ومن بعده من غيرة على حرمان
الدين ومن شجاعة واقدام وحكمة ؛ وقد سبقنا الإشارة الى ذلك بالتفصيل
في الباب الأول من هذا البحث . (ر . ص ص ٧ - ٩ ، ١١) . كما
٢٠ ورد الحديث عن عبد الله بن سبأ اليهودي ؛ باعتباره أول من قال بفرض امامية

علي بن أبي طالب (ر. ص ص ٢٩ ، ٣٠) . وهذا بالتحديد هو ما ذهب اليه الباطني المعاصر عارف تامر بعد أن استبعد تماما وجود نص من النبي (ص) على ائمة علي . ان عارف تامر بصفته باطنيا متحمسا مسؤول عن قوله هذا خاصة وأنه منحاز لجانب ابن سبأ اليهودي ومعتبرا اياه شخصية مرموقة نادت بحسب علي بن أبي طالب (ر. ص ص ٥٥) .

ان الدور السبئي اليهودي في فكرة الامامة سبقت الاشارة اليه تفصيلا (ر. ص ص ٦٣ - ٦٥) ذلك الدور الذي يتمثل في نقل الفكرة من تراثه اليهودي بعد تحويل شخصياتها ، الى الفكر الاسلامي ومن ثم الدعوة اليها حتى أصبحت كما هو الحال مركزا لدائرة العقائد الباطنية بعد أن أضف اليها الباطنيون وحوروها وطوروها .

ان امامة علي بن أبي طالب ووصايته هي الجزء السبئي اليهودي في مسألة الامامة ، أما من حيث انحصارها في ولد الحسين بن علي فيبدو أنه غير ذلك ، الا أن بعض المحققين قرنها بالقول اليهودي بأن الملك لا يقوم الا في ذرية داود كما روي عن الشعبي ، وفي العهد القديم ما يأتي :-

وفي تلك الليلة كان كلام الله الى ناثان قائلا
اذهب وقل لداود عبدي ، هكذا قال الرب . . . ويكون
متى كملت أيامك لتذهب مع آباءك^٣ اني أقيم بعدك نسك
الذي يكون من بنيك وأثبت مملكته .

وهي عقيدة قائمة حتى يومنا هذا ، ان لم يزل من اليهود من يرى أن الدولة اليهودية المختصة لديار الاسلام في فلسطين ليست دولة اسرائيلية

١. الزر: الامامة في الاسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ص ٥٠ ، ص ٦٢
٢. الزر: العهد الجديد ٤٠٩/٢
٣. اخبار الايام الاول ١٧/٣ ، ٤ ، ٤ ، ١١

١.
لافتقارها الى ملك من ذرية داود .

الامامة عند الباطنية :

تميزت عقيدة الامامة عند الباطنيين بمميزات ، جعلت الفرق الباطنية
تختلف في ذلك عن بقية فرق الشيعة الأخرى ، وتفصيل تلك المميزات
قد يلقى بعض الضوء على هذه العقيدة ، فمن بين مظاهر الامامة عندهم

ما يأتي :-

خصائص الأئمة :

انهم بعض أصحاب المقالات . الباطنيين بأنهم أضافوا الى أئمتهم
صفات الألوهية والنبوة وفلوا فيهم . ورد الباطنيون بأن ذلك ليس من فعلهم
بل من فعل الغلاة ، ونجد في التراث بعض الباطنيين تكفيرا للغلاة أمثال
أبي الخطاب والمغيرة ، لذات السبب (ر . ص ١٢٥) .

وهكذا ظلت مسألة غلو الباطنيين في أئمتهم مجرد أكاذيب روجها
عليهم أعداؤهم . كما هو الحال في كثير من عقائدهم الأخرى . فنجد محمد
كامل حسين يدافع عن نظرة الباطنيين لأئمتهم ، بقوله ان الاسماعيليين
ذهبوا الى أن :

الامام من البشر يجري عليه ما يجري على البشر من حياة

٢.
أو موت .

ولكن الكتب الباطنية السريسة التي نُشرت ، أظهرت الكثير مما كانوا
يخفون ، واتضح أن لأئمتهم خصائص فوق البشرية في خلقتهم وحياتهم
وموتهم وبعد موتهم وعلمهم الخ . ومن ذلك ما يأتي :-

٢٠
١. انظر عن طائفة (ينثوري كارتا) حراس المدينة ، خبرا في صحيفة الشرق
الاوسط ، لندن ، العدد ٢١٠ في ١٢ و ١٣ / ٤ / ١٢٩٩ ص ٢
٢. في أدب مصر الفاطمية ، ط ٢ ، ص ٣١

١- تكون الامام من لاهوت وناسوت :

يتكون الامام عند الباطنيين من جزئين : ناسوت ولاهوت ومعبارة

أخرى إله في جسم انسان كما قال شاعر العبديين تميم بن المعز
لدين الله (- ٣٧٤) وهو يمدح أخاه امام الباطنيين المعز بالله (- ٣٨٦)

٥ ما أنت دون ملوك العالمين سوى * رون من القدس في جسم من البشر

نور لطيف تناهى منك جوهـره * تناهيا حازحد الشمس والقمر

وهذا يعود بنا الى اعادة النظر حول الحلول والتجلي الذي يقوله

الباطنيون (ر. ص ٢١٤) لا سيما وأن الشعر منسوب الى أحد أئمة

الأئمة الباطنيين .

١٠ وعن جسم الأئمة ذاته - بغض النظر عن روحه - نجد أن الباطنيين

يعتبرون أجسام أئمتهم كالياتوت الأحمر الذي يفوق جميع الأحجار مع كونه

حجراً ؛ وهذا الرأي عن أجسام أئمتهم يوضحه الداعي المؤيد في الدين

حيث يقول :

قد خلقت من طينة وخلقنا * نحن منها ولكن بدي [كذا] ترتيب

١٥ ان أجسامكم لناشئة الطين * الذي منه شق منا القلوب [كذا]

وهو تمييز للطين التي خلق الأئمة منها كما يقول محمد كامل حسين . وهناك

تمييز آخر على هذا النحو ؛ فان الامام الباطني بزعمهم حينما يكون جنينا في

بطن امه فانه لا يفتدى من دم الحيض كبقية البشر لان أمهات الأئمة

* انظر ترجمته في اعلام الاسماعيليه ص ص ١٧٣ - ١٧٩

** انظر : ترجمته في اعلام الاسماعيليه ص ص ٥٧٧ - ٥٨٢ .

*** ربما كانت الكلمة فارسية وتعني : بهذا كما ورد ذلك عن كلمة بدين .

انظر: المعجم الذهبي - فارسى . عربى . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٩

١٠٥

١- اعلام الاسماعيليه ص ١٧٥ ، والبيتان المذكوران غير موجودين في ديوان تميم

ابن المعز الذى طبعته دار الكتب المصرية .

٢- انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٨

٣ . ديوان المؤيد في الدين ص ٢٠٩ وانظر ص ٧٧

عليه ليلج جسده كما ورد في النص الباطني المعتمد عليه آنفا .

ان مسألة اتحاد اللاهوت بالناسوت ما ظهر به ابن سبأ اليهودي

في الاسلام حين اُضاف الجزء الالهي الى علي بن أبي طالب ، كما سبق

بذلك الحديث (ر . ص ص ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٥) . ان ابن سبأ حاول أن يكرر

٥ ما فعله سلفه اليهودي شاول (هولس) حينما اُضاف اللاهوتية الى

عيسى بن مريم بهدف افساد المسيحية ، وقد سبق الحديث الى

ان هذه الفكرة تمتد في جذورها الى عقائد ذات أصل بابلي

وردت في العهد القديم (ر . ص ٦٠)

أطلق الباطنيون على اللاهوت عبارة هيكل النور الذي يضيفونه

١٠ الى الأنبياء والأئمة وقد روي عن علي بن الحسين (زين العابدين) يقول

لصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري :

فالأنبياء والأئمة هم هيكل النور المتجسسي

٣ بهم الحق عند الظهور .

ويقول أحد دعائهم :

١٥ واعلم بان الامام الوجود للأنام لا يخلو منه

مكان [كذا] ولا يحوزه مكان لانه الهي الذات سرمدى

الحياة ولولم يتانس بالحدود والصفات لما كان للخلق

٤ الى معرفته وصول .

١. انظر مسائل مجموعة في الحقائق العالية .

٢. انظر : أحمد شلي . المسيحية ، ط ٤ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٣ ، ص ص ١٢٣ ، ١٢٤

٣. الداهي ادريس . زهر المعاني ، نشر ايفانوف ، المنتخب ، الهند ١٩٤٢ ، ص ٦٤

٤. الداهي شهاب الدين أبو فراس . رسالة مطالع الشمس (عارف تاسر أربع رسائل) ص ٣٣ .

وفي أبيات للداعي الكرمانى عن قائم الزمان المتظر يقول :-

تانس للخلق كنسه * تنزه عن كل لحم ودم
ونجد مثل هذا عند " الدرور " بكل وضوح ، كما نجد عند " النصرية " ^١
القول باتحاد الناسوت باللاهوت في " علي بن أبي طالب " ^٢ على الطريقة السبئية .
وعند الدرور أيضا نجد في شجرة السبع السموات ، التي تعني تسلسل ^٣
الأئمة على نحو امتزج فيه التناسخ واتحاد اللاهوت بالناسوت ، وهـذـه
الصورة ما وجد عند المستعلية المعتدلين ، فقد رووا حديثا عن علي بن أبي
طالب وهو يتحدث الى جابر بن عبدالله الانصارى وسلمان الفارسى وأبى
ذر الغفارى ، وهو يقول :-

١٠ يا جابر أنا الأمر من الله لأنه عزوجل يقول (يلقي
الروح من أمره على من يشار من عباده) فلما أمرني الله
بقوله (فاذا جاء أمرنا وفار التنور) ، بلجاة نوح عم نجبته
وقوله : (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) ، وأما
قولي ان ميتنا لم يميت لأنه من روح الله ، وقتيلنا لم يقتل
١٥ وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة ممن مضى ومن بقي ، ياسلمان
ويا جندب [هو أبوذر] فلما أيدت بما أيدت به الأنبياء
من الروح نطقت على لسان عيسى بن مريم في المهد ،
فأدم وشيت ونوح وسام وإبراهيم واسماعيل وموسى ويوشع
ابن نون ومحمد ، وأنا كلنا واحد ، ومن رأيي فقد رأهم
٢٠ جميعهم ، وأنا عبد من عباد الله ، فلا تسمونا أربابا وقولوا

٦٦
١. انظر الأبيات في : رسالة أسبوع الستر (عارف تامر . أربع رسائل) ص
وأنظر : مخطوطة رسالة الانصاف . دار الكتب المصرية ، عقائد النحل
- ٥٤ ، ق ٦٣ ٠ ٢. انظر مخطوطة كتاب مجموعة حقيقة حق اليقين ص ٤
٣. انظر مخطوطة كتاب تقسيم العلم . خزانه تيمور . عقائد ٦٦٢ ص ٢٢٧
* غافر ١٥ ** المؤمنون ٢٧ *** .. هود ٨٢

في فضلنا ما شئتم . . . يا سلمان ويا جندب أنا أحيى
وأميت وأخلق وأرزق وأبرئ [كذا] الأكمه والأبصر
وأنبتكم [كذا] بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم
بأذن ربى ، وكذلك المحقون من ولدي لأننا كلنسنا
شيء واحد يظهر في كل زمان . . . ولقد أعطانا
الله ما هو أعلى وأجل وأكبر من هذا كله ، أعطانا
الاسم الأعظم الذي لو شئنا لخرجنا به إلى السماء
وأطاعتنا الشمس والقمر والنجوم والدواب .

وليس من تعليق للباحث على هذا النص إلا الإشارة إلى ما ذكره الباطنيون

فيه من معرفة الاسم الأعظم وهو قول سبق الحديث فيه ؛ حين أدعى
ذلك " بيان بن سمعان " (ر . ص ٩٢) .

ان كل من درس الخصائص التي أضفاها الباطنيون على أئمتهم ؛ يستطيع
اكتشاف سرتك الخصائص - وهي غير بشرية بلا مراة لا كما ادعى البعض
- حين يعلم بأنهم على مختلف فرقهم يقولون باتحاد اللاهوت بأجسادهم .

١٥ - ٢- وصف الامام بصفات الله -

اعتبر السباطنيون جميع أسماء الله تعالى وصفاته التي في القرآن الكريم
صفاتاً للعقل الأول ولبقية العقول المدبرة - بزعمهم - ، حتى أنهم فسروا
بعض الآيات التي تتحدث عن الله تفسيراً باطنياً ذهبوا به إلى القول
أنها تخص العقل الأول (ر . ص ٨ ، ٢١ ، ٢١٩) .

١- زهر المعاني (ايفانوف . المتخب) ص ٧٦ ، ٧٧

الا أنهم أحيانا يقولون تلك الاسماء والصفات بأئمتهم ؛ بل انهم قد نسبوا أفعال الله الى الأئمة كما لاحظنا في الفقرة السابقة في النص المنقول عن (زهر المعاني) الذي يمكن اعتباره شرحا لخص ذكره الداعي القاضى النعمان لا حاجة للبحث في إيراده لما ظهر لنا . قولهم في أئمتهم بالخلق والرزق ونحوه .

٣- وصف الأئمة بأنهم يعلمون الغيب والسرى -

ان علم الغيب من خصائص الله تعالى . وقد نفى القرآن عن سيّد الأولين والآخرين (ص) أن يكون عالما بالغيب ؛ فقال جل من قائل (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما سني السوء) ؛ فكيف تجوز نسبة العلم بالغيب الى من هو دونه (ص) من الخلق كائنا من كان .

ان الباطنيين - كما ذكر بعض اصحاب المقالات - يدعون مثل ذلك لأئمتهم وقد نفى كثير من الباطنيين هذه التهمة ؛ من ذلك ما رواه القاضى النعمان عن المنصور العبيدي ؛ أنه قال :

قد جعلني بعضهم ربا وجعلني بعضهم نبييا ، وقال بعضهم أعلم الغيب . . فانما نحن عباد من عباد الله وخلق من خلقه ولكن لنا منه منزلة أكرمنا بها ، بأن جعلنا أئمة عبادته وحججه على خلقه .

١. انظر : دعائم الاسلام ص ص ٥٧ ، ٥٨ .
* - الأعراف ١٨٨ . وانظر آل عمران ١٧٩ والانباء ٥٠ ويونس ٢٠ وهود ٣١ .
٢. انظر على سبيل المثال : تثبيت دلائل النبوة ص ٧٥ .
٣. - دعائم الاسلام ط ٢ ص ٥٥ .

كما روى هذا الداعي أيضا عن المعز قوله :

سمعت القائم بأمر الله (صلح) يقول في قسم
من الدعاة بلغه أنهم غلوا فيه وفي آباءه . . . وقالوا
أنهم يعلمون الغيب ، فلعنهم وقال هؤلاء الصادون
عنا الكاذبون علينا . . .

ثم قال المعز . . . الغيب الذي تعلمه الأئمة
هو ما غاب عن الناس من العلم الذي أودعهم الله إيساء
واستحفظهم سره . فأما الغيب الذي قال جل ذكره ، قتل
لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله * فلا يعلمه
إلا هو كما قال عز وجل .

ولكننا نجد الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي يروي عن علي بن أبي طالب

حديثا فيقول :

فقال علي ع م اعلم يا جندب أن رسول الله صلح
أفضى إلي^٢ بما أذكركم من هذا الأمر .

- ١٥ ثم سرد هذا الداعي حديثا طويلا عن الأحداث التي ستقع للأئمة ، عيسى
أنها من أقوال علي بن أبي طالب ، والطريف أن ما يحتمل الصدق من تلك
الأحاديث هو ما كان قبل عصر الداعي المذكور وما عاصره ، أما الأحاديث
التي زعم أنها ستكون بعد ذلك فلم يقع شيء منها مثل ادعائه خراب مصر
وادعائه فتح القسطنطينية وخراب رومية على يد الامام السابع عشر ،
٢٠ ويوجد في التراث الباطني من التنبؤات الشيء الكثير وقد نسبوا بعضها
إلى النبي (ص) .^٣

* - النمل ٦٥ ١. المجالس والمسائرات ، ص ٨٤ وأنظر أيضا ص ٥٢٣
٢. مجالس حاتم (نشر ايفانوف . المنتخب) ص ١٠٧ وأنظر إلى ص ١١٣
٣. انظر : شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار (ايفانوف . المنتخب) ص ص
١٤ - ٣

وإذا عدنا الى القاضي النعمان الذي ينفي علم الغيب عن أئمة ، فانتساب
نجده ينقل عن المعز تفسيراً للحديث الخاص بفضائل القرآن والذي فيه
(فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم) قال : -

وهذا حديث قد رواه عامة أصحاب الحديث فينهني

لهم أن يطلبوا في القرآن خبر من يأتي من بعدهم

فان لم يجدوه فليسالوه عنه أهله كما أمرهم الله (عج)

بقوله : " فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون " .

وقول المعز (صلح) : ان عندنا علم ما يطلب

كقول جده علي (عم) : سلوني قبل أن تفقدونسي ،

فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا تسألونني عن علم

ما كان وما يكون وعن علم ما لاتعلمون الا أخبرتكم ، علمنيه

النبي الصادق عن الروح الأمين عن رب العالمين .

وهذا النص بالاضافة الى ما يوضحه لنا من تناقض بين في أفكار الدهماء

ومقالاتهم فانه يوضح لنا قيمة النصوص المشابهة لذلك ؛ وأعني بذلك مثلاً :

نص زهر المعاني الذي ورد من قبل (ر . ص ٢٤٠) ونجد شواهد

لدعوى معرفة الأئمة بعلم الغيب بشكل ملفت للنظر اذا تصفحنا التراث

الاسماعيلي الباطني ؛ ففي الخلاف الذي وقع بين أبناء المستنصر بالله

المبيدي حول الامامة والذي نتج عنه الانقسام الكبير في الباطنيين فصار

منهم النزارية والمستعلية ؛ نجد تبريراً بأن الامامة من حق المستعلية

بمن أبيه المستنصر بالله على ذلك قبل ولادته فقال اثر نزاع بين ابنيين

له حول الامامة ؛

* النحل ٤٣

١٠ . المجالس والمسائرات ص ٢٧٢ وانظر ص ٤٠٤

لا تشاجرا ولا تنازعا ، فليس واحد منكما بهاحب
هذا الأمر وإنما صاحبه ها هنا وأشار بيده السـ
ظهره الطاهر وكان مولانا المستعلي حينئذ لم يولد
بعد ، وهذا كان في يوم مشهود ومقام غير خفي ولا مجهود .

- ٥ والمقصود من النص واضح وهو ان المستصغر يعلم الغيب وأن الامام
الحقيقي بعده هو المستعلي ، ومن نافلة القول الاشارة الى أن دعـ
المستعلية هذه لم تجز على أخصامهم الألداء وبني عومتهم النزاريين
بل أتوا بدعـ مثلها من هذا القبيل .

وان علم السر من علم الغيب أيضا . فالائمة الباطنيون يعلمون السر
كما يعلمون العلن ففي تفسير باطني لقوله تعالى : (ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد) وقوله تعالى : (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس . . . الآية) * * وقال الباطنيون انها في صفة الأئمة :

وذلك أن الله تعالى أطلعهم بمادته وتأيبده
لهم على نيات الخلق وما تخفيه صدورهم فما يتحرك
متحرك ولا يسكن ساكن الا وهندهم صلوات الله عليهم

- ١٥ علمه كما جاء في الرواية عن مولانا الصادق صلوات الله
عليه أنه قال يوما لبعضهم ما كان هاملا البارحة في دار فلان
فاستحي الرجل من كلامه صلوات الله عليه . فقال
بعض من حضره أو تعلم ما يفعل يا ابن رسول الله
فقال : (ما كان الله ليجعلنا شهداء على خلقه ويحجب
عنا شيئا من أمورهم ، استحيا منا في السر كما تستحيون منا
في العلانية) .^١

١. الوثائق الفاطمية ، ط ٢ ، ص ٢١٦ ، وانظر أيضا ص ٢٢٢
* سورة ق ١٧ * * - البقرة ١٣٧
٢. مسائل مجموعة من الحقائق (شترثمان . أربعة كتب) ١١٦

وفي ذات الموضوع ذكر القاضي النعمان أنه سمع المعز لدين الله يقول :

سمعت المنصور عليه السلام ورحمته وبركاته يقول :

رأيت المهدي (ص) وقد وقف مع شيخ من كبار

الدعاة - ذكره - بعد أن قام من مجلسه وكله بكلامه ،

ثم ولى عنه ، فاهوى ذلك الشيخ الى الموضوع الذي

كان عليه المهدي عليه السلام قائما من الأرض فأخذ

من ترابه بيده شيئا فقبله ثم صرّ في منديل كان في كفه

فلا أدري كيف التفت اليه المهدي عليه السلام بعد

أن صار بعيدا عنه فرآه وما فعل ، فقال : يجزيك

الله بذلك خيرا يا أبا فلان .

وما ظننت ولا ظن ذلك الشيخ أنه رأى ما فعله

لأنه لم يفعله الا بعد أن ولى ظهره ومضى عنه .

والنص واضح في قصده الذي ذهب اليه من أن المهدي علم بما فعل داعيه

دون أن ينظر اليه . وكل ما سبق يوضح الغلو الذي سلكه القوم . في

هذا الأمر .

٤- الاثيان بخوارق العادات :-

اشتهر أئمة الباطنيين بأنهم يأتون بالمعجزات . ومع أن المعجزات التي

جاء بها الأنبياء ليست أمرا ذا بال عندهم بل انهم لم يعترفوا بها ، ففسد

أولوا تلك المعجزات النبوية تأويلات باطنية مع أن القرآن الكريم نص عليها

وأخبر بها مثل :

* هدهد سليمان والنملة التي حذرت النمل من جيشه؛ فقد أولسوا
المدهد فقالوا؛ إنه أحد الدعاة لسليمان وأن النملة كانت داعيا مأذونا
من دعائه .

* عصا موسى هو أخوه هارون وهو أيضا يده التي خرجت أمام فرعون
بيضا من غير سوء .

* كون عيسى من غير أب فلأنه أخذ علمه من أحد دعاة الامام ولسم
ياخذه من الامام نفسه وهم يدعون عيسى بن يوسف^١ . ويقول اليهود أن عيسى
ابن غير شرعي حملته أمه وهي حائض كما ذكر ذلك في قصة طوله فسي
كتاب (Synag. Jud. VIII, p. 133)^٢ .

١٠ اما معجزات ائمتهم فقد آمنوا بها ولم يؤلوها تأويلا باطنيا بل انهـم
أضافوها الى كثير من مصادرهم ؛ مما يدل أنها أحد أساليبهم الدعائية
لمذهبيهم .

من ذلك تظاهر اسماعيل بن جعفر الذي ينتسبون اليه بالموت ويقا^٣ه
سجى ثلاثة أيام ، والناس ينفدون عليه ويروحون ؛ ثم دفن جعفر بن

١٥ محمد له في البقيع على مشهد من الناس . وليست هذه هي المعجزة
فقط ؛ بل ان اسماعيل هذا ظهر بعد ذلك بمدة في أحد أسواق البصرة
وأنه مسح على زمن في كساحه فشفي في الحال (ر . ص ٢٦٤ م) .

وقد تقدم في الفقرات السابقة شئى* من معجزات الأئمة مثل معرفة
المستنصر بالله بأنه سيولد له ولد وسيكون اماما بعده (ر . ص ٤٥ م) . ومن

٢٠ ذلك أن المهدي عبيد الله حينما كان في طريقه الى المغرب من الشام ألقى
القبض عليه في مصر وسجن ؛ يقول الداعي ادريس ؛

١- انظر: مخطوطة حياة الأحرار . الأوراق ١٠ ب ، ١٢٥ ، ١٢٦
٢- انظر: زهدى الفاتح (مترجم) . فضح التلويح ، سلسلة اليهود
والعالم - ١١ ، بيروت ، ١٣٩٤ ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

فلما صار بالسجن وفيه قوم مسجونون منذ مدة طويلة ه
فقال لهم تحبون أن تخرجوا معي من السجن ه فتخافوا
ستمزئين ٠٠٠ فنهض الى باب من أبواب السجن
فقلعه وأخذ الفحم وخط في الباب صورة مركب ه فلما
أكل الصورة قال من أحب منكم الخروج فليقم
معي على الباب ه وجلس على الباب هو وولده وجلس
معه الجميع الا واحدا منهم كذب ذلك ه فلما
رأى الباب ارتفع في الهواء تعلق به فسقط فاندق ساقه
ووقع الباب على النيل ه واشتهر الخبر وخاب من كسر
ونظر الناس الى الباب على البحر يجري فأيقنوا المهدي
[كذا] المتظر المبشر به ه

ان هذا الأسلوب مما سار عليه الباطنيون بهدف جذب الجماهير الى مذهبهم
منذ بدء دعوتهم على أيام القداحين وقد أشار ابن النديم الى أن عبد الله
ابن ميمون كان يلجأ الى الشعابيد والسحر واستعمال الطيور في نقل الأخبار
ليموه بذلك على الناس ه

٥- عصمة الأئمة -

ان عصمة الأئمة خصوصية هامة في الفكر الباطني ه وقد صيغت لغرض
بمعيد وهو تقبل كل ما يروى عنهم بلا مناقشة لصدوره عن شخصية معصومة
عن الخطأ ه

١. زهر المعاني ٠ ص ٦٨
٢. انظر الفهرست ٠ القاهرة ه المكتبة التجارية الكبرى ٠ د ٠ ت ٠ ص
٠ ٢٧٨

يرى محمد كامل حسين أن العصمة رأي جميع فرق الشيعة^١؛ ويقول
كامل الشيبلي^٢، أن هشام بن الحكم (١٩٩) كان أول من أضاف إلى
الأئمة العصمة؛ انطلاقاً من فكرته القائلة :-

ان الامام أحج الى العناية الالهية من النبي

بحكم اتصال الانبياء بالله عز وجل عن طريق

الوحي وامتناع ذلك على الامام^٣.

ولا يخفى علينا أن الباطنيين ينطلقون في قولهم بعصمة الأئمة من منطلقات

بعيدة عن الذي ذكر عن هشام بن الحكم .

ان اضافة العصمة على الأئمة متكرر ذكرها في أدب الباطنيين (ر. ص ٢٦٢)

من ذلك عبارة الداعي ابن الوليد الأنفي :

فهل أيها الاخوان بعد كلام الامام المعصوم يطلب

شاهد^٣ .

وقول المعز لدين الله العبيدي :

فالحمد لله الذي من علينا بالعصمة^٤ .

وقد تقدم الرأي القائل ان العصمة شيعية المنبت . وذلك فيما ذكره عن

هشام بن الحكم ؛ وهو تأييد لرأي المستشرق (دونالدسون) القائل ان العصمة

لم ترد عن طريق الأسفار اليهودية . وهي نقطة مهمة في هذا البحث لأن مما

سبق ذكره أن اليهود ينفون الخطأ عن الحاخامات ولو تضاربت أقوالهم (فكلما

هذا وذاك كلمات الله الحى) (ر. ص ١٩١) وهو ما يقوله الباطنيون .

١- انظر: في أدب مصر الفاطمية، ط ٢، ص ٢٥

٢- الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٨٥

٣- رسالة الايضاح والتبيين (شتروثمان . أربعة كتب اسماعيلية) ص ١٥٠

٤- المجالس والمسائرات، ص ٤١٨

٥- الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٤٢، ٣٨٥

والمعروف أن الخطأ صفة بشرية لا خلاف بين اثنين فيها والعصمة نفي لتلك الصفة . ولوجود ذلك عند الباطنيين واليهود .

يصبح قول " دونالدسون " باستبعاده أن تكون العصمة مما لم يأت الشيعة عن طريق الأسفار اليهودية أمرا صعب التصديق .

٦- نزول الوحي -

هذه خصوصية نبوية أخرى أضافها الباطنيون إلى الأئمة . وإذا أردنا الدقة فيجب أن لا يكون العنوان لها كما هو ، (نزول الوحي) فإني لم أجد ذلك في المصادر الباطنية ؛ وإنما وجدت الداعي الكرماي يقول ،
الروحاني

فلا يستفيد من الملك . وحيا - علي

١٠ ما ينقسم حسب المراتب - إلا نبي أو وصي أو امام .

وهذا يعود بنا إلى الفقرة السابقة الخاصة بالعصمة والتي ورد فيها أن كلمات التآخامات كلمات الإله الحي وكل ذلك يوضح أن كثيرا من خصائص النبوة قد أضيفت إلى الأئمة . كما أضيفت إليهم أسماء الله وصفاته وعلمه . الخ .

٧- الأئمة بعد موتهم :-

١٥ سبق في هذا الفصل الإشارة إلى أن الباطنيين قالوا إن أئمتهم يتكونون من لاهوت وناسوت (ر . ص ٢٣٧) أما وقد علمنا ذلك ؛ فلا بأس بالوقوف على ما يؤول إليه هذا المزيج البشري الإلهي بعد موت الامام . وخاصة قائمهم المنتظر .

ان اللاهوت الذي في جسم الأئمة وهو (الهيكل النوراني)

٢٥ إذا انت نقلته عليه السلام [يعني الامام مطلقا] صعد ذلك الهيكل النوراني إلى أفق العاشر المدبر .

أما أجسام الأئمة وكذا الأنبياء . أنها بعد دعوتهم ٩

[ثلاثة] أيام تتحلل وتصعد إلى حيث كانت أولا وهي

× ٨ ط ١٨ [ريحية] وقد صارت في حالة أعلى

وأشرف لمجاورتها الهياكل النورانية وكونها كانت حجابا

للإبداع فتقيم ما شاء المدبر ، ثم تصير ٢٥٢٥٣ . ٢٤٣٥٣ . ٨٧٣

٩ [مواد لطيفة] تتصل بنفوس ٢٥٢٥٣ [الابواب]

والحجج ودعاة ٢٥٢٥٣ [البلاغ] وتشعشع نفوسهم

وتصعد بصعودها وذلك حقيقة ما قاله مولانا الصادق

... " كاتفنا لطائف شيعتنا " ١

١٠ والمقصود بالعاشر ، العقل العاشر الذي يتولى تدبير عالم الطبيعة (ر ص ٢١٣).

ان لاهوت الأئمة يصعد إلى أُنق ذلك العقل ليتولى معه تدبير هذا

العالم . وهذا يذكرنا باستشارة الله (تعالى عن ذلك) للآخامات اليهود

حينما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء ٢

ولعل الفرق بين التصورين أن اليهود جعلوا من آخاماتهم مستشارين

١٥ أرضيين لما يجري في السماء بينما أرجأ الباطنيون ذلك في أئمتهم فصار

لاهوتهم ممن يتولى تدبير شؤون الحياة على الأرض . ولتقف أمام هذا النص

الباطني للداعي شهاب الدين أبي فراس الذي يعزج الامام بالاله على طريقة

باطنية خالصة فيقول : -

١. مسائل مجموعة من الحقائق العالية (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ٨ ٦

٥٦ ٦٥٥

٢. أنظر : محمد كامل حسين . في أدب مصر الفاطمية ، ص ٣٢ .

٣. انظر : الكثر المرصود في قواعد التلمود ، ص ٤٦ .

وهو قلب هذا العالم الكبير ، ومدبره ، وممده ،
فبمعرفة وطاعته والتخلي عن ضده صلاح المؤمنين
وهو فرد الحقيقة ومرتب الدوام وموجد النظام وهو
القائل على نفسه " ظاهرنا امامة وباطننا غيب لا يدرك "
وقال : " عبيد اُطعني أجعلك مثلي حيا لا تموت
وعزيرا لا تذلل وغنيا لا تفتقر " .^١

وان كان شئ ما في حاجة الى تعليق فهو ليس سوى العبارة الأخيرة
من النص " عبيد اُطعني . . . " وهي عبارة تتكرر في المصادر الباطنية
عن لسان الله تعالى وهي هنا عن لسان الامام الذي هو في الحقيقة الله،
والباطنيون ينسبون العبارة الى التوراة . وقد وردت في بعض المصادر
: اُطعني يا ابن آدم أجعلك . . .^٢

وبعد هذا فاننا نجد أن الخصائص التي خص بها الباطنيون أئمتهم
لا يمكن أن تكون خصائص بشرية كما أن من الصعب ادعاء ذلك وانباته .

استمرار الامامة :

ان الفرق الاسماعيلية الباطنية تختلف عن الفرقة الاثني عشرية وما
انشق عنها في مسألة الامامة من حيث استمرارها ذلك ان الاثني عشرية
يرون أن آخر الأئمة هو الامام الثاني عشر الذي دخل مفارقة وأختفى^٣
فيها وهم ينتظرونه منذ مئات السنين ويستخف الباطنيون هذه الفكرة

١. رسالة مطالع الشمس . (عارف تامر . أربع رسائل) ص ٣٣
٢. انظر : مقدمة الأعظمي على تأويل الدعائم ص ٤٢ وأنظر أيضا الأنوار
اللطيفة ص ١٠٦
٣. انظر : أسرار النطقاء . (ايفانوف . المنتخب) ص ٩٢ وأنظر أيضا
محمد كامل حسين . في أدب مصر الفاطمية ، ط ٢ ، ص ٣١

وقالوا ان الامامة :-

تنتقل ولا تزول وانما الأئمة صلوات الله عليهم

١. يتوارثون بالانتقال والاتصال خلفا عن سلف .

٢. وقالوا ان سبب عدم زوال الامامة أنها حجة الله على خلقه .

٥ ان فرقة الدرور تعتبر في هذا الأمر من شذ عن الاسماعيلية وذلك منذ ان أعلنوا ألوهية الحاكم بأمر الله . وهم الآن لا يقولون بوجود امام لهم .

والتزاريون لهم امام معروف باسم تآخان . أما المستعلية فان امامهم مختلف ويدعون وجوده في الستر . وهذه الفرقة هي التي حافظت على التقليد الباطني الذي يقول بوجود امام مستور .

١٠ ان القول الباطني باستمرار الامامة أمد الدهر أوجد عندهم قولين : الأول : القول بامام ظاهر وامام مستور . الثاني : القول بامام مستور وآخر مستودع . أي أن الامامة وضعت عنده على سبيل الوديعة ويمكن اعتبار الكيسانية أول من قال بالامام المستودع (ر . ص ٨٩) .

١٥ القول بأئمة ظاهرين :

عرفنا في الباب الأول أن الفرق الباطنية انما وجدت من بين الفرق الغالية التي كانت تقول بامامة الحسين بن علي وذريته (ر . ص ١٣٩) . لذا

-
١. زهر المعاني . (ايفانوف . المتعجب) ص ٥٢
 ٢. ابن الوليد . تحفة المرتاد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٦٩

فهم يقولون جميعا بامامة هؤلاء^١ أي علي والحسن ويرى الباطنيون
في مجملهم أنه مستودع للامامة وليس مستقرا والحسين وعلي بن الحسين
ومحمد بن علي وجعفر بن محمد . وهؤلاء بزعمهم الأمة الظاهرون
ويسمون هذه المرحلة دور الظهور . ان دور الظهور قد لا يهمننا في هذا
البحث ؛ الا من حيث أنه مرحلة لازال الباطنيون يعتبرونها جزءا
من تاريخهم . بل ان معظم ما في فكرهم وتراثهم انما يركز على
أهل هذا الدور ، وأعني بذلك الجانب الاسلامي من فكرهم اذ الـ
تخفي الألفاظ ؛ لأنهم يرون أحاديث عن الأئمة من أصحاب هذا الدور
لاسيما علي بن أبي طالب ومحمد بن علي وجعفر بن محمد . ولا أقصد
أنهم لم يسندوا إلى هؤلاء شيئا من الفكر الباطني . ويأتي بعد ذلك
في عدم أهمية دراسة هذا الدور أنه خال من التناقض والمشاكل
التي نتجت عن دور الستر وظهرت فيه ؛ وهنا تصبح دراسته خالية
من الاثارة العلمية بحيث يمكن اعتبارها تكرارا لأقوال من سبق من المحققين
لن يأتي منه جديد ؛ لاسيما وأن الباب الأول قد أشار إلى عقائد
الفرق الغالية والتي لم تظهر في معظمها الا في هذه الفترة .

دور الستر

ان الدراسات الباطنية تختلف اختلافا بينا في تحديد الفترة التاريخية
التي يمكن أن يطلق عليها دور الستر ولكن الباحث من خلال مقارنته
بين المصادر الباطنية وغيرها وبين تطور العقيدة الباطنية ؛ فانه لا يجسد
مانعا من القول ان وفاة جعفر بن محمد (١٤٨) هي ما يمكن أن يعتبر

١. انظر رسالة تحفة المرتاد (شترثمان . أربعة كتب) ص ١٦٨ وأنظره
مصطفى غالب . تاريخ الدعوة الاسماعيليه . دمشق ، دار القطن
د ت ٦ ص ٢٨

تاريخا لدور الستر بالاصطلاح الباطني . وقد يتضح ذلك جليا فيما
سيتبع :

١- المقصود بدور الستر :

ان مدلول هذه العبارة (دور الستر) عند الباطنيين : أن يختفي
الامام عن الناس تماما بحيث لا يكون له أي نشاط ظاهر يدل عليه ، ولا يعرفه
الا أخص الدعاة المقربين بعد أخذ العهد والميثاق عليهم وفي هذه
الحالة يكون حجه هو الظاهر للعيان .^١ كما هو حال الباطنية المستعلية
اعني الفرقة المعروفة منهم باسم البهرة - بل ان هناك رأيا باطنيا
يقول بأن الأئمة المستورين :

١٠ أخفوا شخصياتهم عن أقرب المقربين اليهم من دعواتهم^٣
بأساليب لا يمكن أن يتصورها العقل .

ويتميز دور الستر عامة بالنشاط السري الخفي الذي ربط المحققون بينه
وبين أسلوب الديانات السرية كالماسونية اليهودية وأمثالها.

٢- أسباب القول بالامام المستور :

١٥ ان التعليل الباطني لظاهرة الامام المستور ينطلق من منطلقين أحدهما
فكري والآخر نفسي فأما المنطلق الفكري الذي علل به الباطنيون
دعواتهم فهو أنهم يعيشون في دور الستر ولهذا الكلمة معنى آخر موسع
غير معناها الذي يختص بما نحن فيه ؛ وهذا المعنى يتصل بعقيدة الأدوار
السبعة (ر . ص ٢٠١) ؛ فالأدوار السبعة في جملتها مكونة من دورين أحدهما

- ١- انظر : الجويني . تاريخ جهانكشاي (جمال الدين) ص ١٥٧
٢- انظر : محمد كامل حسين . في أدب مصر الفاطمية ، ط ٢ ، ص ٦٥
٣- عارف تامر . القرامطة ، بيروت ، مكتبة الحياة ، د . ت ، ص ١٠١

دور الستر ويبدأ بآدم وينتهي بانتهاء الدور السادس وهو دور محمد (ص) بزعمهم . والاخر دور الكشف الذي هو دور القائم المنتظر . وفي دور الكشف تكون العلوم الباطنية ما يتلى على رؤوس المنابر ، أما في دور الستر فلا يمكن التصريح بهذه العلوم الا بعد أخذ العهد وما الى ذلك، وصفة تدرجية (ر، ص ٣٢٦) .

- ٥ أما المنطلق النفسي ؛ وقد سماه الباحث نفسيا لأن له باعنا من حالة نفسية وهي الخوف من الضد - وكلمة الضد تعني كل مخالف للعقيدة الباطنية - ولذلك برر عارف تامر استتار الأئمة بعد جعفر الصادق خوفا من العباسيين الذين يطاردون الأئمة . واذ اصح هذا الاحتمال أعني احتمال الخوف من الضد ، فلا يمكن بأى حال حصر ذلك في الخلفاء العباسيين بل لابد من اضافة الرأي العام الاسلامي سنيته وشيعيته وهم مخالفون للباطنيين جملة وتفصيلا ؛ لأننا اذا عدنا لفرق الغلاة نجد أنهم نادوا بمثل ما نادى به الباطنيون ولكنهم لم يلجؤا الى فكرة الستر بعامة مع أنهم ضلوا مكروهين ملمومين من أهل البيت النبوي أمثال محمد بن علي ابن الحسين وجعفر بن محمد قبل غيرهم . وهذا ما جعل طريقتهم الهادفة الى افساد الدين الاسلامي طريقة فاشلة فلم تحقق أهدافها المرجوة . وقد علم الباطنيون الدرس ووعوه فغيروا طريقتهم بعدم الاعلان عن عقائدهم ، وبالذعوة الى امام مستور ؛ علمهم بذلك يحققون ما فشل فيه أسلافهم الغلاة من تدمير كيان الدين الاسلامي ، ولا يعتقد الباحث في صحة أي تحليل آخر لانتهاج الباطنيين للسرية .

١. انظر: مسائل مجموعة في الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ١٠ ، ١٩ ، ١٠١ ، ١١٥ ، ١٣٣ .
٢. انظر: القرامطة ص ١٠١ ، وانظر: زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٧

ثم بعد ذلك نقطة جديدة بالملاحظة حول هذا الموضوع وهي
أن الأفكار السرية لا تنمو في بيئة تعتمد على الفكر الحر، وهو اتهام
للخلفاء العباسيين بالقمع الفكري، وسيأتي رأي الباحث في هذه النقطة
مفصلاً (ره ص ٣٣٥) هـ وهذه النقطة ذات علاقة وثيقة بما
أشير إليه في هذه الفقرة هـ

الفصل السادس : الأئمة المستورون

ظل الباطنيون مدة طويلة وهم يُعْتَمَدون على شخصية الامام المستور،
ولما حاصرتهم الاتهامات من جميع الجبهات ، كشفوا عن شخصيات الأئمة
المستورين ، الا أنهم اضطربوا في ذلك أشد الاضطراب ولا يزالون . فقد
قال بعضهم : ان أول امام مستور هو اسماعيل بن جعفر حين تظاهر بالموت
في حياة أبيه جعفر بن محمد (ر ١ ص ص ٢٦٤ و ٢٦٥) وقال بعض آخر
ان محمد بن اسماعيل هو أول الأئمة المستورين فلقب بالمكتم لذلك (ر ١ ص ص
٢٧٠ ، ٢٧١) في الوقت الذي نجد فيه مرجعا باطنيا هو الرسالة
التي أرسلها المهدي عبيد الله الى أهل اليمن أوضح فيها أن كلا من اسماعيل
ابن جعفر ومحمد بن اسماعيل ليسا شخصيتين حقيقيتين - وأن اسم الامام
الحقيقي عبد الله بن جعفر وأنه تسمى باسماعيل ثقية ، ولا ننسى هنا
أن الباطنيين ذكروا أن امامة اسماعيل ومحمد بن اسماعيل كانت في حياة
جعفر بن محمد الذي نص عليهما واحدا بعد الآخر . ولقد من
الباطنيين من يعتقد أن اسماعيل بن جعفر هو الامام السادس وان محمد بن
اسماعيل هو الامام السابع من أئمة دور الظهور^٢ . وهنا يكون أول امام
مستور هو عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، والى هذا تشير كثير من التراجع
الباطنية .

كل هذا يجعل مسألة تعيين أول أئمة الستر الباطنيين من المسائل
الصعبة ، ما يسمح للباحث أن ينظر بعين الاعتبار الى الفكرة القائلة
ان عبيد الله المهدي بعد استيلاءه على مقاليد الأمور وظهر دولته في

١. انظر في نسب الخلفاء الفاطميين ص ١٠ أنظرها في الملحق - ١
٢. انظر : عارف تامر . الامامة في الاسلام ص ٢٥٥

المغرب ؛ لم يكن قد استقر رأيه بعد على نسب ينتسب اليه ؛ فنسب

نفسه الى أهل البيت ، ثم ادعى أنه من ولد عبدالله بن جعفر ولكنـه

عدل عن ذلك - حينما علم أن عبدالله لم ينجب - وادعى الانتساب

الى اسماعيل بن جعفر . ويؤكد ذلك رسالة المهدي عبيد الله الانفة

الذكر التي اتفقت الى حد ما مع ما ذهب اليه ابن حزم . وهذا

يؤدي بنا الى الحديث عن نسب الخلفاء العبيديين الذين حكموا هـر وهو ليس

مطلوبا هنا ، بل ان الذي ساق الحديث اليه هو تعذر معرفة من يمكن

أن يكون أول أئمة دور الستر عند الباطنيين ، وما أدى الى ذلك من نتائج

منها على سبيل المثال ؛ أن تسمية الباطنيين أنفسهم بالاسماعيليين

من المحتمل أن تكون متأخرة ؛ ويفسر ذلك لفقال أبي الحسن الأشعري

الحديث عن فرقة تسمى الاسماعيلية . واطلاق النويختي تسمية

(الاسماعيلية الخالصة) على فرقة أنكرت موت اسماعيل بن جعفر وقالت

بعودته مهديا على الطريقة السبئية ، وتسميته (الخطابية والقراطة)

بالاسماعيليين .

خلاصة القول ان الظن هو السبيل الذي يمكن به تعيين الأئمة

الباطنيين المستورين والظن أيضا يذهب بنا الى احتمالات عديدة .

من المحتمل أن تكون أبلغ صورة لوضع الفرق الباطنية في دور الستر

هذا ما ذكر القاضي عبدالجبار المعتزلي الذي يقول ان الباطنيين

كانوا يكتبون كتباً تتضمن الدعوة لامامهم المستور ؛

١. تثبيت دلائل النبوة ٥٩٨/٢

٢. انظر : ابن حزم (٤٥٦ -) جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٩ - ٦١

٣. انظر : مقالات الاسلاميين ، ص ١٠٠ - ١٠١

٤. انظر فرق الشيعة ط ٤ ص ٧٩ ٨٠٦

ويكون مع تلك الكتب الأموال والهدايا والتحف
العجيبة ويذكرون للمكتوب اليه ملكهم ، وأنهم قد
وجدوا ذلك في كتب الحدثان ٠٠٠ ويحلفونه في كتمان
ذلك وكتمان ما يلقونه اليه ٠٠٠ ويقولون السنة السنة
تكون الغلبة ، وظهور الأمر على جميع الأرض ، فلا يكون
لذلك أصل . ويموت من وعدوه ذلك ، ويتناسى
ويبتدئون فيسخرن بقم آخرين فيبطل ذلك ولا يكون
ويبتدئون بقم آخرين ، ويموت ذلك الذي قالوا لهم
انه الامام الذي يظهر ، ويدعون الى آخر ويموت السذي
بعده ثم الذي بعده كذلك .

وقد أثبت التاريخ بالاضافة الى ذلك أن أكثر من جهة باطنية

كانت تدعو الى امام مستور .

الأئمة المستورون :

١- اسماعيل بن جعفر :

يعتبر اسماعيل بن جعفر اسما هاما عند الفرق الباطنية ؛ فهو الامام
الذي يتسبون اليه على اختلاف فرقهم عدا النصيرية ؛ فيقولون الاسماعيلية
النزارية ؛ الاسماعيلية الطيبية ٠٠٠ الخ ، كما درج كثير من الكتاب على
اعتبار خلفاء الدولة العبيدية من نسل اسماعيل بن جعفر هذا ، وعليه
غلب على اسمهم الفاطميون .

١
هو اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

ومن ألقابه عند الباطنيين الميمون والمبارك . ولا بد من الإشارة الى علاقة

ما بين لقبى (الميمون) و (المبارك) لما لهما من ارتباط بشخصيتين

لهما دور في تأسيس الفرق الاسماعيليه هما ميمون القداح ، والمبارك صاحب

٩ الفرقة المباركية (ر . ص ص ١٤٥ هـ ٢٧٢) وطيه فان اعتبار اللقبين

خاصين باسماعيل بن جعفر بعيد عن واقع هذه الشخصية بل من المحتمل

أن يكون هذان اللقبان ما أضافته الفرق الباطنية فيما بعد على اسماعيل

٣ وأئمة الست . لفرض الأيحاء بأن الذين أسسوا الفرق الباطنية هم الأئمة

المستورون من أهل البيت ، ويبدو أن هذه الطريقة لم تلق رواجاً

١٠ في التراث الباطني ، مما جعل غارف ثامر ينحى للأئمة على الباطنيين

أنفسهم في عدم استطاعتهم اثبات أن مؤسسي الفرقة الباطنية هم

٤ الأئمة المستورون أنفسهم .

مولده ونشأته :

يقول مصطفى غالب :

١٥ كانت ولادة الامام اسماعيل سنة ١١٠ هجرية في المدينة

٥ المنورة .

٦ وعلى ذلك يكون قد نشأ في كنف أبيه جعفر بن محمد . ومن الطبيعي

أن يصف الباطنيون اسماعيل بن جعفر بالذكاء والفتنة المبكرة ، والعلم اللدني

وهذه قصة ذكرها الباطنيون عن اسماعيل في ذلك ، قالوا : -

١. انظر: النويختي . فرق الشيعة ، ص ٨٤

٢. انظر: زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٧

٣. انظر: في نسب الخلفاء الفاطميين ص ص ٩ ، ١٠ . انظرها في الطلق - ١

٤. انظر: القرامطة ص ١٠٨

٥. اعلام الاسماعيليه ص ١٦١

٦. انظر: زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٧ .

وقد جاء عن بعض أصحابه [يعني أصحاب جعفر بن
محمد] وكان من دعوة أبي الخطاب ، أنه قال :
رأيت اسماعيل عند منصرفه من الكتاب فأجلسته فسي
حجري وقبلت رأسه ، وقلت : ما أعجب بأمركم وأيت
منكم [كذا] ، فقال : بأي الأمور أنت تعجب يا فلان ؟
فقلت : يقول لنا أبوك بالأمس : أبو الخطاب معدن
سرنا ، وعيبة علمنا واليوم يلعنه ويأمرنا بالبراءة منه ،
فقال : يا فلان وسماه ، أن الله جل وعز لما دعى [كذا
بالمقصورة] السموات والأرض وذلك قوله ايتنا [كذا]
طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فكاتبنا
مطيعين وكذلك النطقاء والأوصياء والائمة كانوا مطيعين
في اجابتهم ، فلذلك صاروا معصومين ، وسائر
الاتباع لهم مستقر ومستودع لأنهم مجتائين (؟) وليسوا
معصومين ، وأن أبا الخطاب ممن استودعه الله علمنا
فلذلك قال بولايتنا ، فلما أفسد في دينه قبض الله
وديته فتبرأنا منه . فمن أي هذه الأمور أنتمست
تعجب ؟ ونهض الصبي من هجره سرها .
فقال الرجل : مالي ولصغير بني هاشم وكبيرهم ،
ودخل الرجل لوقته إلى الصادق فأخبره بما جرى
بينه وبينه فقال (من) يتكلم به مثل هذا ، ثم أحضره
وأمره بأن لا يعود إلى الكتاب وصار يصوته من كلام
الناس خوفا عليه من ضده .

١. جعفر بن منصور اليمن . أسرار النطقاء (ايفانوف . المنتخب) ص ٩٥ ،
٩٦ ، انظر القصة في الكشي ، راجع لويس . أصول الاسماعيليه
ص ١٠١ .

ان النص ذو دلائل أهمها علم وذكاء اسماعيل وهو صغير . وهذا يؤهله
للزمامة والقيادة ، وهذا ما أولاه الباطنيين اياه فانتسبوا اليه واعتبروه أول
أئمة دور الستر تارة أو السماء الدنيا من السموات السبع التي هي
الأئمة المستورون كما يقول الدور

وسادس الأئمة

ممثل اللحم في الروحانيه مقابل جده نبي الهدى (ص) تارة أخرى .

امامته ، ان المصادر الباطنية لا تستطيع أبدا أن تدعي أن امامته

اسماعيل كانت بعد وفاة جعفر الصادق ؛ لذا فقد قالوا ان جعفرا سلم اليه

الأمر وهو على قيد الحياة . وهذا من الصعب حدوثه نظريا في العقيدة

الباطنية . ولكن ما باليد حيلة فليس لديهم من طريقة سوى هذه كي يجعلوا

لذهابهم علاقة بمحمد بن اسماعيل . فادعوا أن جعفر فعل هذا وسلم الأمر

الى ابنه " بأمر الله وروحه " . ولكنهم أوردوا قصة أخرى تعليلا لهذا التسليم

المزعوم ، وان كان يُشتمُّ منه أسلوب الأساطير ، وهو أن أبا جعفر المنصور الخليفة

العباسي المشهور رغب إلى جعفر بن محمد في أن يسلم اليه الامامة ، وهدده

بالقتل هو وأولاده وشيعته ان أبى ، فوعده (الصادق) بذلك عند موته ولكنه

سلم الأمر إلى اسماعيل في سر وانكتم . وعلى هذه الصورة اعتمد الباحث على أن

الصواب اعتبار اسماعيل بن جعفر أول أئمة دور الستر الباطنيين وهذا مؤكد أيضا

باتتساب الباطنيين اليه .

الا ان الشيعة الاثني عشرية أعداء الاسماعيليين حاولوا الطعن في دعوى

الباطنيين امامة اسماعيل بالنيل من شخصية اسماعيل وأنه لا يصلح للامامة لسوء

١. انظر زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٠

٢. انظر " " " " (" " ") ص ٤٧

٣. انظر اسرار النطقاء (ايفانوف) ص ٩٤ ، ص ٨١

٤. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٥٥

سلوكه وأنه كان يعاقر الخمر لذا فقد اعتبره جعفر شيطانا تصور في صورة
١
ابنه ، وفي كتب الاثني عشرية نجد جعفرا يلعن ابنه اسماعيل ويعتبره
٢
فاسقا وببشره بالنار .

وفاته : ان وفاة اسماعيل بن جعفر كانت في سنة ١٤٥ في حياة أبيه ، ويطيب
٣
للباطنيين انكار هذه الوفاة ويعتبرونها بدءا لاستتار اسماعيل تكديبا منهم
٥
لحادثة وفاته التي يقول الاسفراييني (- ٤٧١) انها صحت عند جميع
٤
اهل التواريخ . ويوضح لنا النص التالي أن الباطنيين لا يتكرونها جملتها
حادثة وفاة اسماعيل ولكنهم وظفوها باطنيا على أنها إيهام للضد الذي
هو "أبو جعفر المنصور" . يقول النص :

١٠ فلم يرمولانا [يعني جعفر] الا أنه أمر مولانا

٨٦٢٢٢٨٢ [= اسماعيل] بأن يظهر الموت . وأقام

مسجى ثلاثة أيام ، ومولانا ٤٢٢ [= الصادق]

يشهد عليه من حضره ثم أمر بدفنه في اليوم الرابع .

ومع ما في القصة من تضارب بين قوله الذي سبقت الإشارة إليه بأن جعفر

١٥ سلم الأمر إلى اسماعيل ثم قوله إن جعفر أمر اسماعيل بالموت أو التظاهر به

اذ كيف يأمره وقد سلم إليه الأمر وصار هو الامام . وصدق من قال اذا كنت

كذوبا فكن ذكورا . مع ذلك فلا يسع الباحث الا أن يعتبر أن اسماعيل مات في

حياة أبيه لعدم استقامة مسألة التظاهر بالموت ولأنها تتعارض مع المنطق

السليم فضلا عن كونها من الأمور التي لا داعي لها حتى مع حسن الظن

-
١. جهانكشاي (ترجمة جمال الدين) ص ١٥٣
 ٢. انظر ، الاستراهادي . منهج المقال ، دمشق ، المكتبة الظاهرية
مخطوط رقم ٧٥٧٣ ، ص ٨٥ .
 ٣. انظر ، اعلام الاسماعيلية . ص ١٩٥
 ٤. انظر ، التبصير في الدين . ص ٢٣
 ٥. مسائل مجموعة من الحقائق العاليه (شروثمان . أربعة كتب) ص ١٦ .

بالباطنيين باعتبار ذلك من قبيل التقية التي يدين الباطنيون بها ؛ لان
من يستطيع اخضاع الظواهر البشرية لرغبته قادر على استعمال وسائل
أقل غرابة من ذلك للاستتار والتخفي بل وايهام الضد .

ان مناقشة هذه القصة على النحو المذكور ليس الغرض منها الا الوقوف

على الهداية الغربية اللامعقولة للفرق الباطنية التي انتسبت الى

اسماعيل بن جعفر ، وبالحال من بداية غير طبيعية كما يظهر للقارئ الكريم .

ولكي تنكسب قصة التظاهر بالموت التي نسبها الباطنيون الى اسماعيل

ابن جعفر صفة الشرعية فانهم الحقوا بها رواية نسبوها الى جعفر بن

محمد :

لوجاءكم أحد بدماغ ابني هذا [يعني اسماعيل]

في صورة [كذا] فلا تشكوا أنه الامام بعدي .

وليس بعيدا أن يصدق الباطنيون هذه الرواية ويكذبوا حادثة وفاته .

ولعل الرواية هذه تذكر القارئ بقول ابن سبأ اليهودي حينما نُعي اليه

أمير المؤمنين علي ، قال : . . . ولوحثمونا بدماغه في صرة لعلنا أنه

لا يموت . . . (ر. ص ص ٢٩ ، ٣٠) . وقد درج الشيعة والغلاة خاصة

على نفي موت من مات من الذين يدهون أنهم أئمتهم . (ر. ص ص ٧٦ - ٧٩ ،

٩٤ ، ١٣٢ ، ١٤٠) .

ظهور اسماعيل بعد موته ؛ ادعى الباطنيون ظهور اسماعيل بعد حادثة

موته ؛ وأضافوا الى معجزة ظهوره معجزة أخرى لا تقل عن معجزة ظهوره ،

قال الدايمي ادريس :

فلما كان بعد ذلك ظهر اسماعيل عليه السلام بالبصرة
وأقبل اليه الناس يهرعون وهم يقولون : هذا اسماعيل
ابن جعفر عاد حيا الى أن مر بشيخ زين علي دكانه
من الشيعة الموالين لأبيه ، فقال له : يا بن بنت
رسول الله ! خذ بيدي ، أخذ الله بيدك ، فطلع
اليه ومسح علي ظهره بيده المباركة فثبت ظهره
وبرئ من علته وشاهد الخلق ذلك ، وقاب عنهم .^١

ان الباحث لن يناقش هذه القصة . ولكن لابد من الإشارة الى أن

حادثة ظهور اسماعيل علي أهميتها وخطورتها ، الا أنها كالكثير من

أخبارهم وعقائدهم - تتسم بالتناقض الواضح والاختلاف اليبين ، ففي

تحديد تحديده لزمن قصة ظهور اسماعيل هذه ذكر مصطفى غالب

أنها حدثت عام ١٥١ أي بعد سنوات ست من موت اسماعيل أو تظاهره^٢

بالموت . ولكن في رواية أخرى نجد أن أبا الدوانيق - كنية لأبي

جعفر المنصور - استدعى جعفر الصادق (- ١٤٨) وعاتبه علي ظهور

ابنه اسماعيل بعد وفاته أو علي ما زعم له كذبا من وفاته بينما نجد مصدرا^٣

باطنيا آخر يدعي أن أخبار هذه الحادثة - ظهور اسماعيل - وصلت

الى أسامع أبي جعفر المنصور بعد أيام من تلقيه خبر وفاة اسماعيل .

ورغم كل هذا التناقض نجد مصطفى غالب يرجح أن حادثة الوفاة كانت

عام ١٤٥ ، وأن اسماعيل توفي سنة ١٥٨ ثم يقول في ثقة انه توفي سنة ١٤٥ .

ورغم ذلك نجد مصطفى غالب ينتقد بشدة التصيرية الذين تقوم عقائدهم^٤

على الخرافات .

١. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٨

٢. انظر : اعلام الاسماعيليه ص ١٦٥

٣. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق العالية (شتروتمان . أربعة كتب) ص ١٦

٤. انظر : اعلام الاسماعيليه ص ٤٤٧ وانظر مقدمته على الهفت الشريف ص ١١

الاسماعيلية بعد اسماعيل ، من عجب أمر الباطنيين أنهم ينفون لمراً

ثم يبنون آراءه على ما سبق أن نفوه ، فبعد أن مجد الداعي ادريس معجزة اسماعيل للخلائق - السابقة الذكر - وحلل أسبابها نجده يقول بعد ذلك -

٥ ثم ان الصادق عليه السلام أقام موسى بن جعفر حجاباً على محمد
١
ابن اسماعيل .

ثم يستمر في حديثه عن محمد بن اسماعيل معتبراً إياه ولي الأمر
ناسياً كلياً أمر اسماعيل ومعجزاته .

يمكننا هنا القول عطفاً على ما سبق أن الباطنيين أنفسهم يحسدون

١٠ ظهور فرقته - الداعية لامامة محمد بن اسماعيل - بوفاة اسماعيل سنة ١٤٥
رغم نفيهم لحدائثة وفاة اسماعيل .

الا أن جعفر بن منصور اليمسني قسم الفرق الشيعية بعد وفاة جعفر

٢
ابن محمد سنة ١٤٨ وكذا فعل النويختي . ومن جملة تلك الفرق كانت
فرقة (الاسماعيلية الخالصة) التي زعمت مهدية اسماعيل بن جعفر ورجعته

١٥ التي يرى أنها فرقة (الخطائية) في أصلها وأنها انضمت بعد ذلك إلى
القائلين بموت اسماعيل وامامة ابنه محمد وإذا صح ما ذهب النويختي
إليه فهذا معناه أن أبا الخطاب الزيتي هو أول داعية اسماعيلي ، ولكن
بعض أصحاب المقالات يرون غير ذلك ، فان أبا الحسن الأشعري مثلاً
٤
اعتبر أبا الخطاب داعية لنفسه .

١. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٩
٢. انظر اسرار النطقاء (ايفانوف . المنتخب) ص ٨٣
٣. انظر ، فرق الشيعة ط ٤ ، ص ٧٩ ، ص ٨٠ ، ص ٨١
٤. انظر : مقالات الاسلاميين / ١ ص ص ٧٦ - ٧٩ ، ١٠٠

ويؤيد هذا ما وجدته الباحث من تعجيد لأبي الخطاب في أحد كتب الباطنية النصيرية وهم لا يقولون بامامة اسماعيل كما هو معروف (ر٠ ص ١٢٨) . كل ذلك يوضح أن فرقة الاسماعيليه التي نعت موت اسماعيل اعتبرته مهديا منتظرا ثم انقرضت أو انضمت الى القائلين بامامة محمد بن اسماعيل . وهذا يوحى بأن حكاية ظهور اسماعيل بعد موته انما هي ما حيك بعد ذلك ربما بعدة طويلة .

دور اسماعيل في الفكر الباطني : ما سبق يتضح لنا أن اسماعيل بن جعفر ليس الا اسما عابرا في الفكر الباطني ، وذلك استنادا على ما يأتي :-
١- ان تلقيبه بالبارك أو اليمون ليس الا من قبيل الخلط وأن المبارك واليمون شخصان آخران .

٢- ان قصة نهوضه في طفولته مختلفة لعدم وجود أي امتداد لهسا يثبت ذلك ، فان المقائد الباطنية خالية من أي فكرة أو رواية عن اسماعيل مما انبنى عليه فكرهم ، فيما عدا معجزة الموت أو التظاهر به وظهوره في البصرة وشفاء الرجل الزن ، وهما مما لم ينعكس عليه أية فكرة باطنية .

٣- تناسي الداعي ادريس لاسماعيل بعد مبالغته في اظهار معجزته وانصرافه الى القول بامامة محمد بن اسماعيل .

ولهيه فان اسماعيل بن جعفر اسم التصق الباطنيون به ، ولكنهم لم يجيدوا ذلك فتناسوه وهذا شاهد على أن الدعاة الباطنيين هم صانعوها الفرقة الباطنية حقيقة .

٢- محمد بن اسماعيل :

اسمه : محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ولقبه المكنم . ان المراجع الباطنية

١. انظر الاعلام ٢٥٨/٦ وانظره سعد محمد حسن . المهدي في الاسلام القاهرة دار الكتاب العربي ، ١٣٧٣ ، ص ١٣٨

لا تشير إلى هذا اللقب حين تتحدث عن محمد بن اسماعيل ، ولكن هذا لا يغير كثيرا في الأمر .

مولده : لم تشر المصادر الباطنية إلى تاريخ مولد محمد بن اسماعيل

وعليه فلم يستطع مصطفى غالب تحديده إلا استنتاجا بأنه كان سنة ١٣٢ هـ في

المدينة المنورة . وهو تاريخ قد يتعارض مع بعض المراجع . أما نشأته ، فلم

يورد فيها شيء محدد ، ويحتمل أنه تربى في المدينة المنورة ربما في كنف

جده جعفر بن محمد ، ولكن الداعي ادريس صح بأن ميون القسداح

رعى محمد بن اسماعيل وأخفى شخصه منذ كان في الثالثة من عمره وقد

أكد الداعي أبو الخطاب الحجوري هذا حين تطرق إلى أن والده اسماعيل

ابن جفر مات ومحمد في حد الطفولية وهذا قد يتعارض مع ما ذكر مصطفى

غالب من تاريخ ولادته ، لأننا نعلم أن وفاة أبيه كانت سنة ١٤٥ .

ولكن الداعي جعفر بن منصور الهمسن يقول في معرض رده على الأئمة عشرته

ولم تعلموا أن اسماعيل عليه السلام لم يغب عن الدار حتى

خلف ولدا كاملا . . . وقد كان هذا رجلا كاملا له أربع

عشرة سنة .

وهو ما يتناسب مع ما ذكر الزركلي من أن ولادته كانت سنة ١٣١ .

امامته : ربط الباطنيون امامة محمد بن اسماعيل بوفاة أبيه أو لهيته أو استسارته

أي في حياة جعفر بن محمد ، جده ، وفي ذلك يقول الداعي ادريس :

-
١. انظر : اعلام الاسماعيلية ص ٤٤٧
 ٢. انظر : زهر المعاني (ايقانوف . المنتخب) ص ٤٧
 ٣. انظر : غاية المواليد (ايقانوف . المنتخب) ص ٣٦
 ٤. اسرار النطقاء (ايقانوف . المنتخب) ص ٨٢ و ٨٣ .

وأوصى اسماعيل والده الصادق عم الأمين أن يقيم
لولده حجبا ومستودعا كما أوصى هارون موسى أن يقيم
لولده كفيلا فأقام له يوشع بن النون ستر اعليـــــــــــــــــه
١
وحجابا ٥

٥ ولا يغيب عن البال أن يوشع بن نون هذا هو الذي علق الشيعة الضلالة
والباطنيون على كتفه كثيرا مما له علاقة بالامامة وذلك منذ أيام عبد الله بن
سبا اليهودي (ر٥ ص ص ٢٩ ، ٣٠) . وهذه النقطة التي ذكر يوشع
فيها هنا ذات علاقة بما ذهب الباطنيون اليه من القول بتكرار الأحداث
في الأدوار والعصور المختلفة (ر٥ ص ٣٨١) .

١٠ ان الدايمي ادريس في حديثه عن هذه الفترة من نشأة الاسماعيلية الباطنية ٥
يضيف نقطة أخرى بقوله :

ثم ان الصادق عليه السلام أقام موسى بن جعفر حجابا
على محمد بن اسماعيل وعلى من جمعه له بابا الذي هو
ميمون الستر عليه والكفيل ٥٥٥ وكم الصادق منزلة ابن ابنه
٢
وأقام له ميمون القداح وابنه عبد الله بن الميمون كفلا ٥

١٥ وهذا ما يزيد الأمر غموضا ٥ وفوق ذلك فان الباطنيين يصرون على
الإشارة الى التفرق الذي وقع بين الشيعة اثر وفاة جعفر بن محمد (- ١٤٨) حين
قالت كل فرقة منهم بامامة أحد أبناء جعفر بل ان فرقة قالت بمهدية جعفر
٣
ورجمته ٥ ويصفها الباطنيون بالفرقة التي قالت بسرجوع الامامة القهقري
٢٠ (ر٥ ص ١٤٠ فما) ويصبح الأمر حيثئذ كما يلي -

١. زهر المعاني (ايفانوف ٥ المنتخب) ص ٤٧
٢. المرجع السابق ص ٤٩
٣. أنظر أسرار النطقا زهر المعاني (ايفانوف ٥ المنتخب) ص ص ٥٥٠ ، ٨٣

سلم جعفر الامامة الى ابنه اسماعيل ، الذي اوصى جعفرا ان يولي

الامامة ابنه محمد بن اسماعيل ، فيولي الجد - وهو امام مخصوص عليه بالنصر

الالهى - حفيده الامامة ويسلمه الى شخص مجهول اسمه (ميمون

القداح) ويجعل ابنه موسى بن جعفر حجابا عليهما من الواجهة المزيفة

أو القزاز - . ثم يموت جعفر ، ويختلف شيعته في ابناؤه كل يدعو لواحد

منهم الامامة ، وكل واحد منهم يدعي الامامة لنفسه بما في ذلك موسى

ابن جعفر ، الذى صار في هذه الصورة خائنا للأمانة حيث ادعى الامامة

لنفسه وهو ليس الا حجابا للامام محمد بن اسماعيل وكفيله القداح . والقداح

وابناؤه واحفاده اوفياء لمحمد بن اسماعيل وابناؤه يدعون اليهم ردحا طويلا

من الزمن .

ان هذه الصورة ليست مستقاة الا من النصوص الباطنية الالفة الذكر .

وهي صورة من الصعب ان تتحقق في أسرة عادية فضلا عن ان يوصم

بها آل بيت رسول الله (ص) الذين شرفهم الله بالانتساب الى خيبر

انبياءه ورسله وخاتمهم . وانهم توارثوا ذلك (ذرية بعضها من بعض) ،

حقا ما اقرب هذه الصورة الى قوم ذوي غرض ذنوبي زائل منه الى قوم

هدفهم الاسمى الدعوة الى دين الله الحق وانهم حجة الله على خلقه

في الأرض .

كل هذا والامام الحقيقي منكم على امره تلبسا على الضد . ولكن

من هو الضد هنا بعد هذه الاسطورة المجيبة التي يقول الباطنيون

انها تمثل بدء تاريخهم . فياله من تاريخ غامض يضرب بعضه بعضا .

اما اصحاب المقالات والفرق فيرون غير ذلك . لان فرقة المباركية قالت :

ان الامر كان لاسماعيل في حياة ابيه فلما توفي قبل

ابيه جعل جعفر بن محمد الامر لمحمد بن اسماعيل

وكان الحق له ولا يجوز غير ذلك لأنها اي الامامة
لا تنتقل من أخ الى أخ بعد الحسن والحسين عليهما
السلام ، ولا تكون الا في الأعقاب .

ولكن الملاحظ على الباطنيين أنهم لا يستندون هذه الفرقة الى المبارك

الذي يعتبره كامل الشيبلي كوفيا من موالي اسماعيل بن جعفر اول اسماعيل
ابن علي بن عبد الله بن عباس ، فهم يتجاهلون المبارك ويؤلفونه على أحد
أئمتهم .

ان شخصية المبارك هذا لا تقل غموضاً عن الشخصيات الباطنية الأخرى

التي سادت في هذه المرحلة وهي بذلك تلقى ضوءاً على أن الدعوة لمحمد

ابن اسماعيل لم تكن مدينة المطلق بقدر ما هي كوفية . ويؤكد هذا

ما ذكره النويختي من انضمام فلول الخطابية الى المباركية وقولهم بقولها

وقوله ان القرامطة فرقة مباركية . وبذلك فان القداح وذريته / على

ضوء ما ذكره غير الباطنيين / شخصيات ثانوية في الدعوة الى محمد بن اسماعيل

ويوضح ذلك التخبط الذي في المصادر الباطنية حول القداح وذريته

ما يدل على أنهم لم يجدوا بدا من اقصاهم في تاريخ الدعوة الباطنية

المبكرة على أي صورة من الصور ، وذلك ليدفعوا كتابات أهل السنة وغيرهم

حول القداحيين . ولا يمنعنا هذا من متابعة الباطنيين في تصويرهم لنشأة

هذه الدعوة وزعمهم أنها انطلقت من المدينة المنورة بزعامه محمد بن اسماعيل .

بالرغم من الستر واللبس الذي جازحت على أبناء جعفر بن محمد بحيث

١. النويختي ص ٨٠ وأنظر : مقالات الاسلاميين ١٠١/١ والشهرستاني

١٦٨/١

٢. انظر : الصلاة بين التصوف والتشيع ط ٢ ص ١٩٦ وفرق الشيعة ط ٤

ص ٨٠ وفي نسب الخلفاء الفاطميين ص ١٠

٣. انظر : فرق الشيعة ط ٤ ص ص ٨٠ - ٨٣ .

دعا كل منهم الى نفسه . فقد هجر الباطنيون مركز الدعوة لمحمد بن اسماعيل الى خارج المدينة المنورة ، وقبل فعلهم هنا أوجدوا سببا منطقيا لذلك التهجير ؛ فبينما محمد بن اسماعيل في المدينة المنورة يقوم بهمام الدعوة وبث الدعوة ؛

- ٥ أمر دعائه بطلب دار هجرة يلجأ اليها ، وكان في عصر الرشيد فلما بلغه علم محمد بسبب انتشار دعوته أمر بالقبض عليه ، وأن يؤديه الى [؟] وكان الامام قد أعد بداره سرا ينكتم فيه من الضد ، فلما وصل الرسول من الرشيد الى المدينة ، دخل ذلك السرب واختفى فيه ، وطلبوه فلم يجدوه ولا قدروا عليه فعادوا الى الرشيد وأنهبوا اليه خبر ما فعلوه ، ولما هدا الطلب سارا امام
- ١٠ في طلب دار هجرته .

- أي أن أمور محمد بن اسماعيل كانت على ما يرام في المدينة المنورة مسن قبل ، الى أن خرج من أيام الرشيد (- ١٩٣) واذا قدرنا هذه العدة منذ وفاة جعفر بن محمد (١٤٨) فانها قد تصل الى ربع قرن أو يزيد والشيعنة
- ١٥ الاثنا عشرية يؤكدون خروج محمد بن اسماعيل من المدينة أيام الرشيد على صورة أخرى . ويدعي مصطفى غالب أن الشخص الذي أوصل الى محمد بن اسماعيل خبر عن الرشيد على القبض عليه هو زوجة الرشيد (زبيدة) اذ كانت بزعمه تعتنق المذهب الاسماعيلي . هناك نص باطني آخريدي خرج محمد
- ٢٠ ابن اسماعيل من المدينة ربما بصحبة ميمون القداح قبيل وفاة جده جعفر بن

١. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٣

٢. أنظر : هامش فرق الشيعة ص ٨٠

٣. انظر : اعلام الاسماعيلية ص ٤٤٩

محمد وهو بعد في الرابعة عشر من عمره^١ . ولكن هذا ليس ذا بال سيما
وأن الداعي ادريس أكد أن محمد بن اسماعيل حينما خرج من المدينة
خلف ولدين هما اسماعيل وجعفر وهما بزعمة خاليتين من الامامة ؛ أي ليسا^٢
بإمامين . وقد أشار ابن حزم (- ٤٥٦) إلى ابني محمد بن اسماعيل
هذين باسميهما ؛ والصواب كما يبدو هو أن محمد بن اسماعيل كان مقيما
في المدينة المنورة ، وأن يكن قد خرج منها فلم يكن ذلك إلا في فترة
متأخرة .

الا أننا لا نجد أي أثر - مهما كان ضئيلا - للدعوة الاسماعيلية في
المدينة المنورة ، ولا يخفى أننا وجدنا من قبل أثرا لفكر غال على نطاق ضيق
جدا حينما تبع أناس من أهل المدينة حمزة بن عمار البربري (ر . ص ٨٣) ،
فلماذا اجتمعت المصادر الباطنية وسواها على عدم وجود أي أثر للدعوة
إلى محمد بن اسماعيل في المدينة المنورة ؛ بينما نجد الأثر الواضح لتلك
الدعوة في الكوفة . ان هذا الاستنتاج يؤدي إلى رفض النص الباطني القائل
بانطلاق الدعوة إلى امامة محمد بن اسماعيل من المدينة المنورة ؛ رغم بقاءه فيها
زمنًا طويلا .

ان من يقف على أسماء المدن التي يدعي الباطنيون وصول محمد بن اسماعيل
إليها يجد ؛ فرغانة ، وسلا ، ومعسكر مكرم ، ونيسابور . أما الكوفة فلا
ذكر لها ؛ ولكن النوبختي يشير إلى الكوفة باعتبارها من أوائل المعامل
التي ظهرت فيها الدعوة إلى محمد بن اسماعيل . وهي مدينة زخرت بالأفكار^٤

١. انظر: أسرار النطقاء (ايفانوف . المنتخب) ص ١٠٤
٢. انظر: زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٣ وانظر ؛ ابن حزم
جمهرة أنساب العرب ط ٤ . عهد السلام هارون ، ص ٦٠
٣. انظر أعلام الاسماعيلية ص ص ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ .
٤. انظر ؛ فرق الشيعة ص ٨٢

الشيعة الغالية منذ أن ظهر بها ابن سبأ اليهودي بعقائده المعروفة ،
اذن ما معنى ظهور الدعوة الاسماعيلية والعقائد الباطنية من الكوفة
ومحمد بن اسماعيل لم يبق فيها بينما يقيم في المدينة المنورة عمرا ولا نجد
فيها شيئا من ذلك .

ان معنى هذا بكل صراحة أنه لا علاقة لمحمد بن اسماعيل بالدعوة
الباطنية الاسماعيلية ؛ بل ربما أمكن القول أنه لا يدري شيئا عن امامته
والدعوة اليه .

دور محمد بن اسماعيل في العقيدة الباطنية ؛

لو افترضنا جدلا أن محمد بن اسماعيل كان القائم الفعلي بالدعوة التي
نفسه أو أنه ادعى الامامة . فلا بد أن يكون له أثر ما في الفكر الباطني .

ان الباطنيين أعطوا ابن اسماعيل مرتبة في الامامة لم تعط لأحد مسن
الأئمة قبله ، فهو ،

سابع الأئمة وقائمهم مقابل لجدده علي أمير

المؤمنين ، تمام الدور الروحاني والخلق الآخر

الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه ، وهو تمام

الدور الأول ، ومنه ابتداء الدور الثاني ،

ويعني بالدور الثاني . دور الستر (ر . ص ٢٥٥) ويعني بالخلق

الآخر القائم المنتظر ويكنى عنه الباطنيون بالخلق الآخر اشارة الى الآية

الكريمة التي فيها (ثم انشأناه خلقا آخر) (ر . ص ٢٥١) .

ان لقا محمد بن اسماعيل ما يذكرونا برسول المسيح المنتظر الذي
قالت به العيسوية اليهودية (ر: ص ١١٦) فهو القائم صاحب القيامة
بالقوة ، صاحب الكشفة الأولى ،

لان المقام بالفعل هو القائم الكلي الذي هو

صاحب الكشفة الأخرى والبطشة العظمى ، قائم القيامة

الكبرى ، لان القيامات كثيرة .

وقد أظهر الخليفة المعز العبدي غلوه وباطنيته حين وصف محمد بن

اسماعيل في دعائه الشهير بدعاء يوم السبت قائلا ،

سابع الرسل من آدم وسابع الأوصياء من شيت وسابع

الأئمة من آلهم سلام الله وصلواته عليهم أجمعين . . .

الذي شرفته وعظمته وكرمه وختمت به عالم الطبايع وعظمت

بقيامه ظاهر شريفة محمد (صلح) .

وقالت القرامطة من قبل في محمد بن اسماعيل بأنه رسول ، وكذا الدرور

الذين يعتبرونه ناطقا [- رسول] (ر: ص ٢٢٥) بعد سيدنا محمد (ص) .

وقد حاول الباطنيون نفي الدعوى القائلة بأن محمد بن اسماعيل هو خاتم

الانبياء والمرسلين ، فقالوا انه قائم بالقوة وليس بالفعل ، كما حاولوا تأويل

قول المعز العبدي في دعاء يوم السبت - الواضح المعاني - على ما يأتي :

-
١. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٤ ، ٥٥
 ٢. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٦ والأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٣٠
 ٣. انظر : النويختي ط ٤ ص ٨٤
 ٤. انظر : مخطوطة كتاب تقسيم العلم . المجموعة الدرزية ، الخزائنة التيمورية - عقائد ٦٦٢ ص ٢٢٩

وانما عتَى الامام المعز بقوله (وعظمت بقيامه ظاهر
شريعة محمد) لما كان لمعانيها مبينا ولاسرارها
كاشفا ومجليا ، فزال الله عن اتباعه وأشياعه اعتقاد
الظاهر على ما فيه من تعطيل وتشبيه للمبدع الحق .^١

٥ وعند المقارنة بين ما جاء في دعاء يوم السبت وما ذكره الداعي ادريس نجد أنه لا فرق ؛ بل كان الداعي المذكور كما جاء ليكملها فأعماها .
ان من الثابت جدا أن الباطنيين يرون في محمد بن اسماعيل أنه رسول بعد محمد ؛ وقد ابتكروا تأييدا لمزاعمهم أدلة نسبوها إلى النبي (ص) .

١٠ وهذا يوضح حقيقة الدعوة الباطنية التي اتخذت من محمد بن اسماعيل ومن أهل البيت النبوي رموزا لتحقيق أهداف يأتي على رأسها تعطيل الشريعة المحمدية والنيل منها .

ولكنهم في الحقيقة لم يستطيعوا تحقيق ذلك . فقد فشلوا تماما في تحقيق دور الكشف الذي أعدوا العدة له حسب ما كان مخططا له في نظرياتهم التسيبعية فلجؤوا إلى القول بالأدوار الصغيرة وما إلى ذلك (ر.ص ٢٠٣) وحتى تلك الأدوار لم تتحقق في نشأة دولتهم العبيدية مع زعمهم أن هذا ناموس الهي سارت عليه الحياة قبل آدم ، وليت شعري ما الذي غير هذا الناموس لو كان حقا ما يدعون !

أما دور محمد بن اسماعيل في تحقيق ما ألقوه به بل دوره في الفكر الباطني ؛ فهو لا يعدو أن يكون نتفا من الأخبار حفلت بها بعض مصادرهم لا يكاد الباحث يعثر عليها الا بصعوبة وتتعلق هذه الأخبار بنشأته

١. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٧

وثبت دعائه وزواجه وغير ذلك مما لا علاقة له بالعقيدة الباطنية التي
من الممكن الجزم بالقول أنها خالية من أي قول منسوب إلى محمد بن
اسماعيل شأنه في ذلك شأن أبيه اسماعيل بن جعفر تماما ، وبالعكس من
سبقهم من الأئمة الذين نسبوا اليهم أقوالا وأحاديث كثيرة مثل جعفر بن

محمد

وعليه فإن ما أضفوه من مراتب عالية إلى محمد بن اسماعيل لا يمكن
اعتبارها إلا نظريات كانوا يستدرجون بها الناس ، استهواهم لهم وإيحائهم
لأن دينهم تابع من البيت النبوي . وهذا يعني أن القوة السرية التي
كانت تعمل باسم محمد بن اسماعيل واسماعيل بن جعفر إنما قالت بأقوالهما
ودعاوا به بعد عصر اسماعيل وبعد عصر محمد بن اسماعيل .

الأئمة المستورون بعد محمد بن اسماعيل :

كان هؤلاء ثلاثة أئمة يقال انهم من ذرية محمد بن اسماعيل ، ولكن
من هم هؤلاء الأئمة الثلاثة المستورون ؟

ان ابن خلدون (- ٨٠٨) ذكر اسمين منهم ، هما " جعفر المصدق "

واعتبره ابنا لمحمد بن اسماعيل و " محمد الحبيب بن جعفر " ، وقد سبق
الحديث الذي يدحض هذا الرأي من مصدر باطني ادعى خلو جعفر هذا
من الامامة (ر . ص ٢٧٤) . وهذا يوضح الوهم الذي وقع ابن
خلدون فيه حول هذا الموضوع .

* انظر ترجمته في الأعلام ١٠٦/٤

١. انظر : المقرئ (- ٨٤٥) اتعاط الحنفا ج ١ ، تحقيق جمال الشيال ،
القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٣٨٢ ، ص ٥٠

والمراجع الباطنية مختلفة في أسماء الثلاثة المستورين على النحو

التالي :-

ان الامام عندهم بعد محمد بن اسماعيل هو : عبد الله بن محمد

ابن اسماعيل وقيل أحمد وقيل الرضي .

والامام بعده : ابنه أحمد وقيل الحسين وقيل الوفي وقيل عبد الله ،

والامام بعده ابنه الحسين وقيل علي وقيل التقى وقيل محمد وقيل

ان بعد هذا الامام امامين مستورين هما الحسين وأحمد ،

وهذا يوضح لنا من ناحية الفموض والتناقض الذي تاريخ

الدعوة الاسماعيلية الباطنية ، ويوضح لنا من ناحية أخرى السبب

الذي أوجد مشكلة النسب الفاطمي الذي لم تستطع المصادر الباطنية

ذاتها توضيحه .

١. انظر : غالب . تاريخ الدعوة الاسماعيلية ط ٣ ، ص ص ١٤٨ - ١٥٧
ومخطوط مجالس حاتم ق ٢٥ ب ومخطوط حياة الأحرار ق ١٥٩ وزهر
المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ص ٦٠ - ٦٣ ومخطوط رسالة
تقسيم العلم ، دار الكتب المصرية ، كلام النحل ٥٤ ، ق ق ١٠٥
ب - ١٠٨ ب .

الفصل السابع : قائم الزمان (المهدي المنتظر)

تمهيد :

- من عقائد الفرق الشيعية عامة القول بالمهدي المنتظر ويطلق الباطنيون عليه (قائم الزمان) وهي كلمة لاتعني تماما ما يعتقدده أهل السنة فسي (المهدي) لأن الباطنيين وصلوا بالمهدي الى نواح بعيدة جدا عن ما تعنيه كلمة (المهدي) عند أهل السنة والجماعة ، وعليه فان التعرض للمهدي عند أهل السنة يعتبر ملزما للباحث قبل الخوض في عقيدة (قائم الزمان) الباطنية .

المهدي عند أهل السنة :

- ١٠ ان المصدر الأول عند أهل السنة هو (القرآن) ويليهِ (الحديث) السندي صح عن رسول الله (ص) وحيث ان القرآن لم يورد شيئا مما يتعلق بالمهدي المنتظر ، فان أهل السنة يعتمدون في ذلك على ما صح من (الأحاديث النبوية) ؛

- في الاونة الأخيرة ظهرت رسالة علمية جلية كتبها (عبدالعظيم عبدالعظيم) وقدمها الى (كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة) وتتعلق هذه الرسالة (بالمهدي) وعنوانها (الأحاديث الواردة في المهدي) . وقد اعتمد الباحث على تلك الرسالة فيما يورده من أحاديث حول المهدي .

- من بين الآثار والأحاديث التي أوردها صاحب الرسالة المذكورة ذكر أن - هناك تسعة أحاديث مرفوعة ، وستة آثار ثابتة صريحة في ذكر (المهدي) ، وثلاثة عشر حديثا وخمسة آثار ثابتة غير صريحة في ذكر (المهدي) .

كما ذكر صاحب الرسالة المذكورة ما يأتي :-

- ٥ (١) ان خلافة المهدي في آخر الزمان حق ولا يمكن انكاره لثبوت هذه الأحاديث الصحيحة والحسنة ، ولسورود أحاديث أخرى كثيرة وهي ضعيفة في تفاصيلها ، ولكنها تشارك الصحيحة في أصل الفكرة ، وهي " وجود خلافة المهدي " وهكذا يصبح الأمر متواترا تواترا معنوياً .
- ١٠ (٢) ان الكثير أو الأكثر من الأحاديث والاثار الواردة في موضوع المهدي ضعيف أو موضوع لا يمكن الاعتماد عليه والأخذ به ، ولذلك فلا يمكن أن نقبل هذه الفكرة على غلاظتها ، بل لابد من تحييص القول وأخذ ما صفاً وترك ما كسدر .

ومن خلال الأحاديث الثابتة المرفوعة كما يقول صاحب الرسالة المذكورة

خلص الى معرفة شخصية (المهدي) شكلاً ومضموناً على النحو التالي :-

- ١٥ (١) اسمه يواطيء اسم النبي صلى الله عليه وسلم .
- (٢) اسم ابيه اسم ابي النبي صلى الله عليه وسلم .
- (٣) يكون من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وعترته .
- (٤) يكون من ولد فاطمة .
- (٥) يكون أجلى الجبهة ، أفتى الأنف .
- (٦) يصلحه الله في ليلة .
- ٢٠ (٧) تملأ الأرض قبل خلافته ظلماً وجوراً .
- (٨) فيملؤها بعد خلافته قسطاً وعدلاً .

- (٩) يبائع له بين الركن والمقام .
- (١٠) يملك سبع سنين .
- (١١) يلي في آخر الزمان . ولا تقوم الساعة حتى يملك .
- (١٢) يخرج في رايات سود من قبل خراسان .
- (١٣) يسقيه الله الغيث .
- (١٤) تخرج الأرض نباتها .
- (١٥) تكثر الماشية .
- (١٦) تعظم الأمة .
- (١٧) تنعم الأمة في ولايته نعمة لم تلعمها قط .
- (١٨) يعطي المال صحاحا .
- (١٩) يحثي المال حثيا .
- (٢٠) يعطي المال بنفير عدد (لا يعده عدا) .
- (٢١) ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي وراءه . وهذا يقتضي
أن الدجال يخرج في عصره لأن عيسى ينزل فيقتل الدجال .
- (٢٢) يرى أبوداود وغيره أنه من الخلفاء الاثنى عشر الذين ورد فيهم
الحديث .
- (٢٣) يرى ابن حبان وغيره أن الجيش الذي يخسف به هو الجيش
الذي يخرج لمحاربة المهدي .
وقد لاحظ (عبدالعليم عبدالعظيم) :
- (٢٤) ان أغلب الأحاديث الثابتة في المهدي ليس في اسانيدها
من ربي بالتشيع والروايات التي فيها من ربي بالتشيع لها
شواهد من طرق أخرى .

وأن كل ما صح ٠٠٠ عنده من الأحاديث والآثار ليس

فيها رواية واحدة ٠ لكعب الأحبار ولا رويت عن طريقه^١.

إلا أنه ذكر رواية واحدة عن (وهب بن منبه) ٠

عن جابر قال ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

٥ " ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي ٠ تعال

صف بنا ٠ فيقول ٠ لا ٠ إن بعضهم أمير لبعض ٠ تكروا

الله لهذه الأمة^٢ ٠

وقد دافع كاتب الرسالة عن (وهب) بتوثيق الرجال له ما عدا (الفلاس)

وحده ٠ وبأن هذه الرواية ليست من الاسرائيليات وهي في غيرها حجة ٠

١٠ وبذلك تكون الأحاديث والآثار التي أنبتتها الرسالة المذكورة خاصة

بأهل السنة والجماعة ٠ وليس لسواهم فيما أي دور ٠

ثم إن (عبد العليم عبد العظيم) ينفي أي تعارض في الروايات الثابتة

(في المهدي) في حين أكد هذا التعارض بالنسبة للروايات الضعيفة^٣

والموضوعة ٠

١٥ وقد علق شيخي (محمد الخزالي) بآرك الله في عمره بعد قراءة ما سبقه

وما قاله حفظه الله ما يأتي ٠ -

(١) ليس المهدي من علامات الساعة الكبرى ٠

(٢) ليس ركنا من أركان الدين ٠

(٣) لم يرد في المهدي حديث صريح وما ورد في المهدي صريحا فليس

بصحيح ٠

٢٠

١. انظر: الأحاديث الواردة في المهدي ص ٦٠٦

٢. انظر: الأحاديث الواردة في المهدي ص ١٤٢

٣. انظر: " " " " " " ص ٦٠٨

المهدي عند الشيعة

ان الكثير من الفرق الشيعة جاءت بمهدي خالص بها حتى قيل ان المهدي (صارت من طابع الشيعة عموماً) ومن الواجب القول بأن هذه الظاهرة الشيعة في عقيدة المهدي ذات أصل يعتمد على أحاديث منسوبة الى النبي (ص) ولكن لهم في ذلك ما يمكن أن نسميه "التفسير الشيعي للمهدية" وهو تفسير قولي وعلمي ؛ ظهر من خلال الأقوال الشيعة عموماً على مر الزمن ؛ حتى صار لديهم من الأشخاص العدد الكثير الذي يمكن أن يطلق على كل واحد منهم لقب (المهدي) بكل ما تعنيه الكلمة في هذا البحث من معنى ، وان الكثرة الكاثرة من مهديي الشيعة هم من أئمتهم الا أن أولئك المهديين كانوا في الحقيقة خالين من صفات المهدي السنية - على الأقل - . والمهدي الشيعي في الغالب يكون اماماً ، مات أو قتل في ظروف خاصة . كما دلت على ذلك أخبار فرق غلاتهم التي ورد بعض منها في الباب الأول من هذا البحث . تلك النهاية الحتمية لهذا الامام أو الزعيم تخري أتباعه بالقول برجعته مهدياً ربما رغبة في جمع أفراد الفرقة خوفاً من تفرقهم . هذا ما يدل عليه ظاهر الأمر ، على أنه ليس من المستبعد وجود جهات ما يهمها استمرار الفرقة لمصلحة أو لآخر لا سيما في تلك العصور التي تميزت بالغموض والأفكار المتباينة مع جوهر الاسلام الواضح .

المهدية المبنية على الرجعة

أول ما ظهرت فكرة المهديّة عند الشيعة ؛ ظهرت على أساس

مبني على الرجعة بعد الموت إلى الدنيا ، حين نفى (عبد الله بن سبأ الميموني) موت علي بن أبي طالب حينما نفى إليه . وقد سبق نقل النصوص الكثيرة

التي تؤكد هذا القول . (ر : ص ٢٨ - ٣٥) .

الا أن هناك من ينسب المهدية على هذا النحو إلى غير الشيعة الغلاة

وإلى غير ابن سبأ بل إلى عمر بن الخطاب ؛ يقول (كامل الشيباني) :

لما مات النبي [ص] ، قال عمر برجمته ومهديته

مما يوحي بانسانية الفكرة أو اسرائيليتها اذا شئنا

أن نرجع كل شيء إلى أصل معين ، وذلك أن حضر

قرن موت النبي (ص) بنهضة موسى أربعين ليلة .

١٠ ان هذا الرأي المنسوب إلى (عمر) اذا عرفت تسميته كذلك ليس الا رد

فعل للمصيبة التي أصابته ألا وهي وفاة الرسول (ص) ، لا ينبغي اتخاذه

بداية للقول بالرجعة والمهدية ، لأنه لم يدم أكثر من دوام وقع المفاجأة على

نفس عمر ، وتلاشى وانمحى أمام الحقيقة التي أعلنها أبو بكر في خطبته

المشهورة حين قال :

١٥٦٦ من كان يعبد محمدا (ص) فان محمداً قد مات ، ومن

كان يعبد الله فان الله حي لا يموت .

ولولم يكن الأمر كذلك لوجدنا فرقة تتسبب لعمر وتدعو إلى رجعة

النبي (ص) . وهذا ما حدث بالنسبة للغلاة ؛ فان فرقة " السبئية " قالت

برجعة على بعد موته وسار على ذلك كثير من الغلاة ، وصار لهذه الفكرة

٢٠ السبئية أصداء مختلفة . فكيف تستساغ نسبة ذلك إلى عمر بن الخطاب .

١. الشيباني . الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، ص ٢٣
٢. البخاري ك ٦٢ ب ٥ انظره في : فتح الباري ج ٧ ص ١٩

ان " المهدية " المبنية على " الرجعة " لا يمكن أن تنسب لغير عبدالله
ابن سبا ، والنصوص التي تحدثت عن " ابن سبا " وعقائده الغالية تشير
الى ذلك تفصيلاً (ر. ص ٢٠ - ٦٢) .

ان صورة " المهدي " السبئية تتلخص في أن علياً ارتفع الى السماء
وأنه سيعود ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، وأنه سيظهر
لينتقم من أعدائه .

ثم ظهرت الكيسانية بدعوى مهدية (محمد بن الحنفية) وقالوا إنه
في جبل رضوى في حراسة وحشين وأنه يأكل عسلاً ويشرب ماءً ، (ر. ص ١٠٠)
(٧٦) .

ويرى " فلما وزن " أنه لاختلاف بين السبئية والكيسانية الا في الأسماء
ولكن " فان فلتوتن " أظهر فروقا بين " الكيسانية " و " السبئية " من ناحية
مهديهم فالمهدي الكيساني يعيش على الأرض بعكس المهدي السبئي
الذي يعيش في السماء أو في السحاب .
الأصل اليهودي للمهدي الذي سيرجع الى الحياة ؛

ان صفة (المهدي السبئي) مما ورد في العهد القديم على النحو
التالي ، -

كنت أرى رؤى الليل واذا مع سحب السماء مثل
ابن انسان أتى وجاء الى القديم الأيام فقبوه قدامه
فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوته لتتعمد له كل الشعوب
والأمم والألسنة . سلطانه أهدي ما لن يزول وملكوته
مالا ينقرض .

١. انظر: أحزاب المعارضة (الترجمة العربية) ص ٢٤٣
٢. انظر: السيادة العربية (الترجمة العربية) ص ٨١
٣. دانيال ٧/ ١٣ ١٤٤

هلم يا شعبي ادخل ^{مخا} دعك واغلق ابوابك خلفك

اختبئ^١ نحو لحيفة ، حتى يعبث الغضب لأنه هو ذا الرب

يخرج من مكانه ليعاقب اثم سكان الأرض فيهم فتكشف

الأرض دماءها ولا تغطي قتلها فيما بعد .

٥ وذكر " جولد زيهر " أن فكرة الرجعة مما يحتمل أن يكون قد تسرب

الى الاسلام عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية ، لأنهم يرون أن

النبي " ايليا " قد رفع الى السماء ، وأنه سوف يعود الى الأرض في آخر

الزمان . وفي العهد القديم نجد :

^٢
فصعد ايليا في العاصفة الى السماء ،

١٥ أما " المهدي " الكيساني " فقد سهقت الاشارة الى قول (كثير) فسي

" محمد بن الحنفية " :

هو المهدي خبرناه كعيب * * * أخو الأبحار في الحقب الخوالي

وقوله : علي والثلاثة من بنيك * * * هم الأسيباط ليس بهم خفاء

(ر . ص ص ٧٧ ، ٨٠) وفي الأبيات ما يشعر بأصل يهودى للفكرة ، أكدته

١٥ " فلهاوزن " الذي يعتبر " المهدي الكيساني " صدق لفكرة وردت في العهد

^٤
القديم ، وتتلخص في نبوءة عن مهدي متظنر يأكل زبدا وعسلا .

ان المهدي الذي يختفي في الجبال ويأكل عسلا . ظهر كثيرا في فرق

" الغلاة " فعند " الجناحية " نجد أنهم اعتقدوا أن " عبدالله بن معاوية "

^٦
في جبل من جبال أصفهان . وكذا " المغيرية " اعتقدوا أن " محمد بن

١. اشعيا ٢٦ / ٢٠ ، ٢١
٢. انظر: العقيدة والشريعة ، ط ٢ (الترجمة العربية) القاهرة ، دارالكتاب

العربي ، ص ٢١٥ .

٣. الملوك الثاني ١١ / ٢

٤. انظر: أحزاب المعارضة في الاسلام ، ص ٢٤٧

٥. انظر: اشعيا ١٤ / ٧ ، ١٥ وانظر أيضا الاصحاح ١١ /

٦. انظر / مقالات الاسلاميين ٦٨ / ١

عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي " لم يمت وأنه مقسم في جبال

حاجر الى أن يؤمر بالخروج . كما أن فرقة " زيدية " قالت أن "

محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين " مثل ذلك .^٢

وبهمنا كثيرا هنا أن فرقة " القرامطة " التي تقول بأمامة محمد بن

اسماعيل قالت انه حي لم يمت وأنه في بلاد الروم وأنه " القائم " المنتظر

وأنه رسول ، وأنه لا يكون بعد النبي (صلى) الا سبعة أئمة وهو سابعهم

الذي سيبعث بشريعة جديدة يفسخ بها شريعة محمد (ص) .^٣

ويؤكد ما نسب الى " القرامطة " هنا - وهو للنوختي - ما ورد في

المصادر الباطنية من القول بالرجعة ، في قول منسوب الى علي بن أبي

طالب : (من لم يؤمن برجعتنا فليس من شيعتنا) .

وحيث ان " الباطنيين " يسخرون من الامامية الذين ينتظرون امامهم

الغائب فانهم اولوا الرجعة على أنها تكون في شخص القائم المنتظر الذي

هو في ذاته مجموعة من ذواتهم وأن هذه الذوات قادرة على الانفصال والتشخص

عن ذات القائم . . . الخ . وأما عن قائمة ^٤ وناطقية محمد بن اسماعيل فهو

ما تؤكد المصادر الباطنية أيضا (ر . ص ٢٧٥ ، ٢٧٦) مما يترجم به كلام

النوختي في القرامطة .

كل ذلك يوضح لنا أن المهدي الباطني ، ظهر أول ما ظهر على نحو

كيسانى معزج بفكرة السبعة الذين سيكونون بعد رسول الله (ص) ذلك القول

الذي ظهرت به فرقة المنصورة (ر . ص ١٢٠) .

١. انظر : مختصر التحفة الاثني عشرية ، ط ٢ ، ص ١١

٢. انظر : مروج الذهب ط ٥ ، ٥٣ / ٤

٣. انظر : النوختي ص ٨٤ .

٤. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٤٩

المهدي الباطني :

رغم ما ظهر لنا من كيسانية محمد بن اسماعيل باعتباره مهديا فـان عقيدة "قائم الزمان" لم تستمر على هذه الوتيرة تماما حين قالوا بأنه سينسخ شريعة محمد (ص) ثم قالوا انه نسخها فعلا وأنه من اولي العزم من المرسل كما ذكر ذلك الثوبختي ، اوسامع النطاق كما ذكروا (ر. ص ٢٧٦) ان هذه العقيدة استمرت فترة طويلة بين بعض الباطنيين ، وخاصة الذين كانوا في جزيرة الري بايران ، حيث مكثوا ينتظرون عودة محمد بن اسماعيل حتى عصر " المعز لدين الله " تمسكا بهذه العقيدة .

كما ان كثيرا من مصادر باطنية اليمن لا تزال تشير الى نفس هذه العقيدة على شكل نظري ، تطرق الحديث اليه في هذا البحث رغم رسالة " عبيد الله المهدي " اليهم ، تلك الرسالة التي كان سببها ظهور الشخص المذكور بلقب المهدي رغم عدم كونه سابعا في الترتيب (ر. الملحق - ٢) .

اننا نجد " عبيد الله " في تلك الرسالة قد وجد تعليلا للهروب من عقيدتهم القائلة بانتظار محمد ابن اسماعيل ، وما أسهل تحليل العقائد عند الباطنيين ، حتى تخلصوا من عقيدة المهدي من حيث علاقتها بسابع الأئمة ومن حيث علاقتها بالرجعة . واتخذت شكلا آخر ذا علاقة مع عقيدتهم القديمة .

أفضلية القائم المنتظر على المرسلين :

ان عقيدة "قائم الزمان" في باطنية اليوم ، تعتمد على التسبيح من حيث

١- انظر: دولة الاسمهلية في ايران، هامش ص ٦

عقيدة الأدوار السبعة التي تقول بسبعة نطقاء أولهم آدم ممثل "السلالة"
أو ممثل "الأحد" من أيام الأسبوع وسابعهم المهدي المنتظر ممثل "سول"
"الخلق الآخر" أو ممثل يوم "السبت" (ر. ص ٢٠٢) فجميع
الستة النطقاء / الذين آخرهم محمد (ص) / يشكلون صورة مخططة
بلا روح^١ ، وعليه فإن المهدي الباطني أو "قائم الزمان" هو روح هذه
الصورة ، لأن :

كل واحد من النطقاء وأهل دوره جزء من
الشخص العلمي الالهي الذي يكون قائما آخر
الدور وهو المنبعث الثالث الذي غابت صورته
ثم عادت بحالة أبهى وكمال أعظم ، وبهم كماله
وظهوره على ذكره السلام إذ هم أجزاءه وهو كلهم^٢ .

وهذه الصورة ذات علاقة ما من جانب أو آخر بالفكر اليهودي أثبتتها

هذا البحث ، من حيث علاقتها بتناسخ الأرواح والحلول (ر. ص ٢٠٥) .
وعلى ذلك فإن أفضلية القائم مطلقة باعتباره (الإنسان الكامل) أو (الإنسان
المطلق) حتى على سيدنا محمد (ص) بزعمهم ؛ لأنه سيظهر به دين الله
على جميع الأديان (ر. ص ٢٢٨) .

ولكن الباطنيين الذين صنعوا للقائم المنتظر مجمعا عاما تجتمع فيه الخلق ،
يقولون أن :

أحمد المحمود يعني نبينا محمدا صلى الله عليه

وعلى آله تراه في المقام المحمود الذي وعده الله تعالى
به بقوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)^{*}

١. انظر: مخطوطة كتاب تقسيم العلم ص ٢٢٩
٢. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان ، أربعة كتب) ص ٤٨ ، وانظر أيضا
ص ٦
* الأسراء ٢٩

وهو كونه في مجمع القائم على ذكره السلام أعلى من فيه
١.
مرتبة .

القائم يعني قائم القيامة ؛

ان كلمة " القائم " تضاف في الفكر الباطني الى " القيامة " بل من الممكن
٥ اعتبار الكلمتين مترادفتين بمعنى أنهم يعتقدون أن ظهور " القائم " معناه
قيام القيامة ؛ كما سيأتي ؛

وهذه العقيدة مخالفة لمعنى القيامة عند المسلمين ؛ تلك التي تعنسي ؛
قيام الأموات من قبورهم لحياة أخرى فيها يحاسبون فيعاقب المسيء ويناب
المحسن .

١٠ أما الباطنيون فان يوم القيامة عندهم يعني ظهور " الناطق السابع " القائم
المنتظر . وفي الفكر اليهودي نجد ما يشبه ذلك ففي التلمود ؛ (بتراك ص ١٦)
« أن عيسو بن اسحق أخطأ خمس مرات في يوم واحد ؛ احداها بسبب
انكاره قيام الموتى - كما يزعم البعض - عند حضور المسيح^٢ المنتظر ؛ ووجه
الشبه قيام القيامة بظهور المنتظر .

١٥ بظهور القائم ينتهي دور الستر الذي بدأ بآدم ويبدأ دور الكشف
الذي يعتبر ايدانا بالغاء الشرائع والتكاليف أو بعضها وهو ما عنناه^٣
الداعي الكرمانى في رسالة أسبوع الستر بقوله ؛ وعنده تكون الاستراحة
(ر . ص ٢٢٧) . وهذا يدل على أن الباطنيين لا يعتقدون أن هناك
بعثا من القبور لحياة أخرى بل ان القيامة تكون استمرارا للحياة على هذه
الدنيا على نسط آخر لا يرتبط بالبعث والنشور .

١ . مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٢١
* ورد في النص باسم عيسى . أنظر فيه سفر التكوين ٢٥ / ٢٥ ، ٢٩ ، ٢٦ / ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٦ .
٢ . انظره الكنز المرصود ص ١٦١
٣ . انظره أسبوع الستر (عارف تامر . أربع رسائل) ص ٦٦ ورسالة مجموع
الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٠ .

والبعث والمعاد لاعلاقة له عند الباطنيين بيوم القيامة ، ولهم فيه تفسير آخر ؛ تقول الرسالة الجامعة؛

ان النفس اذا فارقت الجسم عادت الى ما منه
بدأت وعنه صدرت ، كرجوع الجسم الى ما منه نشأ وعنه
بدأ ، ثم تكون مرهونة بما كسبت وهلك ، فلا تكسسون
موجودة بالآلات الطبيعية ، ولا في أشخاص انسانية
ولا موصوفة بصفات جسمانية .^١

ولا شك أن هذا نفي لمعاد الأجساد ؛ لانهم يزعمون أن ؛
الله جل وعز يعذب الروح الحسية لا بتوسط شيء^٢

١٠ وعن رجوع الأرواح سئل أحد الباطنيين ، حيث قالت الرسالة الجامعة
برجوعها ، ولعل السائل لم يقرأ رأي الرسالة المذكورة في المعاد فاستنكر
قولها برجوع الأرواح واستفسر عن حقيقة ذلك فأجيب ؛

انه عند قيام $\frac{١٩٧٧}{٣٨٢٥٢}$ [- القائم] على ذكره
السلام $\frac{١٧}{٨}$ / $\frac{١}{٨}$ [= ويتشخص] كل مقام من المقامات وحد من
الحدود ومؤمن من المؤمنين الكائنين في زمرة القائم كل واحد
لأهل زمانه ومن كان يحاده ويماديه في الدنيا ويتراى لهم
في جسمه الذي يعرفونه وسنه . . . فذلك معنى رجوع الأرواح
الى الأجساد ووجه ثان أن جميع المعذبين الكائنين
في البراخ تجمعهم القدرة الالهية لقرب ظهور القائم
وتسوقهم الى الحصول عند البشر من أهل ذلك الزمان بالولادة
٢٠ فيخرجوا ويحضر كل واحد منهم في سنه الذي كان عليه وقت

١. الرسالة الجامعة ص ٣٠٢
٢. الداعي أبو فراس . الايضاح ، تحقيق عارف تامر ، بيروت ، المطبعة
الكاثوليكية ، ١٩٦٥ ، ص ١٥

انكاره من شيخوخة أو شباب يأتي عند قيام القائم وقد بلغ
من حد ولادته ذلك السن والعمر ويحضر لأن يواقف
ويجازي على فعله فذلك أيضا معنى رجوع الأرواح إلى
الأجساد^١

- ٥ ان النص السابق يدل بوضوح على وجهة النظر الباطنية في معنى
يوم القيامة ، ومعنى المعاد ، والوجه الأول الذي احتمله النص الباطني
صورة جليلة للتناسخ - تناسخ الأرواح - ، وكذا الاحتمال الثاني
ليس الا صورة أخرى للتناسخ قال بهلما اليهود : حين يدهون الله ،
كان لقاين [قابيل] ثلاث [كذا] أرواح الأولى
١٠ دخلت في جسد (قورش) والثاني في جسد
(جنو) والثالثة في المصري الذي قتله موسى .

وعند النصيرية أن روح^٣ " قابيل " كانت في " عمر بن الخطاب " وروح " هابيل "
في " علي بن ابي طالب " . وهذا ليس بعيدا عن معنى النص الباطني
السابق في تفسيره لعودة الأرواح إلى الأجساد ، وهذا يوضح ما ذهب
إليه الباحث منذ برهنة من أن القيامة عند الباطنيين تعني ظهور القائم
١٥ في الحياة العادية للبشر ، وليست كما أشار إليها القرآن الكريم (ونفخ
في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض ٠٠٠) (ر . الآية ٦٨ من سورة
الزمر) . وقد نصت " رسالة المهدي " عبيد الله إلى أهل اليمن (ر .
الملحقا) على ظهور القائم بغته على الطريقة المذكورة الخاصة بهم .

١ . مجموع الحقائق . (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٦١
٢ . الكنز المرصود ، ط ٢ ، ص ٦٠
٣ . انظر ، الهفت الشريف ، ص ٨٤ ، ٨٥ ، وأنظر ص ١٩٥ من هذه الرسالة

ولأن الباطنيين لا يؤمنون " بالمعاد " الا على النحو السالف الذكر؛

فانهم قالوا في الثواب والعقاب بما يأتي :-

١- ان الثواب والعقاب ليس جسمانياً ويبدأ بعد الموت مباشرة ولا تحشر

الأجساد للحساب فالثواب والعقاب على نحو ما يعرفه المسلمون غير

٥ صحيح عندهم؛ بمعنى أن الآخرة عندهم تبدأ بعد الموت على

الكيفية التالية :-

ان النفوس العاصية المنكرة لبارها المتخلفة

عن الطاعة ١٠٠٠ فانهم اذا حل الموت بهم ، ونزلت

الملائكة الفلاظ الشداد اليهم وهي روحانيات

١٠ زحل والمريخ الى الأشخاص التي هي مسئولية

على مواليدها ، مخصوصة بنفوسها ، وهي البرج المظلم

وهي أول طبقة جهنم ٠٠٠ ولا يزال ذلك دأبها

ما دامت السموات والأرض .

واعلم يا أخي أن النفس الطائفة اذا اكملت

١٥ طاعتها وبلغت نهايتها ٠٠٠ ونزل الموت بساحتها ،

نزلت اليها الملائكة الطيبون ٠٠٠ وهي روحانيات

الزهرة ، وروحانيات المشتري ، بالرافة والرحمة ، والشفقة

فتلقتها وقبلتها بالروح والريحان ٠٠٠ ثم بعد ذلك

اذا كان يوم القيامة وبلوغ النهاية ، خرجت بها

٢٠ الملائكة الى الجنان والنعيم المقيم والملك الدائم

ولا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى .

٢- أما العتاب والثواب الذي يقع يوم القيامة - أي بعد قيام قائم

الزمان ؛ فهو شيء آخر لأن :

القائم على ذكره السلام اذا قام وأوقف جميع

الأضداد على ما فعلوه ٢٢ × [- أمر] بذبحهم

بعد أن يذبح بيده رؤسهم وكل ٢ هـ ٢٢

[- مقام] عنده ٨ م [٨٥٠٨٥٠٨٥ ط] [- يتشخص ،

ويذبح] أضداده وكذلك يفعل ٢ لم ط ٥٥ ٥٥

[- الحدود] والمؤمنون فاذا صاروا مطروحين في الفضاء

وشكا المؤمنون من ع / ع [- تن] رحمتك نار من

الأنير فأحرقتهم عن آخرهم^١ .

ويلاحظ هنا أن الفرقة الباطنية " النصيرية " يقولون بأن يوم

" القيامة " غير يوم ظهور القائم " الا أنهم في مسألة الذبح والاتقسام

من " ابليس " تكون حين ظهور القائم الذي سيقتل " ابليس " وكسل

كافر في ذلك اليوم الذي يرون أنه " عيد النوروز " الذي يحتفل به " الفرس "

و " النصيرية " كذلك يحتفلون به على ما تقدم من معنى ويذبحون فيه من

الاغنام وخلافه ثم ياكلونها على أنها أبو بكر وعمر وامثالهما من المخالفين لهم .^٢

والفرقة الباطنية الأخرى السماة " بالدروز " تعد نفسها بظهور

القائم على هذه الصورة وهو عندهم " حمزة بن علي " الذي يقول مخاطباً

شخصاً اسمه " خمّار " في رسالة يطلب اليه فيها الدخول في مذهب

" الدروز " ثم يقول له فيها :

٠١ مسائل مجموعة في الحقائق (شتروشمان . أرخة كتب) ص ١١ ، ١٢

٠٢ أنظر : مخطوطة مجموعة حقيقة حق اليقين ص ١٧٦ ، ٣٠٧

وان أبيت ذلك واستكبرت فخرج منها فاك رجيم عليك
اللعة الى يوم الدين وهو يوم قيامي بالسيف على جميع
المشركين ثم أمرت الصبيد بضربك بالسياط واشهـارك
بالقاهرة المقدسة وشوارع مصر وأزقتها فان ثبت ورجعت
عن قولك والا أمرت الصبيد بساخنك وحشوت ساخنك
تبنا وصلبتك على باب زويله وباب الفتح . . . ونصلح
نقتلك العباد ونمهد البلاد ثم نبتدي بمن هو مثلك
فنقتلهم قتل الكلاب^١ .

ويقول في رسالة أخرى :

١٠ أنا ناسخ الشرائع ومهلك أهل الشرك والبسوع
أنا مهدم القبليتين ومبيد الشريعتين ومدحض الشهادتين
أنا مسيح الأم ومبني افاضة النعم . . . أنا قائم الزمان
وصاحب البرهان والهادي الى طاعة الرحمن فالويل كل
الويل لمن حاد عن طاعتي وصدف، ويتوحيد المولى سبحانه
١٥ [يعني الحاكم بأمر الله] لم يعترف . فقد أوحى الي
سبحانه أنه لا بد حتما من انجاز الوعد المحتوم وقتل كل
كافر ظلم . وأفني أهل الشرك والعناء والمنافقين والأضداد
وأملك بسيفي جميع البلاد وأحكم على جميع العباد
ففرقت يسعد وفرقت يحل به العذاب السرمد^٢ .

٢٠ وهذا يتفق تماما مع ما نسب الى "الدروز" من أن "حمزة بن علي" سيأتي يوم القيامة حاملا سيفه ويملا البر والبحر بجنوده القادمة من الصين

١. مخطوطة رسالة خمارة الخزانة التيمورية - عقائد ٦٦٢ ، ص ١٢٣ ، ٦

١٢٤

٢. مخطوطة ، رسالة التحذير والتنبيه (التيمورية - عقائد ٦٦٢) ص ص

١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

ولا يضرب بسيفه حتى يدخل مكة ويهدم الكعبة وأخذها حجرا حجرا^١
على نحو ما ورد في الحديث الشريف عن تخریب نبي الصويقتين الحبشي^٢
لها . وبعد ذلك يستل السيف ويقتل كل العالمين ، الخ .

ان ارتباط القائم المنتظر بالقتل والانتقام فكرة ظهرت قديما عند الفسلاة
منذ أيام عبدالله بن سبا اليهودي حين قال " والله لا يموت حتى يذودكم
بعضاه ٠٠٠ أو أنه ينزل الى الدنيا ويتقم من أعدائه " (ر . ص ص ٢٩ ، ٣٠
٣٢ ، ٣٣) وقد تجلّى القائم المنتقم في فرقة " المنصورة " الغالبية
(ر . ص ١١٨) .

وهذا دليل على أصل الفكرة اليهودية ؛ ففي العهد القديم :-

١٠ فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين
وكل فاعلي الشريكون قسا ويحرقهم في اليوم التالي^٣
قال رب الجنود فلا يبقي لهم أصلا ولا فرعا .

وهو صورة للقائم الباطني وردت أيضا (ر . ص ٢٩٥) . وفي مرجع

باطني آخر نجد :

١٥ سلمان الفارسي رح ما أئره عن رسول الله صلح أنه
ذكر المهدي ع م وقال (انه لقاتل الظالمين ويقتل الزنادقة
ولا يقبل منهم توبة ولا يأخذ منهم جزية ولا يدع في^٤
الأرض أحدا على غير دين الاسلام الا قتله .

وفي العهد القديم أيضا ورد مثل ذلك (ر . ص ٢٨٧) .

١ انظر البخاري ك ٢٥ ب ٤٩
٢ انظر مخطوطة كشف الفوائح الدرزية (التيمورية - عقائد ٦٦٣) ق
٩ ب .
٣ سفسر ملاخي ١/٤
٤ شح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار . (ايفانوف . المنتخب) ص ٤

وقد أكد ذلك الأب الطوبان في رسالته التي ذكر فيها نقاط الالتقاء
بين " اليهود " و " الدرزي " فقال ،

ولقد حكيت مع اليهود فرأيتهم يعملوا [كذا] نفوسهم
بهذا التعليل بعينه حيث يقولوا [كذا] يجي المسيح
من نهر السبت واليهود هناك أعداد كثيرة ولما يجي
المسيح يحكم الأرض ويملكنا العالمين ويجمعنا إلى بلادنا
أرض القدس وتملك إلى أبد الأبدين .

وهو تأكيد لما سبق إيراده في هذا البحث (راجع ص ٢٨٦) نقلا عن
سفر دانيال ، أما الغريب فهو ما ورد في مخطوط " درزي " يتحدث عن
جنود قائمهم المنتظر بما يلي :-

رؤساء الأعراف الأعلام . وحجج السيد الهادي
الامام وشموس القيامة وأقمار التمام بسيوفهم ينتقم من أبالسنة
الأدوار وأشياهم الفاسقين . وسعادتهم وميامين بوكاتهم
تحققن في الاتفاق دما الموحدين [كذا] ، وبصايرهم
عن تأييد الوالي تكشف للعالم معالم الدين . وهم بالحقيقة
أصحاب الهندية الحداد .
وآل النجدة والسواعد الشداد . وأعضادهم خلوف الطهره
الأنبياء . وأسباط الحق البررة الأتقيا . كنوز أقاليمهم
الدين وصفوة آل نقتالي وبنيامين وسلالة آل منشا وآل جباد

الاخدين بنار أهل الحق عند قيام القائم الهادي [كذا]

الذين اختارهم على علم . وسترهم عن العالمين . وبشر
بجيئهم في اليوم الآخر نصره ورحمة للمؤمنين .

ان جنود قائم الزمان الدرزي كما يقول النص يهود . فهل كانت الدعوة

الدرزية في حقيقتها دعوة يهودية؟ أم أن الدعوة الباطنية عموما كانت
تمهد في الحقيقة الى قائم يعيد دولة اليهود ؟ لا سيما وأن الفرقية
الدرزية ليست سوى الابن الشرعي (ر . ص ٣٧٨ ، ٣٧٩) الذي أجهضته
" الباطنية " قبل أو ان ولادتها . فكشف كثيرا من مكنون عقيدتهم ودعوتهم
وأهدانهم . ان النص الدرزي السابق يشير بكل وضوح الى آل نفتالي
و بنيامين والى آل منشا وجاد .

من هم هؤلاء الأربعة ؟ ان نفتالي وبنيامين وجاد من أبناء يعقوب بن
اسحق .^٢ وأما منشا الذي هو منسى بن يوسف بن يعقوب بن اسحق
أيضا أي أن الأربعة المذكورين من الأسباط ٠٠٠ من بني اسرائيل .

وهذا يعود بنا الى ما قالت به " الكيسانية " عن الأسباط الأربعة ،

الذين في الفكر اليهودي ، لاوى ويهوذا ويوسف وبنيامين (ر . ص ٩٥ ، ٩٦)
وهؤلاء الأربعة هم الذين تميزوا عن بقية أسباط اسرائيل الاثني عشر .

أما أربعة النص الدرزي فلا يتفقون مع اولئك الا في بنيامين ، ومنسى
(أو منشا) الذي هو ابن يوسف البكر .^٣

ان العهد القديم جعل " سبط نفتالي " أنصار مسيحيهم القائم المنتظر

١ . مخطوط رسالة الايقاظ والبشارة . دار الكتب المصرية ، عقائد النحل

١٣٨ ، ق ٤٥ .

٢ . انظر : التكوين ٤٦ / ١٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ .

٣ . انظر : التكوين ٤٨ / ١٤ ، ١٨ .

الذي سيقم ملكة داود الأبدية^١ .

أما آل بنيامين ، وآل منشا أو منسى ، وآل جاد فقد كانوا

على رأس الجيش الذي حارب به داود نفسه لإقامة ملكة اسرائيل

في معركة ضد شاول بن قيس^٢ .

وهكذا تظهر الفرقة الذرية^٣ لتوضح لنا الهدف الذي سمى

اليه الفرق الباطنية وهو إقامة ملكة داود الاسرائيلية على يد أحفاد

الذين ساعدوا داود على إقامة ملكته الأولى .

ان الفكر الباطني الذي اعتمد السرية ملهجا في مخططاته أشار

من حيث لا يدري الى هذه الرغبة الباطنية ، ليس على النطاق الدرزي

الواضح ؛ بل ان كثيرا من بقية المصادر الاسماعيلية تشير صراحة

الى أن بني اسحق بن يعقوب هم السند الأول للأئمة الباطنيين (ر. ص

ص ١٧٦ ، ٤٤٤) .

٣- الثواب والعقاب في الدنيا ؛

سبق الحديث أن الفرقة الخطابية الغالية ترى أن الدنيا لا تفنى ،

وعليه فقد اعتبروا الجنة والنار ما يصيب الانسان في الدنيا من خير أو شر

(ر. ص ص ١٣١ ، ١٣٢)

وقد قالت النصيرية بأن نهج الأغنام ونحوها انما هو تعذيب لأرواح

أعدائهم الذين انتسخوا على صورة الدواب تلك (ر. ص ٢٩٥) .

١. انظر: أشعيا ١/٩ - ٧

٢. انظر: أخبار الأيام الأول ١/١٢ - ٢٢

والتناسخ عقيدة يؤمن بها الباطنيون في معظمهم ، ولوزم البعض
غير ذلك ، وهو يعني عندهم العذاب الدنيوي ، ويطلقون عليه " العذاب
الأدنسى " وهي عبارة نجدها في بعض من المصادر الباطنية . وقد
فسر أحد هذه المصادر مدلول هذه الكلمة ؛ حيث يقول :-

- ٥ ان العذاب ٨٤٤٥٣ [= الأدنسى] يكون أوله
ما يعذب به أهل الضلال من الشكوك والشبهات التي
تدخل عليهم في دينهم في الدنيا وأوسطه ما يكون في
برائح الهبوط التي تستحيل اليها نفوسهم وأجسامهم
معا بعد الانحلال بالقبر ثم التصاعد بالبخار ثم
١٠ التكون نباتا ثم يفتديه من يستحقون العبور عنده ممن
أصناف الهبوط من الحيوان الى أن يستوفي مثل ذلك
ثم ينتقل من يستحق من أهل المم ٣٢٥٦ [= العذاب]
بالبخار الصاعد الى أطراف الأرض فيكون فيها معذبا
بأنواع العذاب الحسي في جنس العجاجة المنعقدة
وهو يحس بالألم في جميع الأجزاء ويعلم ما سبب
١٥ حصولها هنالك وهذا أيضا انتهاء أشد العذاب
الأدنسى .

- وإذا عاد القارئ الكريم الى قراءة النص فإنه لا يجد فرقا بين ما عليه
النصيرية من اعتبارهم الدواب التي يذبحونها أو يركبونها أشخاصا آدميين
استحقوا العذاب فصاروا على تلك الصورة . وهذا ما يراه الباطنيون فيما

١- انظر: المجدوع (القرن الثاني عشر) فهرست الكتب والرسائل ، علي نقسي
منزوي ، طهران . مطبعة الجامعة ، ١٩٦٦ ، ص ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،
٢٧٢ ، مسائل مجموعة من الحقائق (شترومان . أربعة كتب) ص ١١ وانظر
أيضا ص ٦٤ .
* ربما كانت الكلمة مأخوذة من قوله تعالى " ولنذيقهم من العذاب الأدنسى
دون العذاب الأكبر لعلمهم يرجعون " السجدة ٢١

يسمونه بالسلسلة ، وهم يحنون بها التي وردت في قوله تعالى : (خذوه
فخلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعا فاسلكوه) ، وهم
يقولون بأن ذلك يجري في الدنيا ، ففي مرجع باطني يتسائل شاعرهم :

ما حد سلسلة تكامل ذرعتها سبعين مؤذنة بطول شقاء

٢٠٠ ان حد السلسلة التي ذرعتها سبعون ذراعا على

التمام ١٠٠١ والسبعين [كذا] من السلاسل هي القمص

المطعونة المصورة من الرذائل فأدراك العذاب

سبعة على النظام في كل ذك سبعون قميصا ١٠ يسلكها

١
كل شيطان مرید ؟

١٠ (ر. ص ٢٠٩) ، ويشرح لنا مرجع باطني آخر مدلول كلمة القمص قبل

العودة الى حديث السلسلة ، يقول الداعي ادريس :

ظهر زين العابدين لجاهرين عبد الله الأنصاري

في صورة الميم والفاء والحاء والسين ، وعاد الـ

صورة العين ، وقال أعقلك يحتمل هذا يا جابر ،

١٥ هي قمص في كل وقت وزمان تتبدل القمص ولا

أتبدل فالأنبياء والأئمة هم هياكل النور

٢
المتجلي بهم الحق عند الظهور .

وهو يذكرنا بالحلول الذي أشير اليه من أن روح الله تحل أو تتجلي في

الانبياء والأئمة (ر. ص ص ٢٣٨ ، ٢٣٩) .

* الحاقه ٣٠ - ٣٢

١. مخطوطة حياة الأحرار ق ق ٣٦ ، ٣٧

٢. زهر المعاني (ايغانوف . المنتخب) ص ٦٤ .

وقد وردت كلمة القمص وهي جمع قميص في هذا البحث حين جرى الحديث الى ذكر الخطابية وقولهم بجريان ارواح من جحد أمرهم في كل الأشياء على نحو لا يبعد أبدا عن التناسخ وهو صورة لما ذكر عن السلسلة (ر. ص ٢٠٨) . وقد بقيت العقيدة هذه على صورتها عند الباطنيين وظهرت في كتب المتأخرين منهم مثل " حياة الأحرار " و " مسائل مجموع الحقائق " ، و " رسالة الايضاح والتبيين " (ر. ص ٢٠٩) مما يدل على أنها من عقائدهم التي يدينون بها ، رغم ما تجده في بعض مراجعهم من نفي التناسخ والرد على القائلين به .

١٠ ان الحديث عن القمص والسلسلة والتناسخ والقول بالثواب والعقاب في الدنيا كلها شيء واحد ، وجد مثله في الفكر اليهودي وسبقت الاشارة اليه تفصيلا (ر. ص ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩) مما يدل على منبج هذه العقيدة .

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول : ان المهدي الباطني المنتظر - قائم الزمان - بدأ سبئيا يهوديا وانتهى كذلك ، وان يكن الباطنيون قد أضافوا اليه تفصيلات وحواشي أدت بهم الى نفي القيامة والقول بالتناسخ وما اليه ، كما أضافوا اليه أفكارا فلسفية جعلت منه مهديا فريدا من نوعه لا يكاد يوجد الا عند الباطنيين ، ومن ذلك ما قالوا في مهديهم الذي تقوم القيامة على يديه أنه يموت بعد مدة من الزمان ويصبح أحد العقول المدبرة للعالم (ر. ص ٢٥٠ فما) . كيف يكون هناك موت بعد قيام

١. انظر : فهرست المجدوع ص ١٧٤ والمجالس المؤيدية ص ١٥٢
٢. انظر : محمود أحمد عبدالسلام . النبي أشعيا وأزمة الكيان الصهيونسي رسالة علمية ، الاسكندرية ، كلية الآداب ، ١٩٧٨ ، ص ٣٠٩

القيامة والله تعالى يقول " لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى " .^{*}

وفي ختام هذا الباب يتضح لنا أن :

١- العقائد الباطنية في حقيقتها تعتمد على التأويل الباطني ، وان
الظاهر الاسلامي لها ما هي الا قشرة رقيقة لاتصمد على نفسها
دينهم الحقيقي

٢- العقائد الباطنية في مجملها ما هي الا استمرار لعقائد الفسوق

الغالية الشيعية التي بدأ ظهورها على يد عبدالله بن سبأ اليهودي

٣- اعتمدت العقائد الباطنية على الفكر اليهودي اعتمادا واضحا فسي

مختلف ما ذهبت اليه فرقا المتباينة ، وهذا يشير الى ان السدود

١٠ اليهودي الفكرى قائم عند الباطنيين في مراحل متتابعة في قوقهم .

٤- الامام اسماعيل بن جعفر والامام محمد بن اسماعيل لم يوجد لهم

أي أثر في العقائد الباطنية ، وليسا سوى واجهة ينتسب اليها

الباطنيون .

٥- ان المهدي المنتظر عندهم ليس سوى ^{مشروها} لسيادة دولة الباطنيين

١٥ على العالم ، بل ليس حقيقته سوى ترجمة لطمح اليهود واقامته

دولتهم التي تسود العالم هذا اذا اعتمدنا على ما في مراجع

الباطنيين عامة ومراجع الدرر خاصة .

الباب الثالث : الدعوة الباطنية

تمهيد : مما ميز الفرق الباطنية ، أنها اهتمت بالدعوة اهتماما
خاصا فاق . كل ما اهتموا به في عقيدتهم . لأن عناصر الدعوة الباطنية
تشكل في مجموعها الشرايين التي يسير فيها مختلف مظاهر الفكر
الباطني ، وتوقفها يعني نهاية ذلك .

نظم الباطنيون دعوتهم تنظيما فريدا أدهش مختلف الدارسين
والمفكرين ، حتى صار الاسلوب الباطني للدعوة مضررا للأمثال . وهذه
حقيقة لا يستطيع أحد اخفاءها .

عرفنا ما سبق أن الباطنيين في عقيدتهم ما هم الا استمرار للعقائد

- ٢٠ التي جاءت بها الفرق الغالية منذ نشأتها . الا أن ما يختص بالدعوة
لا يصدق ذلك عليه تماما لأن من الصعب القول أن الخلافة كان لهم
اسلوب مثالي للدعوة ، وكل ما كان من ذلك لا يمكن وصفه الا بخطوات
بدائية أمام التنظيم الدعائي الذي أظهره الباطنيون بعد ذلك ، ولا تزال
الطريقة الدعائية التي نسبت الى الفرقة الكيسانية الروندية تعتبر
١٥ أرقى أسلوب للدعوة عرفته فرق الخلافة ، ورغم ذلك فان الدعوة العباسية
استطاعت احتواء هذه الفرقة والسيطرة عليها بعد أن استغلتها في تثبيت
أركان الدولة العباسية ، وبعبارة أصح هذا ما يدعيه بعض المفكرين
(ر . ص ١٠٠ - ١٠٣) .

ان ذلك قد يجعل من السهل القول : ان الفرق الباطنية - التي

- ٢٠ تعتبر الفرقة الاسماعيليه أمثالا لها تجوزا - وان نشأت عن الفرق
الغالية السائدة في القرن الثالث الهجري ، الا أن شخصيات أخرى
تولت الزعامة عند اضمحلال فرق الخلافة ، وأن هذه الشخصيات تمكنت من وضع

مبادي* لأسلوب الدعوة هي ما صار يسمى فيما بعد بالدعوة الباطنية
أما ما آلت إليه الدعوة الباطنية اليوم ، فان فرقة " الدرزي " قد
توقفت عن الدعوة التي دينها منذ أيام حمزة بن علي (- ٤٣٣) وصارت
قاصرة على أفرادها الذين لا يقبلون دخول أحد ما في فرقتهم .^١ وجدير
بالذكر أن الفرقة الدرزية حينما كانت تمارس الدعوة لم تكن تفعل ذلك
على النحو الباطني تماما بل كان زعيمها " حمزة بن علي " يرسل رسائل
شخصية للدعوة لمذهبه ، ولعل ذلك يرجع الى أن " الحاكم بأمر الله "
الذي يدعون الوهيته ، كان يشجع هذه الدعوة بطريقة ما كما تقول رسائل
" حمزة بن علي " الموجودة الى اليوم .^٢

١٠ والنصيرية - وهم ليسوا اسماعيليين - فلا اخال أن لهم برنامجا
أو أسلوبا للدعوة الا في محيط طائفتهم ، ولا يدعون الشخص الى دينهم
حتى يبلغ الثامنة عشرة من عمره .^٣

أما بقية الباطنيين فلا زالت الدعوة قائمة عندهم ، الا أن ذلك
يجري - كما يظهر - في بطء شديد . ويدل على وجود الدعوة
الباطنية بين أوساط جديدة ، وجود خلايا باطنية في اندونيسيا ، رغم
١٥ أن انتشار الاسلام في هذه البلاد كان على يد التجار الحزام واليمنيين
والمكيين ، كما أن هناك رغبات باطنية في العودة الى مصر ، ويوضح
ذلك اهتمامهم ومشاركتهم في تجديد بعض آثار العبيديين من أضرحة
ومساجد هناك .

* انظر ترجمته في الأعلام ٣١٠/٢
١. انظر: ميخائيل بلشارويم . التلبد في مذهب أهل التوحيد ، القاهرة
مجلة رمسيس ، د . ت ٥ ص ٢٣
٢. انظر: مخطوطة الرسالة الموسومة بالرضى والتسليم . دار الكتب
الصرية ، رسائل درزية سرية ، علم كلام النحل - ٥٤ ، ق ٢٣ ، ق ٥٠
٣. انظر: سليمان الأذني . الباكورة السلطانية ص ٢
٤. انظر: ابن جندان مخطوطة السهم الرامي ، صورة في مركز البحث
العلمي بكلية الشريعة بمكة .

ولكن لا بد من الإشارة الى أن طابع الدعوة الباطنية في هذا العصر
وان لا يستبعد محافظته على التنظيم السائد في العصور الخالية الا أنه
اتخذ نمطا آخر يعتمد على استجلاب العناصر والمتعاطفين
ربما كمرحلة أولى ، لأن البوهرة يخططون لظهور قائمهم المنتظر أو قائم
أقل منه درجة لأنهم يرون أن القيامات كثيرة (راجع ص ٢٧٦) وقد
أفاد بمسألة قرب ظهور قائمهم أحد الباطنيين أنفسهم .

—

الفصل الأول : الدعوة الباطنية

أركان الدعوة الباطنية :

ان تنظيم الدعوة الباطنية يعتمد في مجمله على نقطتين أساسيتين هما :

- ٥ ١- وجود الضد : وتعني كلمة الضد؛ كل من خالف الفكر الباطني ؛ وهو يعني الرأي العام الاسلامي في الدرجة الأولى؛ لأنهم وان قالوا في الرسالة الجامعة ان دعوتهم موجهة الى جميع الملل والأديان (ر. ص ٣١٢، ٣١٣) الا أنهم فيما بعد أفصحوا عن أن دعوتهم لا تخص سوى المسلمين اذ لا يجوز أخذ العهد (ر. ص ٣٣٤) على غير مسلم ؛ وفي هذا ما قد يشير الى ١٠ المقصود من الدعوة الباطنية . وعليه فان المسلمين ضد لهم حتى يكونوا باطنيين . وكلمة " الضد " يمكن اعتبارها مرادفة لكلمة " الشيطان " .

ان أخذ الباطنيين بعين الاعتبار هذه النقطة جعلهم ينتهجون

- ١٥ السريسة منهاجا أساسيا في الدعوة الى عقيدتهم ، اما خوفا من الضد ان يعلن الحرب عليهم ، أو تلبيسا حتى لا يدري ما يجري حوله وقد اشير الى أن الضد يعني مخالفهم المسلمين .

٢- تحقيق هدف الايمان والعمل بالباطن المحض الذي هو أقصى غايات

الباطنيين ، على اعتبار أنهم يقولون : ان لكل ظاهر باطنا وهذا

- ٢٠ الباطن هو اللب وهو الأصل والمقصود (ر. ص ص ١٥٩ - ١٧٢) .

ولاختلاف هذا الهدف صراحة مع ظاهر الدين الاسلامي بقول الباطنيين

انفسهم الذين يروون حديثا عن "علي" يقول فيه :-

علمني رسول الله صلح من مكنون علمه الف باب

فتح لي كل باب منها الف باب . لو اطلعتهم

عليه لاضطرتهم في اديانكم اضطراب الارشيسة

في الطي البعيد .

وله فانهم اختاروا لتحقيق هذا المأرب اسلوب التدرج في نقل

المفاهيم الباطنية الى المستجيب شيئا فشيئا .

سرى التدرج بعد ذلك الى الدعوة الباطنية ذاتها والى دعواتها

فصار لكل منهم مرحلة يختص بها ولا يتجاوزها كما سيتضح .

وعلى ذلك تصبح السرية والتدرج ^{وسيلتين} أساسيين في الدعوة

الباطنية ينبغي التطرق اليهما .

١- السرية : يدعي الباطنيون أن السرية في الدعوة أسلوب سلكه

الأنبياء والمرسلون ، فهم يعتقدون أن لكل ناطق (= نبي رسول ر . ص ص

١٥ ٢٢٤ ، ٢٢٥) دعوتين احدهما ظاهرة معلنة وتسمى العبادة العملية

كالصلاة والصوم وغير ذلك ، والثانية باطنية يختص بها وصي الناطق

وهي سرية وتسمى العبادة العملية (ر . ص ص ١٥٩ ، ١٧٥ ، ١٧٧) .

وسبب ذلك كما يزعمون ؛ قصة قابيل وهابيل ، وتفصيلها الباطني

كما يأتي :-

أنزل الله على آدم كتابا وأنطقه بشريعة فكان
ناطقا أول النطقاء ثم أمره تعالى باختيار رحبته
ووصيه من ولده فكان ولده هابيل كثير الخير
والاجتهاد في السعي في طاعة الله فنظر اليه
ادم وأشار اليه بحجته ووصيه ثم قرب هو وأخوه
قائيل فقبل الله قربان هابيل ولم يقبل قربان
قائيل فعلم قائيل ان الإشارة تصح الى هابيل
فقتله في الظاهر فخرج من الدنيا وقتله بالباطن
بالطعن عليه والكسر لعقابه ونسب الأمر الى نفسه
وادّعى على آدم ما لم يسنده اليه واختار الله لادم من
ولده غيره وهو شيث بن آدم فكان حجته وموضع
اختياره فكتّم أمره شفقة عليه من أخيه ودعا
اليه سرا بالعهد والميثاق وكان ذلك أول ما سنه
الله من ستر الحق وصاحب الحق بالدعوة
اليه سرا بالعهد والميثاق في أوقات غلبة الظلمة .^١

وهكذا أوجد الباطنيون تاريخا لدعوتهم من عهد آدم كما أوجدوا
تاريخا للتأويل الباطني منذ ذلك العهد والقصة السالفة التي أوردها
الداعي جعفر بن منصور اليميني (كان حيا في ٣٨٠) يمكن اعتبارها تأويلا
باطنيا لما جاء في العهد القديم :

١. مخطوطة كتاب الشواهد والبيان ، ص ٢٥ ، ٢٦ مخطوطة المجالس
الحاتمية ق ٣١ والأنوار اللطيفة (الأعظمى . الأسرار الخفية) ص ١٢١
وأنظر

وعرف آدم امرأته أيضا فولدت ابنا ودعت اسمه شيثا .
قائلة لأن الله قد وضع لي نسلا آخر عوضا عن
هابيل . لأن قايين كان قد قتله . ولشيث أيضا
ولد ابن فدعا اسمه أنوش . حينئذ ابتدئ أن يدعى
باسم الرب .
٥

حقا لا أحد يستطيع الادعاء بأن تاريخ الدعوة الباطنية مذكور
في العهد القديم ، إلا أن من المفيد الإشارة إلى أن النص التوراتي
اليهودي مما نظر إليه بعين الاعتبار في هذا الموضوع .

ان أسلوب السرية - وأعني المنظم منها بالذات - ربما كان قديما
جدا إلا أن الزعم بأنها كانت منهجا سماويا للأنبياء والمرسلين منذ آدم ،
١٠ أمر لا يمكن تصديقه بأي حال ، والأمر على حقيقته ؛ أن ذلك تبرير
لبدعتهم ، لأن علي بن أبي طالب الذي يزعمون أنه صاحب الدعوة الباطنية
في الدور المحمدي لم يكن لافي عصره ولا في عصر الذين كانوا من بعده
ما يمكن أن يسمى بالدعوة الباطنية (ر . ص ١١ فما) ولو كان شيئا
من ذلك حقيقة لعرف ؛ فان عليا لم يستشهد الا في سنة (٤٠) بمعنى
١٥ أنه عاش بعد رسول الله (ص) ثلاثين سنة تقريبا ؛ فأين دعوته الباطنية .

قد يزعم الباطنيون ؛ أن عليا أقام دعوته الباطنية ؛ ولكن لأنهم
دعوة سرية فلم يظهر منها شيء . إلا أن هذه الدعوى ستهوي قبيل
ان تقوم ؛ وذلك حينما تصطدم بالتراث الباطني نفسه قبل غيره ، لأنه
لا يمكن تصور وجود السر المطلق في هذا العالم الا شيئا لم يجرا ولم
٢٠ يحدث ؛ فحينما اتخذ الباطنيون السرية المنظمة منهجا صدر عن ذلك

رد فعل معاكس قاده المؤرخون وأصحاب المقالات والفرق بين منتقد
لها ومخبر عنها في زمنها الذي حدثت فيه أو بعيدة ، ولو كانت السريسة
منذ أيام علي لأشير إلى ذلك ولكن له صدق عند الغلاة وهند الذين
تعدثوا عن فرقهم من غيرهم وجلهم أضداد وأخصام للدعوة الباطنية
ولهذا فقد يزعم الباطنيون أن الأخصام لا يفيدهم الحديث عن وجود
دعوة باطنية أيام علي ، فهو حجة عليهم . هنا نتفحص كتب الباطنيين
أنفسهم وخاصة ما ظهر منها في فترة الأئمة المستورين أي ما بين منتصف
القرنين الثاني والثالث ، وتأتي " الرسالة الجامعة لرسائل الخسوان
الصفا " النموذج المناسب لذلك ، ففي هذه الرسالة ^{أن} تكشف السريسة
المنظمة شيء جديد في البيئة الفكرية عند الاسلايين . صحيح
أن هذه الرسالة حاولت تكوين قاعدة مثالية للسريسة المنظمة ، إلا أننا
بكيل ثقة نستطيع القول ان " الرسالة الجامعة " كانت تقدم لنا
هذه السريسة باعتبارها شيئاً جديداً غير معروف من قبل ، كما يدل على
ذلك النص التالي وهو مقتطع من الفصول المعنونة " برسالة الدعوة
إلى الله " من الرسالة المذكورة ، يقول النص :

قد قلنا لك في الرسالة ، رسالة الدعوة : ان لنا
كتبا لا يقف على قراءتها غيرنا ، ولا يطلع على حقائقها
سوانا ، ولا يعلمها الناس الا من قبلنا ، ولا يتعلم قراءتها
الا من علمناه ، ولا يعرف صور حروفها الا من عرفناه
وهي صور الموجودات بما هي عليه الآن ظاهرة للحواس ،
مرئية للناس ، وهي آيات بينات ، هم عنها معرضون ،
منها حركات الأفلاك الدائرات ، والكواكب السائرات
وأركان الأمهات ، وفنون أشكال النبات وعجائب هيكل

٥

١٥

١٥

٢٥

الحيوانات . ولنا علم آخر لا يشاركنا فيه غيرنا ولا يفهمه
سوانا ، وهي معرفة جواهر النفوس وقـــــــد
أقمنا لكل طبقة من طبقات طوائف الأمة ، الذين عثمهم
دعوة الأنبياء ، قوما يدعونهم اليانا ويدلونهم علينا
ويعرفونهم بقدمنا ، ويعدونهم بظهور أمرنا ، وخرج
مهدينا ، وقيام قائمنا ، وطلوع شمسنا ، وخرجنا من
كهفنا ، فاذا كان ذلك كذلك ، فيجب لنا أن نهشدي^١
ونأخذ في بناء المدينة التي تضم شملنا ، وتجمع
جملتنا ، وتتخذها دارنا ونجعل فيها قرارنا
ومن استجاب اليانا ، وطرا بأمرنا علينا ، وقد وصفناها
ك ، وعرفناك كيفية بناءها .

من ذلك يتضح لنا أن السرية المنظمة لم تكن مذهب الأئمة من
أهل البيت ، فضلا عن أن تكون أسلوب الأنبياء والمرسلين منذ آدم
بل هي مجرد فكرة بشرية ظهر بها الباطنيون ، حتى ولو ادعت
الرسالة الجامعة نفسها أن العلم الباطني علم الأنبياء فلو كان
الأمر على هذا الزعم ما اضطرت الرسالة المذكورة الى تقديم السرية
كما فعلت ، وكان الكتاب الذي يفترض فيه أن يقدم السرية على هذا النحو
قد ظهر الى اللأ في عصر أسبق من عصر الرسالة الجامعة ، وهذا
لا يمنع من الإشارة الى وجود السرية بشكل آخر عند السبئيين (ر. ص ٤١)
والتوابيين .

٢٠

١. الرسالة الجامعة ص ٥٢٦ ، ٥٢٧
٢. انظر: مصطفى الشكعة . اسلام بلا مذاهب ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٩هـ ،

ومن جوانب السرية ، أن الباطنيين جعلوا الناس صنفين :

١- صنف " العامة " وهي اصطلاح شيعي المقصود به غالباً أهل السنة والجماعة " . والعامة لا يستحقون العلم السري الباطني ، لحديث روه في ذلك عن رسول الله (ص) أنه قال :

٥ لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموها [كذا]^١
وروا عن جعفر بن محمد أنه قال :

" رحم الله امراً أحيا أمرنا . قيل يا ابن رسول الله وما احياهم أمركم ؟ قال ذكره ونشره وتبليغهم من لم يكن بلغه " .

١٠ يريد به أولياء المستحقين لذلك .^٢

*
وعليه فقد فسروا قوله تعالى : (لتبينته للناس ولا تكتُمونه) ان المقصود بالناس : الذين أنسوا الى الحكمة والتزموا بطاعة الحدود والأئمة .

وهذا يتلاءم مع ما قيل من أن الباطنيين يعتبرون " المسلمين " حياراً وأنهم " الامة المنكوسة " ، أو الخلق المنكوس وفي " المفت الشريف " نجد أن غير الباطنيين انما هم من ذرية الشياطين ، وكذلك يعتقد الداعي أبو فراس : أن أهل الظاهر أو القشريين - نسبة الى القشور لتمسكهم بقشور الأشياء أي ظواهرها - مما يمكن أن يسمى شيطاناً لأنه

١. الأوار اللطيفة ، (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ٧٨

* آل عمران ١٨٧

٢. انظر: ابن أبي الفاضل . كشف أسرار الباطنية ، (عزت العطار) - القاهرة ، ص ١٥

وانظر أيضاً : قواعد عقائد آل محمد ص ص ٤٨ ، ٩٥ وانظر أيضاً مخطوطة رسالة لبعض الأفاضل ، عقائد تيمور ، ص ٤٨٤ ، ص ٢٤

٣. انظر: ص ٨٤ في قصة تزويج علي ابنته من عمر بن الخطاب .

١٠
سيمير شيطانا بالفعل وهو الان شيطان بالقوة ١

ان اليهود يسلكون هذا المسلك في نظرتهم الى سواهم من الامم :

لان هو "لا" تشتق نفوسهم من الشيطان [Jolk. Chad. f. 221, 4]

[Schefer, t. f. 4, 2; Menachem, p. 53]

٥ وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد [Jolk. Chad. f. 154, 2]

ولهذا يقول التلمود : ان زرع الرجل غير اليهودي

هو زرع حيواني [Tr. Jeham, f. 94, 2. Tos]

وهذا مشهور عن اليهود فالتلمود يقول أيضا :

ان كلام التوراة " ليس في الله غضب " أشعيا

*

١٠ ٢٧ - ٤٠ يلائم اليهود وان كلام التوراة " اني

**

أهجم عليهم " يوافق شعوب الأرض [Aboda, S. f. 4, 10]

واذا عدنا الى التفسير الباطني لقوله تعالى : (لثيبنه للناس) يتضح

لنا مدى التشابه بين كلمة " الضد " في الفكر الباطني وكلمة " الغوييم "

عند اليهود وأن مثل هذا التأويل هو الذي اعتمد الباطنيون عليه فسي

سألة السرية ،

١٥

٢- الصنف الثاني من اصناف الناس عند الباطنيين هم المستجيبون

لمذهبهم والمؤمنون به وهؤلاء أيضا لا تباح لهم العلم الباطنية الا بطريقة

التدرج (ر. هـ ٢٢٦ فما) البطي . ويبدو أن كثيرا من الباطنيين يعيشون

طوال حياتهم وهم لا يعلمون شيئا عن حقائق مذهبهم الا أنه مذهب الأئمة

٢٠ الصادقين من أهل البيت وهذا مكن من مكامن خطورة هذه الدعوة .

١. انظر: كتاب الايضاح (عارف تامر) ص ٣٥ .

٢. همجية التعاليم الصهيونية ص ١٢٧ و ١٢٨ ، والهوامش في ص ١٢٩

* لم أجده كذلك والاصحاح ٣٧ ليس فيه الا ٣٨ عبارة .

** لم أشر على هذه العبارة بهذا اللفظ .

٣. همجية التعاليم الصهيونية ص ١٤٣ والهوامش ص ١٤٧ .

ان السرية التي تغلف الفكر الباطني أكثر مما يتصور المتصورون ،
فعلى سبيل المثال ؛ ان كتابا باطنيا خاصا بعلم الحقائق - الذي
هو أشد سرية من علم التأويل الباطني - وهو كتاب " حياة
الأحرار " نجده بعد أن تكلم في كثير من المسائل الباطنية
التأويلية بما ليس في أكثر الكتب السرية التي أكتشفت في هذا
العصره نجده بعد ذلك يقول :

وإذا شاء سيدي محمد وسيدنا جعفر
وسيدنا سليمان لوحننا بحقائق الأسرار فسي
غير هذا الكتاب العظيم الشأن .

وعلى ذلك فان على الباحثين الكثيرين الجهد والوقت حتى يتعرفوا

على حقيقة الفكر الباطني .
الوسائل السرية الباطنية ؛

ان للسرية عند الفرق الباطنية وسائل شتى لتداول المعلومات
الخطيرة التأويلية بين أفراد الطائفة بحيث لا يطلع الغريب على
المقصود مما هو مكتوب اذا كان مكتوبا . الا أن الأسلوب الشفهي بطبيعة
الحال يظل أكثر أساليب الباطنيين افراقا في السرية .

• - الطريقة الشفهية ؛ ان بعض المعلومات والأسرار الباطنية
لا يطمئن الدعاة الى تسجيلها على القراطيس حتى مع الأخذ بكافة
المحاذير ، وحتى لو وثق فيمن سيقروها ، من ذلك أن داهيا مجهولا
سئل فأجاب ، سائله بما يأتي :-

وسألت الاجابة عنها وهي أيها الأخ تقتضي
جوابا من زيد الحقائق المصونة وسرائر الحكم
المكتونة ولب الفوائد المخزونة وأنا أتحقق
أنك أهل لأن تطلع على ذلك ، وحقيق بأن
تخص بفضل ما هنالك الا أنه مما لا يودع بطون
الاوراق ، ولا يجب أن يرمق من الميون الشحيمة
بالأحداق صيانة له من ابدائه وبذله وخوفا عليه
أن يقع الى غير أهله بل يجب أن يكون قرطاسه
الاذان الواعية وقله اللسان المترجمة عن جواهرها
العالية ، لكني لما أوثره من الجلاء لبصيرتك والزيادة
في انارة صورتك كتبت لك هذه الأوراق .^١

وفي موضع آخر يقول لسائل آخر :

وقد كشفت لك هذه الجوابات [؟] ما لم يكن
يجب كشفه الا من لسان الى اذن .^١

وفي ثالث يقول :

فتصفحها فوجدت أكثرها مما لا يجب ايراده في
المكاتبات ولا ركوب حتف الخطر معه في المراسلات .^١

وفي كتاب باطني لحاتم بن حسين الحامدي (- ٥٩٦) نجده يقول لسائل :

ولأسباب آخر لا يجب كشف ذلك .^٢

ويقول :
وجواب ذلك لا يكون الا من لسان الى اذن .^٢

ويقول :
وفيه جواب ثان ليس هذا موضعه .^٢

١. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٥٥ ، ٦٤ ، ١١١

٢. زهر بذرة الحقائق (عادل العوا . منتخبات اسماعيلية) ص ١٦٦ ، ١٧٤

يرد هنا احتمال أن بعض الدعاة قد يستعمل هذا الأسلوب ليستحوذ
على فكر السائل وليجعله يهتم بما يُلقى إليه من أجوبة ؛ ولكن امتناع
الدعاة عن الاجابة على السؤال يؤكد بالاضافة الى صحة الاحتمال
السابق أن هناك بعضا من الأسرار لا يتناقلها الباطنيون الا شفاهاً ،
كما توحى النصوص ويدل عليها أيضا النص التالي :-

وأما سؤاله عن الأبيات الملعونة ؛ فقد تقدم
جوابها شفاهاً وان الإشارة فيها الى المجمع . فاعلم
ذلك .

- ان هذه الطريقة - الشفاهية - عرفت عند اليهود وهي عن
١٠ تلك القوانين التي : سموها القانون الشفهي ، زاعمين انه حيث أن موسى
لم يكتب هذه القوانين فلا يجوز لأحد كتابتهما ،
وكان الحاخامات يتناقلونها سرا من جيل الى جيل .
وهذا " القانون الشفهي " هو الذي كتب فيما بعد وسعي " التلمود " .
ولكن هل توقف الأسلوب الشفاهي عند اليهود بعد كتابتهم " التلمود " ؟
١٥ والجواب هو : كلا لم يتوقف ذلك مما يدل على أن بعض علومهم باطني
سري ؛ وفي ذلك يقول فيلسوفهم الشهير ابن ميمون (- ٦٠٢) :
ولا يطلبني النبيه ولا تتعلق آماله بأنا اذا ذكرنا
غرضاً ما أننا نتمه ، أو اذا شرعنا في تبیینه ، معنسي
مثل من الأمثال ، أننا نستوفي جميع ما قيل في ذلك
المثل ، هذا لا يمكن عاقلاً فعله بلسانه لمن يحاوره
٢٠ فكيف أن يضعه في كتاب ؟ لئلا يصير هدفاً لكل
جاهل يظن به العلم . . .

١. مسائل مجموعة من الحقائق (شترومان . أربعة كتب) ص ١٣٦
٢. ظفر الاسلام خان . التلمود ، ص ٣٠ نقلاً عن دائرة المعارف اليهودية .

ويبدأ قولهم "حكما اليهود" ، ولا تعطي "قصة
الأمر" لكل أحد ما لم يكن حكيما ويفهم بنفسه،
فحينئذ تعطى له رؤوس الفواصل [انظر: التلمود
البابى : حجيجة ١١ / ب ، ١٣ / ١] فلا تطلبني
هنا غير رؤوس الفواصل ان غرض [كذا] ان تكون
الحقائق تلح منها ، ثم تخفى [كذا] حتى
لا يقام الغرض الالهى الذى لا يمكن مقاومته
الذى جعل الحقائق الخصيصة بادراكه خفية عن
جمهور الناس . قال : سر الرب لمتقيه [الغزور
١٤ / ٢٥] ولو بين أحد تلك الأمور
كلها في كتاب لكان قد فسر لآلاف الناس .

ان لهج اليهود للأسلوب الشفاهى ظهر في بعض نصوص التلمود
فحين اكتشفوا فيه ما يجب ان لا يطلع عليه سواهم ، قرر المجتمع
اليهودى في بولسونيا سنة ١٦٣١ م بالاجماع حذف العبارات التى تهين
الأغراب واستبدالها بدوائر هندسية أو ترك مكانها خاليا من أى شىء ،^٢ وأن
التعاليم التى تسب المسيحيين لا يصح نشرها الا شفويا في مدارسهم .
وفي الكتاب الباطنى " زهر بذر الحقائق " ذكر محققه أن فراغا كبيرا
بين عبارتين وجدته في النسخة الأصلية للكتاب .^٣

ان هذه الظاهرة التى وجدت في التراث الباطنى ، توضح لنا الى
جانب مدلولها ذى المراد المعينة ذات العلاقة بالدعوة الباطنية ، أن

* الذى وجدته في المعهد القديم في نفس المكان : سر الرب لخائفه
انظر : الطبعة العربية ، ١٩٢٨
١. دلالة الحائرين ص ١١
٢. انظر : همجية التعاليم الصهيونية ص ٩٨
٣. انظر : هامش ص ١٢٥

ليس الموجود في بطون التراث الباطني هو كل شيء حتى لو افترض
ان نشروا كامل تراثهم وهو مستحيل لان السرية جزء اساسي تعتمد
عليه الدعوة الباطنية ، وهذا يصدق على اليهود أيضا .
الكتابة السرية :

من الوسائل الباطنية في تحقيق سرية دعوتهم كالت وسيلة الكتابة
السرية التي اعتمد الدعاة فيها على نقل معتقداتهم السرية الى أتباعهم ،
وهي طريقة باطنية قديمة ، وقد اشارت الرسالة الجامعة الى وجود
كتب سرية مكتوبة بها . كما ذكر القاضي النعمان قصة توضح لنا
بعض المعلومات عن تلك الكتابة وحروفها ؛ يقول القاضي النعمان
انه سمع المعز لدين الله يقول :-

دفع ابي المنصور بالله [ابوه] . . . كتابا
بخط المهدي فيه حروف المعجم بخط كان الامام
قبله يكتب به الدعاة . فقال المنصور بالله (ع) انقله
بخطك . وقد كان عرفني معناه . ثم قال لى ؛
لما ازمع القائم (صلح) على الخروج الى المغرب
جمع ولده وانا فيهم فقال ؛ انتم ترونني وما اخرج
عليه من هذه العلة ، ولا ادري ما يكون من امر الله .
وهذا قلم يتوارثه الائمة يكتبون به اسرارهم ، وبيانه
وشرحه تحته يكون عندهم . فما كتبت به اليكم عرفتموه
وما اردتم ستره كاتبتموني به .
فقال المنصور ؛ فقال لي احد الاخوة سرا ؛

هذه أ ب ت ث عرفناها ، فكيف نكتب بذلك ؟ فغزته
وقلت له : أسكت ويحك ! اذا عرفت هذه الحروف
فما بقي عليك ؟ (قال) فنظر القائم الي فقال : ما قال
لك ؟

- ٥ قلت : شيئا ذكره يامولاي . وطارحته الحديث .
وبادر المتكلم فذكر له ما ذكر لي ، فتغير وجه القائم
... وقال : انا لله على الصيبة بكم ، وأنتهزنا
وأخرجنا من بين يديه ولم يمكنني أن أعتذر عنده ولا أضيف
ذلك الجهل الي قائله .
- ١٠ فخرجت ، فوقفت من وراء الباب فسمعته يقول لبعض
الأهل : خذي هذا الكتاب فمن سألك من هؤلاء اياه
فادفعيه اليه . فسرت بذلك ، فلما خرج سألتها
الكتاب فدفعته الي ، وهو عندي الي اليوم .
قال المعز عليه السلام : فأخذته فنسخته كما أمر .
- ١٥ ثم دفع اليي بعد ذلك خطا يشبه حروف ذلك الخط
فاذا اعتبرت لم يبين عن كلام صحيح ، وقال لي أنظر
في هذا واستخرج (قال) فأخذته منه فمكثت أياما
أتدبره ولا ينفتح لي فيه شيء ، وأنا من الغم بذلك
فيما حال بيني وبين النوم والطعام والشراب .
- ٢٠ ان مما يدل عليه النص ؛ توارث الكتابة السرية وحروفها بين الائمة الباطنيين
كما وضع النص وجود كتابة سرية خاصة عن الكتابة السرية التي تعلمها

المعز العبيدي من قبل ورغم ذلك فإنه لم يستطع معرفة الكتابة السرية الخاصة رغم أنها بنفس الحروف الرمزية ، مما يعني أن ترتيباً آخر لتلك الحروف يغير مدلولها أماناً في السرية ، وهذه الطريقة نفسها ما ورد ذكره في الرسالة الجامعة .

٥ ان الحروف الهجائية السرية في الفكر الباطني ذات أشكال مختلفة خفلت بها كثير من كتب الدعوة الباطنية السرية ، وقد سبق ذكر نماذج منها في الفصول السابقة . ولعل التي وردت في الرسالة الجامعة منها هي الأقدم ^{من بين ما} سيعرض على القارئ الكريم . وتتشابه الحروف السرية في (أربعة كتب اسميلية) الذي نشره شتروثمان ^{مع} التي وردت في مخطوطة (كتاب الشواهد والبيان لجعفر بن منصور اليمنى) ومع التي وردت في (مخطوطة حياة الأحرار لداعي مكرومي مجهول) .

٢٥	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩
٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩
٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩
٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩
٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩
٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩
٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩
٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩
٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩

شكل الحروف السرية كما وردت في الرسالة الجامعة ٠١

///

٢٥	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩
٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩
٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩
٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩
٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩
٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩
٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩
٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩
٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩

شكل الحروف السرية كما وردت في "أربعة كتب اسماعيلية" ٠٢

////

٠١ أنظر: مصطفى غالب، الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا ص ٢٣٨

٠٢ أنظر: ايفانوف، أربعة كتب اسماعيلية ص ١٧٨

التلغيز

من وسائل السرية في الدعوة الباطنية أن يقصدوا توضيح شيء فيلغزوا اليه بمحان تعنى على من ليس له اطلاع على فكرهم كقولهم " البيت لاحق برب البيت " ، ولم يستطع الباحث التوصل إلى المعنى المقصود بهذه العبارة إلا أنه قد يعني المقاد بالمعنى الباطني لأنهم يعتقدون أن النفوس الجزئية تلحق بالنفس الكلية ، والأدنى يلحق بالأعلى والأعلى هو الرب . وان مخطوطة (حياة الأحرار من الكتب التي قد تشبه فهم الباحثين حول التلغيز عند الباطنيين ذلك أنه شح لقصيدة شعرية ملفوفة مقلعها : -

لم أبك دائر عرصة السزوراء * * * لم أعف دائرها بسمتراء
بعد الأنيسر بها كالم يلهنى * * * فيها نعيم وهى غير خلا

وفيها يقول :

من عبد مولا رهـن جداره * * * وغرابه ذو صبغة سوداء
فالمولى والسيد في الظاهر هو عبد المؤمن الطاهر ولو كان العبد المؤمن في رقه .

وفي نفس الموضوع نجد في مرجع باطني آخر :

قال سيدنا جعفر بن منصور (قس) : وقد ذكر

في بعض التواريخ والسير أن الله لا يقبل توبة نبي

ولا . . . إلا بولاية علي بن أبي طالب (ع) . ومن

أتى بغير ولايته ، أسقطت نبوته . . . لأنه (ع) مجمع

الأنبياء والأولياء والأئمة من أول الأدوار إلى قيامه (ع)

١ انظر : زهر بذرة الحقائق (العوا . المنتخبات) ص ١٧٤

٢ المخطوطة المذكورة : ق ١٣ ، ق ٦٤ ، ٠

ومن هذه الجهة والحالة، صح قول الداعية
"عبدان" (قس) ان الجمعة على خدمة
المولى لعبدته في هذا الدور، لأن أصحاب الدعوة
الظاهرة في الأدوار الماضية الذين هم أولاد اسحق
(ع) كانوا حجاجا ودعاة وخداما لأرباب الدعوات
الباطنة الذين هم أولاد اسماعيل (ع) واجتمعت
أولاد اسحق عند ناطق الدور (س) وجب في
مزية عدل الله تعالى خدمة أمير المؤمنين لمحمد
(ص) قضاء بما سبق من خدمة أولاد اسحاق
... لأولاد اسماعيل ميزان العدل قائم، وهذا
معنى خدمة المولى لعبدته .

من النصين السابقين يمكن الوقوف على أسلوب التلغيز بالمعاني السذي
يسير عليه الباطنيون في دعوتهم، وكلا النصين يتحدثان عن موضوع
واحد بمعاني ملفسوزة ليس المقصود بها إلا تفضيل علي بن أبي
طالب على سيدنا محمد (ص) كما أوضحه النص الثاني منهما .
وفي الفكر اليهودي نجد "ابن ميمون" يقول :

واعلم أن الأمور الطبيعية أيضا لا يمكن التصريح
بتعليم مبادئها على ما هي عليه . وقد علمت قولهم، عليهم
السلام : ولا تعطي قصة الخلق لاثنين معا ولذلك
جاءت تلك المعاني أيضا في كتب النبوة بأمثال، وتكلموا
[؟] فيها أيضا الحكماء عليهم السلام بالغاز وأمثال اقتفاء
لأثر الكتب .

* أحد دعاة القرامطة الأول أيام حمدان قرمط . انظر : ابن النديم . الفهرست
والقاهرة ، المكتبة التجارية ، ص ٢٨١ وأنظر : *van Ismaili Literature* ،
١ . الأنوار اللطيفة : (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٢٦
** الاضافة من المحقق .
٢ . دلالة الحائرین ص ١١

وجاء في التلمود :

كلما كان من الخطر التحدث عن شيء بصراحة
تكلم عنه تحت ستار علامة معروفة لدى المخاطبين^١
وحدهم .

ولا يعلم الباحث بعد هذا ما هو الغرض من دين يتعامل بالأغماز
والسرية اذا كان هدف الدين هداية الخلق الى الصراط المستقيم .

٢- التدرج في الدعوة الباطنية :

ان النظرة التي سار عليها الباطنيون في مسألة التدرج ذات قيمة
لديهم لا تقل عن قيمة السرية التي اشير اليها آنفا .
والمقصود بالتدرج في الفكر الباطني هو عدم اعطاء العلم الباطني
دفعة بل اعطاه للشخص على جرعات منظمة ترفع المستجيب شيئا
فشيئا . وقد يصل الى الدرجات العالية وقد يموت قبل ان يصل اليها
وهو ما يحدث غالبا .

والتدرج بحد ذاته يذكرنا بالتقديم الباطني لرقم ٧ (ر ص
التسييع) ذلك لانهم يتدرجون في الدعوة على ذلك الترتيب كما
سياتي من قول الداعي الكرمانلي (ر ص ٣٤٨) وذكر الغزالي
وفيه ان مراتب الدعوة الباطنية تسع :

اولها الرزق [كذا] والتغرس ، ثم التأسيس ،

ثم التشكيك ، ثم التعليق ، ثم الربط ، ثم التدليس^٢

ثم التلبيس ، ثم الخلع ، ثم السلخ .

١ . التلمود . اعداد محمد صبري ، القاهرة مكتبة مدبولي ، د . ص ٢٦

٢ . فضائح الباطنية ، ط ٢ ، (عبدالرحمن بدوي) ، الكويت ، دارالكتب
الثقافية ، ١٩٦٤ ، ص ٢١ وانظر أيضا ، الديلي ، قواعد هقائيد
آل محمد ص ١٤

وقد دافع الداعي علي بن محمد بن الوليد (- ٦١٢) عن الباطنية
وأنها لم تغفل بهذه المراتب التسع .

ومن قصة دخول الداعي جعفر بن منصور الهمسن هذا المذهب ما يدل
على أن فيما ذكره الغزالي شيئا من الحقيقة، ولاهمية هذه القصة فسي
الاحاطة بنظام التدرج في الدعوة الباطنية ، فلا بأس من إيرادهما
كما نقلها الداعي القاضي النعمان ، وفيها بالاضافة الى ما ذكرته جيلا
لما يمكن اعتباره بداية مكتوبة لتاريخ الدعوة الباطنية :

قال أبو القاسم الحسين بن فرح بن حوشب بن زانان

الكوفي [- منصور الهمسن] - .

- ١٠ . . . خرجت الى الفرات - أوقال دجلة - وانسي
لامشي على النهر اذ حضروقت الصلاة فتوضأت
وصليت ، وجلست مفكرا فيما كنت فيه ثم أخذت فسي
قراءة القرآن . فافتتحت سورة الكهف ، فاني لأقرأ
فيها اذ أقبل شيخ ومعه رجل لا والله ما نظرت
عيني قبل ذلك الشيخ الى أحد ملا قلبي هيبة منه ،
ونزل ناحية ، وجلس الرجل بين يديه بعيدا مني .
فقطعت القراءة لهيبته ، وبقيت أنظر اليه اذ أقبل
فلام يرحم في مشيته . ففرب مني . فأفكرت ذلك ،
عليه اجلالا للشيخ ، فلم يلوعلي . فقلت من أنت
فقال ، حسيني . فاستعبرت . قلت ، بأبي الحسين
(صلوات الله عليه) المضحج بالدماء . المنوع من هذا

* انظر مقدمة تأويل الدعائم ج ١ للمحقق محمد حسن الأعظم ص ٢٢
١. انظر: مخطوطة دافع الباطل وحرف المناضل ، مكتبة جامع صنعاء
الغربية ، غير مرقمة ، ص ٢٣ .

الماء . فرأيت الشيخ نظرا لي عند ذلك . وتكلم

الرجل الذي بين يديه كلاما لم أفهمه فقال لي

الرجل : تقدم الينا رحمك الله فقلت له حسن

جلست بين يدي الشيخ ، فرأيت دموعه تسيل

على لحيته - أظنه عند ذكر الحسين (صلوات الله عليه)

وقال لي : من أنت الذي تذكر الحسين بها ذكركه ؟

قلت : رجل من الشيعة . قال : ما أسك ؟ قلت :

الحسن بن فوح بن حوشب . قال : أعرفناك مسن

الشيعة الاثني عشرية . قلت : نعم . قال : فأنهت

على ذلك ؟ فسكت . قال : تكلم ، فانا من اخوانك .

قلت : كنت فيمن كلن على ذلك الى أن بطل الأمر

في أهدينا ، وما أخرجني الى هذا المكان الا ضيق

صدري بذلك ، وذكرت له ما عرض لي ، قال : أرى فيك

نهاة ، وقد سمعتك تقرأ ثم قطعت القراءة ، قلت :

والله - أيدك الله - ما أسكتني الا هيبك . فقال :

فأقرأ كما كنت تقرأ ، فابتدأت من حيث وقفت حتى بلغت :

(فانطلقا حتى اذا لقا غلاما فقتله) فأومئ ^{بيده} اليه أن

أسكت . فسكت فقال : أنت ممن يقول بالعادل

والتوحيد ؟ فقلت : نعم ، هو مذهبي ، قال : فمن

أي وجه العدل أن تقتل نفس زكية بغير نفس -

الآية الى قوله : (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا)

فسكت . قال : قل . فقلت : ماذا أقول ؟ واللهم
لكاني ما قرأتها قط وانني ألي علم الوجه في ذلك
لفقير ، فان رأيت تعريفي ذلك فعلت . قال : دون
ذلك سئرتقيت . قلت : ترى كشفه لي جعلت
فداك ا قال : يكون ذلك اذا أمكن انشاء الله (تح)
وأخذ في غير ذلك حتى اذا وقف منه على مكان
الجواب فيه أخذ في غيره ، وأنا كل ذلك أسأله
الجواب فيه ، فيقول مثل ما قال ، ثم تحرك للقيام ،
فقلت : يا سيدي أحب أن أعرف المنزل ، قال لماذا ؟
قلت : لاقتضاه وعدك فتبسم وقال : لعلنا أن نجتمع
ههنا في الغد ان شاء الله (تح) ، وهضى وتبركني .
فلما غاب عني ندمت ان لم أكن تبعته حتى أعرف
مكانه ، وهظم موقع كلامه من قلبي وشغل ما سمعت
منه ذهني ، وعدت فسي غد الى المكان ، وأقمت به
الى الليل . فلم أراحدًا فاختلفت كذلك وأنا فسي
النم بما فاتني منه فيما لا أصفه ، حتى اذا كنت
في حد اليأس منه ، ومربي الرجل الذي كان معه ،
فنهضت اليه وسلمت عليه وقلت : ما فعل الشيخ -
حفظه الله - وقد كان وهدني في غد يوم لقيته معك
ههنا ، وانى لمتردد من يومي ذلك الى هذه ؟ قال :
لورهدك ما أخلفك ، ولكن لم يكن في مخرج قوله
وعد ثابت . قلت : فأين لي به ؟ فوالله ! لقد شغل
قلبي ما سمعت منه . قال لي الرجل : اجلس نتحدث

٥

١٠

١٥

٢٠

- قليلاً . فجلسنا فاذا الرجل معه علم كثير . فطارحت عليه ، وأراد القيام والمسير ، فقلت : والله لا أفارقك أو تكشف لي هذا الأمر ، فما زلنا حتى أخذ عليّ العهود وعرفني أن الشيخ هو امام الزمان ، وفتح لي من المعرفة كثيراً ، وعرفني الموضوع وجمع بيني وبين الامام . وكان يخصني ويقربني ويرمز بقرب الأمر ، ودنو العصر ، ويقول في كثير من كلامه : " البيت يماني والركن يماني والدين يماني والكمبة يمانية ولن يقوم هذا الدين ويظهر أمره الا من قبل اليمن ."

اذا قرأنا النص السابق وجدنا فيه ما يقارب تقسيم الغزالي لمراتب الدعوة الباطنية ، وهو نص باطني يؤرخ لفترة قديمة من تاريخ " الدعوة الاسماعيلية الباطنية " .

- ومهما يكن الأمر فلا خلاف بين ما ذهب اليه " الغزالي " من قوله بالمراتب التسع من حيث المضمون وبين من قال بأنها سبع مراتب مثل : " محمد بن مالك بن ابي الفضائل اليماني " (- أواسط القرن الخامس) ، وأحمد بن يحيى المرتضى (- ٨٤٠) ، وما قال دعواتهم في التسييح كما سيأتي (ر . ص ٣٤٨) والمقصود الى جانب ما يفيدنا في معرفة التدرج أنه ليس اسلامي المنشأ ، لأن أحداً من المسلمين لم يقل بالتدرج على هذا النحو .

١ . افتتاح الدعوة ص ٥ - ٨ وانظر : كشف أسرار الباطنية ص ٢١ ص ٢٣ -
٢ . انظر : كشف أسرار الباطنية ص ١١ - ١٦ *
انظر : ترجمته في الحبشي ، مصادر الفكر ، ص ٥٨٣ في اليمن
٣ . مخطوطة المنيسة والأصل ، ق ٣٨ ب

وقبل التعرض لمراتبهم السبعة لا بد من اعادة القول بأن كل من
خالف دعوتهم " ضد " لهم كما يرون . وهو المطلوب لاستجلابه لهذا

الدعوة يقول " محمد بن مالك " الذي دخل مذهبهم وخرج منه ،

انهم يبدون بتخيرات المخالف بالملاحظة السريسة

من حيث لا يشعر فاذا وجدوا فيه مطمعا فانهم

يحضونه على شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والصيام .

كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه ، فيقيم أكثر

من سنة يعنون به وينظرون صبره ويتصفحون أمره ، ويخدعونه

بروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم محرفة وأقوال مزخرفة

ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ويحرفون الكلم

عن مواضعه فاذا رأوا منه الانهماك والركون والاعجاب

بجميع ما يعملونه والانقياد بما يأمرونه ، قالوا حينئذ :

اكشف عن الأسرار ولا ترض لنفسك ولا تقتنع بما قد

قنع به العوام من الظواهر . وتدبر القرآن ورموزه واعرف

مثله ومثوله .

وليس الذي ذكره ابن ابي الفضائل هذا بعيد عن أسلوب دعوتهم

اذا عدنا الى مصادرهم التي تتحدث عن ما ذكره بأسلوب آخر حيث يسمون

ما أشار اليه ابن ابي الفضائل بقوله (فاذا رأوا منه الانهماك . . .) " بالمكاسرة"

وهي أولى مراحل التدرج في الدعوة الباطنية وهي مهمة الداهي المكاسر

ويقولون انه ،

المعلم الصادق المتولى لمكاسرة اهل الظاهر

١. ابن مالك . كشف أسرار الباطنية ص ١١٠ ١٢

٢. انظر : القاضي النعمان . افتتاح الدعوة ص ٩

فكسر عليه [أي على المستجيب] شوكة الى الدخول

في دائرة أهل الحق .

وقد عرف " القاضى النعمان " المكاسرة بأنها تعامل بين الداعي والمدعو

للمذهب الباطني حتى اذا

كوسر ونظر بمذهب الحق فانكسرت حجته وبطلت

لظهور حجة الحق ولم يجد ما يدفعها به ولم يبيح

له الا أن يرخض عليه ميثاق دعوة الحق .

ولمن أراد المقارنة فليقرأ نصّ أبي الفضائل مرة أخرى .

ان المخالف الذي وصل الى هذه المرحلة يسمى باصطلاح الدعوة

الباطنية : المستجيب ، ومعناه أنه أسلم أمره واستجاب لهذه العقيدة .

يعتبر الباطنيون المستجيب : أدنى حدود دينهم وأضعفها وأول مراتبها

وهورغم ذلك أحد أجزاء الصورة الناسوتية للامام (ر . ص ٢٣٨) .

كبي ينضم المستجيب اليهم ويصير شخصاً يعتقد العقيدة الباطنية

لاهد له من شروط تقنع الباطنيين بصلاحه لما أرادوه له ، وهو ما يتضح

في قصة ابن حوشب (ر . ص ٣٢٧ ، ٢٣٠) وبعد استيفائه تلك الشروط

يرشحه الداعي لاخذ العهد والميثاق عليه ، وان اكتشفوا عدم

صلاحه أو تخلّى بذاته عن الرغبة في الدخول الى مذهبهم يتركونه أو أن

يعود بنفسه .

١ . الداعي حاتم . الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية)

ص ١١٥

٢ . تأويل الدعائم ص ٢٤٨ .

٣ . انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروتمان . أربعة كتب) ص ٨٨ و ٨٩

ورسالة الاسم الأعظم (شتروتمان أيضاً) ص ١٧٤

٤ . انظر : رسالة الدستور . للداعي أبي فراس (عارف تامر . أربع رسائل)

ص ٦٦٩ و ٦٧٠

٥ . انظر : تأويل الدعائم ٢٥٠ / ٣

أهمية أخذ العهد على المستجيب

تعود هذه الأهمية الى ما درج عليه الباطنيون من الأخذ بأسباب
الحيطة والحذر خشية وصول عقيدتهم الى المخالفين لهم وبالتالي
كشفها ونضحها .

- ٥ ان الأخذ على المستجيب يعني في عرف الباطنيين تطويق
من عنقه كما يطوق الخنصر بالخاتم ولذلك سماه الغزالي " حيلة الربط"^١
ان هذه المرحلة تسمى في اصطلاحات الدعوة الباطنية " حشد
التهيبة " لذلك يرى بعضهم ان لاكتشف فيها للمستجيب المعارف
الباطنية^٢ ونقل المستجيب من هذا الدور الى الأدوار الأخرى
التي ستفتح له الأبواب الباطنية السرية شيئاً فشيئاً يوضح لنا أهمية
أخذ العهد عليه ، هذا العهد الذي يمكن اعتباره الباب العوصل
الى علم الباطن ، ووضح لنا الداعي الكرمانلي السبب الذي دعا بهم
الى عملية الأخذ على المستجيب ، فيقول :

انما وجب أخذ العهود والعوايق من الناس

- ١٥ في دين الله لحالين :

أحدهما ، لكسبي تجب عليهم الحجة من جهة الله

يقبولهم ما يقبلونه من أوامر الله (شع) وبذلهم

القيام بها وان قصروا فيها ، فتكون مجازاتهم بحسب

فعلهم بعد الميثاق .

١. انظر : رسالة الاسم الأعظم (شترثمان ، أربعة كتب) ص ١٧٢ وانظر
فوائح الباطنية ص ٦١ ، قواعد عقائد آل محمد ص ٣٩
٢. انظر : الداعي حاتم . زهر بذرة الحقائق (العوا . منتخبات) ص ١٦٩
وانظر رسالة الاسم الأعظم (شترثمان ، أربعة كتب) ص ١٧٤ .

وثانيهما : لكون الخلاف فيما بين الناس موجودا وامتناع
الأمر في الاطلاع على سرائر الناس فيمنع من كانت
سريرته غير الاخلاص لله . وفي الله . ولئلا يكون ممن
يعاهد عينا وهدوا فيطلع على ما يديره الامام أو الدعاء
من المكر بأئمة الدين [كذا] ، فيكون الاستضرار بمكانه
فيما يراد من اقامة عبادة الله (عج) على وجهها
أكثر من الانتفاع به ، ثم ليكون الأمر في الميثاق
الى أمانته بعد الاستيثاق فيستحق بالنقض ان نقض
ما على الناقضين ، وبالوفاء ان وفى ما للموفين ، ولذلك
كان الأنبياء يبائعون الناس الذين يجيبون السي
دعوته . والعهد والميثاق رسم سابق من الله (تع) .

ولكن قيام الحجة لم يكن في دعوة الانبياء بأخذ العهد ، والا فسان
الحجة لا تقوم على كفار قريش الذين علموا بنبوته محمد (ص) وسمعوا القرآن
وفهموه . والله تعالى يقول : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم من
النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) وعليه فاننا اذا أخذنا بقول الباطنيين
فلا يكون لمجازاتهم بجهنم أي معنى حيث لم يؤخذ عليهم العهد ، ان
فرض الباطنيين هو تأييد يختلقونه لدينهم بأي دليل كان حتى ولو اصطدم
مع القرآن والسنة وجميع الافهام والمفاهيم ، وهذا قد اتضح لنا من قبل
ولكن الرد عليهم من هذه النقطة كان لتبيان ضعف السبب الاول الذي اعتبره
الكرماني موجبا لأخذ العهد ، وليس بمستبعد أن يكون وضعه في ذلك
المكان لمجرد صرف الكلام باستعمال الألفاظ المزخرفة ، وعلى ذلك فان السبب
الثاني هو المقصود ولكن على وجه آخر كما سيتضح .

١. نقلا عن مجموع رسائل الكرماني . الرسالة الكافية ص ٤١١ انظر ذلك في
الجالس والمسائرات هامش ص ٥٤٧
* فاطر ٣٧

- يطيب للباطنيين أن يصوروا أنفسهم في مكان المقهور والمظلم والمعتدى عليه تبريرا للهج اتخذهوا لأنفسهم وأعني به " التأويل الباطني " والأخذ بالسرية المطلقة في تنظيم الدعوة . . . الخ . كما يوحي بذلك نسـم الكرماني السابق . وقد سبق نسـم باطني آخر يقول ان أول من اتخذ السرية في الدعوة كان آدم عليه السلام (ر . ص ٣١٠) ، فصارت سنة يقتدى بها . وفي تحليلهم لفضـ تاريخ دعوتهم ، أن سبب ذلك مالا قوه؛ هم وأئمتهم من اصناف الاضطهاد والنفي والقتل منذ وفاة رسول الله (ص) وحتى آخر أئمتهم المستورين . وأن جعفر بن محمد اضطـ الى اخفاء أمر الدعوة الى محمد بن اسماعيل ستر عليه وخوفا من " الضد " .^٢
- ١٥ كل هذا يوحي بان للقمع الفكري والاضطهاد والتكـيل دور في تكوـن الفرق الباطنية ، وقد لـحـ المستشرق (دي بور) الى ذلك في تحليله ظهور الفرق السرية في العالم الاسلامي فقال :
- نستطيع أن نقول ان الجماعات التي تتكوـن على هذا النحو . . . تتألف عادة في البلاد التي يضيـق فيها على حرية الفكر .^٣
- ١٥ من الخطأ انكار خطورة القمع الفكري والاضطهاد والتكـيل الا ان ما ادعاه الباطنيون ومن تعاطف معهم حول هذه النقطة يحتاج منا الى اعـادة نظره لا سيما وأن (دي بور) لم يستطع أن يعلن ذلك صراحة فـي تلميحـه الذي يمكن للباحث أن يستشف منه عدم اليقين . وعليه فان على من يتصدى لهذه النقطة أن يقف على انتشار المذاهب الفكرية المختلفة اـبان
- ٢٥

١ . انظر : مخطوطة مجالس حاتم ق ٥
٢ . انظر : زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٠
٣ . تاريخ الفلسفة في الاسلام (الترجمة العربية) القاـهـه ، لجنة التـليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٧ ، ص ٩٦ .

العصر العباسي بالذات وهو العصر الذي انتهج الباطنيون فيه
السرية حين قالوا بالأئمة المستورين .

في هذا العصر مثلا نجد جمعيات سرية في أكثر الدول التي
تقول بتفديس حرية الفكر ، كما هو حال الجمعيات الماسونية وجمعية
الكوكلوكس كلان والالوية الحمراء .

وإذا افترضنا صحة دعوى وجود قهر فكري أدنى إلى تكوين الفرق
الباطنية أيام العباسيين فكيف يمكننا تفسير وجود دولة ذات قوة
واقترار وتكون السرية منهاجا لدينها الذي تدين به وهذا هو الحال
السائد في جميع مراحل الدولة العبيدية التي لم تتخل الدعوة
الباطنية فيها عن سريتها ؛ ففي السجل الذي وُجه إلى أحد
الدعاة في تلك الدولة بتنصيبه داعيا للدعاة ؛ نجد الامام العبيدي
يقول في مرسومه :

وخذ العهد على كل مستجيب راغب ، وشهد
العقد على كل منقاد ظاهر ممن يظهر لك اخلاصه
ويقينه . . . ولا تلق الوديعة الا لحفاظ الودائع
ولا تلق الحب الا في مزرعة لا تكدي على الزارع وتنج
لغرسك أجل المفارس . . . وصن أسرار الحكم الا
عن أهلها ولا تبدلها الا لمستحقيها . . . واستخدم
كاتبنا ديننا أمينا مؤمنا بصيرا عارفا ، حقيقا بالاطلاع
على أسرار الحكمة التي أمر الله بصيانتها وكتماها عن
غير أهلها .

نرى في النص مدى التأكيد على السرية وأخذ العهد كل هذا يحدث من حاكم باطني لدولة مذهبها باطني ولها من السلطان والقوة ما ملكت به الشام واليمن والحجاز ومصر وشمال أفريقيا ، وفوق ذلك تعد هذه الدولة اتباعها بأنها ستملك رقاب العالمين وأن خيولها ستدوس بطون بني العباس .

ان هذا يجعل الباحث يستبعد تماما أن يكون الغرض من السرية عامة وأخذ العهد على المستجيب خاصة ، هو الخوف من بطش الأضداد . ان الأمر أكبر من ذلك كثيرا لأن الغرض والهدف أكبر من إقامة دولة تنتسب إلى أهل البيت - فقد كان الباطنيون يتسترون خلف دعوى القائم من أهل البيت النهوي - ان الهدف الحقيقي هو هدم الاسلام وإقامة عقائد لا تمت إليه بصلة ، وأن الذي يخطط لهذه المهمة قسوى خفية سرية وقد دل على ذلك من قبل العقائد الباطنية ، وتؤكد ههنا أساليب تلك الدعوة ، وهذا ما ذهب إليه كثير من المحققين المسلمين وخاصة "أهل السنة" منهم فاتهموا للأسف بالحق وتشويه الحقائق .

ان أخذ العهد على المستجيب - في صورته هذه - أسلوب استهوائي الغرض منه السيطرة الكاملة على المستجيب ، فهو "الربط" كما سماه الامام الغزالي ، بل هو كما وصفه محمد بن الحسن الديلمي بقوله :

واعلم ان مثل هذا العهد والدخول تحته الا [؟]

مثل رجل صحيح سليم بصير لاحائل بينه وبين

ما يريد رؤيته ، فقال له غيره : دعني حتى أجعل

على عينيك حجابا حتى أقودك الى النجاة فساعدته على

٢

ما أراد فهل أضل عقلا منه .

١. انظر ، القاضي النعمان . افتتاح الدعوة ، (الدرشراوى) ص ٣٤٣ و ٧٣
٢. قواعد عقائد آل محمد ص ٤١

هذا المثل الذي ضربه الديلمي واقع في المحافل الماسونية التي
تجسّد لنا الطريقة الباطنية في التدرج فعندهم يضع " المرشد "
- والمرشد اصطلاح باطني معروف يؤدي نفس المعنى كما سيأتى
(ر. ص ٣٤٢) - على عيني طالب الانتساب للدرجة الاولى
للمحفل الماسوني قطعة سوداء ، وفي عنقه حبلا ، ويقوده المرشد
لثم مراسيم الانتماء الى الماسونية (ر. ص ٣٤٤) .

صيغة العهد : ان العهد الذي يأخذه الباطنيون على المستجيب
عهد غليظ شديد موثق بالايمان التي تبعده عن كونه مجرد عهد ؛ بل
تذهب به الى قيد المستجيب حتى ما يستطيع حراكا وقل أن تخلسو
كتب الباطنيين من التذكير بالعهد حتى كاد يصبح من مستلزماتهما
بعد البسمة والحمدلة والتصليّة ، صوّرت الرسالة الجامعة " العهد
على أنه :

العهد الذي أخذه الواحد المنبث من
الأحد ، الفرد الصمد المنزه عن الوالد والولد
لا اله الا هو . على ثانيه . . . فخذ هذا العهد
الشريف على من أقيمت هذه الرسالة اليه ، ومثنت
بها عليه ، ووره بأخذه على من يهم بالقائها اليه . كذلك
السلف عن الخلف . والأول على الثاني ، حتى تصل
الى من أراد الله ويظهر عليها من يشاء من عباده .

١. انظر : محمد علي الزهبي . الماسونية في العراق ، ط ٢ ، بيروت ، مؤسسة
الزعيبي ، ١٣٩٥ ، ص ص ٢٥ ، ٢٦
٢. الرسالة الجامعة . ص ص ٢١ ، ٢٣ .

وأما الداعي الحارثي فيقول :

وأنا آخذ عليك عهد الله المؤكد وميثاقه
المغلظ المشدد الذي أخذته على أسماء النورانيين
وصفاته الروحانيين ، وملائكته المقربين ، وأنبيائه المرسلين
وأوصيائه الطاهرين وأئمتهم الميامين ، وحدود دينه
أجمعين ، من أهل السموات وأهل الأرضين على كل
من وقع كتابي في يديه وحصل لديه من خاص وعام ،
وعلى الرتبة ودان ، أن لا قرأه ولا وقف عليه إلا بأمر
من ذوي الأمر ، ولا أباحه وبذله وأطلع عليه إلا من
يكون أخانا حقا يرى برأينا ، ويقول في فضل أئمة
الحق بقولنا .

والداعي المجهول صاحب " مسائل مجموعة من الحقائق العالمة والدقائق
والأسرار السامية " يقول :

وأنا آخذ عليك عهد الله تعالى وعظيم الميثاق
الذي أخذته على ملائكته المقربين وأنبيائه المنتجبين
وأئمة دينه الهادين وحدودهم الميامين والأئمة
بريئ منهم أجمعين .

ان النماذج السابقة تشير إلى عهد خاص بالكتاب الذي نقل منه ،
وهي في مجموعها توضح للقارئ الكريم صورة من صور العهد الباطني ، وواضح
فيه أسلوب الترهيب والترغيب .

١. الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ٧٨
٢. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٥

ولا يتعد أسلوب أخذ العهد على المستجيب عن ذلك كتيـــــراء
لان الذي يظهر أن الباطنيين أطلقوا الحرية لدعاتهم لاختيار أفضل
الايمان والمواثيق ، حسب مكان وزمان أخذ العهد ، وتوضح ذلك
الصيغ المختلفة الائمة الذكر للعهد ، وهذا عهد آخر لأحد
الائمة النزاريين المتقدمين :

٥

اسموا بمولاكم العلي العظيم ، وبالعرش الرفيع ،

والكرسي المنيع الجواد الكريم ، الحاضر الموجود ،

الغائب الغير [كذا] مفقود ، بالامر الالهي ، والابداع

الغير متناهي ، له الملك والقدرة الابدية ، والكلمة

١٠

الأزلية السرمدية ، والنفس الناطقة القدسية ، على

كل نفس بما كسبت ، وما أسلفت ، وبالعهد القديم

تمسكت . لا تكونوا لعهدنا ناكثين ، ولا مرنا غير طائعين ،

لاتبدل النفوس في رضا الملك القدوس ، والخروج

من الحسوس ، والتخلص من العالم المنكوس .

١٥

فمن بدلها أبعدناه ومن باعها أنزلناه ، بما له من

النعيم ، مجاورا للرب الرحيم . فيا ربح من باع

ويا خيبة من أضاع ، أنتم اخوان في الرضاع ، تترقّس

نفوسكم بالانصياح ، ومن كفر خسر رضاع ، في دار البوار

الذي ليس له قرار ، والمستغيث منها لا يجار ، من

٢٠

الكبرياء ، والافتخار ، والاستماع الى الفجار ، ونعوذ بالله

من الأشرار الذين خسروا أنفسهم فلم اللعنة وسوء

الدار . ومهما بدلنا [كذا] لكم من عهد فضونوه ، وأودعوه

للمؤمنين يعرفوه من بعد امتحان فأوصلوه ، ولا تدعوه

وتتركوه ، فالعهد لأبناء الحقيقة واخوان الطريقة ، المتسكين
بالعلاء من الخليقة ، والسلام على من اتبع الهدى ، والحمد
لله رب العالمين .^١

وهذا نص آخر يوضح لنا المراسيم التي تتبعها الفرقة الباطنية النزارية
في أخذ العهد :-

يحلف المرید [- المتجيب] فيقول : أقسم بالله الذي
لا اله الا هو الحي الجبار القهار الطالب الغالب عالم
الغيب والشهادة والنقص والزيادة ، القائم على كل
نفس بما كسبت القوي الشديد الاخذ لها بما ظهـرت
وأضمـرت ، العليم بما في الضمائر ، الخبير بمكنون السرائر
الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا تفوته
غوامض الأشياء ، الذي من أقسم به كاذبا واستشهده باطنا
[؟] استحق الخزي والخذلان وحلَّ في مقام السخط
والموان ، وأقسم به ثانيا وثالثا ورابعا كما أقسمت به أولا ، وأقسم
به وبجميع أسمائه الحسنَى وصفاته العليا ، وأشهد ملائكتك
المقرين وأرواح أنبيائه المرسلين ونفوس الصادقين والصالحين
من عباده العارفين أنني طالب راقب المذهب الاسماعيلي
من خالص اعتقادي وصميم فؤادي ، اعتقاد لا يشوب
باطنه الدنس ولا الشك ولا الريب ولا الشبهة في الايمان
وليس لي قصد في هذه الرغبة الا تحقيق أمر الدين ، وطلب
معرفة حقيقة اليقين ، وتصحيح الاعتقاد والدخول مع الفرقة

١. رسالة " فرمان مبارك " انظرهما في : مصطفى غالب ، سنان راشد الدين
شيخ الجيل الثالث ، بيروت ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٧ ، ص ٨٠ ، ص ٨١ .

- الناجية من الطغيان والفساد ، ومعرفة مولانا صاحب
الوقت وامام الزمان ، واني اذا فهمت منه أمرا ، وعرفت
منه سرا أكتمه وأخفيه عن من لا يعتقد كمعتدي ، ولا
أظهر لأحد من الخلائق لا بقول ولا بنية ولا إشارة
ولا عبارة ، ولا تكتبه يداي ، ولا ينطق به لساني ، وان
أضمرت خلاف ما أنطق به ، أو كتبت أو نسيت أو تخليت
أو تفكرت أو توهمت أكون كافرا بالله ورسوله وأوليائه
وملائكته وكتبه ، وأكون محاربا لهم ومنكرا أمرهم ومخالفا
قولهم وذابحهم وشارب دمائهم وريثا منهم في الدنيا
والآخرة وخارجا من دين الاسلام والايمان والمرءة والفتوة
والله على ما أقول شهيد .

فإذا حلف المرید كما ذكرنا بعد تجربة الامتحان
يقرا المرشد :

- " ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق
أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى
بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما " ، * وترى الملائكة
حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم
بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين " **

- ثم يفتح عليه المرشد [؟] ويدرجه بين يدي الجماعة
فأول ما يعطيه ، البسمة والتشويق ثم الشهادة الالهية
ثم معرفة الموجودات ثم كيفية الاعتقادات ثم تأويل المعتقد

ثم معرفة مرتبة الامام ثم تحقيق التوحيد ، فهذه
السبعة فصول مع الفصل الأخير ، هي الغاية للدخول
والطريق للوصول .

وللامام " الغزالي " صيغة أخرى للعهد الباطني ، ويميز هذه الصيغة
أن الداوي (- المرشد) هو الذي يقرأ العهد ، وما على المستجيب الا أن
يقول في النهاية : نعم .

وأورد القرظي في خطته صيغة للعهد الباطني ، ولكن الباحث لا يرى
أهمية لوصفها لأن الذي يظهر أن فلسفة العهد عند الباطنيين واحدة .

العهد الماسونسي : ان الماسونية مثل الباطنية لا تختلف عنها فسي
هذا الأمر ، فان لهم في أخذ العهد على المستجيب طريقة لا تختلف
عن مثيلتها الباطنية ، وهذا تسجيل لذلك المشهد . -

أين نحن الان ؟ هل المحفل [مكان ممارسة الطقوس
الماسونية] مخلق ؟ هل هو محكم الاخلاق ؟ هل تتأكدون
سلامته من غريب ؟ [كذا] وسمع أجوبة متقاربة ، خلاصتها
نحن في محفل سليمان . والمحفل مخلق محكم .

يقدم طالب الانتساب [- المستجيب] طلبا خطيا
على نسختين احدهما للمحفل والثانية للشرق [ربما كان
هذا الاصطلاح يعني مجمع المحافل في المنطقة] مشتملا
على اسمه وكنيته وعنوانه ومهنته وعمره ، مرفقا بصورتين شمسيتين
مصدقتين من مختار المحلة ونسختين من السجل العدلي ،
ويستعاض عن هذه ، التزكية ، من ماسونيين ، أو من كَلْبِي
الاحترام . [ربما كان لقباً ماسونياً] وحده .

١. الداوي شمس الدين الطيبي . رسالة الدستور (عارف تامر ، أربع رسائل)
ص ص ٧٣ ، ٧٤ .
٢. انظر : فضائح الباطنية ص ص ٢٨ ، ٢٩ .

ويرفق الطلب بمبلغ لا يقل عما يعادل عشر ليرات
لبنانية ، وفيه يتعهد الطالب بدفع جميع الرسوم
قبل التكريس * .

يعرض الطلب في الجلسة ، فيجري التداول ، واذ تمت
الموافقة ، حددت جلسة التكريس وأحيط الطالب
علمًا بها .

يزور الطالب المحفل بالوقت المحدد ، فيستقبله
المرشد ويدخله غرفة مظلمة (تدعى غرفة التأمل)
مشحونة بالمياكل العظمية ، والجماجيم والحيات النحاسية
وعظام ساعدي الانسان أو فخذيته .

ثم يجرد من ثيابه ومعه من المعادن ، حتى الساعة
والخاتم ويكشف ذراعه الأيمن والجانب الأيسر من
صدره ، وركبته اليمنى . ويكرر صاحب السِّدء السؤال
قائلًا :

هل لاتزال مصراعلي طلبب النور الماسوني ، فان أصرعلني
كلمة نعم ، وضع المرشد على عيني الطالب قطعة سوداء
وفي عنقه حبلًا ، وأخرجه من الغرفة نحو باب الهيكل
المغلق . ثم ان المرشد يطرق الباب طرقة مزعجة
فيقول الحارس الداخلي : من الطارق ؟

* التكريس : هو التأسيس فيقال : كرسى البناء . وهو التخصيص . فيقال
كرسى الشيء له وكرسى نفسه على الشيء ، وقفها عليه انظره
المنجد . مادة كرس ص ٦٨٠ ط ٢٢ والكلمة غير موجودة في مختصر
الصحاح في نفس المادة والكلمة نصرانية دخيلة انظر ط ١٥
ص ٢٢١ سنة ١٩٥٦ .

المرشد : طالب فقير في حالة الظلام ، سبق وطلب
انتسابه ودخوله الماسونية مختاراً ، وهو الآن آت ليكتسب
النور من هذا المحفل الموقر .

الحارس : هم يأمل هذا ؟ .

٥ المرشد : بطيب السيرة وحرية النسب .

ينقل الحارس هذا للرئيس ، المترجم على السدة - سده
سليمان - فيأمر بإدخال الطالب قاعة الحفل ، يقوده
المرشدان ، ويطوفان به سالكين طرقاً ملتوية . ولا يكاد
يتعثر حتى يقبلاً عشرته يوماً أن يمر على الصفوف وصاحب

١٠ السدة فيسألوا : من هذا وسم يأمل أن يرى النور ؟

ليجيب المرشد : بطيب السيرة وحرية النسب . حتى
يقولوا مرّ يا حر النسب .

ثم يوقف الطالب بين العمودين ، ويتعرض لأسئلة من
الرئيس ، وهذا يختمها قائلاً :

١٥ (أنت قادم على امتحان شديد ، ستقسم على الكتاب
المقدس بشرفك وذمتك ، وتوقع بمداد ذمك ، فهل
لاتزال مصراً ؟ ان معك وقتاً كافياً للتفكير ، ولك حنق
الانسحاب قبل القسم) .

أما الطالب فيظهر اصراره ويعلن رغبته والحاحه ، فيسقيه

٢٠ الرئيس كأساً من الماء العذب ، فكأساً من الماء المر ولا يكاد
يشمئز حتى يقول الرئيس :

((حياة الانسان معرضة للمرارة أيضاً فعليك أن ترضى

لتكون سعيداً)) .

ويأمر الرئيس بمسح يد الطالب بالتراب ، ويركسح
الطالب على ركبته اليسرى متخذاً من اليمين زاوية
قائمة ويستعد للقسم واضعاً يده على كتاب مقدس (عهد
قديم . انجيل . قرآن) وهو موضوع على منصة يعليه
الزاوية والبيكار .

(لقد طال مكوثك في الظلام ، والجمعية التي تحاول
الانتساب لها قد تكلفك آخر نقطة من دمك ، فهل
لاتزال مصراً على الانتساب) .

فان اجاب : نعم ، قيل له :

- ماذا تمنى الان ؟

- النور .

الرئيس : ليعط النور .

ولا يكاد يرفع الغطاء الأسود عن عيني الطالب حتى
يرى سيوفاً مسلولة موجهة الى قلبه ووجهه . وفي
هذه اللحظة يقول الرئيس :

(ان هذه السيوف ، للدفاع عنك عند الحاجة ، وللقتك
بك ان خنت عهدك ومواثيقك واقسامك ، والعبث
الذي في رقبتهك ، هو لخنقك ان بدا منك حركة
او اشارة تدل على النكث بالاقسام .

قبل لحظات كنت اجنبياً عن عشيرتنا وكنا نخاطبـك
ب (الطالب) . . . اما الان فقد أصبحت اخا ماسونياً
لك ما لجميع الاخوان وعليك ما عليهم .

ان صيغة العهد والطقوس والتكريس متشابهة لدى الماسونيين
والباطنية كما يبدو للقارئ الكريم من حيث المظهر . كما يلاحظ
التشابه في نقطة أخرى تتضح في نص الزعمي وهي أن الماسونيين
مع اصرارهم التنويه بأن المحفل محفل سليمان إلا أنهم لا يطلبون
من المستجيب الذي سياتي الى الدرجة الأولى حين يقسم الان يقسم
على القرآن اذا كان مسلماً وعلى العهد الجديد ان كان مسيحياً وعلى
العهد القديم ان كان يهودياً ، وفي هذه النقطة ما فيها لمن تدبره وهذا
معروف عند الباطنيين وسمونه " البناء على الاعتقاد السابق " . ان كلا
الطرفين لا يطلب من المستجيب التكرار الفوري لما كان يعتقد بل
ان الباطنيين قد يمتحنونه بذلك على سبيل التجربة (راجع ص ٣٣١)
ولكنهم لا يزالون يوحون اليه تدريجياً ان ما كان يعتقد في السابق
لا يتقبل منه كعقيدة وهذا ما يسمونه في الباطنية بالرضاع لانهم
يلقنونه علم الباطن حتى لا يؤمن بسواه وهو الترتيقي فسي الباطن . ومثل
ذلك في الماسونية نجد أنهم يفهمونه أنه في محفل سليمان منذ
اليوم الأول ولكنهم في تكريس الدرجة الثالثة والثلاثين لا يقبلون منه
القسم على القرآن الكريم مثلاً كما هو الحال في تكريس الدرجات الدنيا
بل لا بد ان يقسم على العهد القديم .
هناك نقطة أخرى وهي التشابه في التدرج الباطني ومثله الماسوني
بعد أخذ العهد على المستجيبين ، فالباطنيون كما قال الداعي
الكرماني .

١. انظر: الديلمي . قواعد عقائد آل محمد ص ص ٢٧ ، ٢٨ والغزالي
فضائح الباطنية ص ٢٣ ، وانظر : الداعي القاضي النعمان .
افتتاح الدعوة ص ١٥/٩
٢. انظر : الماسونية في العراء ص ١١٩

إذا استجاب الواحد منهم صار مؤمنا ثم صعد
فصار مكاسرا ثم صعد فصار ماذونا ثم صعد فصار
داعيا ، ثم صعد فصار حجة ، ثم صعد فصار
بأبا ولا يحصل ذلك الا الاحاد والأفراد ٠٠٠ وذلك
لمن صابر على العلم الالهية وربي في الدرجة
الدينية وكان عنده أيضا شيء من الأسرار القديمة
فبذلك يحوز بهذه الرتب^١ ؟

والماسونيين كذلك . فان الارتقاء في درجاتها انما يكون على مراحل
أيضا . ولنلاحظ أن هناك درجتين ماسونيتين يكون الوصول اليها من
الصعوبة بكان ولا بد فيهما من توفر شرطين في المزيد وهذان الشرطان
لا يبتعدان كثيرا عن شرطي الكرماني ؛ ١- الصابرة في العلم الالهية ؛
٢- أن يكون لدى الشخص شيء من الأسرار القديمة ؛ يقول الزعبي ؛ -
١- درجة الرفيع ؛ درجة فوقها المحفل الكونسي ؛
ودونها جميع الدرجات ٠٠٠ لا يطمع بها الا اليهود ،
ومن فازوا بالتهود ، بصعود الدرجات الماسونية
بكفاءة واخلاس لهيكل سليمان .

ظفر بها كثيرون ، لاسيما من الانكليز ، وكانت سبب استماتتهم
في سبيل الهيكل [هيكل سليمان] وحدثنا عنهم كتاب
العقد الملوكي بما نصه ؛

١. الداعي حاتم . رسالة بذر الحقائق (عادل العوا . المنتخبات) ص ص ؛
١٦٩ ، ١٧٠

* ذكر الزعبي أن هذا الكتاب من الكتب السرية الماسونية التي لاتسرها
يد العميان وأنظر في أمر العميان ؛ الماسونية في العراق ص ص ٧٨-٨١

وقد كان لأسرار هذه الدرجة تأثير عظيم على
جم غفير من الاخوان الانكليز ذوي النفوذ والأفكار
الحرّة ، الذين لا يزالون يحفظون اعتقادات اسرائيل
الأصلية ، إذ أن لنا اصدقاء دائمون [؟] هم
الانكليز وأعداء دائمون هم العرب وفي رأسهم
المصريون [كذا].^١

وعلى ذلك فإن التوافق بين الماسونية والباطنية ظاهر لا يحتاج
الى تنبيه خاصة فيما يأتي :-

- ١- العمود التي تؤخذ على المستجيب أو طالب الانتساب وفي المراسم
والطقوس المصاحبة لذلك عند كل
- ١٠
- ٢- التدرج في المراتب.
- ٣- السرية والكتمان .

سبب التوافق بين الماسونية والباطنية :

- ما هو سبب التوافق بين المذهبين الماسوني والباطني ؟ هل هو
المصادفة ؟ أم أن أسلوب الدعوات السرية القديمة (ر. ص ٣٥٠) أثر في
١٥ كلا الفريقين ؟ أم أن الماسونية قديمة قدم اليهودية ، وأنها هي التي
صنعت الفكر الباطني ؟ أم أن الماسونية تأثرت بأسلوب الدعوة الباطنية .
- ١- ان عنصر المصادفة غالبا لا يمكن أن يكون دليلا على التشابه والتوافق
لاسيما ما كان على نمط الباطنية والماسونية لانهما مظهر لافكار
ملأت حيزا مكانيا وزمانيا واسعا ، وعليه فإن عنصر المصادفة بعيد الاحتمال
 - ٢٠

على الأقل فيما نحن بصدده .

٢- أما كون الديانات السرية التي انتشرت في المنطقة هي المعنى الذي

استقى منه الباطنيين أسلوب الدعوة عندهم ، فهو موضوع جدير بالدراسة

لاسيما وأن هناك شبه تطابق بين مراتب الدعوة الباطنية ومثيلها

* ١ .

في الديانة الميثرائية .

٥ أن المرحلة الزمنية التي عاشتها الميثرائية - قبيل الاسلام - وعدم

استمرارها - كما تدل المراجع المتوفرة - كل هذا يؤدي إلى

التحفظ في إصدار حكم حول هذا الموضوع . والباحث يقترح في

حالة القيام بدراسة حول علاقة الماسونية والباطنية بالديانة

الميثرائية الأخذ بعين الاعتبار ما يأتي :-

١٠ أ - الفترة الزمنية التي ازدهرت فيها الميثرائية والتي اضمحلت فيها .

ب - منافسة الديانة المذكورة للمسيحية وتأثيرها فيها .

ج - الاتهام الذي وجهه السير "جون أ . هامرتن" أسقف كاندرائيه

القديس بولس بلندن لليهود الذين اعتبر ديانتهم مسئولية

١٥ عما وجد في المسيحية من آثار الديانة الفارسية .

د - ما ذكر من أن " جيبون " و " تونبي " أشار إلى دور اليهود في

هدم الحضارة الرومانية حين أثاروا الفساد في المجتمع الروماني

مما جعل بانهميار حضارتهم ، ومقارنة ذلك بما قيل عن انتشار

٥ الميثرائية بين الجنود الرومان .

٢٠ ٣- أن الاحتمال القائل بأن الماسونية قديمة قدم اليهودية يؤدي إلى

القول بأن الباطنيين ليسوا سوى حلقة في السلسلة الماسونية .

* الديانة الميثرائية ديانة فارسية ظهرت في المنطقة قديما .

١. انظر: ايمار وزميله روما - امبراطوريتها ، بيروت . عويدات ، ١٩٦٤ ، ص ٤١٥ .

٢. انظر: أحمد شلبي . المسيحية ، ط ٤ ، ص ٧٧ ، ص ١٥٤ .

٣. انظر: تاريخ العالم ج ٤ ، (الترجمة العربية) القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، ص ٧١ .

٤. انظر: أنور الجندي . المخططات التلمودية . في غزو الفكر الاسلامي بالقاهرة دارالاعتصام ، ١٩٧٧ ، ص ٢٠٧ - ٥ - انظر: تاريخ العالم ٧٤ / ٤

ويلاحظ عن يهودية الماسونية أن المستشرق الهولندي "دوزي"

عرف الماسونية بأنها:

جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية

واحدة هي إعادة الهيكل إذ هو رمز دولة اسرائيل^١.

٥ ان الماسونيين أنفسهم لم ينفوا هذه التهمة عنهم ؛ فقد أكد أحد كتبه

أن مقتل "حيرام" مهندس هيكل سليمان هو السبب الذي من أجله

وجدت الماسونية أي البنائون الأحرار^٢؛ كما قالت دائرة المعارف الماسونية

الأوربية (ط فيلادلفيا ١٩٠٦) أنه :-

يجب أن يكون كل محفل (ماسوني) على نمط

١٠ الهيكل اليهودي . وكل رئيس محفل يمثل ملكا

يهوديا ، وكل ماسوني هو تجسيد للفرد اليهودي^٣ .

واليهود أنفسهم يثبتون انتساب الماسونية اليهم ؛ فنجد في دائمة

المعارف اليهودية (٣ / ٤) أن :

لغة الماسونية الخفية وإشاراتنا ورموزها وطقوسها

١٥ كلها أفكار ومرادفات يهودية^٣ .

وكذا ما ذكرته صحيفة جويش تريبيون (نيويورك ٢٨ / ١٠ / ١٩٢٧) :

تعتمد الماسونية على اليهودية . اطح تعاليم

اليهودية ومبادئها من الطقوس الماسونية ، فماذا يبقى؟^٣

وقال اسحق م . وايزني (The Israelite) : ٣ / ٨ / ١٨٥٥) :

٢٠ ان الماسونية هي تنظيم يهودي ، تاريخها ، رتبها ، عقوباتها

كلمة السرا التي تستخدمها . . كلها يهودية . . ولكن باستثناء

رتبة ثانوية واحدة ، وعدد قليل من الكلمات التي تستعمل في

حالات طارئة نادرة^٣ .

١. الزعي . الماسونية في العراق ، ط ٢ ص ١٧
٢. انظر : الاصول الماسونية للمحافل المصرية الوطنية ، القاهرة ، مطبعة الاداب

١٨٨٩ ، ص ص ٢٩ - ٣٧

٣. زهدى الفاتح . اليهود ، ط الاولى ، بيروت ، ١٣٩٢ ، ص ١٦٢

لقد تبين للقارىء الكريم توافق الباطنية والماسونية وتوافق اليهودية
والماسونية بل ان اليهودية في الحقيقة هي صانعة الماسونية ، وعلى
ذلك لا يمكن استبعاد الفكرة القائلة ان الدعوة الباطنية ليست الا جناحا
ماسونيا في اصلها . وهذا يضعف الاحتمال الذي يعتبر الماسونية صنعة
باطنية استنادا على ما قيل من ان تأسيس الماسونية كان عام ١٧١٧ .

و يستخلص من كل ذلك ان كلا أسلوبى الدعوة الباطنية ، والماسونية
من المحتمل ان يكونا ناهيين من مصدر واحد هو المصدر اليهودي .



الفصل الثاني : الدعاة الباطنيون

ان التنظيم الباطني للدعاة في الحقيقة جزء من الدعوة الباطنية ، وقد تميز بالدقة المتناهية ما أثار الدهشة في كثير من الأوساط ، ولكن هذا التنظيم أثار إلى جانب ذلك تساؤلات عديدة نظرا لأنه سخر لخدمة أفكار متضاربة وعقيدة متنافرة المعالم اتضحت من خلال دراستنا لتلك العقيدة . وهدف هذا الفصل هو الاجابة على تلك التساؤلات من خلال ما يتييسر للباحث من مقدمات .

ان التنظيم الخاص بالدعاة الباطنيين في حد ذاته مما قد تسهل دراسته للوهلة الأولى ذلك أنه قد يركز على مفاهيم رياضية لا تقبل الجدل .

١٠ أما تاريخ أولئك الدعاة ، فإنه مليء بالسرية والحلقات المغسوبة في مختلف جوانبه الفكرية والحياتية ما يجعلنا نفتقد بعض المتعمسة أثناء سبر أغواره وقبل الحصول على نتائج .

التنظيم الخاص بالدعاة :

بالنسبة للفرق الغالية التي ظهرت قبل وفاة جعفر بن محمد (- ١٤٨)

١٥ فإنه من الصعب القول بوجود تنظيم خاص بدعاتها ، وما قيل عن الدعاة العباسيين لا يمكن مقارنته بما وصل إليه التنظيم عند الباطنيين الاسماعيليين بعد ذلك . وعليه فإن بداية تنظيم الدعاة الباطنيين لا يمكن تصورهما قبل " ميمون القداح " الذي تدعي المصادر الباطنية أنه تسلم كخالفة محمد بن اسماعيل بعد وفاة جده جعفر بن محمد (ر . ص ٤٣١) .

٢٠ وكذلك الأمر بالنسبة للبداية الحقيقية لتنظيم الدعاة ، لا يمكن مقارنتها بما تطور الأمر إليه بعد ذلك ففي " الرسالة الجامعة " نجد

صورة عن ذلك حين تقول : -

وقد أقمنا لكل طبقة من طبقات طوائف الأمة الذين
عمتهم دعوة الأنبياء^١ قوما يدعوهم اليها ويدلونهم عليها^١
ويعرفونهم بقدمونا^١ ، ويعدونهم بظهور أمرنا^١ .

ومع عدم إفعال ما يقوله الباطنيون بعد ذلك من أن الدعوة قديمة قدم

- ٥ البشرية ومقارنته بهذا النسب وقول " مصطفى غالب " عن مؤلف " الرسالة
الجامعة " أن في عهده انتقلت أنظمة الدعوة من دور التأسيس والتكوين
إلى طور العمل^٢ فان الباحث يحتمل أن التنظيم الخاص بالدعاة الباطنيين
تعرض لتغيرات مختلفة وليس هو ذلك الذي بدأت به هذه الفرق .

الدعاة الباطنيون والأعداد :

- ١٠ ان اعتماد الباطنيين على الأعداد معروف لدينا من قبل (ر. ص ١٩٩)
وان جانباً هاماً كجانب الدعوة والدعاة لابد أن يخضع أيضاً إلى
تنظيم له علاقة بالأعداد ، وقد قالت " الرسالة الجامعة " بدعاسة
سبعة الا أنها لم توضح ما يتبع كل داع من الأعوان وان أشارت إلى
وجود أعوان يتصل بعضهم ببعض كحبل طرفه بيد الله والطرف الآخر
بيد من تمسك به^٣ وهي إشارة مباشرة إلى أن فكرة الحبل المتصل بالله
هذه مما يعمل عليه الباطنيون ، ولا أستبعد أنها سبب لتسليم أبي عبدالله
الشيخي الأمر للمهدي عبيد الله .

- وذكر كتاب " استتار الامام " أن الدعاة الذين اجتمعوا في " معسكر
مكرم " لبحث أمر اختفاء امامهم " عبدالله الأكبر " كانوا سبعة نفره والحادثه
٢٠ مقدمة التاريخ وان كان مؤلف الكتاب متأخراً .

١. الرسالة الجامعة ص ٥٢٦
٢. انظر: اعلام الاسماعيليه ص ١١٠
٣. انظر: الرسالة الجامعة ص ٥٣١
٤. انظره في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ٩٣

ولا ننس أن " الطبري " ذكر في حوادث سنة ٢٧٨ أن المجهول الذي اتخذ من قرية " النهرين " بسواد الكوفة قاعدة له أقام لنفسه اثني عشر لقباً من المستجيبين له .

وأهمية السبعة والاثني عشر ليست بغريبة علينا في الفكر الباطني وهي جلية في تنظيم الدعاة .

ثمة شيء آخر وهو: رغم اعتراف " جعفر بن منصور اليميني " بأهمية العدد سبعة واثني عشر في مسألة الدعاة إلا أنه صرح بأن الامام الباطني قد يقوم بالدعوة بنفسه :

٢. بأن يقوم بمقام الحجة ومقامات الدعاة كلها .

١٠ ان الباحث سيأخذ هذا النص مأخذ الجد لاسيما وأن الظن وارد في أن كثيراً من محتويات هذا الكتاب تتحدث بلغة أقدم من الكتاب نفسه بحيث يبدو وكأنه لا يعبر إلا عن الفترة السابقة القديمة التي يسميها الباطنيون - دورالستر - .

وعلى ذلك يستبعد تماما ما قيل من أن الدعوة الباطنية في أول أيام القداحيين أو دورالستر . كانت منظمة ذلك التنظيم الذي كانت عليه بعد ذلك . ويؤيد هذا المذهب . قصة ملاقات منصور اليميني للامام الباطني على شاطئ الفرات ومباشرة الامام نفسه مهمة الداعي المكاسر له (ر. ص ٣٢٨) وهي أدنى درجات الدعاة

كما يؤكد ذلك ما رواه ابن النديم عن كتاب ابن رزام من أن القداحيين كانوا يقومون بجولات في مختلف البلاد ويختلف الأساليب للدعوة التي الباطنية . وقد أكد برنارد لويس هذه النقطة .

-
١. تاريخ الطبري ١٠ / ص ٢٤
 ٢. مخطوطة الشواهد والبيان ص ٩٤ وأنظر أيضا ص ص ٦١ ٦١ ٩٣
 ٣. انظر ابن النديم ص ص ٢٧٨ ٢٧٩ .
 ٤. انظر: اصول الاسماعيلية ص ٥٩ .

أما ما ذكره ابن النديم أيضا عن وجود عملاء لميمون القذاح في جميع
البلاد يبعثون إليه الأخبار بواسطة الطيور ليخرق على الناس بها ،
فليس دليلا على انتشار الدعوة كما أنه ليس دليلا على التنظيم الدقيق
لهذه الدعوة بمعنى أن وجود العملاء المذكورين لا يعني بالضرورة أن يكونوا
دعاة مدربين صنعمهم القذاحي لغرض الدعوة ونشرها في البلاد بل كانوا
من المؤسسين للفكرة الباطنية أو المساهمين في تأسيسها ومهمتهم ليس
نشرها بقدر رغبتهم في تكوين قاعدة ثابتة تكون مركزا للدعوة ومنطلقا
لها والباطنيون يطلقون على قاعدة الانطلاق - دار الهجرة - أي أنهم
يشبهون الأئمة بالرسول (ص) حينما هاجر بأمر الله إلى المدينة فكانت
عاصمة الاسلام الأولى .

وللباحث أن يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول ان التنظيم الخاص
بالدعاة لم يكن على تلك المثالية المتصورة حتى خروج " مهيد الله
المهدي " إلى المغرب ، لأنه حين خرج من " سلمية " لم يكن معه من
الدعاة سوى فيروز أخسى دعائه وهذا أيضا هرب إلى اليمن وتخلّى هـنـن
المهدي بعد وصولهم إلى مصر ، مما يدل على أنه وان يكن للباطنيين
دعاة متفرقون في أنحاء من البلاد الاسلامية إلا أنهم لا يكونون بأي حال
تلك الشبكة المعقدة التي أشار إليها بعض الكتاب ، وهذا يصدق
على الفترة المتقدمة على الأقل .

ومعنى ذلك أن الدعوة الباطنية لم تستطع الطفو على سطح الأحدا^ث
قبل منتصف القرن الثالث حين استطاعت تكوين الجيل الأول للدعاة
من بين الاشخاص الذين كان زعيمهم يتلقظهم سرا من بين المسلمين . وهذا
يتفق تماما مع ما ذهب إليه بعض المحققين المسلمين حين يقول -

١. انظر: سيرة جعفر الحاجب . مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ج ٢
ديسمبر ١٩٣٦ ، ص ١١٠ ، ص ١١٤ .

أهلم أن ابتداء وضع مذهب الباطنية ، كان سنة
خمسين ومائتين من الهجرة ، وضعه قوم تطاهقوا، وكان
في قلوبهم بغض للإسلام وبغض للنبي عليه السلام
من الفلاسفة والملحدة والمجوس واليهود ليساخوا
الناس عن الإسلام بعد قوته .

وتحديد التاريخ بهذه السنة - خمسين ومائتين - لا يدل إلا على
الفترة التي نشطت الدعوة فيها في غالب الظن أما تأسيس المذهب
الباطني فهو قبل هذا التاريخ بلا شك .

- وله فان أول نجاح حققته الباطنية كان على يد الجيل الأول من
دعاتها - ولا أفتى مؤسسها - الذين لم تكن لهم أية علاقة بالعدددين
سبعة واثني عشر بل هم أقل من ذلك فكانوا السبب المباشر في تغيير
مجرى الأحداث لصالح الباطنية ، وهؤلاء هم : منصور بن الفرج
ابن حوشب الشهير بمنصور الهمن وزميله علي بن الفضل الجدني اللذان
أرسلا من الكوفة إلى اليمن سنة ٢٦٧ ، وحمدان قرمط الذي ظهر في
سواد الكوفة بعد سنة ٢٧٨ وأبو عبد الله الشيعسي الذي تلمذ على
يد ابن حوشب وظهر في المغرب سنة ٢٨٠ .

- وما يخص أبا عبد الله الشيعسي من حيث تلمذته على يد منصور الهمن
ثم إرساله إلى المغرب إنما هو دليل على أن العقول التي خططت لظهور
دولة الباطنية لم تساهم في الجانب العملي من الدعوة بقدر التخطيط
الخفي الذي كان يمارس من وراء حجاب ، فجنبت هذه الفئة الثمار القريبة
والبعيدة ، وهي في منأى عن مسن الأحداث . والقاضي عبد الجبار المعتزلي
يصور لنا صورة تؤيد هذا الرأي حين يقول :-

- فلما صار أبو طاهر إلى البحرين ، سلم الأمر
إلى ذكيرة الأصفهاني المجوسي وجمع الناس بالبحرين ،
وقال : معشر الناس انا كنا ندخل عليكم بحسب أهوائكم ،
مرة بمحمد ومرة بعلي ومرة بإسماعيل بن جعفر ومرة
بمحمد بن اسماعيل ، وبالمهدي ، وهذا كله باطل ،
وهو سر كلنا نكتمه ومن قبلنا منذ ستين سنة ، واليوم قد
أظهرناه ، وهذا الهنا والهكم وربنا وربكم يعني ذكيرة ،
.. ثم قال معشر الدعاة والخاصة ، اذكروا ما عندكم ،
فذكروا معنى ما جرى بين عبد الله بن ميمون بن ديصان
ابن سعيد الفضبان وبين محمد بن الحسين بن جهمار
بخنان المعروف ببندار من إهمال الحيلة على المسلمين ،
والتستر بالشيعة فاذا وقع التمكن صاروا في
ملك وسيف أظهروا تكذيب الأنبياء ، وتعطيل
الشرائع وقتلوا المسلمين .
وليست حادثة التسليم إلى ذكيرة - شخص غير زكرويه بن مهرويه الباطني
الشهير - ليست بدعا في التاريخ الباطني ؛ بل هي تشبه تماما تسليم
أبي عبد الله الشيعي الأمر إلى عبيد الله المهدي باعتباره المهدي المنتظر ،
مع الفارق الواضح بين القصتين . وكان من الممكن أن تتكرر عملية
التسليم أو أن تحدث في اليمن على يد ^{اليمن} منصور ، أما لذكيرة أو لعبيد
الله المهدي أو لشخص غيرهما .

- وهذا يحد ذاته يعني أن جيل الدعاة الباطنيين الأول كان
صنعة المؤسسين الخفيين للدعوة الباطنية ، فكانوا مخالبا قط
لهم ، أما أولئك المؤسسون فقد أظهر التاريخ بعضا منهم مثل
ميمون القداح وذريته ومثل ذكيرة . ولكن بقيتهم ما طواه النسيان أو الكتمان
على الترجيح . لأن من المؤكد والحالة هذه أن مؤسسي الدعوة
الباطنية كانوا جماعة ، وهذه الجماعة لاطلاقة لها على ما يبدو
بالتنظيم الذي ظهر عند الباطنيين بعد ذلك للدعاة ذاك الذي يعتمد
على اعداد معينة . وقد تأكد ذلك بالمراجع الباطنية التي لم
تستطع اثبات التنظيم الرقمي للدعاة في الفترة المتقدمة . وقد أخفت
١٠ تلك المراجع أشخاصا وأظهرت آخرين ما يدل على أنه لا حاجة
لمن يقول بأن تلك الفترة سرية فكيف عرفنا دعاة اليمن والقداحيين
مثلا ؟ .

- قد تبرز في المستقبل فرضيات تعلل عدم اقامة الباطنيين دولا لهم
أو سلطات في قوة الدول في أماكن أخرى من العالم الاسلامي - غير
١٥ ماكان في المغرب والشام واليمن وشرق الجزيرة العربية - الا أن تلك
الفرضيات المتوقعة تظل في حاجة الى مقدمات أخرى تملور ما ثمسوه
من حقائق حول الدعاة الباطنيين .

مراتب الدعاة الباطنيين :

- اعتمدت مراتب الدعاة الباطنيين في تنظيمها على المراتب التصاعديسة
٢٠ انطلاقا من المبدأ الباطني القائل بأن العلاقة بين العبد وربه لا تكون
الا بواسطة
فالباطنيون لا يؤمنون بأى علاقة بين
العبد وربه الا عن طريق الوساطة . والمبدأ يحد ذاته يخالف العقيدة
الاسلامية كما جاء بها القرآن الكريم ؛ قال تعالى (والذين اتخذوا من دونه

* أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)

فمن علاقة ذلك بمبدأ الوساطة اعتبروا المستجيب (ر ص ٣٣٢)

وهو أدنى الحدود يتصل بالله عن طريق الدعاء الذين ،

يتصل بعضهم ببعض كحبل ممدود طرفه بيئد

الله عزوجل وطرفه الآخر بيد من تمسك به .

وفي هذا المجال كتب الباحثون عدة مقالات منها ما كتبه " محمد كامل

حسين " عن الدعاء خلال دراسته لكتاب " ديوان المؤيد في الدين داعي

الدعاة " واعتمد فيه على مراجع باطنية . وكان خلاصة ما كتب ،

١- ان هناك واسطة بين الله تعالى والنبي وهي الحدود الروحانية وروا في

١٠ ذلك حديثا عن النبي (ص) أنه قال : " بيني وبين الله خمس وسائل

جبريل وميكائيل واسرافيل والروح والقلم " واسماؤها بالاصطلاح الباطني

٣ : السابق والتالي والخيال والجد والفتح .

٢- هناك خمسة حدود تسمى الجسمانية تقابل الخمسة الروحانية ،

واختلف الباطنيون في هذه الحدود على ما يلي :-

١٥ كتاب الفترات والقرانات ١ ٢ ٣ ٤ ٥
الناطق الأساس الامام الحجة الداعي

كتاب سرائر النطق الأساس الامام الباب الحجة الداعي

كتاب الجواهر المؤيدية النبي الوصي الامام الحجة الداعي

كتاب تأويل الدعائم النبي الوصي باب الأبواب النقباء دعاة القبائل

أو الامام أو الحجة أو داعي أو أصحاب
الدعاة الجزائر

٢٠ وفي مقدمته لتحقيق كتاب " تأويل الدعائم للقاضي النعمان " كتب محمد

حسن الأعظمي وهو أحد البهرة الباطنيين يقول عن الدعاء الباطنيين :-

* الزمر ٣
١. الرسالة الجامعة ص ٥٣١
٢. انظره ص ص ٥١ ٥٢٤
٣. انظر ذلك أيضا في : الأنوار اللطيفة (الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ٨٩ .

- ١- الناطق ؛ وهو الرسول من أولي العزم مرموز اليه بحرف (ن) .
 - ٢- الوصي ؛ وهو الوزير الأيمن للناطق ورموز اليه بحرف (و) .
 - ٣- الامام ومن بعده ؛ يعتبر كل منهم هاديا في زمنه حتى يختتم ذلك الدور - ورموز اليه بحرف (ا) .
 - ٤- الحجة ؛ هو في مكانته ومنصبه للامام بمثابة الوصي للناطق ورموز اليه بحرف (ح) .
 - ٥- باب الأبواب أو داعي الدعاة هو دون الحجة وفوق الدعاة ورموز اليه بحرف (ب) .
 - ٦- داعي البلاغ ؛ هو الذي يلي داعي الدعاة وأعلى من بقية الدعاة مرموز اليه بحرف (غ) .
 - ٧- الداعي المطلق ؛ يلي داعي البلاغ وهو النائب عن الامام في دور الاستتار ورموز اليه بحرف (ق) .
 - ٨- المأذون ؛ خليفة الداعي المطلق ونائبه في دور الاستتار ورموز اليه بحرف (ذ) .
 - ٩- المكاسر ؛ وهو التالي للمأذون في دور الاستتار ورموز اليه بحرف (م) .
 - ١٠- المستجيب ؛ وهو المؤمن الكامل مرموز اليه بحرف (ج) .
- ويعتبر مصطفى غالب - وهو من نزارية سورية - احد الذين كتبوا في تنظيم الدعاة الباطنيين ومع أنه استعمل بعض المصادر الباطنية الا أنه رتب الدعاة على طريقته الخاصة - مثل محمد حسن الأعظمي الذي اضاف الى ترتيبه ما يقتضيه حال الباطنيين البوهرة اليوم - فقسم الدعاة الى مجموعتين -

١ - كبار الدعاة الذين كانوا يلازمون مركز الامامة وهم كما يلي :

١- مرتبة (الباب) وهي اعلا المراتب كلها وهي مرتبة سرية
للفاية .

٢- مرتبة الحجة .

٣- مرتبة داعي البلاغ .

٤- مرتبة داعي الدعوة ؛ وهي اعلى مرتبة ظاهرة .

ب- وهناك الترتيبات العامة الرئيسية والتقسيمات التي تعتبر الاساس

الذي اقيم عليه جهاز أنظمة الدعوة وهي :-

١- الناطق وله رتبة التنزيل .

٢- الاساس وله رتبة التأويل .

٣- الامام وله رتبة الامر .

٤- الباب وله رتبة فصل الخطاب .

٥- الحجة وله رتبة الحكم فيما كان حقا أو باطلا .

٦- داعي البلاغ وله رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد .

٧- الداعي المطلق وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبارة .

الباطنية .

٨- الداعي المحدود وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة

الظاهرة .

٩- المأذون المطلق وله رتبة أخذ العهد والميثاق .

١٠- المأذون المحدود وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة وهو

المكاسر .

١١- لاحق } ولهما رتبة مؤازرة المأذون المحدود والقيام بمهمته
١٢- الجناح } أثناء الغياب .

ان هذا التقسيم يوافق ما جاء في أحد كتب المستعلية^١ .

وقال عارف تامر وهو نزارى أيضا .

ان الدعوة الباطنية مؤلفة من اثني عشر شخصا وهم حسب

الترتيب :

٥ ناطق أساس امام حجة باب داع ثم لاحق جناح
مكاسر مستجيب^٢ .

ويلاحظ ان تقسيم مصطفى غالب يخالف تقسيم عارف تامر مع ان كليهما

نزارى بمعنى^٣ انهما يأخذان من معين واحد ، وخلافهما البين يوضح لنا

البون الشاسع الذي بين المصادر الباطنية وما كان ملها على عقيدة

١٠ واحدة بالذات ، وقد لاحظ مصطفى غالب ذلك الاختلاف فحاول تبريره

بما يأتي :-

ان بعض الاختلافات البسيطة ؟ في أسماء ورتب

بعض الدعاة ، قد يجدها الباحث في بعض الكتب

الاسماعيلية ، ولربما كان مرد هذا الاختلاف الى ظروف

١٥ وأسباب خاصة ، أو نتيجة لعدم تعمق المؤلف

ووقوفه على التمييز بين كل واحد وآخر . الا ان كتب

الحقيقة السرية التي ألفها كبار الدعاة والعلماء والفلاسفة

تتفق مع التنظيمات التي ذكرناها آنفا ، واذا صـ

وجدت تنظيمات مخالفة لما أوردناه وذكرناه فهي لاشك

٢٠ وليدة تعليقات لاتنسجم مع واقع الحقيقة ، لأن التنظيمات

التي ذكرناها ظلت باقية ومعمول بها حتى نهاية العهد^٣

الفاطمي في مصر .

١. انظره مسائل مجموعة من الحقائق العالية (ايفانوف . أربعة كتب) ص ٨٢

٢. مقدمته في أربع رسائل اسماعيلية ص ١٣

٣. أعلام الاسماعيلية ص ٢٥

- بعد هذا التضارب في تنظيم مراتب الدعاة ، ومع عدم اغفال براعة التنظيم واستغلال الباطنيين له أوسع استغلال مما ساهم في نشر دعوتهم ؛ لابد من الاشارة الى أن الباطنيين يدعون أن التنظيم هذا الهنيء نُظِمَ في العالم العلوي السماوي قبل هذا العالم السفلي عالم الكون والفساد كما يسمونه ههنا يمكن طرح سؤال هام وهو أى التنظيمات الباطنية الذي جاء من عند الله مع ما رأينا من اختلافها وتضاربها ؟
- ٥ ألا تكون الاجابة على هذا السؤال أن الدعاة الذين تعاقبوا على أمر هذه الدعوة هم الذين أوجدوا هذه التنظيمات المختلفة ونسبوهما الى الله ؟ وبالتالي ألا يكون ذلك دليلا على أن الظروف والأهواء هي التي تتحكم في العقيدة الباطنية — وتنظيم الدعاة عنصرا أساسيا فيها ؟ — لغرض لا يغيب عن كل فطن لبيب ؛ وهو هدم كيان الديين الاسلامي كي ينحرف المسلمون عنه ويتبعوا عقيدة ليست لهؤلاء ولا لؤلئك . وعلى كل حال فانه لزاما على الباحث من الناحية العلمية التزهيمة النظر بعمق من أجل التعرف على عمل كل داع ومهمته ، ولا بد من الاشارة الى أن مراتب النبي والوصي والامام والمستجيب لاتهمنا في هذا الفصل ، والمهم هو مراتب الدعاة الباطنيين فهي تتكون من —
- ١٠ ١- الحجة ؛ ويطلق الباطنيون هذا اللفظ على كبار الدعاة الأربعة وأعظمهم " الباب " ورابعهم " داعي البلاغ " أما اذا خصص هذا اللفظ فهو يعني ثاني الحدود بعد الامام الا أن بعض المراجع الباطنية السابق الاستشهاد بها اعتبرته في المرتبة التالية للامام ، وهذا يدل على أن خلافا ما حول هذا الموضوع أو تنافسا بين مركز الحجة ومركز الباب في القرب من الامام . والحجة أحد سموات الدين الباطني ، كما أنه قد ينصب الامام أو الناطق لأن مريم بنت عمران تعتبر حجة باطنية أمرت عيسى بن مريم بالقيام ، واعتبروا أيضا كلا من خديجة
- ١٥
- ٢٠

بنت خويلد وفاطمة الزهراء في مرتبة الحجة لكل من النبي (ص) وعلي
ابن أبي طالب علي التوالي^١ وليس هذا مجال مناقشة ذلك . والمهم من
أمر الحجة أنه أحد كبار الدعاة الملازمين للإمام كما أشار مصطفى غالب
إلى ذلك .

٥ ذكرت بعض كتب الباطنيين أنه في فترة الاستتار اضطر الحجج التي
أن يتسموا باسم الامام حتى صار للإمام عدة أسماء^٢ ، وبذلك اختلطت
أسماء الحجج بأسماء الأئمة بزعمهم ، ومنهم ، ميمون القداح وابنه عبدالله
بن ميمون^٣

وعليه فإن المراجع الباطنية المتقدمة تشبه الحجة بالقمر يضيئي^٤
في الليالي أي أيام دور السترة كناية عن ظهوره فيها . ولكن المتأخرين
منهم يشبهونه بالليل وهو يدل على اختفائه في أدوار السترة وقد ذكر
مصطفى غالب أن الحجة من المراتب السرية للغاية ، وعلى هذا
يسير الباطنيون اليوم ، فإن أعلى مرتبة في الدعوة الباطنية عند البوهرة اليوم
هي مرتبة الداعي المطلق ومرتبته أقل بكثير من مرتبة الحجة .

١٥ يمكن القول أن مرتبة الحجة وما شاكلها من المراتب السرية إنما هي
ثياب فصلت في عصور متأخرة ليرتديها قوم هلكوا من قبل وذلك لمدارات
ما انكشف من حقيقة الدعوة الباطنية . لأن الحقيقة أن جميع المراتب
سرية ولكن ما حيلتهم بعد أن انكشف أمر القداحيين بحيث لا يمكن ستره

١. انظر: مسائل مجموعة من الحقائق ورسالة تحفة المرئاد ورسالة الاسم
الاعظم . (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٢٨ ، ٨٢ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١١٤
١١٧ ، ١٦٤ ، ١٧٦ وانظر أعلام الاسماعيليين ص ٢٤ .
٢. انظر: مخطوطة الشواهد والبيان ص ٩١
٣. انظر: مخطوطة حياة الأحرار ق ٦
٤. انظر: مخطوطة الشواهد والبيان ص ٩١
٥. انظر: مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١١٤

الا ان يقولوا انهم حجج تسما باسم الائمة او تسمى الائمة باسمهم .

٢- الباب : تعتبره بعض المراجع اول شخصية بعد الامام ، بينما اعتبره البعض الاخر بعد الحجة وقد سبقت الاشارة الى ذلك ومن خلال ما كتب مصطفى غالب يمكن أن تتعرف

على هذه المرتبة ، فقد كتب يقول :-

وهناك مرتبة سرية اخرى هي مرتبة "باب الابواب"

ولا يعرف شاغل هذه المرتبة الا الامام نفسه . وقد

وصف احد الدعاة الاسماعيلية العلماء هذه المرتبة

بقوله " وحد الباب هو من الحدود الصفة اللباب

فهو افضل الحدود وهو حد العصمة ولا ينتهي

الى ذلك الا الاحاد الافراد ."

ويقول آخر : " باب الابواب هو باب صاحب الزمان

الذي يؤتى منه وحجته على الخلق وحامل علمه وصاحب

دعوتهم مرتبة باب الابواب او الباب فقط من ارفع

مراتب الدعوة وتلي مرتبة الامام الدينية مباشرة وهي

مرتبة سرية للغاية .^١

ويبدو ان هناك التسابسا ما في الموضوع ؛ لان بعض الراء الباطنية

تحت صيرورة الباب اماما بعد الامام ولعل الامر يتضح اذا علمنا ان هناك

بابا اعظم غير الباب وهو الذي يكون اماما وهو اعلى الحجج الاربعة الحرم ،^٣

بل ربما كان هناك ابواب اخرى لان الاسطورة الباطنية تقول ان عبدالمطلب

١. اعلام الاسماعيلية ص ٢٣

٢. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شترثمان . اربعة كتب) ص ٨

٣. انظر :

ابن هاشم جد النبي (ص) أقام بابين من فضله أبوابه ، والخلاصة أن
هناك بابا يصير اماما وآخر لا يصير كذلك ، فانهم يقولون ان ابراهيم نصب
ابنه اسحق بابا على المقام العالي الذي هو اسماعيل^١ الذبيح ، واسحق
هنا بالتعبير الباطني امام مستودع أي ليس الامام الحقيقي وهذا يذهب
بنا الى مسألة الامامة المستقرة والمستودعة التي كانت من عجائب الدعوة
الباطنية وأوجدت من المشاكل الخلافية بين المحققين الشيء الكثير
خاصة ما يتصل منها بالنسب الفاطمي

٣- داعي البلاغ؛ وصف الداعي الكرمانى داعي البلاغ بأن له رتبة
الاحتجاج وتعريف المعاد ان هذا التعريف ، قد لا يدلنا على شخصية
داعي البلاغ الا أن يكون المقصود به أنه مختص بتجهيز حجج الباطنيين
التي يواجهون خصومهم بها ، أما ما يختص بتعريف المعاد فان الباطنيين
لا يؤمنون بالمعاد على أنه البعث بعد الموت بل عودة كل شيء الى
أصله الذي تكون منه (ر. ص ٢٩٢) فهل معنى ذلك أن داعي البلاغ
يوضح ذلك ؟ لا أعتقد لأن هذا يستدعي أن يكون الفكر الباطني موحد
المصدر ، أما ما هو عليه الآن من تنافر وتضارب فهو يدل على عكس ما ذكر .

١٥ ومن ناحية أخرى فان في مدلول كلمة البلاغ ما قد يشير الى أهمية
لداعي البلاغ غير ما ذكر . وهي تتعلق بما ذكره " ابن النديم " عن " كتب
البلاغ السبعة " وأن سابعها الذي فيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر^٣
وكذا بما ذكره " ايفانوف " عن " كتاب البلاغ والنهاية في التوحيد " وهو
من كتب الدور ، وحينئذ تصبح كلمة " البلاغ " تعني " البلوغ " أو الوصول .

١. انظر: رسالة تحفة المراد (شترثمان . أربعة كتب) ص ص ١٦٤ ٤

١٦٧ ٤ ١٦٨ .

٢. كتاب راحة العقل ، أنظر النص في أدب مصر الفاطمية ط ٢ ص ٤٠
وأنظر أيضا اعلام الاسماعيليه ص ص ١٨ - ٢٠

٣. انظر: الفهرست ص ٢٨٢

٤. انظر:

ان "داعي البلاغ" لم يحظ بالتفصيل في المصادر الباطنية ، وعليه
فان ايراد التّفّ التي تحدثت عنه في تلك المصادر يصبح ذا أهمية
ففي أحدها نجد أن أجساد الأنبياء والأئمة المتوفين تتصل فيمن
تتصل بهم "بدعاة البلاغ" وأن داعي البلاغ أحد الحدود السبعة المتة -

٥ تراجع في النهى لدور الامام ، كما ورد في آخر أن "داعي البلاغ"
يستتر استتار الامام ، شأنه في ذلك شأن الحجة والباب ، وفي مصدر
آخر أنه كان لابراهيم الخليل ثلاثون داعي بلاغ ، وذكر الداعي ادريس
أن أولاد اسحق هم القائون بالبلاغ والابلاغ

ان ذلك كله لم يزدنا شيئا عن "داعي البلاغ" الا الغموض بالضم

١٠ من أن كلا من "الباب" والحجة اللذين هما أعلى من "داعي البلاغ"
وأرفع قد حظيا بنصيب أوفى من الاهتمام في المراجع الباطنية وقد
تنبه "محمد كامل حسين" إلى ذلك فقال :-

مرتبة "داعي البلاغ" التي قيل انها مرتبة

الاحتجاج بالبرهان في اثبات الحدود العلوية ومراتبها

١٥ وتعريف المعاد ، فهي من المراتب السرية التي في مركز

القيادة العليا ، ولم يفصل مؤرخوا الاسماعيليين

وعلاؤها أمر هذه المرتبة .

٤- داعي الدعاة : ان الذي يظهر أن هذه المرتبة لم توجد قبل ظهور

الدولة السعيدية رغم ما قيل عن الداعي فيروز (ص ٤١٨)

١. انظر: مسائل مجموعة من الحقائق العالية . (شترثمان . أربعة كتب) ص ص

٨٢ ٥٥٦

٢. انظر: تحفة المرتاد (شترثمان . أربعة كتب) ص ١٧٥

٣. انظر: مخطوطة مجالس الحكمة ق ٦

٤. انظر: زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص

٥. الاسماعيلية ص ١٤٢

وعلى ذلك يمكننا أن نعتبر القاضي النعمان أول من تقلد هذا المنصب ، وهذا يعني اذاصح أن ترتيب الدعاة وسمياتهم تعرضت الى التبدل والحذف والاضافة على مر التاريخ الباطني للدعوة .

وقد حظي " داعي الدعاة " - ربما لأن مرتبته غير سرية - بدراسات وبحوث لعل أفضلها ما كتبه " محمد كامل حسين " في مقدمته لكتاب ديوان المؤيد في الدين ، قائلا في ختام بحثه :

أما عمل داعي الدعاة فهو الاشراف على كل شيء ، يختص بالدعوة وعقد مجالسها بالقصر أو دار العلم فكان داعي الدعاة يكتب ما يلقي في هذه المجالس ثم يوقع عليه الخليفة ، ويقرأها الداعي على انهما صادرة من الخليفة نفسه .

ومعنى ذلك أن جميع ما يقوله داعي الدعاة يكون الخليفة أو الاسم مسئولاً عنه ولومن الناحية الشكلية لتوقيع عليه .

ومن تقلد منصب داعي الدعاة : القاضي النعمان ، والداعي جعفر بن منصور اليماني الذي كان يقال ان النعمان كان يقبل قدميه ، والداعي الكرمانلي ، والداعي المؤيد في الدين ، والداعي الحلبي : وقد كان لهؤلاء نتاج فكري ذواتر بالغ في العقائد الباطنية .

٥- دعاة الجزائر ، كلمة الجزائر وردت كثيرا في كتب الدعاة الباطنيين ،

وهي لاتعني الاصطلاح الجغرافي بقدر ما تعني تقسيما خلاصا بهم يفيد

٢٠ ما يمكن أن نسميه اليم المنطقة أو الاقليم أو ما شابه ذلك ؛ وبعبارة أدق يمكن القول : ان الجزيرة في اصطلاح الدعاة الباطنيين تعني جزءا كبيرا من العالم

١. ديوان المؤيد في الدين . المقدمة ، ص ٥٧ وانظر بالتفصيل من

فقد قسموا العالم الى اثنتي عشرة جزيرة ، ونصبوا على كل جزيرة من تلك الجزائر داعيا سموه داعي الجزيرة ، ولقب داعي الدعاة بطلسق على داعي الجزيرة التي يقيم فيها الامام ، كما يقول الداعي الحارثي وذكر محمد كامل حسين * أنه حاول التعرف على أسماء تلك الجزائر فلم يستطع رغم توفر الكثير من المصادر الاسماعيلية لديه مما اضطره الى الرجوع الى ما كتبه " ايفانوف " حول أسماء تلك الجزائر وهي : العرب ، الترك ، البربر ، الزنج ، الحبشة ، الخزر ، الصين ، فارس ، السوم ، الصقالبة ، وذكر الكاتب الباطني التزاري مصطفى غالب أسماء تلك الجزائر موافقا لما ذكر محمد كامل حسين عن ايفانوف .

ولكن الباحث عثر على أسماء تلك الجزائر في أكثر من مرجع باطني مثل تأويل الدعائم للقاضي النعمان والأنوار اللطيفة للداعي حاتم ابن ابراهيم ، وفي مخطوطة حياة الأحرار ذكر أن الجزائر هي : اليمن ، الهند ، السند ، الصين ، الحبشة ، الزنج ، الخزر ، الديلم ، البربر ، الترك ، الصقالبة ، الروم .

وأما القاضي النعمان فقد ذكر جزيرة النوبة بدلا من الزنج ، والديلم بدلا من فارس كما فعل صاحب حياة الأحرار ، وقد ذكرت بعض المراجع أن الداعي الكرمانبي كان حجة العراقيين ، ولا أظن ذلك مما له علاقة بالجزائر . وقد كان المؤيد في الدين داعيا لجزيرة الديلم . ان دعاء الجزائر على ما يظهر يمثلون أشهر السنة الاثني عشر وهذا ما سيتضح حين نتحدث بالتفصيل عن المنظمة التي تتبع داعي الجزيرة .

١. انظر: الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٠٢
٢. انظر: في أدب مصر الفاطمية ط ٢ ص ٧٨
٣. انظر: مقدمة أعلام الاسماعيلية ص ٢٠
٤. مخطوطة حياة الأحرار ق ٦١ أ
٥. تأويل الدعائم ٧٤/٢
٦. انظر: المؤيد في الدين . السيرة المؤيدية ص ٩

منظمة داعي الجزيرة : ان داعي كل جزيرة في نظام الدعوة الباطنية له جهاز كامل من الدعاة يمكننا أن نطلق عليه " منظمة داعي الجزيرة " ويتكسون هذا الجهاز من عدد كبير من الدعاة على أن الذين يتبعونه مباشرة ثلاثون داعيا وقد يطلق عليهم النقباء :

٥ هم قوته التي يستعين بها في مجابهة الخصوم ،
وهم عيونها التي بها يعرف أسرار الخاصة والعامة ،
فكانوا بمثابة وزراءه . ومستشاريه في كل ما يتعلق
بجزيرته

١٠ لكل داع نقيب أربعة وعشرون داعيا ، منهم اثني عشر
داعيا مظهر كظهور الشمس بالنهار واثني عشر
داعيا محجوبا مستترا استتار الشمس بالليل .

١٥ فدعاة النهار الاثني عشر في كل جزيرة ، كانوا
يعرفون بالمكاسرين أو المكالبيين وهم أصغر طبقة فسي
درجات الدعاة وعلى عاتق المكالب تقع مهمة مجادلة
العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس .

وهكذا يتضح أن دعاة الجزرهم الذين يمثلون السنة التي تتكون من
اثني عشر شهرا والدعاة " النقباء " يمثلون أيام هذا الشهر وهم ثلاثون كما
سبق بذلك النص ولكل منهم أربعة وعشرون داعيا ككلية عن ساعات اليوم
الزمني الواحد .

٢٠ ان هذه السلسلة من الدعاة يتبع كل منهم الذي هو أعلى منه فلا يتحرك
ولا يسكن الا بأمره وليس بعيدا أن يكون المسؤول عن دعاة الجزائر هو داعي
الدعاة كما تقدم (رصص ٣٧٠)

أما الدعاة الثلاثة الذين سبق ذكرهم غير داعي الدعاة وهم : الحجة
(ر.ص ٣٦٤) والباب (ر.ص ٣٦٦) وداعي البلاغ (ر.ص ٣٦٧) فهم
وان كانوا من ضمن جهاز الدعوة الا أنه لا علاقة لهم كما يظهر بدعاة الجزائر
بقدر ما لهم علاقة بالامام . شأنهم في ذلك شأن حجج الليل .

٥ حجج الليل : ان اصطلاح حجج الليل ما ذكره الداعي الحارثي
(- ٥٨٤) وهو يدل به على اثني عشر داعيا يختارهم الامام ويتركهم بحضرته
لا يفارقونه ، وتسميتهم " بحجج الليل " تميزا لهم عن " حجج النهار " الذين
هم " دعاة الجزائر " ، و " حجج الليل هم -

أهل الحقائق السانية لا يدخلوا [كذا] تحت التكاليف

١٠ لانهم قد قاموا بذلك قبل التصريف وهم أهل العصمة
وأبواب الرحمة وهم الملائكة المقربون الذين لا يعصون
امامهم ويفعلون ما يؤمرهم ولكل واحد منهم جناحين
[كذا] يظللون بهم على الفريقين وجعلتهم أربع وعشرون تنير
بهم النواظر والعيون وهم أبوابهم أيضا يفيض من قبلهم
١٥ العلم فيضا ففيضا باب للعلم الظاهر وباب للعلم
الباطني الباهر .

وقال الداعي الحارثي عن حجج الليل انهم :

هم أهل الباطن المحض المرفوع عنهم في أدوار الستر

٣ التكاليف الظاهرة لعلو درجاتهم .

٢٠ ويظهر أنهم يمثلون مجلسا خاصا بالامام له علاقة ما بالدعوة الباطنية
وقد تميزوا بأنهم غير مكلفين أي أنهم لا صلاة عليهم ولا زكاة ولا صوم ولا حج

١. انظر: الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٩
٢. مخطوطة حياة الأحرار ق ٦١
٣. الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٠٢

ولا غير ذلك ؛ وهذه النقطة ذات علاقة مباشرة بزعم الباطنية أنهم يعملون بالظاهر والباطن معا ، وقد فند الباحث ذلك بالتفصيل فيما سبق (ر. ص ص ١٦٨ - ١٧٤)

ولكن لا بد من الاشارة هنا الى أنه ليس لدى المسلمين من هو أعلى درجة من محمد بن عبدالله (ص) فهو سيد الأولين والآخرين ومع ذلك فلم يقل أحد بأنه منزّه عن التكليف بل كان سباقا اليها ؛ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه .

هذه صورة مصغرة لمراتب الدعاة الباطنيين والقصد منها هو اطلاع القاري الكريم على التنظيم الذي شكل به الباطنيون دعوتهم السرية وأن الباحث لم يخض تماما في دقائقها وجزئياتها لأن ذلك قد لا يفيد موضوع البحث كما أن في المراجع التي رجح الباحث اليها ما يفني لمن أراد التوسع في هذا الموضوع .

مظاهر في الدعاة الباطنيين ؛

منذ ظهور الغلاة على سطح الفكر الاسلامي ، ومرورا بنشأة الفرق الباطنية ، وحتى سقوط قلعة الموت (سنة ٦٥٤) التي آذنت بسقوط آخر دولة باطنية ؛ بل وحتى يومنا هذا ، يمكن القول بأن في دعاة هذه النحلة مظاهر لو وجدت في الشخص العادي فانها تدعو للاستغراب حينما وللاستهجان حينما آخر ، فما بالك بوجودها في دعاة يقولون بأنهم صفة نذرت نفسها لنصرة أهل بيت رسول الله (ص) نبي الاسلام ، وتدعي أنها تستقي من معين معصم عن الزلات والتجاوزات ومتصل بالسماء .

وقبل التعرض لتلك المظاهر لا بد من الاشارة الى أن المقصود ليس تسقط

أخطاء القوم وتتبع عوراتهم . ولكن حينما تكون المناقش عند قوم هي السائدة والمورث هي الظاهرة فإن الحديث عنها ومناقشتها يعتبر واجبا على طلاب العلم والحقيقة . ومن خلال ما وقع في يد الباحث من مصادر باطنية طوال مدة هذا البحث اتضح أن للدعاة الباطنيين مظاهر تتصل اتصالا وثيقا ببعض ما قاله عنهم أخصامهم - حتى فُدت تلك المظاهر ما يستلقت الانتباه فضلا عما تسببه من حرج لأهلها - الباطنيين أنفسهم - الذين لازالوا يدعون أن الكتاب والمؤرخين شوهوا تاريخهم ؛ ومن تلك المظاهر :

٥ ١- كون الكثير من الدعاة الباطنيين الذين كان لهم الأثر البارز في العقائد الباطنية ؛ مجهولي الأصل ، إذ ظهر معظمهم على سطح الفكر الباطني كما تظهر الكمأة .

١٠ ٢- كونهم يتصرفون في عقائدهم حسب رغبات يبدوا أن بعضها شخصي وبعضها ما يمكن اعتباره تنفيذا لم يحن أوامه لما ورد في عقائدهم ؛ فجاءت عقائدهم على نحو من التجاوز والتضاد والتنافر الذي قلَّ مثله في عقائد أخرى .

١٥ ٣- بالرغم من انتساب أولئك الدعاة إلى الإسلام وبلغة أكثر دقة ؛ انتسابهم إلى الفكر الإسلامي ؛ إلا أن بعضهم كان يستدل بما ورد في العهد القديم بخاصة ليثبت آراءه عقديّة يفترض فيها أن تكون إسلامية .

٢٠ فإما النقطة الأولى والتي تتحدث عن الغموض الذي يكتنف أولئك الدعاة في أصلهم فإنه سيأتي بالتفصيل في الفصل التالي لهذا الفصل لأنه موضوع شائك وله علاقة بالأئمة الباطنيين الذين أسسوا الدولة العبيدية .

١. انظر: مصطفى غالب . تاريخ الدعوة الاسماعيلية ط ٣ ، بيروت ، دار الاندلس

وعلى ذلك فان الحديث سيكون عن النقطتين التاليتين لتلك .

١- تجاوزات الدعاة والعقائد الباطنية: ان خلط الدين بالفلسفة طابع

بارز تتميز به العقائد الباطنية جميعا ؛ بل ان الفلاسفة في عرف الباطنيين

في درجة الأنبياء ؛ ومن يتصفح " الرسالة الجامعة " لرسائل اخوان

الصفاء مثلا لا يشك ابدا انه كتاب فلسفي وكذلك معظم الكتب الباطنية،

الا أنهم يدعون ان هذه الرسالة وبقية رسائل اخوان الصفا الفست

حينما اراد الخليفة العباسي المأمون ان يخلط بين الدين والفلسفة

فغضب الامام المستور أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل لهذا

التجني على الدين فالف تلك الرسائل أوامر بتأليفها ؛ وفوق ذلك

١٠ يأتي المعز لدين الله لينكر على دعائه خلط الدين بالفلسفة ؛ واعتبره

تغييرا في الدين (ر٠ ص ١٧٠)

اما تحليل المحام الذي ظهر منذ أيام الخلافة (ر٠ ص ص ٨٣ ، ٦٩٧

١٠٥ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٧٠) . كما سار عليه الداعي " علي بن الفضل الجديني "

الذي تبرأ منه الأئمة وحراره عليه زميله في الدعوة " منصور اليميني " حروبا

١٥ طويلة ؛ فقد كان لهم أشباه من دعاة آخرين في المشرق ذكر عنهم القاضي

النعمان أنهم قاموا بتحليل المحام لاتباعهم وأن ذلك كان يعتبر مخالفة

لدين الأئمة لذلك فقد تبرأ منهم الأئمة العبيديون في المغرب ؛ لان

هذا بزعمهم ليس من أهل عقيدتهم ، وإنما هو تجاوز شخصي من اولئك

الدعاة .

١. انظر: زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٦٠ وانظر أيضا أصل

الاسماعيلية ص ٤٣

٢. انظر: سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة)

ص ١١٥

٣. انظر: المجالس والمسائرات ص ٤٠٨ .

وقد قيل ان الانسلاج عن الدين وتحليل المحام وان ظهر عند
الباطنيين في أماكن مختلفة من العالم الاسلامي ؛ فهو لم يظهر على
المبيديين ، حيث لم يؤثر عنهم الاستخفاف بالدين ، وقد أيد ابن
النديم ذلك ، ودفع هذا أنصار هذا الرأي الى القول ان ذلك ليس
من عقيدة الباطنيين بل هو تصرفات شخصية من الدعاة الذين فسي
الأماكن النائية ؛ وهذا يتفق تماما مع ما نجده في المصادر الباطنية
من شجب لأثال هؤلاء وخاصة ما صدر عن القاضي النعمان الذي أعلن
تبرؤ الأئمة من أولئك الدعاة .

ولكن حتى مع هذه الحالة يظل السؤال القائم مطروحا ؛ لماذا

كان الباطنيون هم الذين أثر عنهم ذلك دون غيرهم من الفرق الأخرى ؟
ولماذا يصبح عدم الانسلاج من الدين عن طريق ارتكاب المحرمات
شيئا مستثنى يخص المناطق التي قامت فيها دولة المبيديين كالمغرب
ومصر ، ولا يكون الأصل هو عدم حدوث أي شيء من هذا باعتبارهم
فرقة اسلامية .

وهكذا يتضح لنا ان شيئا ما يكمن تحت ما أثر أنه تجاوزات للدعاة .
هذا في حالة اعتراف الطرفين بحدوث انتهاكات مختلفة في نواحي
كثيرة وجد فيها الباطنيون على شكل تجمعات أو أشباه دول .

ولكن كيف يكون الأمر اذا علمنا أن القاضي النعمان - الذي تحدث
باسباب عن تجاوزات الدعاة - ذكر أن مثل هذه التجاوزات حدثت فسي

المغرب أيام حكم عبيد الله المهدي نفسه ، من دعاة عملوا بالباطن دون الظاهر

١. انظر : الفهرست ص ٢٨٢

٢. انظر : المجالس والمسائرات ص ٤٩٩

ان الأمر حينئذ يصبح أكثر من ظاهرة لافتة للنظر لأنها تعدت
تجاوز دعاة في أصقاع بعيدة الى حدوده في أماكن قريبة من السلطان.
وهذا بالتالي يضيف جديدا إلى ما أورده القاضي عبد الجبار المعتزلي
من أن سبب ثورة أبي عبد الله الشيعي (ز. ص ٤٠٩) على المهدي
انما قامت لأعمال استتبعها أبو عبد الله أثيرت عن المهدي نفسه ، وقد
أكد القاضي النعمان بطريقة غير مباشرة انتقادات أبي عبد الله الشيعي
هذه .^٢

فوق ذلك نجد قيام الدعوة الدرزية في القاهرة المعزية أيام
الحاكم بأمر الله العبيدي وتحت سمعه وبصره ، تلك الدعوة التي قالت
بأمر خطير ألا وهو تأليه الحاكم بأمر الله الذي لم يحرك ساكنا تجاهها
بل ان الذي بأيدينا من رسائل مؤسس الدرزية الداعي حمزة بن علسي ،
يجزم بأن الحاكم راض عن ألوهيته تلك ويؤكد هذا الحال التي وصلت
اليها مدينة القاهرة ، حين وصلها الداعي الكرمانلي في سنة ٤٠٨ وقد
وصف ذلك الكرمانلي في كتابه " مباسم البشارات " ، وأشار الى ظهور
الفئة التي تؤله الحاكم بأمر الله ما يدل أن أمرهم قد استفحل وبيات
خطيرا . وكل ذلك جرى في عاصمة العبيديين نفسها في أمر يخص الاسام
نفسه وهو الحاكم .

هذه تتف من تجاوزات الدعاة التي يزم الباطنيون أنها تصرفات
" شخصية " ليست من عقيدتهم الأصلية ، فحذا لوعرضنا بالعقيدة الباطنية
على تلك التجاوزات ، ماذا سيحدث ؟

٢٠

١. انظر: تثبيت دلائل النبوة ٥٩٨/٢ ، ٥٩٩ ،
٢. انظر: افتتاح الدعوة ص ٣٠٧ - ٣١٦ وانظر المجالس والمسايرات
ص ٤٩٩ .
٣. انظر: مخطوطة رسالة الرضا والتسليم ق ٢٣ ، ورسالة الصبحة الكائنة
ق ١٥٠ دار الكتب المصرية ٥٤ عقائد النحل .
٤. انظر: محمد كامل حسين ، طائفة الدرود ، القاهرة ، ١٩٦٢ ص ٥٥ ،
٥٦ وانظر: مذاهب الاسلاميين ص ٥٨٣ ، ٥٨٤ .

ان خلط الدين بالفلسفة الذي انكره المعز لدين الله بزم القاضي النعمان لا يمكن بأي حال اعتباره تجاوزا شخصيا اذا عرضناه على كتب العقيدة الباطنية لاسيما رسائل اخوان الصفا ورسالتها الجامعة التي يزعمون ان الذي ألفها هو أحد أجداد " المعز لدين الله " المستورين^٥ وقد ورد في هذا المبحث نصوص مستقاة من تلك الرسالة وتقول بصراحة انها كتاب فلسفي بل ان هذا يصدق على أكثر كتبهم لاسيما ما كان سرا منها .

أما ما قيل عن تجاوزات الدعاة الذين حللوا لاتباعهم الانسلاج من الأحكام الشرعية والتماون في ترك الفرائض ، فقد تبين لنا من قبل أن جميع الفرق الباطنية ترى هذا الرأي على ضربين ؛ الأول أن ذلك حتما يكون حين يظهر القائم المنتظر (ر . ص ٢٩١) الثاني ؛ أن ذلك يكون لفئة معينة من الناس ؛ الذين وصلوا مرتبة عليا في الدين الباطني ، وذكر فسي حينه أن هذه المرتبة تتفاوت ضيقا واتساعا بالنسبة للفرق الباطنية المختلفة (ر . ص ١٨٢) .

أما مسألة قيام الدعوة الدرزية بتأليه الحاكم بأمر الله فليست في أصلها الا صورة عن حلول اللاهوت في الناس^١ الذي يدعوهم في ائمتهم (ر . ص ٢٣٧ فما) والذي له علاقة بحلول روح الله في آدم ثم في لماذا اذن نسمي ذلك تجاوزا من الدعاة ؛ في حين أنه في حقيقته تنفيذ لتلك العقائد .

وإذا أردنا انصاف الباطنيين الذين قاموا بتلك التجاوزات ؛ فان أصوب ما يقال في هذه الظاهرة أنهم نفذوا أمورا نظرية موجودة في عقائدهم فعلا ، وكل خطئهم ينحصر في أنهم نفذوا ذلك في غير وقته أي أنهم تعجلوا في قطف

نمار دعوتهم الهدامة ، وان للباحث أن يقول بكل ثقة ، احتملا على ما في المراجع الباطنية أنه لو قدر لهم - لا سمح الله - إقامة سلطانهم على بلاد المسلمين بدولة باطنية شاملة فلن تكون تصرفاتهم أدنى من تصرفات من سبق من أجدادهم مثل القرامطة وعلي بن الفضل ودولة الموت ودعوة الدروز .

أما ما قيل عن اعتدال العبيديين ، فهو لم يكن إلا أنهم خافوا كراهية العالم الإسلامي تلك الكراهية التي اكتسبها القرامطة ، والتي اكتوى العبيديون أنفسهم بنارها ، بالإضافة إلى الثورات التي قامت ضدهم في بلاد المغرب العربي لما ظهرت حقيقة دعوتهم ، ويؤيد هذا أن مجالس الدعوة الباطنية كانت لاتزال سرية في مصر الفاطمية أيام دولتهم مما يعني أنهم لم يكونوا قد استطاعوا بعد استعمال المسلمين إلى مذهبهم (ر : ص ٣٢٦)

الفكر اليهودي في تراث دعاة الباطنيين :

ان تراث دعاة الباطنيين زاخر بافكار منسوبة إلى العهد القديم ، ومن النادر أن نجد مرجعا للباطنيين خاليا من فكرة أو عقيدة منسوبة إلى العهد القديم ، وقد لاحظ ذلك كثير من الباحثين الذين اهتموا بالدراسات الباطنية ، مثل : ديبور الذي استنتج أن هذه الظاهرة قائمة منذ كانت الفرق الباطنية (جماعات سرية) كما استفاد مما كتب في هذا الموضوع إلا أن المستشرق المذكور أشار إلى أن هذه الجماعات السرية كانت تنسب أقوالا للفلاسفة الوثنيين إلى أنبياء من وردت أسماؤهم في التوراة ، ويبدو أن استنتاجه كان من خلال اطلاعه على " رسائل اخوان الصفا " ورسالتها

الجامعة . وقد أشار لويس الى ظاهرة الاستدلال بالتوراة التي تميزت بها الفرق الباطنية - الفاطمية - بشي^١ من التفصيل الذي وضع فيه أن الدعاة درسوا كتب اليهود والنصارى المقدسة ؛ وعزاه الى العقيدة الباطنية التي تقول بشمولية العقيدة (ر. ص ١١٦ وفيها بداية هذه

العقيدة في الفرقة المغيرية) . كما أشار الى ظاهرة الاستدلال بالتوراة عند الباطنيين ؛ عبدالرحمن بدوي الذي ذكر نماذج من تلك الاستدلالات .^٢

ان الباحث من خلال دراسته لنصوص الباطنيين يستطيع القول ؛ ان

الصبغة اليهودية موجودة في بعض تلك النصوص - اضافة الى ما ذكر -

ولكن ارجاع ذلك الى أصوله اليهودية ؛ كان يتطلب توفر مصادر يهودية

أكثر مما توفر للباحث ؛ وستأتى ان شاء الله شواهد على هذا الرأي (ر. ص

٣٩٣) وقد ذهب " شتروثمان " الى امكانية ارجاع العديد من القصص

الخيالية التي وردت في الفكر الاسماعيلي الى التلمود ؛ ولعله يتحدث

بتلك اللغة الوثائقية بسبب توفر المصادر اليهودية لديه . كما أشار

الى هذه الظاهرة " باول كراوس " الذي كتب مقالة خاصة حول ذلك في

مجلة : Der Islam الالمانية (العدد ١٩) ؛ وقد حاول^٤

الباحث عبثا الحصول على تلك المقالة للاستفادة منها . وكان محمد

كامل حسين ممن أشار الى هذه الظاهرة التي اعتبرها مفخرة للباطنيين

لأنها دليل على سعة ثقافة دعواتهم . وربما قرنت هذه الظاهرة من هذا^٥

١. انظر: أصول الاسماعيلية (الترجمة العربية) ص ١٩٦

٢. انظر: مذاهب الاسلاميين ٥٨٨/٢

٣. انظر: ايفانوف . الاسماعيليون والقرامطة ؛ نسخة مترجمة الى العربية

بقلم : مسعود على مسعود ، وموجودة عند الأخ سليمان السلوس ، ص ١٥

٤. انظر: مذاهب الاسلاميين ٥٨٨/١ وأصول الاسماعيلية هامش ص ١٩٦

٥. انظر: تعليق محمد كامل حسين على الرسالة الواعظة للكرمانسي

ص ٢٢ .

الوجه بما كان من بعض علماء المسلمين الذين درسوا العهد القديم للسرد
على اليهود ، و اذا كانت هناك مثل هذه المقارنة ، ففيها شيء من
مجانبة الصواب لأن الدعاة الباطنيين لم يستعملوا التراث اليهودي لمناصرة
اليهود والرد عليهم بل استعملوه دليلاً يديم آراءهم الباطنية ، ولذلك
فاننا نجدهم يحورون الأقوال التوراتية على طريقتهم الخاصة ويؤلونهم
تأويلاً باطنياً .

ان الدعاة الباطنيين لم يجدوا أي غضاضة أو سببة في وجهة نظرهم
هذه ، بل انهم اعتبروا ذلك عين الصواب . وهذا يعود بنا الى القول
بشمولية العقيدة على اعتبار أنها تفيض من نبع واحد ، وقد استدلسوا
في ذلك بالحديث النبوي (لتبعن سنن من قبلكم) هذا الحديث الذي
لا يكاد الباحث يفتقده في كثير من المصادر الباطنية بصيغ متقاربة .
ان استدلال الباطنيين بهذا الحديث لتدعيم مقولتهم في الاستدلال بالأسفار
اليهودية ، بحيث جاء وكأنه تنفيذ لأمر رسول الله (ص) بوجوب اقتفاء
أثر اليهود ، فيه مقال ، لأن في ذلك تجاهل لما ورد في القرآن الكريم
من تحريف اليهود لكتبهم المنزلة ، قال تعالى : (من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه) ، فسأوا بين ما ورد في تلك الكتب وما ورد في
القرآن الكريم الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد) . ان ذلك لا يفسر الباطنيين في شيء ما دام يخدم
أغراض الدعوة الباطنية ، ولا شيء غير ذلك .

* البخارى ك ٩٦ ب ١٤ أنظره في : فتح الباري ١٣ / ٣٠٠
١. انظر : القاضي النعمان . دعائم الاسلام ١ / ١ والداعي المؤيد في الدين .
المجالس المؤيدية المجلس ٢١ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ وقد نسب هذا
القول الداعي ابو حاتم الرازي الى الراضية أنظر : (عبد الله
سلم السامرائي) ص ٢٧١ وأنظر : مجموعة الوثائق الفاطمية ١ / ٢٨
** النساء ٤٦ *** - فصلت ٤٢

وقد اختار الباحث نماذج من الفكر اليهودي ظهرت في تراث الباطنيين ونسبها الدهاة صراحة الى التوراة أو انبياء بني اسرائيل و من ذلك مثلا :

* - الداعي : أبو يعقوب السجستاني :

اسمه اسحاق بن أحمد السجزي أو السجستاني وقد عاش في القرن الرابع الهجري و يعتبر شيخ فلاسفة الاسماعيليين و كان يتقن أكثر اللغسا السائدة في عصره و وهذا ما يجعلنا لا نستغرب استدلاله بالتوراة حين يقول في كتابه (اثبات النبوات) :

ان من قصة نوح ما هو مكتوب في التوراة اذ انه

أول من غرس الكرم لايجاد الخمر فمعناه أن نوحا

أول من بنى الشرائع التي منها مخامرة العقول

ومدهشة الأذهان فاعرفه وتفهمه .

والداعي السجستاني يعني بذلك ما ورد في العهد القديم :

وابتداً نوح يكون فلاحاً و غرس كرماً . وشرب

من الخمر فسكر وتعزَّى داخل خبائه .

والمقارنة بين النصين توضح لنا القدر الذي ذهب اليه الباطنية

في توظيف ما ورد في العهد القديم لصالح دعوتهم ، الى جانب

ما فيه من مقصد البحث .

* القاضي النعمان :

هو : أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي

المغربي ، ويعرف عندهم باسم (سيدنا القاضي النعمان) تميزا له عن

١. انظر : مقدمة عارف تامر لكتابه : اثبات النبوات ص ٥٥ ز وانظر اعلام

الاسماعيلية ص ١٥٤ .

٢. السجستاني . اثبات النبوة ص ١٨٥ .

٣. سفر التكوين ٢٠/٩ ، ٢١ .

أبي حنيفة النعمان الفقيه صاحب المذهب الحنفي - ويعتبر واجهة
الفكر الباطني المشرفة لتمييز كتاباته بالاعتدال النسبي اذا قورنت بهيئتها
لدى بقية الدعاة ، ولكنه لم يستطع اخفاء باطنيته دائما - وتعتبر كتابات
القاضي النعمان الفقهية مصدرا رئيسيا في فقه الاسماعيليه ، وقد تدرج
القاضي النعمان في مراتب الدعوة الباطنية حتى صار داعي دعاة المعز
لدين الله المبيدي ، الى أن توفي سنة ٣٦٣ في القاهرة وصلّى عليه المعز
لدين الله نفسه . في كتابه (المجالس والسايرات) يروي القاضي النعمان
عن المعز قوله :

— : فماذا تقولون فيما مضى على آبائنا من المحن

١٠ ولهؤلاء المتغلبين [يعني بني العباس] من الاقبسال
والدول ؟ اذلك شيء اعطاهم الله اياه أم غلبوا
على أمره فيه ؟ .

فقالوا : الله ووليه أعلم .

فقال (عم) : انه كان فيما أوحى الله (عج)

١٥ الى داود : يا داود ان ولدك سيكون منهم ممن
بعدك ما يوجب عقوبتهم ، واني لست أنزع منهم
ما اعطيتك ، ولكن من عصاني منهم فبالعصا أقومّه .
ثم تنفس الصعداء (ص) وقال : في هذا مقال له
مقام . وأنه فيما يروى أن القائم ما اذا أسند ظهره الى
٢٠ الكعبة البيت الحرام ، وقام خطيبا للناس فحينئذ يقوم
لكل ما عنده .

فقبلنا الأرض وقلنا : نسال الله أن يجعلنا ممن يلحق

ذلك ويفوز بمشهده بين يدي وليه وابن نبيه .^١

ان المعز لدين الله العبيدي يستشهد بما ورد في العهد القديم فسي

خطاب الى داود :

متى كملت أيامك واضجعت مع آباك اقيم بمدك

فسلك الذي يخرج من احشائك وأثبت مملكته .

هو يبني بيتا لاسمي وأنا أنهدت كرسي مملكته الى الأبد

انا اكون له ابا وهو يكون لي ابنا . ان تعوج اؤدبسه

بفضيب الناس وضربات بني آدم . ولكن رحمتي لاتنزع

منه كما نزعتهما من شاول الذي أزلته من امامك .^٢

يستشهد المعز بالعهد القديم ليثبت نظرية الامامة الباطنية التي

تقول ان الامامة قائمة في ذرية الحسين بن علي حتى يقم قائم القيامة المنتظرا

ويلاحظ على نص القاضي النعمان الى جائبها سبق ذكره رد الفعل

الذي كان من الباطنيين الذين حضروا المجلس الذي قال فيه المعز مقالته .

* - الداعي أبو فراس :

هو شهاب الدين بن القاضي نصر بن ذي الجوشن الديلمي الميقاتي

هاجر أبوه سنة ٨٥٩ في ظروف غامضة من اقليم الديلم في فارس الى سوريا

وأسباب هجرته مجهولة وحياته قبل وصوله الى سورية مجهولة أيضا . وقد

ولد الداعي أبو فراس في قلعة المينقة في اللاذقية سنة ٨٧٢ ومات بها سنة ٩٣٧ ،

وله مؤلفات باطنية كثيرة مصبغة بميول صوفية^٣ ، ومن نافلة القول الاشارة الى

هذا الداعي من الباطنيين النزاريين .

١. كتاب المجالس والسايرات ص ٤٢٧

٢. سفر صمويل الثاني ١٢/٧-١٥ وانظرايضا : اخبار الأيام الأول ١٧/١١-١٤

٣. انظر : مقدمة عارف تامل كتاب الداعي أبي فراس : الايضاح ص ١ ومقدمته لكتاب
أربع رسائل اسماعيلية ص ١٩ وانظر اعلام الاسماعيليه ص ٣١٣ فما .

يرى الباطنيون عموماً أن لكل ناطق ضد أو إبليس لأن الأبالسة
في عقيدتهم لا بد من وجودهم في كل زمان مع كل نبي أو أئمة في تسلسل
تناسخي مرتبط على طرف نقيض مع فكرة الأدوار السبعة (ر. ص ٢٠١) .
والداعي أبو فراس يتحدث هنا عن إبليس نوح عليه السلام فيقول :

وإبليس نوح عليه السلام حام ، ولذلك روي في
الخبر أن حاماً رأى عورة أبيه نوح وهو نائم فأطلع
على ذلك أخوته كنعاناً وساماً ويافثاً ولم يستره ، أي
أنه كشف ما وصل إليه عن أبيه من العلم الذي لا ينبغي
كشفه إلا لأهله ، ونصح أبيه [كذا] فلم ينتصح
وأصر على المعصية ولم يتب ، فاكسب بعمله
مقام الأبيسية .^١

ان الداعي أبو فراس يعني بالخبر الذي رواه ما ورد في العهد القديم :

فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه
خارجاً . فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على
أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما
ووجهاهما إلى الوراء .^٢

وليلاحظ القاري الكرم كيفية استخدام الداعي المذكور للنص ليتلاءم
مع الفكرة الباطنية التي توجب السرية وعدم كشف الأسرار الباطنية ،
أما التعليق على نص العهد القديم فليس للباحث أن يخوض فيه .

١. كتاب الايضاح ص ٥

٢. سفر التكوين ٢٢/٩ ، ٢٣

* - الداعي حميد الدين الكرمانى -

هو الداعي أحمد حميد الدين بن عبدالله بن محمد الكرمانى الملقب بحجة العراقيين ، وهو : شخصية علمية خارقة يُكتف تاريخ حياتها بالغموض وهو كما يقول الداعي ادريس عماد الدين :

٥ هو أساس الدعوة التي عليه عمادها وبه علا واستقام مفارها . وللغموض الذي رافق هذا الشخص نجد أن تاريخ وفاته لم يعرف على التحديد رغم كونه أحد أعمدة الفكر الباطني وقد رجح أنه توفي سنة ٤١١ كما يقول مصطفى غالب .

وللداعي الكرمانى كثير من المؤلفات الباطنية ، ويدل على مكانته

١٠ في الفكر الباطني أنه مرجع لكثير من الباطنيين الذين جاؤوا من بعده . استدل الداعي حميد الدين الكرمانى بعبارات من العهد القديم في كتابه (مباسم البشارات) حين قدم الى القاهرة لعلاج الموقف الذي نتج عن ظهور الفرقة الدرزية التي قالت بتأليه الحاكم بأمرالله (ر. ص ص ١٥٠ ، ٢٠٣) .

١٥ كتب عبد الرحمن بدوي في ذلك ما يأتي :-

في دفاع الكرمانى عن الحاكم نواه يغلو فيه ، وان كان غلوه أقل درجة من غلوحمة بن علي ومحمد الدرزي . . ثم يسوق البشارات التي بشرت بالحاكم بوصفه المسيح أو المهدي الذي بشره أيشاهيا (أشعيا)

٢٠ في التوراة [؟] ، حيث يقول : . . .

١. انظر : مقدمة محمد حسن الأعظمى على كتاب القاضي النعمان ، تأويل الدعائم ٢٠ / ٣ ومقدمة محمد كامل حسين على الرسالة الواهظة للكرمانى . مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، ص ١ وأعلام الاسعاعيلية ص ٩٩ فما .

" افرحي واشكري يا بنت صهيون - واصرخي
فرحا يا بنت بيت المقدس ، فان ملكك قد جاء
صادقا مطهرا من الأدناس ، زاهدا وراكبا على
حمار الوحش والأتن ."

وقد ذكر الكرمانى الآية [؟] بنصها المـبـري
مكتوبا بحروف عربية ولكن يلاحظ على ترجمته للآية
[؟] ما يلي -

أ - أنه أضاف كلمة " رعاة " وجعل " بنتا " جمعا
هكذا ، رعاة بنات صهيون .

ب - ولعل سبب ذلك التأويل الذي يسوقه للآية [؟]
اذ يقول : " فهل الرعاة الا الدعاة ، وهل " البنسات "
الا المؤمنون ، وهل " بيت المقدس " الا الامم ، وهل
ما قاله من العلامة بشارة للدعاة بقوله : " فان ملكك
قد جاء " صادقا مطهرا من الأدناس زاهدا راكبا على
الحمار وعلى العير والأتن " - الا ما عليه حال الامام
(ع) - ؟

فكان الكرمانى اذن قد حرف في الآية [؟] الواردة
في سفر اشعيا - بحسب قوله (وصوابه في سفر زكريا
[- زكريا] اصحاح ٩ آية [؟] ٩) لكي تتلاءم كلها

مع احوال الحاكم بأمر الله والدعوة الاسماعيلية . وكان
المسيح (أو المهدي) الذي بشر به اشعيا هو بعينه
الحاكم بأمر الله ، والدليل على ذلك أن الحاكم كان
زاهدا ، ويركب الحمار في ركوبه .

وهنا قد يُرَدُّ على الكرمانى بأن المقصود من بشارة أشعيا هو عيسى بن مريم ، ولهذا يتدارك الكرمانى هذا الاعتراض بالرد فيقول : " تقول قد يقع الظن بأن الذي قاله اشاعيا (ع) من هذه البشارة التي ذكرناها هو بشارة بميسى (ع) بكونه راكبا للخمارة ، زاهدا - من دون غيره - .

والذي ^{بين} أن الاشارة بقوله ذلك في هذا الموضع هي بالامام (ع) من دون عيسى (ع) ويؤيد الحكم ويقطعه : قول اشاعيا ثانيا انه يملك المفسدين ، ويفنيهم بريح شفتيه ، حيث يقول مخبرا عن أعمال الزاهد الراكب الخمار الذي يشر به :

- ويقضي بالصدق والعدل للضعفا والفقرا ويريح

الخواص المتواضعين .

- ويضرب الأرض بعصافه ويريح شفتيه ، ويميت المفسدين . ثم كون عيسى (ع) من هذه الأفعال خاليا (هو) من الشهادة العظمى بأن البشارة ليست به ، إذ لم يبق في قومه فيقال انه يحكم بالصدق والعدل ولم يقتل أحدا ، ولا أمات مفسدا ولا أمر بذلك فيقال انه قتل وأمات . وإذا كان ذلك كذلك . . . خلصت هذه

القضايا التي حكم اشاعيا (ع) بها للحاكم (ص) بقيام أماراتهما فيه إذ هو الزاهد والراكب الذي قد أنسى المفسدين ويفنيهم أبدا بحركة شفتيه بقوله : خذوا رأس فلان ، أو اقتلوه - بعضيهم وفسادهم ، لم تصح الا فيه ان ذلك لشيء عجاب . . .

لما كانت الدلائل على ما بيناه أن الامم الحاكم
بأمر الله أمير المؤمنين (ع) هو الذي ينجز الله هذه به
لمحمد (ص) . وعلى يده يعود الأمر كليا الى بيت
النبوة ، فوجدنا ما يحقق قولنا في قول دانيال النبي
(ص) في المدة التي أوما اليها من أيامه التي هي
تاريخ الاسكندرية ، بشارة حيث يقول : أترى ها محكي
وجميع لياميم أيلو شلوش مئوت شلشم وحمشة .
أي : " دلوى للموحدين في زمن ألف وثلاثمائة وخمس
وثلاثين سنة من زمني " .^١

- ١٠ وإذا كان من اضافة الى ما أورد " عبدالرحمن بدوي " فليس سوى ما أشار
اليه في هامش كتابه من تصحيحه لبعض الألفاظ التي وردت خطأ في كتابه ،
" مهاسم البشارات " ، وأن ما تنبأ به الكرمانى في الحاكم بأمر الله لم يتحقق منه
شيء مطلقا ، كما وردت استشهادات ثوراتية للكرمانى في كتابه (راحسة
العقل) .^٢

١٥ * - حاتم بن ابراهيم الحامدي :

*
الداعي الثالث المطلق لفرقة المستعلية (- ٥٩٦) ان لهذا الداعي
كتابه يسمى (مجالس حاتم) وذكر أنها خمسة عشر مجلسا ، وفي مخطوطة
الكتاب المذكور التي عثرت عليها في اليمن ما يدل على أنها في الأصل أكثر من
مائة مجلس ذلك لأنه في بداية كل مجلس يقول المجلس كذا من
المائة الأولى .

٢٠

-
١. مذاهب الاسلاميين ٥٨٥/٢ - ٥٨٨ ، ٥٩٠
٢. انظر : المجدوع ص ٢٨٤ وانظر ايضا المجدوع ص ٢٨٤ و ص ٥
* انظر : ترجمته في اعلام الاسماعيلية ص ١٩٧ وايفانوف . الأدب . . .
الاسماعيلي ص ٦١
٣. انظر : ايفانوف ٢٢٥ واعلام الاسماعيلية ص ١٩٩ والمخطوطة الموجودة عندي
أقل من ذلك وهي ناقصة

١. حفلت " مجالس حاتم " باستشهادات من العهد القديم مثل : لاجديد

٢. تحت الشمس وتنصيب آدم ابنه شيت ، واقامة يوشع كفيلا لولد هارون ،

٣. وادعائه أن زوجة موسى حاربت وصي موسى بعد وفاة موسى ،

وأنها أتت في تلك الحرب راكبة زرافة ، وهو يشبه ذلك الحدث لوقعة

٥. الجمل التي وقعت بين علي بن أبي طالب وأم المؤمنين عائشة بنت

الصديق كما ادعى أن بني اسرائيل أيضا حاربوا يوشع بعد وفاة موسى ،

وهو بذلك يريد أن يشبه الحدث بما صار بعد وفاة محمد (ص) من عدم

مبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة ، فأعتبرها حربا لعلي .

٤. ان الادعاء بأن " صفراء " أو " صفرة " حاربت يوشع بن نون لـ

١٠. يثبت في العهد القديم وكذلك الحرب بين بني اسرائيل ويوشع ولكن فيه
أن بني اسرائيل أخطؤوا في اغضاب يوشع بن نون .

وادعى أن يوشع بن نون سلم الأمر إلى فنحاس بن هارون ، بينما الذي

٦. في العهد القديم هو فنحاس بن اليعازر بن هرون وأما التسليم اليه فلا

وجود له في العهد القديم . وهكذا يتضح أن الفرض اذا كان تأييد

١٥. الدعاوى الباطنية ، فان الدعاة على استعداد أن يستدلوا بأي مرجع ويزيدوا

من عندهم ما ينقص .

* كتاب مجالس الحكمة : مخطوط باطني مجهول المؤلف ، والنسخة متأخرة

النسخ ولم يذكر ايفانوف هذا الكتاب مطلقا بل ذكر مجالس الحكمة والبيان وهو

٧. من تراث السليمانية وليس بمستبعد أن يكون كتاب مجالس الحكمة من مؤلفات

١. انظر: مخطوطة مجالس حاتم ق ق ١٦ ، ٣١ ب ، ١٣٣ ، ٢٢٧ ، ٢٠١

٢. انظر: سفر التكوين ٢٥/٤ ، ٢٦

٣. انظر: سفر العدد ١٨/٢٧ وسفر التثنية ١٤/٣١

٤. انظر: اسمعاني : سفر الخروج ٢١/٢ ، ٢٠/٤

٥. انظر: يشوع ١/٧ - ٢١

٦. انظر خروج ٢٥/٦ والأيام الأول ٥٠/٦

٧. انظر ايفانوف ص ٤٦٨ .

١. الداعي الكرمانى ، وهذا المرجع حافل بالاستدلال من العهد القديم على النحو الباطني السابق الذكر الذي يعتمد على التحريف والتأويل^٢ نجد في مجالس الحكمة :

ان " تاج " هو اسم أبي ابراهيم الخليل وليس " آزر " كما ذكر ذلك في القرآن الكريم وهذا مأخوذ من العهد القديم الذي يسمي ابا ابراهيم^٥ " تارح " وتقول مجالس الحكمة انه جده لأمه وذلك كي يستقيم مع ما ذهب اليه الباطنيون من أن ابراهيم تلقى عن أبيه الذي كان اماما مقيما وأن جده " ناحور " كان آخر أئمة دور " نوح " ، وهذا لا يستقيم أبدا مع القرآن الكريم الذي فيه يقول رب العزة (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن مهدة وعدما اياه ، فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه) وهكذا نجد حقيقة هذا المذهب الذي يرفض القرآن الكريم من حيث الاستدلال به باعتباره كتاب الله تعالى الى المسلمين .

وأطلقت مجالس الحكمة على " ابراهيم الخليل " اسما آخر هو " لاحور " والاسم وان كان موجودا في العهد القديم الا انه اسم لأحد اخوة ابراهيم وهو اسم لجده أيضا

١٥ وعن اختتان " ابراهيم " : يقول العهد القديم انه كان لما يلبس ثيابه تسعة وتسعين عاما من عمره ولكن لغرض خفي حرفت مجالس الحكمة ذلك فقالت : انه اختتن وقد كمل له تسعة وتسعون داعيا .

-
١. انظر : الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٤١ - فقد ذكر مجالس الحكمة للكرمانى .
 ٢. انظر ذلك في ق ق : ا ب ٤٤ ب ٦٤ ب ١٧٤ ٢٤٤ ب ٢٥٤ ٢٦٤ ٢٧٤ من مجالس الحكمة .
 - * سورة الانعام ٧٤ - انظر : التكوين ١١/٢٧
 ٤. انظر : تاريخ الدعوة الباطنية ط ٣ ، ص ٦٨ ، ٧٠
 - * سورة التوبة ١١٤ - انظر بالتكوين ١٠/٢٤ - ٢٦ ١٠/٢٤
 ٦. انظر : التكوين ١٧/١٧ ٢٢٤

يرى صاحب " مجالس الحكمة " أن تولية يوشع بن نون أمور بني اسرائيل بعد وفاة موسى ليس الا لكونه كفيلا على ولد هرون (ر. ص ٣٩٠) فهو يعني أن يوشع بن نون كان غريب النسب والامامة ليست له بل هي في الأصل لولد هرون، ولكي يجعل من القصة نموذجاً لما يصوره الباطنيون من أمر بداية ظهور فرقته تلك القصة التي أحمسوا فيها موضوع " ميمون القداح " على أنه كفيلا محمد بن اسماعيل تبريراً لما قام به من تأسيس الفرقة الاسماعيلية الباطنية ؛ أورد القصة على ما يلي :-

ان هرون أمر ولدين له بتقديم قرابين لله على طريقة ما كان من هابيل وقايل . ليتبين من هو الامام منهما ؛ فنزلت نار من السماء وأحرقت ولدي هارون . ان قصة احتراق ولدي هارون وردت في العهد القديم^١ وهما " ناداب " و " ابيهو " . وهكذا استمر صاحب " مجالس الحكمة " في سرد القصة على ما في العهد القديم ؛ فذكر صعود هرون الى جبل الطور ليموت هناك^٢ ، ثم ذكر أن موسى أظهر يوشع بن نون لهنسي^٣ اسرائيل .

ولتتلاءم القصة مع ما يريد صاحب مجالس الحكمة أشعر قارئيه أنه بعد احتراق ولدي هرون كان ابهـ الذي يفترض فيه أن يكون الامام - مازال دون السن التي تؤهله لتبوء ذلك فنصب " موسى " يوشع بن نون كفيلا ؛ ولكن هذا تحريف لما في العهد القديم الذي فشلاً عن كونه لم ينص على ذلك ؛ فان أولاد هارون كانوا كهنة لبني اسرائيل حتى مع وجود يوشع بن نون ؛ فحتى حين احترق " ناداب " و " ابيهو "

١. انظر: سفر اللاويين ٢٤/٩
٢. انظر: سفر العدد ٢٥/٢٠ - ٢٩
٣. انظر: سفر العدد ١٨/٢٧

١. فان اخوانهما هم الذين قاموا بالطقوس اللازمة نحو المحترقين ، ولكن الباطنيون يبغون تكيف ما ورد في العهد القديم ليتلاءم مع أهداف خاصة تبرر ما لفقوا لأنفسهم من تاريخ .

- ٥ الى جانب ما يضيفه كتاب " مجالس الحكمة " في تأكيد أثر الفكر اليهودي في ترك الدعاة الباطنيين فان هذا الكتاب أضاف الى ذلك أن المهدي عبيد الله ليس فاطميا ، بل من الممكن القول أنه أعطانا بطريقة غير مباشرة صورة قد تكون جديدة لفترة الستر التي في تاريخ الباطنيين وهي أن ميمون القداح كان كفيلا لحمد بن اسماعيل على ما عرفنا وأن الأمر بقي في أيديهم أي القداحيين حتى سلم المهدي ذلك للقائم بأمر الله ١٠ أي ما يقرب من قرن ونصف^٢ ، ومن ذلك يمكن استنباط الكثير .

* مجموعة الوثائق الفاطمية :

- ان كتاب مجموعة الوثائق الفاطمية مجهود قلم به جمال الدين الشيبان لجمع الوثائق الرسمية التي صدرت عن الخلفاء العبيديين ، وهي فسي مجموعها تمثل وجهة النظر الرسمية لخلفاء الدولة العبيدية ، وهذه الوثائق بالاضافة الى ذلك توضح لنا جانبا من عقائد خلفاء هذه الدولة ، وهو جانب هام لمن أراد دراسة الفرق الباطنية وعقائدها كما يراه أئمة هذه الفرق باعتبارهم سلالة علي بن أبي طالب كما يزعمون . ولنسأل في مجال دراسة هذه الوثائق كسي يتم لنا الوقوف على أهميتها التي لا تخفى على أولي الألباب ، ولكن لا بد من الإشارة إلى أكثر قيمة من الانتاج الفكري ٢٠

١. انظر: سفر اللاويين ١٠/١٢، ١٦، ١٩-
٢. انظر: مخطوطة مجالس الحكمة ق ٢٦ ١

للدعاة لا سيما وأن أكثرها صُدِّر بقلم الأئمة العبيديين أنفسهم . وأعني

بهم هنا الذين تولوا الخلافة بعد وفاة المستعلي (- ٤٩٥) .

وفي هذه الوثائق نجد بكل وضوح تأثيرا واضحا للفكر اليهودي

على الدعوة الباطنية ، وقبل الحديث عن ذلك لابد من الإشارة إلى

أن أحد كتاب الخليفة الأمر بأحكام الله بن المستعلي (- ٥٢٤) كان

يهوديا وهو : ابن أبي الدم . وفيما يلي بعضا من ذلك :

١- الهداية الامرية في ابطال الدعوة النزارية :

هذه رسالة صادرة عن الخليفة العبيدي الأمر بأحكام الله وقد

نشرها لأول مرة : آصف بن علي أصغر فيضي (كلكتا ١٩٣٨) ، وموضوع

١٠ هذه الرسالة يبدو من عنوانه ، وهو ابطال ما ادعته فرقة النزارية التي

ظهرت بعد وفاة المستنصر (- ٤٨٧) (ر. ص ص ١٥٠ ، ١٥١) ؛

والذي يُهيمنا هنا من أمر هذه الرسالة استماعتها ببعض ما ورد في

العهد القديم في تأييد دعوى الفرقة المستعلية (ر. ص ١٥٢) صحة

امامة المستعلي وفساد امامة نزار ، تقول الرسالة :

١٥ وهذه أمور جليلة لا يكابر فيها الا من يجحد العيان

ويدفع البرهان والى هذا أشار الله تعالى بقوله :

(واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر

سليمان ولكن الشياطين كفروا) . وذلك أن مولانا

* انظر ترجمة وافية لحياته في : المقرئزي . اتعاظ الحنفاء ٣/٣١ -

١. انظر الوثائق الفاطمية ١/١٤١ وانظر : اتعاظ الحنفاء ٣/١٣٣

٢. انظر : الوثائق الفاطمية ١/٤٧ ، ٥٥٠ ، ٢٠٣

المستنصر بالله من دوره بمنزلة سليمان من دور بني
اسرائيل ، وهو المشار اليه بسليمان ، وقد قال النبي
[ص] (كائن في امتي ما كان في بني اسرائيل ٠٠٠)

فلسليمان هذه الأمة هو مولانا المستنصر بالله ، لأنه
واقع في الرتبة والعدد من أئمة دوره موقع سليمان ٠٠٠
وأينضا فانه أوتي ملكا لم يوت مثله أحد من آبائه
طولا وتمكيننا كما أوتي سليمان ، وسخرت له الريح
والشياطين كما سخرت لسليمان ، ٠٠٠ وقوله " وما كفر

سليمان " أي ما كفر مولانا المستنصر بالله ولا جحد
حقيقة علمه في معنى الامام من بعده ، بل عقد الامامة

لمولانا المستعلي بالله في يوم النكاح على رؤوس الأشهاد
٠٠٠ وكفر بذلك من اتبع الهوى وآثر الدنيا ، ٠٠٠

ولهذا قال سبحانه ، " ولكن الشياطين كفروا " ،
أي هؤلاء الذين شطثوا عن الحق وبالغوا في

الحيلة ، فضلوا وأضلوا .

وما يعضد هذا التأويل ما ورد في أسفار بني
اسرائيل من أن سليمان نص بالامامة على ولده رجبون

كما نصّ مولانا المستنصر بالله على مولانا المستعلي
بالله ، فحسده يربعون ، فخرج عليه . وكان الدائرة

على يربعون ٠٠٠ وكانت العاقبة لابن سليمان .

ان قصة رجبون ويربعون وردت في العهد القديم ، ولكن اسمها لم

يكن كذلك بل : رجبام ويربعام ولما رجعت العهد القديم لم أجهد

فيه ما يدل على أن يرحمهم كان أخا ليرحمهم كما ظن البعض^١ ؛ بل إن
رحمهم هو ابن سليمان فقط كما سيتبع . ولا يفهم أيضا من نص
الهداية الامرية ان يرحمهم كان أخا لرحمهم .
وان يرحمهم هذا كما في العهد القديم هو :

يرحمهم بن ناباط افرامسي من صرده عبد لسليمان واسم

امه صرودة وهي امرأة أرملنة^٢ .

والقصة موجودة بكاملها في سفر الملوك الأول من الاصحاح العاشر

عشر الى الخامس عشر . وهي لا تنجم تماما مع ما ذهب اليه

الهداية الامرية ؛ الا أنها توضح لنا بالاضافة الى الاثر الفكري

اليهودي عند الباطنيين ؛ أنهم كانوا يدعون عقائدهم بأي دليل يعثرون

عليه ولا يهمهم من ذلك قوة الدليل .

٢- رسالة (ايقاع صواعق الارغام في ادخال حجج أولئك اللثام) :

وهي رسالة نشرت مع الهداية الامرية في مجلد واحد^٣ وهي رد

آخر من المستعلية على النزارية الذين ما يظهر أن امامهم نزار بن

المستنصر (- ٤٨٨) قتل بأمر أخيه المستعلي فشنع النزاريون ذلك

على المستعلية في الوقت الذي اعتبروا ذلك ظلما جرى على امامهم^٤ .

وقد ردت هذه الرسالة - ايقاع صواعق الارغام - على ذلك برد يجسد

الباحث فيه التأثير اليهودي في فكر المستعلية ؛ تقول الرسالة :-

١. انظر : مجموعة الوثائق الفاطمية ٥٦/١

٢. سفر الملوك الأول ٢٦/١١ وانظر أيضا ١/١٢ ، ١٥ ، ١٤ ، ٢-٩ ، ١/١٥

٣. انظر : مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٣٠/١

* انظر اعلام الاسماعيلية ص ٥٨٣ ، وفيها انكار لمقتل نزار بن
هذه السنة .

٤. انظر : مجموعة الوثائق الفاطمية ٥٢٣٥/١

وأما قولهم : ان يزيد اللعين [يعني ابن ابي
سفيان] قتل الحسين وأن ابن آدم قتل أخاه
وكانت هي اشارتهم الى أن القاتل ظالم والمقتول
مظلوم ، وهذا قول من لا ينظر بنور ، ولا يعرف قبيل
من دبيرة ، ذلك أنه ليس كل مقتول مظلوم ولا كل
قاتل ظالم ، ألا ترى أن داود قتل ابنه أشلم
لما خرج عليه ، فهل تقول ان داود هو الظالم
البعيد عن الله ، وابنه هذا أشلم المظلوم القريب
من الله ؟^١

١٠ وإذا عدنا الى العهد القديم فان ابن داود الذي تدور عليه القصة
لم يكن يسمى أشلم كما ورد في النص الباطني بل كان اسمه أبشلم ، وقصته
أنه نار لأن أخاه اغتصب أخته العذراء فدهر أبشلم مكيدة لقتل أخيه .^٢
انتقاما وتطور الأمر حتى قتل أبشلم على يد شخص اسمه يوب فحزن
داود على ابنه القتل وبكاه .^٣

١٥ وهكذا يتضح أن القصة وان كان لها أصل من العهد القديم
الا أن الباطنيين المستعربين استشهدوا بها على طريقتهم الخاصة ، مثل
ما كان منهم في كثير من الاستشهادات التي ساقوها من العهد القديم .
بالإضافة الى ما سبق فان الباطنيين رووا في تدعيم عقائدهم روايات
نسبها الى التوراة كقولهم : -

١. مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٤٥/١
٢. انظر ، سفر صمويل الثاني ١/١٣
٣. انظر ، سفر صمويل الثاني ١/١٣ - ١٥ ، ٢٨ ، ٢٩ و ١٨/١٤ ، ٣٣

ورد في التوراة قول الله تعالى حيث قال :

اطعنى يا ابن آدم اجعلك مثلي حيا لا تموت عزيزا

١
لا تذلل غنيا لا تفقر .

ومن العجيب أن بعض المحققين للمصادر الباطنية اعتبر ذلك

٢
حديثا قدسيا .

وتمسح المصادر الباطنية بحكم وأقوال أخرى غير منسوبة الى المهسد

القديم ولكن ما يشتم منها أنها ذات أصل يهودي ، كقول بعض الدعاة . -

قال بعض الحكماء : لا تحاول اصلاح من قسوي

فساده فهو الى أن يجذبك اليه أقرب من أن تجذبه

٣
اليك .

١. مقدمة تأويل الدعائم ٤٢/١ والأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظم)

٢. انظر: المجالس المؤيدية ، فهرست الاحاديث المنسوبة الى النبي (ص) ص ٣٢٥ .

٣. رسالة تحفة المرتاد ، (شروثمان . أربعة كتب) ص ١٦٠ .

الفصل الثالث : تاريخ الدعوة الباطنية

ان الدعوة الباطنية سرية و لا يشك أحد في اتباعها هذا الأسلوب ، خاصة بعد ما مضى من هذا البحث ، وهذه الدعوة قامت على أكساف دعاة مجهولين في معظم الأحوال ؛ الا أن تعميم صفة السرية وتعليق جميع الأحداث عليها ضرب من المبالغة أو التهرب من مواجهة شيء ما . ففي هذا التاريخ ما هو جدير بملاحظة الباحثين وادامة التأمل ؛ وقد مر

وتاريخ الدعوة الباطنية منذ نشأتها حتى زوال الدولة العبيدية

بفترتين رئيسيتين؟

الأولى : فترة الستر وهي تبدأ بوفاة جعفر بن محمد سنة ١٤٨ كـ
يؤمن الباطنيون حتى ظهور عبيد الله المهدي على المغرب سنة ٣٩٦ ، والمفترض أن تكون هذه الفترة سرية بمعنى الكلمة لا سيما فيما يختص بالأئمة ومشاهير الدعاة .

الثانية : فترة الظهور أو دور الاشهاد ؛ وهي التي تبدأ بما انتهت به فترة الستر وتنتهي بانتهاء الدولة العبيدية ويفترض في هذه الفترة أن تكون علنية بخلاف فترة الستر لا سيما ما يختص بمرتبة داهي الدعاء (ر . ص ٣٦٨) . وما يختص أيضا باعلان النسب الفاطمي الذي غلغته السرية في فترة الصمت .

وهذا الفصل يوضح لنا بطريقة أخرى تاريخ هذه الدعوة انطلاقا

من النقطة الحرجة فيها الا وهي نسب الخلفاء العبيديين .

علاقة النسب الفاطمي بتاريخ الدعوة الباطنية ؛

ان الفرق الباطنية في مجموعها تدعوا الى امامة محمد بن اسماعيل -
عدا فرقة النصيرية - ، وقد تبين لنا من خلال ترجمة المذكور وترجمة أبيه

أن لا دور لهما في العقائد الباطنية وان كان لهما من دور في الدعوة
فهو أنها تحمل اسم اسماعيل ومحمد بن اسماعيل (ر. ص ص ٢٦٨، ٢٧٥)
ولما قامت دولة العبيديين ادعى خلفاؤها الانتساب الى محمد بن
اسماعيل بطريقة لازالت موضع خلاف شديد بين المؤرخين والدارسين
فتفرقوا بين مثبت لهذا النسب وناف له .

وارتباط هذا النسب بتاريخ الدعوة الباطنية ينطلق من خلال
وجهة نظر الذين نفوا هذا النسب الذي ادعته طائفة منهم لميمون
القداح وابنه عبدالله بن ميمون ، وهما اللذان قامت هذه الدعوة على أكتافهما ،
وهو بالتالي ينسجم مع وجهة نظر من اعتبر الخلفاء العبيديين قداحيين
في حقيقة أمرهم ، ولا يخفى علينا أن هناك طائفة من اثبتت صحة النسب
الفاطمي لأولئك الخلفاء تدعي أن القداحيين شخصيات وهمية وأسماء
حركية للأئمة المستورين الذين ينحدرون من ذرية محمد بن اسماعيل
وهنا يصبح الفاطميون أنفسهم هم حاملو لواء الدعوة الباطنية .

وهكذا تصبح مسألة النسب الفاطمي جزءا لا يتجزأ عن تاريخ
هذه الدعوة .

المنكرون للنسب الفاطمي :

ان المنكرين للنسب الفاطمي يدعون أن العبيديين في أصلهم من ذرية
ميمون القداح ، وقد ذكر " برنارد لويس " أن أول من أشار الى ذلك كان
" ابن رزم " (عاش تخميناً في أوائل القرن الرابع) ، وهي إشارة الى أن أهل
السنة هم أول من قال بذلك ، وقد انتشرت هذه الفكرة عن أهل السنة عند كتيبر

من الباحثين المعاصرين مع الأسف ، وان كان بعضهم بدأ في حصر
التهمة في الخلفاء العباسيين وهو أيضا خطأ شنيع ، لان أول تشكيك
في نسب الخلفاء العبيديين لم يصدر عن أية طائفة اسلامية قبل صدوره
من الباطنيين أنفسهم ، فان ابا عبدالله الشيعي (- ٢٩٨) المؤسس الفعلي
لدولة العبيديين في المغرب ، واخاه ابا العباس كائنا اول من شك في
نسب عبيد الله المهدي * كما تقول مصادر باطنية (ر . ص ٤٠٧) ولكن
قبل ان نتحدث عن ابي عبدالله الشيعي باعتباره المؤسس الحقيقي
للدولة العبيدية ، وما كان منه من الشك في المهدي عبيد الله
لا بد ان نتحدث عن وصوله الى المغرب كيف ولماذا كان ، وهذا حديث
له طلاقة بظاهرة ارسال الدعاة الباطنيين الى البلاد المختلفة لنشر
الدعوة .

ارسال الدعاة الى البلاد المختلفة :-

تحدثنا في الفصل السابق عن دعاة الجزائر ، وعددهم وكيفية
ارتباطهم بالامام عن طريق داعي الدعاة واسماء جزيرهم ٠٠٠ الخ (ر . ص
٣٦٩) ولكن هناك ظاهرة اخرى في تاريخ الدعوة الباطنية وهي ظاهرة
ايفاد الدعاة الى اماكن مختلفة ، وغالب الظن ان هذا خارج عن
مسألة داعي الجزيرة التي ذكر الباحث احتمال وجود ذلك التنظيم
الخاص بالدعوة على النحو المعقد الذي يطيب لبعض الدارسين المعاصرين
ان يصوروا نظام الدعوة الباطنية عليه في الفترة المسماة بدور التمر .
ولقول الباطنيين بوجود داع لهم في مصر (ر . ص ٤٠٧) وليس في نظام
الجزائر جزيرة باسم مصر .

١. انظر ، مصطفى غالب . تاريخ الدعوة الاسماعيلية ط ٣ ص ١٦٦

ان ارسال الدعوة بدأ بارسال دعاء لليمن بهدف اقامة اول دولة باطنية

يظهر منها المهدي المنتظر (ر. ص ٣٣٠) .

ورغم أن ذلك تم في فترة الستر (سنة ٢٦٧) الا أن الداعيين الحسن

ابن فح بن حوشب وعلي بن الفضل الجدني يعتبران من أكثر الدعاة

شهرة ليس في فترة الستر فحسب بل في فترات الدعوة الباطنية كلها .

ان هذا الظهور لاثنين من الدعاة في هذه الفترة يلقي ظللا من الريبة

علي مدلول كلمة الستر . كما أنه يشعرنا أن سنة ٢٦٧ كانت البدايـة

الحقيقية للدعوة الباطنية ، وما كان قبل ذلك فلا يتعدى الجانب

النظري للدعوة الا قليلا .

١٠ اقام الداعيان الحسن بن فح الشهير " منصور اليمن " وعلي بن الفضل

اول ما يمكن أن يطلق عليه " دولة الباطنيين " وأن يكن الداعيان

قد اختصا وتنافرا وتحاربا . حتى قُتل علي بن الفضل بعد ذلك الا أن

نجاحهما كان حافزا للمخططين الباطنيين أو " الأئمة المستورين "

كي يعيدوا التجربة بارسال داع الى المغرب .

١٥ أرسل " أبو عبدالله الشيعي " اول ما أرسل الى اليمن ليتلمذ علي

يد منصور اليمن الذي أصبح علي ما يظهر خبيرا في شئون اقامة الدعوة ،

والدولة . أما من الذي أرسل ابا عبدالله فهو موضع خلاف ذلك أن القاضي

النعمان يزعم أنه الامام المستور ، ولكن " جعفر الحاجب " الذي يمكن توثيقه

أكثر من القاضي النعمان هنا ، يدعي أن ابا عبدالله الشيعي لم يقابله

٢٠ الامام المستور الذي بعثه علي سبيل المجاز من الكوفة الى اليمن لأنه لم

يصل بعد الى المرتبة التي تؤهله لمقابلة الامام .

١. انظر ، افتتاح الدعوة ص ٣٠

٢. انظر ، سيرة جعفر (مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة) ديسمبر

بعد أن قضى " أبو عبدالله " فترة التدريب ؛ بعثه منصور الهمن مع
الحجيج إلى مكة لينطلق من هناك إلى المغرب ، ومع شخص مرافق
اسمه " عبدالله أبو الملاحف " قد لا يعنيننا من أمره شيء ، لاغفال التاريخ
له بعد ذلك .

- ٥ اتصل " أبو عبدالله " في مكة ببعض الحجيج المغاربة من قبيلة
" كتامة " البربرية ؛ فكان أن اصطحبوه معهم إلى بلادهم .
كانت مهمة أبي عبدالله بذرا أرض الدعوة الباطنية في المغرب ؛ تلك
الأرض التي يقول الباطنيون ان داهيين باطنيين آخرين سبق وأن جاءوا
إليها لحزنها حسب التعبير الباطني ، قبل خمس وثلاثين ومائة من السنين
١٠ كما يزعم القاضي النعمان ؛ الذي ذكر أن أبا عبدالله وجد أفراداً من
الشيعة في سوجمار من أرض " سماته " بالشمال الغربي من " بلاد الجريد " .
المسماة اليوم تونس ، ولا بد من إعادة النظر في صحة ارسال الداعيين
العلوانيين وأبي سفيان أيام جعفر بن محمد كما يدل النص .
اتخذ " أبو عبدالله الشيعي " الأسلوب الباطني ؛ قبدأ بعمل فسي
١٥ الخفاء وركز على " الكتابيين " ؛ فأظهر لهم التمسك بأهداب الدين مثل :
الاقبال على الصلاة ، والصيام وأعمال الخير ،
وأعمال البر ، وتجنب المعاصي وصلاح الأحوال ،
ما دعاهم إلى الدخول في ذلك فأقبلوا إليه من كل وجه .

انتظار الجهول :

- ٢٠ يبدو أن أبا عبدالله الشيعي مكث على هذه الحال يبشر بالمهدي
المنتظر حتى دان له جزء من افريقية والمغرب الأوسط وبقى بين القوم ينتظر

١. المهدي المجهول له ولهم لأن أبا عبدالله لم يعرف المهدي من قبل . بل
ومن الممكن الاضافة أن أبا عبدالله كان يجهل صفات المهدي بحيث
لايستطيع التعرف عليه الا بمعرفه كما سيأتي (ر. ص ٤٠٥ ، ٤٠٦) .

وبدو أن أبا عبدالله لم يتصل حتى بالامام المستور الذي يفترض أن يكون
أبا للمهدي عبيد الله أو شيئا من ذلك ، وهذا ما يؤكد أن السرية التي
طبقت مع أبي عبدالله الشيعي لم يطبق مثلها على منصور اليمن الذي
حظي بمقابلة الامام المزعوم من أول وهلة ، وهي اشارة الى تعميق السرية
بعد ارسال منصور اليمن .

كان على أبي عبد الله الشيعي أن ينتظر المجهول . وقد يدل هذا
على أن هناك انقطاعا بين أبي عبدالله والمرجع الاصيل الذي يعمل
لحسابه .

الا أن ابن الأثير ادعى أن أبا عبدالله أرسل الى المهدي رجلا من
"كتامة" من المغرب لتبشيره بما فتح الله عليه فانهم ينتظرونه ، كما ذكر
"جعفر الحاجب" الذي رافق المهدي عبيد الله في رحلته الى المغرب
أن المهدي ؛

أخذ محمد بن احمد أخا أبي عبدالله الداعي ببلدة
كتامة الى القيروان مع من كان معنا من الكتامين الذين
كانوا ينفذون لنا الى سلمية ليصل معهم الى أخيه
ببلدة كتامة ، ويعرف قرب المهدي ع م منه .

٢٠ ولكن هذا يتناقض مع ما ذكره جعفر الحاجب نفسه من أن المهدي
حينما كان في طريقه الى أبي عبدالله متكررا تعرف بشخص يدعى "أبو
القاسم المطلبي" وهو من أهل "القيروان" وقد صاح "عبيد الله المهدي"

١. انظر افتتاح الدعوة ص ٢٧٧
٢. انظر الكامل ج ٨ ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٨٥ ، ص ٣٧
٣. سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة) ص ١١٦

هذا المطلبي بأنه المهدي المنتظر وأمره أن يلحق بالداعي أبي عبد الله
كبي يعرفه بشخصية المهدي ؛

لأن أبا عبد الله الشيعي لم يكن رأى المهدي
، ، ، وكان المهدي (عم) قد كتب الى أبي عبد الله
يوصيه بالمطلبي ويأمره بحفظه وصيافته والمبالغة
في الاحسان اليه .

ان هذا التناقض بين الخبرين اللذين أوردهما جعفر الحاجب لا بد له
من مرجح ، ولا شك أن ما ذكره ابن الأثير يتناسب مع نص جعفر الأول ليصح
لدى أبي عبد الله أشخاص يعرفون المهدي بل انهم رأوه من قبل رؤيا العين
هؤلاء الأشخاص هم الوفد الذي أرسله أبو عبد الله الى سلمية لتبشيره
المهدي وطلب قدومه وغوما ذكره ابن الأثير ، والوفد الذي أرسله المهدي نفسه
وفيه أبو العباس محمد بن أحمد أخو أبي عبد الله الشيعي ، ومهما غاب
من الأشخاص أثناء استقبال أبي عبد الله للمهدي وتسليمه الأمور له ، فيستدل
وجود بعض منهم مسألة ذات اعتبارات عدة ، على أي حال فاننا سنكرى
ما يحدث بعد ذلك .

ان المهدي عبيد الله اضطر الى التنكر خوفا من أن يلقي القبض عليه
لأن الباطنيين يدعون أن السلطات العباسية كانت تتعقبه لتلقي القبض
عليه وتسلمه الى مصيره المحتوم ، ذلك لأنهم علموا بما أزمع عليه المهدي من
الذهاب الى المغرب وتسلم زمام الدولة من أبي عبد الله الشيعي ، ورغم التنكر
الذي قام به المهدي فانه وقع في قبضة اليسع بن مدرار حاكم سجلماسة
الذي يناهض أبا عبد الله ، والذي اضطر الى القاء القبض على عدد من

١. سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ١٢١ ،

الأشخاص أشتبه فيهم أيهم هو المهدي ، وعلم أبو عبدالله أن المهدي محتقل
في سجن اليسع بن مدرار ، فحاصر سجلماسة وطالب اليسع باطلاق
سرح المهدي مقابل فك الحصار عن مدينته ، ولما كان اليسع جاهلا
بشخص المطلوب ، ورغبة في فك الحصار عن بلده ، أمر باخراج
المعتقلين لديه واحدا واحدا لأبي عبدالله كي ينتقى منهم مهديه . . .
المنتظر ، وكان أول من وقع عليه الاختيار تاجرا اسمه ابن بسطام ، الذي
توجه على فرس الى حيث جيش أبي عبدالله الذي كان على أحر من الجمر
منتظرا .

فلما رآه أبو عبدالله ترجل اليه ، وقدر أنه المهدي (ع م) ، فترجل
ابن بسطام لترجل ابي عبدالله ، فلما رآه أبو عبدالله قد ترجل
لترجله ركب فرسه ولم يلتفت اليه ، ودعا بأبي القاسم المطلبي
وقال له : النزم على يميني ولا تفارقتي فلماذا وجهك معي الامام
[يعني عبيد الله المهدي] ولو كنت معي ما نزلت لرجل من سائر
الناس . . . قال جعفر فلما زاد البلاء على أهل سجلماسة
ورآهم صاحبها لم يلتفتوا الى ابن بسطام بعث الى المهدي (ع م) . . .
فلما فصل عن سجلماسة وانتهى الى حيث تبين للمتأمل قال
المطلبي لأبي عبدالله هذا مولاي ومولاك ومولى الناس أجمعين .

وهكذا سلم أبو عبدالله الشيعي أمر البلاد والعباد الى الشخص السني
قال له أبو القاسم المطلبي انه المهدي المنتظر . وهذه الطريقة المجيبة أصبح
عبيد الله المهدي أول خلفاء الدولة العبيدية التي اشتهرت بالفاطمية بعد
ذلك . ولا شك أن ميلاد دولة على هذه الطريقة غير الطبيعية ، أمر
يستحق الذكر اذا لم نقل انه في غاية الغرابة . وهو من ناحية أخرى يجعل

الصورة أكثر وضوحا بالنسبة للباحث وذلك فيما يختص بالنصين القائلين بوجود
أشخاص في جيش أبي عبدالله يعرفون المهدي أو أنهم رأوه رؤيا العين من
قبل (ر: ص ٤٠٤) وهذا النص لا يتعارضان مع نص مماثل فحسب
بل ان قصة ظن أبي عبد الله في ابن بسطام أنه المهدي وترجله عن فرسه
له يدلنا كم كانت حجم المعلومات المتوفرة عن المهدي المنتظر عند أبي
عبدالله ، وتصبح قصة أبي القاسم المطلبي النقطة الحرجة ومنتق
الزجاجة بالنسبة لتاريخ الدعوة الباطنية عموما ولتكوين الدولة العبيدية
خصوصا .

بداية الشك في شخصية عبيد الله المهدي :

١٠ كان لأبي عبدالله الشيعي أخ اسمه محمد بن أحمد ويكنى بأبي العباس

وكان .

أسن من أبي عبدالله ، وأنفذ ، وأحد ذهنا وأكثر تفننا

في العلم وأسبق منه سابقة .

وقد سبق الحديث عنه في نص جعفر الحاجب حين زعم أن المهدي

١٥ أرسله إلى أخيه أبي عبدالله في وفد من كتامة يخبره بعجىء المهدي

وقد اتضح لنا أن في النص ما لم يحدث .

ان أبا العباس كما يظهر على اتصال بالزعامة الباطنية أكثر من أبي عبدالله

الذي مكث يناضل من أجل تأسيس هذه الدولة ما يقرب من سبعة عشر عاما

في المغرب . وكان أبو العباس يقوم بمهمة صاحب البريد بين أبي عبدالله في

٢٠ المغرب والقيادة الباطنية في المشرق وخاصة مع أبي علي الداعي الباطني

بصر والامام المستور في المشرق بواسطة شخص ثالث هو الداعي فيروز

الذي كان صهرا للداعي أبي علي ، والذي مهد له لقاء الامام المستور ، كما كان أبو العباس رفيق الدرب في رحلة المهدي عبيد الله الى المغرب الا انه افترق عنه في افريقية ، كما يزعم جعفر الحاجب ما يدل على انه لم يخض سر عملية تسليم أخيه الأمور الى عبيد الله على أنه المهدي المنتظر ، ولكن حضوره بعد ذلك كان ايدانا بأحداث جديدة فبعد أن استتب الأمر تماما لعبيد الله المهدي ، ظهرت في الأفق بوادر ثورة عليه ، وأما سبب هذه الثورة فقد قيل انها كانت نتيجة لسلب عبيد الله المهدي السلطات من بين يدي أبي عبدالله الذي كان بيده كل شيء ، فأصبح لا يكاد يكون في يده شيء ، ان هذا السبب وجيه وممكن الحدوث ولكن هل يتفق هذا مع ذكرته المصادر ؟

عرفنا ما سبق أن أبا عبدالله الشيعي لم يحظ قبل ايفاده الى المغرب بمقابلة الامام المستور زما أو حقيقة ولا شك أنه يعلم في قرارة نفسه أنه لم يصل بعد الى المرتبة التي تؤهله لذلك (رء ص ٤٠٢) بعكس منصور اليمن الذي ذكر أنه قابل الامام المستور سواء أكان هذا الامام حقيقيا أو مزيفا الا أن منصور اليمن يعلم أنه حظي بمقابلة الامام ، وأن أبا العباس المتميز عن أخيه بالسن والعلم والسبق الى المذهب الباطني ، ثم لكونه بعد ذلك حلقة اتصال بين أخيه في المغرب ومراكز الدعوة في المشرق ، فقد حظي بمقابلة الامام المستور ولكن ذلك لم يتم الا على مرحلتين ، على النحو التالي :-

أخذ عليه [يعني العهد] من خلف ستارة ، ثم رفعت من بعد للأخذ عليه فرأى الامام والمهدي والقائم وهو طفل صغير

١. انظر: سيرة جعفر (مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة) ص ١٢٢
٢. انظر: سامي النشار . نشأت الفكر الفلسفي في الاسلام ، ط ٧ ، ص ٣٧٣
٣. سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة) .

ان هذا اذا قوبل بالأحداث التي توالفت بعده وأشير اليها آنفاً من
مرافقة أبي العباس للمهدي في رحلته إلى المغرب ثم تخلفه عن حضور
تسليم أخيه الأمور إلى المهدي عبيد الله ثم اعلان الثورة على المهدي يشير
إلى أن لأبي العباس يدا في هذه الثورة التي لم يكن سببها الوحيد سلب
السلطات من يد أبي عبدالله .

وهذا ما كان حقيقة كما تقول المصادر الباطنية نفسها من أن أبا
العباس :

جعل يرمز لهم [؟] بعد الرمز إلى أن صح لمن رأى أن كلامه
وقع فيه موقعا ، فطعن لهم في الإمامة ، وأدخل فيها
الشبهة .

وفي نص آخر للداعي ادريس يقول فيه :

حتى دخل في عقل الشيعي أبي عبدالله أخوه أبو العباس
واستزله وقال له ليس هذا هو المهدي .

اذن فان للثورة على المهدي معنى آخر لا يتعلق بالسلطات التي سلبت

من أبي عبدالله وهي في الحقيقة لم تسلب لأنه سلمها كما لم يسلم أحد شيئا .

ان الثورة تتعلق بالطعن في شخصية المهدي وأنه ليس المهدي ، ولكننا

اذا عدنا إلى نص جعفر الحاجب نجد أنه يقول ان ابا العباس شاهد

الامم والمهدي والقائم ، وهذا يتضارب مع نص القاضي النعمان ونص الداعي

ادريس اللذين حددا ماهية ثورة أبي العباس ، وهذا التضارب يضع عدة

احتمالات منها :

١. افتتاح الدعوة ص ٣٠٩

٢. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٦٨ .

١ - صحة نس جعفر الحاجب بحذافيره وهذا الاحتمال يؤدي الى عدم صحة ما ذكره القاضي النعمان والداعي ادريس من ان ابا العباس شكك في شخصية المهدي حتى أصبح لذلك التشكيك صدق بين الدعاة والمشايخ في الدولة الباطنية الوليدة ، كما ذكر القاضي النعمان ان هارون بن يونس الملقب بشيخ المشايخ الارباب - ويبدو انه زعيم من زعماء قبيلة كتامة - قال للمهدي عبيد الله كفاحا ،

انا قد شككنا في امرك ، فاثنا بآية ان كنت المهدي كما قلت^١

وقد أشار القاضي عبدالجبار المعتزلي الى موقف هارون

ابن يونس هذا بل ان القاضي النعمان نفسه أكد اتساع رقعة الثورة في اوساط كتامة التي اجتمعت ،

حين

الا القليل منهم على ما زين اللعين [أبو العباس] لهم^٢

جمعوا الجموع واحاطوا بنصر المهدي ليقعوا به ،

ويمكننا هنا إضافة أن جعفر الحاجب لم يأت في سيرته الى الحديث عن

هذه الثورة مع معاصره ومعايشته لها عن كتب ليست هذا الاحتمال .

١٥ ب - ان ابا العباس قابل الامام المستور وابنه القائم فقط وهذا يتفق مع

وجهة نظر القائلين بأن المهدي عبيد الله ليس الأب الحقيقي لابنه القائم

(ر . ص ٤١٩) وهذا يعني أن جعفر الحاجب أو من نسخ سيرته التي

وصلت اليها قد أقحم اسم المهدي لحاجة في نفسه . واذ اصح هذا

الاحتمال فانه يجعل الأمر على صورة أخرى بحيث يصبح أبو العباس عالما

٢٠ بأن القائم بن المهدي هو الامام الحقيقي المستقر ، وأن المهدي ليس مهديا

ولا اماما بل هو مربي أو حافظ أو كفيل للقائم حتى يسلمه الأمر ، وهو

ينسجم تماما مع مرافقة أبي العباس للمهدي والقائم منذ الخروج من سلمية

١. افتتاح الدعوة ٣١٠

٢. انظر تشيبت دلائل النبوة ٣٨٩/٢

٣. افتتاح الدعوة ص ٣١٢

التي ذكرها جعفر وهذه المعلومات التي يفترض أنها كانت لدى أبي العباس هي التي جعلته يثور على المهدي ، وقد أشار الى هذا الاحتمال " فرحات الدشراوي " في تحقيقه لكتاب افتتاح الدعوة .^١

ولكن هذا الاحتمال اذا اصطدم بواقع ثورة أبي العباس التي شككت في المهدي فعليا ذلك التشكيك الذي يدخل فيه ابنه القائم ضمنا ، ولو كان الأمر خاصا بالمهدي دون القائم لسهلت مهام الثورة ضد المهدي على الثائرين ، ولربما ساهم ذلك في انجاح الثورة لأن القائم سيصبح ورقة رابحة في يد الثوار تسهل الاطاحة بالمهدي لتقام الدولة بزعامة القائم بأمر الله الذي يفترض فيه أن يكون المهدي الحقيقي ، والأمر في ذاته يعبر عن أسس أماني عبد الله الشيعي ، وعليه فإن هذا الاحتمال يسقط من هذا الوجه .

د - ان أبا العباس قابل الإمام المستور فقط ، بحكم عمل أبي العباس والدرجة التي وصلها باطنيا ، وعليه فإنه لا المهدي عبيد الله ولا القائم امام ، وهذا يتناسب تماما مع مرافقة أبي العباس لهما طوال الرحلة إلى المغرب بل ان عدم حضور أبي العباس عملية تسليم أخيه الأمور إلى " المهدي عبيد الله " يعتبر دليلا قويا على أن عبيد الله دبر ذلك قصدا ليضع أبا العباس أمام الأمر الواقع فيما بعد ، وأن أبا العباس لم يدبر بخلفه أن المهدي سيدعو لنفسه حينما يستتب له الأمر ، وهو أمر لا يستبعد مع الدهاء الذي اتصف به عبيد الله المهدي ، وقبل توضيح قوة هذا الاحتمال ، لا بد من الوقوف على هذه المقدمات :

٢٠

١- ان مصدر انطلاق ابن حوشب وعلى بن الفضل الى اليمن كان مدينة

١. انظر : سيرة جعفر الحناجب (مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة) ص ١١٠
٢. انظر : افتتاح الدعوة هامش ص ٣٠٩

١. الكوفة كما أن مصدر انطلاق أبي عبدالله الشيعي فيما بعد كان الكوفة
أيضا ، والكوفة أيضا كانت مصدر خروج الداعي أبي علي الى مصر
الايدلنا ذلك على أن الكوفة مركز للامام المستور ومنبع للدعوة الباطنية
على الأقل حتى سنة ٢٨٠ وهي السنة التي وصل فيها أبو عبدالله
الشيعي الى المغرب ؟

٢- قبل سنة ٢٨٠ بما يقرب من مائة عام كان عبدالله الاكبر أحد الأئمة
المستورين قد أقام في " سلمية" حين تأسست تلك المدينة فكانت مركزا
للإمامة الى أن خرج منها المهدي عبيد الله في حوالي سنة ٢٨٩ هـ كما
كانت مركزا لتوصية الدعاة .

١٠ هنا يقفر سؤال فيه شيء من الخطورة ؛ أيهما كان مركز الدعوة الباطنية
الاسماعيلية ؟ أهو الكوفة أم سلمية ؟ وهو سؤال لم يتطرق اليه كما يبدو
أحد من الدارسين من قبل . فان كانت السلمية هي المركز فلم كان
مصدر الدعاة معظمهم الكوفة ؟ داعيا اليمن وداعي مصر وداعي كتامة بالمغرب ،
وان كانت الكوفة هي المركز فكيف يبرز عبيد الله المهدي من السلمية ويؤسس
دولة في المغرب ؟

١٥ ٣- واذا علمنا أن أولاد " زكويه بن مهرويه " أو " أبي محمد " داعي
الكوفة كما يسميه صاحب " استتار الامام " قاموا بالتوجه الى سلمية
لغزوها والعزم على قتل المهدي عبيد الله ، ومن ثم هرب المهدي وليس
معه سوى ابيه أبي القاسم القائم وجعفر الحاجب وابن بركة الخاضن وترك
كل شيء . ولما وصل أبناء زكويه الى الشام عاثوا فيها فسادا ؛ وخاصة
سلمية التي قتل الكثير من أهلها كل ذلك انتقاما من المهدي الذي عزلهم

١. انظر ما قاله ابن حوشب في ذلك في افتتاح الدعوة ص ٣ ٩٤
٢. انظر : افتتاح الدعوة ص ٣٠ وانظر تثبيت دلائل النبوه ٣٨٩/٢ .
٣. انظر سيرة جعفر (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ١٢١
٤. انظر : استتار الامام وسيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة
القاهرة) ص ص ٩٥ ، ٩٦ ، ص ١٠٩

١
عن الدعوة الباطنية بالكوفة كما يدعي صاحب استتار الامام لاشك أن الأمر
أخطر من الانتقام من شخص المهدي ، إذ لو كان الأمر كذلك لدبر ابناء
زكويه مكيدة لاغتياله . ولا ننسى أن جعفر الحاجب ينكر أي علاقة بين
المهدي عبيد الله وبين ابناء زكويه الذين يسمي الزعيم منهم بالقرمطي حيث
قال :

ولم يكن والله بيننا وبين القرمطي عقد ، ولا لنا في عنقه عهد ولا نعرفه
٢
ولا يعرفنا .

ان هذا تهرب من جعفر الحاجب من الحقيقة لأن صاحب (استتار
الامام) أثبت وجود اتصال بين القرامطة الذين غزوا سلمية أي ابناء
١٠ زكويه بن مهرويه وبين عبيد الله المهدي الذي اعتبرهم دعاة من قبل
المهدي .
٣

ان " تاريخ الطبري " مرجع معاصر للأحداث هذه بالاضافة الى أنه
محيد لا يدري عن عبيد الله المهدي شيئاً من مسألة ادعائه النسب أو غير
ذلك ، ويتلخص كلام " الطبري " في أن زكويه بن مهرويه أرسل اولاده في
١٥ أواخر سنة ٢٨٩ فيما بين الكوفة ودمشق وعلى رأسهم ابنه يحيى الذي زعم
أنه أبو عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وسار بجيشه نحو الشام
حيث قتل يحيى قرب دمشق ، وتولى الأمر بعده أخوه الحسين بن زكويه
الملقب بأبي شامة وزعم أنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل وتسمى
بالمهدي في حمص وسار الى مدن الشام وقتل أهلها وخاصة سلمية التي
قتل أهلها جميعاً بعد أن اعطاهم الأمان ، واستشرى أمره حتى قضى عليه
٢٠ جيش المستنكفي في أوائل شوال سنة ٢٩٠ .

١. انظر: استتار الامام (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ٩٨ -
١٠٥ .
٢. سير جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ١١٠ .
٣. انظر استتار الامام (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ٩٦ -
٩٩ .

ان ذلك يجيب على السؤال المطروح آنفا وهو ، أي المدينتين كانت
مركز الدعوة الباطنية ؟ سلمية أم الكوفة ؟ والجواب لاشك أنه الكوفة .
وأن أولاد زكويه الذين خرجوا من الكوفة لحرب عبيد الله المهدي هم
أول من ادّعى الانتساب لمحمد بن اسماعيل ، وكذا ادّعى داعيهم أنه
المهدي المنحدر من ذرية محمد بن اسماعيل ، وأن له أتباعا بالسواد
والمشرق والمغرب ، وبذلك يكونون هم الذين أرسلوا داعي اليمن وداعي
مصر وداعي المغرب : أبا عبد الله الشيعي .

وإذا كان دعاة زكويه قد فعلوا ذلك أي أنهم هم الذين وجهوا الدعوة
الى اليمن . كما يرجح الباحث فان في الرسالة الدرزية الشهيرة
" كتاب تقسيم الطم " ما يؤيد ذلك ، وأن لم يكن معتمد هذه النتيجة عليها
(ر : ص ٤٢٢) .

ومن الممكن من خلال ما ورد في تلك الرسالة القول أن هناك علاقة ما بين
أبي زكريا وزكويه وإرسال دعاة الى اليمن ، ما يتأيد به ما توصل اليه الباحث
اليه من أن باطنية الكوفة هم الذين أرسلوا منصور اليمن وعلي بن الفضل
وكذا أبا عبد الله الشيعي الى اليمن فالمضرب ، وقد ذكر ابن النديم ما يقرب
من هذا الاستنتاج .

ثمة عبارة أخرى وردت في " استتار الامام " تتعلق بعزم أولاد زكويه التوجه
الى الشام لغزو سلمية ، يقول صاحب " الاستتار " ،

فاتصل ذلك بدعاة بغداد وهم حامد بن العباس وابــــن
العبد وجماعة من الشيعة ، كتبوا الى المهدي ع م (أن) بني
أبي محمد قد عزموا على قتلك ، وقتل أمك ، فان كنت قاعدا

١ . انظر تاريخ الطبري ج ١٠ ص ٩٥ - ١٠٤
٢ . انظر : الفهرست ص ٢٨٠

فم ه فانهم زحفوا اليك وعم عازمون على قتلك ه فان لم يجسدوا
الى ذلك سبيلا وشوا بك الى احمد بن طولون ه وهم يقولون
انك مخالف للمذهب ه ويشهرون امرك ه فاعمل على خلاص نفسك
ولا تم [كذا] ساعة واحدة .^١

- ٥ ان النص في جملته يدل على أن الباطنيين - في هذه المرحلة الحرجة -
صاروا فرقتين ه الاولى ه كوفية ه والثانية ه شامية ه مركزها سلمية ه وأن الشمس
في الكوفة عازمة على تصفية حساب مع التي في سلمية ه والتي يمثلها
من صار يدعى بعد ذلك " عبيد الله المهدي " .
- والنص يزيدنا أن الذين في سلمية كانوا اما أتباعا للكوفيين أو متكافئين
١٠ معهم في المستوى وليس أولاد زكرويه دعاة لعبيد الله كما حكى من قبل
صاحب " الاستتار " وهذا ما يستفاد من قوله ه (وهم يقولون انك مخالف
للمذهب) ه وهذه العبارة لو أخذت من وجهيها فانها تعطي هذا
الانطباع ه أهني لوقلنا ان أبناء زكرويه وصفوا عبيد الله بمخالفة المذهب
ليبروا ما عزموا عليه من الوشاية به عند ابن طولون ه فانه لن يستقيم مع واقعهم
١٥ وهو اعلانهم الخروج على الدولة العباسية الذي هو في حد ذاته خروج
عن مذهب تلك الدولة فكيف يستماع منهم اتهام غيرهم بما هم فيه واقعون ه
وإذا قلنا ان الجملة اعتراضية فان وصمهم عبيد الله بالخروج عن المذهب
ينطبق عليهم باعتبارهم فرقة واحدة خرج عنها عبيد الله فصار موقفا
لحارته ه وهنا يتأكد لنا أن عبيد الله ليس اماما للباطنيين لأن الامام
٢٠ الباطني في عقيدتهم هو المذهب لأنه معصوم ه ولتراى هنا أن أبناء
زكرويه ادعوا الانتساب الى محمد بن اسماعيل ه

لاستغرب بعد ذلك ما قاله " ايفانوف " في تعليقه على زحف أبناء

زكرويه الى الشام ، الذي يقول فيه ؛

ولو أن الظروف واتتهم وتغيرت قليلا عما كانت عليه لتحقق

غرضهم ولكانت دمشق عاصمة الفاطميين ومركز حركتهم العلمية

بدل القاهرة .

وعكذا يتضح أن رحلة عبيد الله الى المغرب كما وردت في " سيرة

جعفر " ليست في حقيقتها الا هروبا من مصيره المحتوم لوقوع في يد خصومه

(ابناء زكرويه) ، فاستغل السرية العميقة للفرق الباطنية استغلالا

الذكي العالم ببواطن الأمور ، ليقف بعد ذلك أمام أبي عبدالله الشيعي

باعتباره المهدي المنتظر .

وعليه فان أبا العباس الشيعي حين رافق عبيد الله في رحلته - اذا

صحت تلك المرافقة - لم يكن يطم بما خطط عبيد الله في نفسه من أنه

سيدعي الامامة والمهدية . وهذا ما يجعل لثورة أبي العباس على عبيد الله

بعد ذلك معنى ينسجم مع الأحداث التي وقعت من قبل ومن بعد . والتي

لم تستق الا من المصادر الباطنية فقط .

وهذا يتفق تماما مع التخطيط الذي وقع فيه عبيد الله المهدي بمسند

تسلمه الأمر من يد أبي عبدالله الشيعي ؛ حينما أراد أن ينسب نفسه الى

أهل البيت كما يتفق مع ما ذكره المقرزي من أن . .

عبيد الله المهدي لم يدع انتسابه لعلي بن أبي طالب ، الا بعد هروبه من

سلمية ، وآبائه من قبله لم يدعوا هذا النسب ؛ وانما كانوا يظهرون التشييع

والعلم وأنهم يدعون الى محمد بن اسماعيل وأنه حي لم يموت ، ان مسألته

الدعوة الى محمد بن اسماعيل على هذا النحو حينما من الدهر ثابت فبي رسالة المهدي عبيد الله الى أهل اليمن (ر) ^{المطابق - ١} وهو ثابت أيضا

في فرقهم التي استمرت على ذلك حتى بعد ظهور الدولة العبيديّة

(ر ص ٢٨٩) بل ان جعفر بن منصور اليمن الذي عاش حتى أيام المعز

لدين الله (- ٣٦٥) يقول في مؤلف منسوب اليه بوجه أو بآخر :

فقال آل محمد سابع النطق^١ سابع السبعة النطق^١ من آدم

وثامن ثمانية من ولد علي . . .

فالقائم سابع النطق^١ السبعة هو ثامن ثمانية أئمة من ولد

علي فأشار الله أيضا الى الثمانية بدلائل في كتابه كثيرة . . .

وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم للجنّة

ثمانية أبواب وأراد بالجنة نفسه صلى الله عليه وعلى آله وسلم

لأنه أجزّ علم التأويل فلم يظهره الا من أبوابه وهم الأئمة

من ولده السبعة وثمانهم الناطق السابع منهم .^١

والثامن المقصود هو محمد بن اسماعيل لاعتبارات كثيرة . واذا أردنا

مجازات النصوص السابقة وافترضنا الثامن شخصا آخر بعد محمد بن اسماعيل

فانه بأي حال سيكون قد هلك قبل أن يولد جعفر بن منصور اليمن

الذي يرفع لواء الدعوة اليه . وما الغرض الذي سيقست من أجله تلك

النصوص الا القول أن الظروف وان خدمت عبيد الله المهدي كثيرا لحكمة

أرادها الله ، الا أنه لم يستطع محو التاريخ ولم يستطع أن يقنع

الناس الى اليم بكل دعاواه وعلى رأس ذلك ادعاه الانتساب الى فاطمة

بنت محمد (ص) .

ثمة نقطة هامشية حول ذلك وهي : أن المهدي عبيد الله حينما هرب من سلمية كان عازما على الذهاب الى اليمن ، ولما وصل مصر غير وجهته الى المغرب فانسحب على اثر ذلك كبير دعائه ومراقبيه " الداهي فيروز " وهرب الى اليمن وبقي مدة فيها مع منصور اليمن ثم اتجه الى علي بن الفضل الجدني ، وبعد ذلك ؛

فتن علي بن الفضل وأهل بلده وشعوذ لهم ودعاه وأهل

بلده الى نفسه ثم خرج اليهما أبو القاسم منصور اليمن وحاربهما مدة طويلة الى أن ظفر بهما وقتلهما .^١

ويرى محمد بن مالك اليماني أن علي بن الفضل هو الذي دعا لنفسه

تأسيا بأبي سعيد الجنابي الذي خلع القداحيين ودعا الى نفسه ، وقال ؛^٢
انما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسهما .

وسواء أكان علي بن الفضل قد دعا الى فيروز أو أن فيروز أغراه بالدعوة

الى نفسه ؛ فان الباحث يستغرب أمورا عدة وهي : هروب المهدي من

سلمية على النحو الذي علمنا . وما عمله القرامطة ابنا زكويه في مدينة

سلمية ؛ وتخلي فيروز عن عبيد الله المهدي في آخر لحظة . وعدم بقائه

فيروز عند منصور اليمن . وما وقع من علي بن الفضل بعد ذلك . وحرب

منصور اليمن لهما . وتسليم أبي عبد الله الشيعي الأمور الى عبيد الله المهدي

والثورة عليه منه ومن أخيه ثم اعدامهما . ولا بأس من اضافة ما ذكره القاضي

عبد الجبار من تسليم أبي طاهر القرمطي الأمر الى ذكيرة الأصفهاني

(ر . ص ٣٥٨) .

ان كل احتمال لتفسير هذه الظواهر العجيبة وارد لا سيما في جو

ملهد بظلمات الأسرار الكثيفة ، أما المستبعد الى الان على الأقل فهو كون

١. سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ١٥ أو انظر

أيضا ص ١١٠

٢. كشف أسرار الباطنية ص ٢٣

عبيد الله المهدي مهديا حقيقيا أو اماما فاطميا .

ولا بد من التنويه أن هذه النتيجة لم تتحقق بالمراجع السنية

بل ان للمصادر الباطنية المعاصرة الدور الأكبر في اثبات ذلك ، وكما

سيأتى . -

القائم بأمر الله العبيدي ؛

حينما دخل عبيد الله المهدي المغرب كان معه ابنه محمد . وقد

صار بعد وفاة المهدي عبيد الله خليفة بعده فكان ثاني خلفاء دولته

العبيديين ، ولقب بالقائم بأمر الله . وقد اختلف في أمر القائم هذا اختلافا

شديدا رغم أنه ثاني أئمة دور الشهداء ، أي أنه لم يكن في دور الستر

الذي يحتم السرية المطلقة ، وكونه من دور الشهداء يعني أنه ينبغي

توفر معلومات واضحة عنه .

قيل ان القائم هذا هو ابن المهدي عبيد الله ، وقيل انه ابن زوجته

(ربيبه) وقيل انه الامام الفاطمي الأول من ذرية محمد بن اسماعيل وما

المهدي في هذه الحالة الا كفييل مستودع له على نمط ما ادعوه من كفالة

ميمون القداح وابنه عبد الله بن ميمون لمحمد بن اسماعيل (ر . ص ٢٧٠) وعلى

الرأى الأخير استند برنارد لويس في قوله بأصل عبيد الله المهدي القداحي

اعتمادا على كتابي (غاية المواليد) و (رسالة تقسيم العلم) . ولنعمد

الى النص الذي اعتمد عليه لويس ولم يورده في كتابه ، يقول النص : -

لما ظهر النور باليمن وبلاد المغرب ، سارولى الله في أرضه

٢٠ " على بن الحسين " (صلوات الله عليه) يريد المغرب حتى كان

في بعض طريقه ، فأظهر الغيبة ، واستخلف حجتة سعيد

الملقب المهدي (صلوات الله عليه) فثبت قواعد الدعوة . وجرى
عليهما من ضدهما بسجل ماسة من العمال بالمغرب ما جرى ،
ووقى الله وليه (سلام الله عليه) كيده لما كان من زحف ابي
عبدالله عليه وظفره واستخراجه ولي الله سلام الله عليه من سجنه .
فلما حضرت المهدي النقلة سلم الوديعه الى مستقرها
وتسلمها محمد بن علي القائم بأمر الله تعالى وجرت الامامة
في عقبه (سلام الله عليه) .

ونجد كتاب مجالس الحكمة (ر . ص ٣٩٠ فما) يشبه عيد الله المهدي

بيوشع بن نون الذي يزعمون أنه تسلم الامامة على سبيل الاستيداع حتى
يسلمها لأبناء هارون اذا كبروا ، مع أن يوشع هذا غريب النسب ، أي أن عبد الله
المهدي غريب عن النسب الفاطمي ، وكل هذا يعني أن المهدي عيد الله أو .
سعيد الخير كان اماما مستودعا وأن الامام المستقر (الحقيقي) هو القائم
بأمر الله وهو هنا ليس ابنا له بل هو محمد بن علي .

ولكن في استتار الامام نجد عكس ذلك تماما ،

١٥ وولد لأحمد بن عبد الله الامام الحسين وهو لوالد المهدي . وسعيد
الخير . وأقام الحسين الى أن ولد له المهدي (ع م) . فلما
أمت نقلته استودع له أخاه سعيد الخير إذ كان ولده يومئذ في حال
الطفولية ، واستبد سعيد بالامامة ، ونص بها على ولده ، فهلك
الولد ، ثم نص على ولده الثاني فهلك ، وكان له عشرة أولاد فلم يسزل
٢٠ ينص على كل واحد منهم الى أن هلكوا بأجمعهم ، فلم حينئذ
سعيد الخير أن الحق لا يفارق أهله فتاب وأتاب الى الله تبارك
وتعالى ، وجمع دعائه وعلّمهم بأنه مستودع للمهدي (صلوات الله عليه) ،

١. الداعي أبو الخطاب الحجري . غاية المواليد (ايفانوف ، المنتخب) ص ٣٧
٢. انظر : مخطوطة مجالس الحكمة ق ١٢٦

وسلم اليه الامامة ، واعترف له بالوديعة ، وتصل اليه ما تقدم منه قبل ذلك ، وصارت الامامة الى المهدي (ع م) . فقال الشاعر

الله أعطاك التي لافوقها * وكم أرادوا منعها ووقها
عك وبأبي الله الا سوقها * اليك حتى طوقك طوقها^١

- ٥ ان نص (استتار الامام) يتحدث عن أحداث صارت في " سلمية " وقد تحدث بنفس القصة كتاب المجالس والسايرات ولكنه لم يسم أشخاص القصة . والذي يجمع النصين المتضاربين ان سعيد الخير هو الذي كان مستودعا فاعتبره نص غاية المواليد انه عبيد الله المهدي بينما اعتبره استتار الامام أخا للمهدي أو عمًا له ، وللأهمية يشير الباحث الى أن للمهدي ابنا^٢ آخرين غير القائم وكان عددهم خمسة من الذكور حتى أن الحاكم بأمر الله العبيدي نصب أحده ابنا^٣ جده المهدي وليا لعهد المسلمين وهو عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدي عبيد الله . وعليه فان احتمال أن عبيد الله صاحب قصة الأولاد الذين ماتوا صعبة المطابقة وبالتالي لا يمكن اعتباره الامام المستودع المعني في هذه القصة .

- ١٥ ووجد الباحث نفسه مرغما أمام هذه المصادر الى القول باحتمال قوة نص الاستتار الذي يعتبر عبيد الله المهدي ليس مستودعا بل انه مدع للامامة على أكمل صورة لها ، لأن غاية المواليد وان يكن متأخرا الا أنه اعتمد رأيه باستيداع عبيد الله ليثبت رأيا آخر وهو أن امامة تزار بن المستنصر (- ٤٩٠) امامة مستودعة وليست مستقرة ، وكتاب غاية المواليد الفه داع مستعلي في عصر الصليبيين ، ومعروف لدى المؤرخين الأحداث التي صاحبت موت ٠٠٠ المستنصر (- ٤٨٧) والتي أدت الى انقسام الاسماعيليين الى نزارية ومستعلية

١ . استتار الامام (مجلة كلية الآداب . القاهرة) ص ص ٩٥ ٩٦ .
٢ . انظر : كتاب المجالس والسايرات ص ٤١٠
٣ . انظر : اتعاظ الحنفا ٢ / ١٠١ ، ١٠٠ / ١٠١ وانظر الجزء الأول منه الملحق السادس .

- (ر ١٥٠٤، ١٥١٤) ، ومن ثم فان نص " غايصة المواليد " يثبت أن المهدي قد احيى النسب ولم يعتبر القائم بأمر الله ابنا له ؛ كما أنه روى رحلة المهدي الى المغرب بكيفية تختلف عن ما رواه جعفر الحاجب الذي صاحب المهدي في هذه الرحلة ، وتختلف أيضا عن " افتتاح الدعوة ، لأن صاحب " غايصة المواليد " أضاف الى الرحلة شخصا آخر هو " علي بن الحسين " الأب الحقيقي ٥ للقاءم بأمر الله على حد زعمه ، وقد تبع صاحب " زهر المعاني " " غايصة المواليد " في ذلك وان يكن قد اعتبر القائم بأمر الله ابنا لأخ المهدي عبيد الله .^١
- وقد أضاف " ايفانوف " نصا آخر من كتاب اسماعيلي نزارى هو كتاب " خطابات عاليه " بأن المهدي عبيد الله من ذرية عبد الله بن ميمون القداح .^٢ كما تقدم
- ١٠ مثل ذلك ما ورد في " مجالس الحكمة " عن غرمة عبيد الله المهدي من حيث النسب عن آل البيت ، كما استدل لويس في اثبات ان المهدي قد احيى وأن القائم ليس ابنه على نص درزي ؛ ويقول هذا النص :

- وظهر السماء الخامسة وهو محمد بن عبد الله ويسمى المهدي ستره وهو أيضا من ولد القداح وكان من ولد الحسين . وظهر السماء السادسة وهو من ولد ميمون القداح أيضا . . . وظهر السماء السابعة وهو قيام عبد الله بالأمر أبي المهدي [كذا] . . . وكان عبد الله قد تسمى احمد فلذلك تسمى سعيد بن احمد وهو المهدي الذي تسمى باسمه تمهيدا له واستثناسا للعالم باسمه ، وكان الكرسي ، فهو الذي استودعه المولى المعلى جل اسمه^٣ الوديعه وأمره بخدمة مولانا القائم جل اسمه .
- ٢٠

ولن نتحدث عن أسلوب الأساطير الذي يغلف النص ولتأخذه كما فعل لويس على غلاته ؛ وهو أن المهدي عبيد الله قد احيى وأن القائم بأمر الله ليس

١. انظر: زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٦٦

٢. انظر:

٣. مخطوط رسالة تقسيم العلم ق ١٠٨ ، ق ١٠٩

ابنائه ، كما أنه لا بد من الإشارة الى أن النص لم يثبت أن القائم بأمر الله
من ذرية فاطمة أم من غيرها .

ان النصوص السابقة في أفضل حالاتها لم تستطع اثبات ان القائم
بأمر الله فاطميا أو أنه ليس قداحي النسب .

ولا بد هنا الأخذ بعين الاعتبار النصوص التي أشارت الى أن المهدي
عبيد الله ظل يدعي النسب الفاطمي لنفسه منذ استيلاءها على الأمور
في المغرب بأن أصدر مرسوماً بذلك قرى على المنابر ، ونصه :-

اللهم فصل على عبدك وخليفك القائم بأمر عبادك فـي

بلادك عبدالله أبي محمد الامام المهدي بالله أمير المؤمنين كما

صليست على آباءه خلفائك الراشدين المهديين الذين كانوا

يقضون بالحق وبه يعدلون اللهم وكما اصطفته لولايتك واخترته

لخلافتك وجعلته لديك عصمة وهادياً ولبريتك موثلاً وملاذاً ، فانصره

على اعدائك المارقين واشف به صدور المؤمنين وافتح به مشارق

الأرض ومغاربها كما وعدته وأيده على العصاة الظالمين الى الخلق

رب العالمين .

كيف يمكننا هنا أن نبرى ساحة الباطنيين ونتهم غيرهم بأنهم أعداء

متحصبين وحسدّة للفاطميين في حين يدعي المهدي أنه فاطمي ثم تأتي مصادر

باطنية تدعي خلوه من هذا النسب وتعتبره قداحيا وأن الذين جاؤوا بعده مسن

ابناءه هم من آل البيت ؟ ولا شك أن التسليم بهذا ضرب من الغفلة لأن السني

ثبت كذب دعواه النسب الشريف في نفسه كيف نستطيع تصديق دعوى أخرى

تقول ان ابنائه من أهل البيت . وأنهم ليسوا ذريته على الحقيقة .

١ . القاضي النعمان . افتتاح الدعوة ص ٢٩٣ و ٢٩٤

* ان المصادر الباطنية تطلق على عبيد الله المهدي اسم عبدالله . انظر

"في نسب الخلفاء الفاطميين" الملحق ١

ولكن هل كان القائم بأمر الله ابنا حقيقيا للمهدي عبيد الله أم غير ذلك ؟
ان جعفر الحاجب الذي تروى مع المهدي عبيد الله ولازمه طوال حياته ،
يقول عما جرى من قبل في سليمة :

ثم زوج الامام (ع م) قبل وفاته المهدي (ع م) ابنة عمه
أم القائم (ع م) قال جعفر فاذا ذكر أن المهدي عم تقدم السي
بأن لا أبج في ليلة زفافها عليه من باب المجلس ، قال فلزمت
النساء حولي الى أن فتح المهدي عم الباب ورعى السي
بالسبينة ، قال فنشرتها على رأسي ورقصت بها والنساء
حولي يعلبن ويكبرن ، قال وكثيرا ما كان يذكر ذلك معي
المهدي بالله والقائم بأمر الله والمنصور والمعز لدين الله .

بعد هذا النص لا مجال لأي تأويل ، فالتى تزوجها المهدي عبيد الله
هي ابنة عمه وهي أم القائم ثم هي بكر لم تتزوج قبله والا لما وردت هذه
الأقصوصة على هذا النحو ، ثم لاشك أن جعفر الحاجب حين كان يروي
هذه القصة على مسامح القائم بأمر الله وأبنائه من بعده لم يكن يقصد منها
أي شيء يتعلق بالنسب بل انه كان يرويها للتفكه والتندر كما يبدو ، ولكنها
اثبات قوي لبغوة القائم بأمر الله الحقيقية للمهدي عبيد الله .

وقد سبق في هذا الفصل القول بأن ثورة ابي العباس الشيعي وان استهدفت
المهدي في ذاته الا أنها لم تستثن القائم بأمر الله باعتباره الامام الفاطمي المنتظر ،
ولو فعلت هذه الثورة ذلك ، لضمنت لنفسها النجاة (ر . ص ٤١١) فأبو
العباس وأبو عبد الله الشيعيين أفنيا حياتهما في خدمة من ظنا أنهم أهل بيت
رسول الله . والذي يظهر أن ثورة ابي العباس الشيعي على عبيد الله المهدي لم

يُرد في حساباتها الاستفادة من القائم بأمر الله على هذا الوجه لأنه ثبت
أنه ابن للمهدي الذي لم يكن من أهل البيت الشريف .

بين يدي الباحث نصوص مستقاة من كتاب المجالس والمسايرات * تؤكد
ما ورد في نص جعفر الحاجب من القول ببثوة القائم بأمر الله الحقيقية
للمهدي عبيد الله ، كما تؤكد ما ورد في " استتار الامام " (ر . ص ٤٢١)
من أن المهدي امام باطني حقيقي مستقر ولم يكن مستودعا وانما تسلم الامامة
من مستودع بعد ظهور معجزات وبراهين تدل على احقيته للامامة في نظر
الباطنيين ، وهذا النص وقعت أحداثه في مجلس المعز لدين الله وهو
يسأل أحد أتباعه قائلا :

١٠ فهل لقيت وحفظت شيئا عن الابهاء ؟

قال : نعم

قال : فهات ما حفظت .

قال : سمعت المهدي بالله نصّ على جدك القائم بأمر الله (ص) هـ

وسمعت جدك القائم بأمر الله عليه السلام نصّ على أبيك المنصور بالله

١٥ صلوات الله عليه وسمعت المنصور بالله عليه السلام نصّ عليك . فهذا

الأصل الذي لا يثبت الفرع الا عليه .

والنص واضح في أن الرجل اعتبر ما سمعه دليلا على صحة مذهبه في

الامامة ذلك الذي يجب فيه على الامام أن ينصّ على امام بعده من ابنتائه

تحقيقا لقوله تعالى (ذرية بعضها من بعض) . ومهما يكن من أمر فان المعز

٢٠ لدين الله لم يعترض على الرجل في ذلك من حيث أبوة المهدي عبيد الله له

وان يكن قد اعترض عليه من وجه آخر لاطلاقة له بهذا المطلب . وهذا نص ثاني :

١. القاضي النعمان . كتاب المجالس والمسايرات ص ٢٢٠ ، وانظر أيضا

ص ٤٧٦ .

* سورة آل عمران ٣٤ .

سمعت المنصور بالله (صلح) يقول : أمر المهدي بالله القائم
بأمر الله (عم) بالنهوض الى مصر فقال : يا أمير المؤمنين ، قد
خولك الله ومكنك وأعطاك من الدنيا ما فيه سعة وكفاية فعلام
تغم نفسك وتشغل صدرك ؟ دع هذا حتى يأتي الله به
عفوا .

فقبحر (صح) كفه اليسرى وقال : نعم ، هذا المغرب
في قبضتي هذه - وسط اليمنى - ولكن كفي هذه من المشرق
صفر . ان ثقل عليك ما أمرتك به خرجت له بنفسى .
قال : بل أنفذ ما أمرت به يا أمير المؤمنين وأسارع به .

١٠ ومن النص نستخرج : استحالة أن يقول امام مستقر لمستودع يا أمير
المؤمنين ، واستحالة قوله له (بل أنفذ ما أمرت به يا أمير المؤمنين وأسارع به)
لأن المستقر في عرف الباطنيين أفضل من الامام المستودع . وكذا لا يمكن
أن يقول امام مستودع لمن هو أفضل منه - أي الامام المستقر - : (ان ثقل
عليك ما أمرتك به خرجت بنفسي) . وهذا نصر ثالث :

١٥ قال المعز لدين الله (صلح) : لقد عرض لي منذ وقت وجع
في جوفي وكنت قد أمرت بتركيب معجون ينفع من ذلك ف (ست) قدمت
في اختيار العقاقير وتجويد عمله بما لم أعلم أن أحدا تقدم في مثله ،
فشدعت به لآناول منه ، فجسي به ومعه مثله مما كان المهدي
(صح) أمر بعمله ، فلما رأته تعاضمت أن أختار الذي عملته أنا
٢٠ على الذي عمله المهدي (صح) ، فتناولت من الذي عمله (عم) وقلت :
اللهم انك قد أكرمتني بأبوتيه ، وجعلته سابقا الى الفضل الذي

تستطع اقامة الحجة الدافعة على أخضام الباطنيين حول هذه النقطة بخاصة .
ان تبرئة ساحة الكتاب السنيين هذه توضح لنا قوة مصادرهم ونزاهة
مسلكهم .

ويبقى هنا سؤال . من هم العبيديون ؟؟

النسب الحقيقي للعبيديين :

- ان النسب الذي زعمه العبيديون لأنفسهم هو النسب الفاطمي ، حيث انتسبوا
الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وقد اتضح لنا أن هذا النسب مختلف .
وقد انتسبوا أيضا الى عبدالله بن جعفر بن محمد الشهير بالأفطح
(ر . ص ١٤١) ، حينما اعتبر عبيد الله المهدي اسماعيل بن جعفر اسما رمزيا
لعبد الله بن جعفر المذكور في رسالته الى أهل اليمن (ر . الملحق - ١)
وانتسب العبيديون أيضا الى موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، وكل
ذلك يدخل في ضمن فساد قولهم بالنسب الفاطمي .
وقد ذكر أنهم ينتسبون الى ميمون القداح ، وهو ما ثبت في الصفحات السابقة
الا ان أهمية هذا النسب بالنسبة لتاريخ الدعوة الباطنية أولا والنسبة
للبحث عامة يجعلنا في حاجة الى معرفة من هم القداحيون ؟ وما دورهم
في الدعوة الباطنية ؟ وهل كانوا حقيقة أم أسطورة لفقها أعداء الباطنيين عليهم ؟

القداحيون بين الأسطورة والحقيقة :

- ظهر في بعض الأوساط أن القداحين أسطورة ، وهو يذكرنا بما قيل عن
عبدالله بن سبأ (ر . ص ١٨) انه أسطورة . وقد ثبت لنا في هذا البحث أنه شخصية
حقيقية . أما ميمون القداح فقد قال عنه سابي النشار احتمالا ربط فيه بينه وبين
شخصية عبدالله بن سبأ .

- ١ . انظر : في نسب الخلفاء الفاطميين ، ص ١٠ وانظر : اتماظ الحنفا ، ٢٩ / ١ ، ٤
وجمهرة أنساب العرب ص ص ٦٠ ، ٦١ .
٢ . انظر : اعلام الاسماعيلية ص ٢٤٨ ونشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، ط ٧ ، ٣٦٦٨
٣ . انظر : مذكرة ابن جندان المصورة في مركز البحث العلمي بكلية الشريعة بمكة ص ١٩٩ .
حول كون ميمون القداح مجرد خيال .
٤ . انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، ط ٧ ، ٢٨٢ / ٢ ، ٤

وأنكر المستشرق مأمور وجود القداحيين ، وتبعه في ذلك الباطني المعاصر

عارف تامر الذي اعتبر القداحيين في الحقيقة الأئمة المستورين . (ر . ص ص ١

(٢٧٩ - ٢٥٥)

ويذهب ايغانوف الى أن محمد بن اسماعيل كان يعرف باسمه

٥ الميوني " الميمون " وأحيانا عبدالله بن الميمون .

وليست هذه الدعاوى الا صدق لما ورد في الرسالة التي أرسلها

عبيد الله المهدي أو عبدالله المهدي الى أهل اليمن بعد استتباب الأمر له

٣ في المغرب وتأسيسه مدينة " المهديّة " - التي دخلها سنة ثمان وثلاثمائة

أي بعد أكثر من عشرين سنة من دخوله المغرب ، وهذا يدل على أنه مضت مدة

١٠ طويلة قبل أن يُعرف المهدي نفسه ، تقول الرسالة :

فلما أراد الأئمة من ولد جعفر أحياء دعوة الحق اخافوا من

نفاق المنافقين ، فتمسوا - صلى الله عليهم - بخير أسمائهم ،

فجعلوا أسماءهم للدعوة في مقام الحجج ، وسموا بمبارك وميمون

٤ وسعيد للفأل الحسن في هذه الأسماء .

١٥ أركما نقل عن المعز لدين الله العبيدي :

ان صاحب الحق لهو الميمون المبارك السعيد قانح زنا

٥ الحق وموري نور الحكمة ، فان ذهب من ذهب الى هذا فنعم .

ولنلاحظ أن فرقا ما بين قول المهدي عبيد الله وقول حفيده المعز لدين

الله ، وهو أن المهدي اعتبر المبارك والميمون وسعيد أسماء لأشخاص ثلاثة بينما

٢٠ اعتبرها المعز أسماء لشخص واحد .

وهذه الأقاويل لا تقف بأي حال أمام تاريخ القداحيين . ذلك الذي كتبه

الباطنيون انفسهم والذي كتبه غيرهم . والحجة لاتزال قائمة على من يدعي النسب
الفاطمي لملوك العبيديين .

١. انظر كتابه : القرامطة ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د . ت ، ص ١٠٨

٢. نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، ص ٢٨١

٣. انظر : افتتاح الدعوة ص ٣٥٨

٤. في نسب الخلفاء الفاطميين ص ص ١٠٦ ، ٩ ؛ انظره في الملحق ١

٥. المجالس والمسائرات ص ٤١١

القداحيون في الفكر الباطني :

ان للأسرة القداحية دورا بارزا في تاريخ الدعوة الباطنية بل وفي تأسيس الفرق الباطنية الاسماعيليه . تعرض لهذا الدور كثير من المؤرخين وأصحاب المقالات .

- ٥ والفكر الباطني ذاته لم يغفل هذا الدور بأي حال . وقد تعرض لويس الى ما ورد في كتبهم عن هذه الأسرة ، خاصة مؤسس الأسرة ميمون القداح وابنه عبدالله ، الذي تحتمل شهرته أكثر من أبيه ، وربما خلط البعض بينه وبين أبيه ميمون . قال لويس :

وقد شاهدنا الاشارات الهامة التي تجعل ميمون القداح قيما

- ١٠ ومستودعا لحمد بن اسماعيل في كتابات الدورز ، وفي الكتاب الاسماعيلي (غاية المواليد) . . . وينكر دستور المنجمين وهو كتاب اسماعيلي قديم ، ميمونا على أنه من أصحاب الباقر وعبدالله من أصحاب جعفر الصادق . ويقول كلام بير وهفت بابا ابواسحق بأن عبدالله بن ميمون كان حجة في زمن الستراي المدة التي تلت وفاة جعفر الصادق ، ويجعله زهر المعاني من أبناء سلمان الفارسي ، ولعله يقصد ذلك من الناحية الروحية . ويذكر الفلك الدوار - أخيرا - شيئا مختصرا عن عبدالله . وهو كتاب اسماعيلي حديث اعتمد على المصادر السنية اعتمادا ظاهرا .

ان المراجع التي ذكرها لويس في نصه هذا مراجع باطنية مثل

- ٢٠ " دستور المنجمين " وهو لمؤلف مجهول في القرن الرابع ، وكلام بير " و هفت بابي بابا اسحق " (ر. ص ٥٥) و " الفلك الدوار "

١. أصول الاسماعيليه ص ١٥١ و ١٥٢ .
٢. انظر في هذه الكتب . ايفانوف The Guide to... ص ٢١ ، ١٤١ ، ١٦٢ ، وأصول الاسماعيليه ص ٢١٢

أما كتاب زهر المعاني فهو أحد الكتب الباطنية التي ذكرت حديث

القداحين وقد أشير في هذا البحث إلى ذلك (ر . ص ٢٧٠) .

ويمكن هنا إضافة ما كتبه مرجع باطني لم يذكر في نص لويس وهو

كتاب حياة الأحرار - من كتب المستعلية السليمانية السرية - السذي

يفسر كلمة " العاديات " من السورة المعروفة بهذا الاسم ؛ بأشخاص ذكر

منهم ميمون القداح وابنه عبدالله بن ميمون الذي لقبه بالفتح .

كما كتب في أمر القداحين باطنيون معاصرون أمثال مصطفى غالب السذي

يؤيد وجودهم وأمين طليح الدرزي .

وفيما يلي دراسة عن الأسرة القداحية وميمون القداح بصفة خاصة كما وردت

في المصادر الباطنية ليتمكن الباحث من التعرف على الأصل الذي وصفه

الباطنيون هذه الأسرة .

يقول الداغي ادريس :

ولما آن لاسماعيل الأجل . . . وأوصى . . . والده الصادق

عم الأمين أن يقيم لولده حجبا ومستودعا . . . فسلمه ، أعني مولانا

محمد بن اسماعيل ، إلى ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران بن

سلطان الفارسي قدس الله روحه ، فرباه وأخفى شخصه صلح

وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح قدس الله روحه وهو كليل

له ومستودع أمره ، وميمون من أولاد سلمان وسلمان من أولاد اسحق

ابن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ .

. . . وكنم الصادق منزلة ابن ابنه وأقم له ميمون القداح وابنه عبدالله

ابن الميمون كقلاء وكنم أمر ذلك على الخالص والعام الأعلى المخلصين

. ٢
العارفين .

١. انظر : مخطوطة حياة الأحرار ق ٦

٢. زهر المعاني (ايغانوف . المنتخب) ص ٤٧ ، ص ٤٩ ، وانظر أيضا في نفس المرجع : غاية المواليد ص ٣٦

ان كان من تعليق على النص فهو ما يختص بقوله ان سلمان من اولاد اسحق
ابن يعقوب ، ويرى الباحث ان خطأ ما حدث اما في النسخ أو في التأليف -
لأن المقصود لابد أن يكون يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم وليس اسحق بن
يعقوب (ر . ص ٤٤٤) .

٥ ان النص الباطني يشير الى أن ميمون القداح وابنه اشتركا في كفاية محمد
ابن اسماعيل ، ويضحي النص فيقول :

وسار ميمون وولده في طلب دار هجرة لولي الأمر ياويها

[كذا] وقيم الحدود والهادين فيها والشيعية في اعتقادهم

مختلفون والفضلاء البالغون منهم لولي الأمر عارفون أعلمهم

١٠ ولي الله بمقام صاحب أمرهم فعلموا وأمرهم أن يكتموا ذلك

سترا لخوف الضد فكتموا ، واعتقدت فرقة ان الامامة رجعت

القهرى ، وفرقة تعتقد امامة موسى بن جعفر . . . ثم

اعتقدت فرقة أخرى امامة الأفلح (الأفتح) عبد الله بن

جعفر فمات في عصر أبيه . . . وفرقة اعتقدت امامة محمد بن

١٥ جعفر وتفرقوا بعد غيبة اسماعيل وذهب [كذا] أهوائهم [كذا]

الاباطيل فلما أن للصادق [يعني جعفر بن محمد] عليه

السلام الأجل وانقضى المهل لبس على الضد أبي

الدوانيق [يعني أبا جعفر المنصور] سترا على ولي الله

١
وصيانة لحدود دينه .

٢٠ ولا يهمننا هنا الا أن ميمون القداح قام بما قام به من تأسيس الدعوة الاسماعيليه

قبل موت جعفر بن محمد (- ١٤٨) الذي ترك شيعته يتخبطون فجازاهم

جزا سنمار فعاداهم حين والوه وخيب أملمهم حين قصدوه ، وهذا معنى النص

الباطني ، (ر. أيضا ص ٢٧١) في حين انسلّ ميمون القداح وابنه من المدينة المنورة للبحث عن دار لهجرة محمد بن اسماعيل ومركز لدعوته .
حقا ان هذا صعب التصور ولكن ما العمل اذا كان الباطنيون أنفسهم يؤرخون لهنوز دعوتهم بهذا الغموض والتناقض الذي لا لزوم له في رأي . . .
الباحث الا اتحam القداحيين في تاريخ الدعوة الباطنية بشكل مشرف
يرفضه واقعهم العربي في تأسيسهم لهذه الدعوة ، ذلك الواقع الذي
أوضحتها أقلام المؤرخين من أهل السنة والجماعة .

وبعضي الداعي ادريس فيوضح لنا أن محمد بن اسماعيل حينما هاجر من المدينة المنورة ترك ولدين خاليتين من الامامة (ر. ص ١٧٤) وهذا القول
الخاص بوجود ولدين لمحمد بن اسماعيل هما جعفر واسماعيل قول ذو أهمية
قصوى بالنسبة للقداحيين والباطنيين بصفة عامة ، لأن حياة محمد بن اسماعيل
بعد خروجه من المدينة المنورة ، اندمجت في القداحيين واندمج القداحيون
فيه ، ودخل الطرفين كلاهما في غموض يستبعد الباحث فيه حياة محمد بن
اسماعيل لا سيما وأن المصادر الشيعية الاثني عشرية تشير الى أنه مات فسي
بغداد بعد خروجه من المدينة المنورة أيام الرشيد ويؤكد ذلك ما ذكره
الداعي ادريس من خروجه من المدينة وبعد أن ترك فيها ولدين اسماعيل
وجعفر وهما المعروفان عند أهل الأنساب ، وعلى أحد هذين الولدين
وهو جعفر ، كان الظن في صحة نسب عبيد الله المهدي ، في أحد قولبي
ابن الأثير المؤرخ ، نسبة ابن خلدون/ الى جعفر بن محمد بن اسماعيل
كذلك الذي

١. انظر: حاشية النويختي . فرق الشيعة ص ٨٠
٢. انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٦٠ وابن خلدون . تاريخ ابن خلدون
ج ٤ ، بيروت دار الكتاب العربي ١٩٥٨ ، ص ص ٦٢ ، ٦٤ واتمـاظ
الحنفا ١٥/١ - ٢٦ - ٥٠ - ٥٢
٣. انظر: ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، بيروت ، دار صادر ١٣٨٦
ص ٢٤

وسار على ذلك كل من أثبت للعبيديين النسب الفاطمي بعد ذلك وهو خطأ شنيع يرفضه الباطنيون من خلال ما ذكر عن الداعي ادريس أنفاه ومن خلال حديثهم عن الأئمة المستورين (ر. ص ص ٢٧٨ ، ٢٧٩) الذين اشتهر أن أولهم كان عبدالله الرضي - المختلف في اسمه ومكان ميلاده . وقد رفض الامام الباطني الامر بأحكام الله العبيدي دعوى مماثلة من وجود ابن لنزار بن المستعلي ولد في خراسان . فكيف يسوغ لغير الباطنيين قبول وجود ابن علي هذا النحو لمحمد بن اسماعيل ؟ وعليه يمكن القول ان القداحيين بعد ذلك صاروا هم الذين يتحدثون عن محمد بن اسماعيل فكانهم هو ، وهذا يوضح لنا من الذي حمل لواء الدعوة الباطنية ومن الذي صنع تاريخها . حسب أقوال نصر باطني .

القداحيون عند غير الباطنيين :

ان سيرة القداحيين - خاصة ميون وابنه عبدالله - موجودة في كتب أهل السنة ، أما كتب الشيعة الاثني عشرية فانها لم تهتم كثيرا الا بميون القداح وابنه عبدالله بن ميون ، وأشار لويس الى أن كتبهم ذكرت ميون وابنه باعتبارهما :

في مستهل حياتهما على الأقل محدثين شيعيين موثقين معروفين ولم يكونا ديصانيين ثنويين أو ما شابه ذلك .

... ويبدو أيضا أن المصادر الشيعية متفقة على نسبة ميون وابنه الى مكة ... وقد رأى بعضهم أن عبدالله بن ميون القداح الوارد ذكره في كتب الشيعة الاثني عشرية كان طوال عمره شيعيا اثني عشريا متحمسا ولا علاقة له

بالاسماعيلية . و اذا كان هناك رجل اسماهيلي بهذا الاسم
فانما هو شخص آخر غيره . والأرجح أن القداح الاسماعيلى
شخصية خيالية مفترضة اختلقها الاسماعيليون أنفسهم
أو مناوئوهم الكارهون وأن ما دافع الاسماعيليين على هذا
الاختلاق هو رغبتهم في أن يسبقوا على حركتهم الاحترام
والاجلال باقران [؟] شخص معروف محترم من أصحاب . .
الأئمة بها .

ولكن لتأكيد الكتب الاسماعيلية الكبيرة على نشاط ميمون
القداح كأحد الاسماعيلية لا يترك لهذا الافتراض مجالا
ولا يسمح للشك أن يتطرق الى اسماعيليته . كما أن الإشارة
الى عبدالله بن ميمون بأنه محدث اثني عشرى لاتمنع نسبته
الى الاسماعيلية أخيرا .^١

ان فرضيات لويس كانت مدعاة لحديث طويل لاثبات أن شخصية ميمون
غيرمختلقة من الباطنيين ولا من غيرهم ؛ ولكنه استدرك على نفسه فلم
يسمح لافتراضه أن يتخذ بعدا أو مجالا ؛ ولكن مسألة التشابه في
الأسماء التي افترضها لازالت على قوتها - ولن نفسى التشابه بين القاضي
أبي حنيفة النعمان الباطني وأبي حنيفة النعمان السني (ر. ص ٣٨٣) -
فربما أصبحنا أمام ميمونين قداحين اثنين أحدهما الذي تحدث لويس أن
كتب الشيعة ذكرته على أنه مكّي مخزومي أو ما الى ذلك ، وأنه جعفرى -
لصعوبة نسبه الى الاثني عشرية - ، أو زيدي^٢ ؛ وغالبا ما تكون له علاقة
بالشخص الذي أشار اليه الذهبي بقوله :

١. أصول الاسماعيلية ص ١٥٠
٢. انظر: الاسترأبادي . مخطوط منهج المقال ، دمشق ، المكتبة
الظاهرية ٢٥٧٣ ، ص ٥٩ .

عبدالله بن ميمون القداح المكي . عن جعفر بن محمد
وطلحة بن عمر ، قال ابو هاشم متروك ، وقال البخاري : ناهب
الحديث ، وقال ابن حبان : لا يجوز أن يحتج بما انفرد به .
٠٠٠ وقال مؤمل بن اهاب ، حدثنا عبدالله بن ميمون المكي

٥ مولى جعفر بن محمد . وقال أحمد بن يربد الأنطاكي ، حدثنا
عبدالله بن ميمون مولى آل الحارث بن ربيعة المخزومي .

وإذا أردنا الدقة بعد نص الذهبي فان عدد من تسمى بعبدالله بن
ميمون يزيد ، وهو أمر لا يعنيننا كثيرا اذا علمنا أن شخصا باطليا يسمّى
ميمون القداح وله ابن اسمه عبدالله بن ميمون ، على النحو الذي تحدثت عنه

١٠ كتب الباطنيين من قبل وأن هذين الشخصين لهما علاقة وثيقة بتاريخ الدعوة
الباطنية وأن هذا الشخص وابنه ما ورد ذكرهما في كتب أهل السنة على
النحو ذي العلاقة بالدعوة الباطنية ونشأة الفرق الباطنية من الفسوق
الشيعة الغالية كالخطابية والباركية (ر ، ص ١٤٤ فما)

٢
كما قال ابن رزام وابن الأثير المؤرخ ، وكما ذكر لويس ،

١٥ ويقول النويري رواية عن ابن شداد بأن ميمونا من أصحاب
أبي الخطاب ، وكانوا يقولون بالتأويل الباطني . وأن الحركة
التي بثها ميمون وابنه كانت في جوهرها حركة أبي الخطاب نفسه
ويجعل رشيد الدين أبا الخطاب مؤسسا وميمونا وابنه عبدالله
٤
تابعين له .

١. ميزان الاعتدال ، ج ٢ ، تحقيق البحارى ، مكة المكرمة ، دار الباز ، ١٣٨٢
ص ٥١٢ وانظر : تهذيب التهذيب ج ٢ ، تصوير عن طبعة حيدرآباد
١٣٢٦ ، ص ٤٩

٢. انظر : ابن النديم . الفهرست ص ٢٧٨

٤. أصول الاسماعيلية ص ١٠٢

ما يدل أن مراجع غير الباطنيين تقول بأن ميمون وابنه كانا في الأصل
يدينان بالخطابية وهو أمر ممكن فكريا لوجود أكثر العقائد الخطابية فسي
الفرق الاسماعيلية خاصة وفي الباطنية عامة وهو ممكن أيضا اذا اعتمدنا
على ما ذكره صاحب زهر المعاني حول علاقة ميمون وابنه بمحمد بن اسماعيل،
ليس من وجهة كونه بابا أو كفيلا لمحمد بن اسماعيل ولكن من حيث وجوده
في هذه الفترة التاريخية، وحينئذ يصبح ميمون القداح أحد الخطائين
الذين نجوا من المذبحة التي صُلب على إثرها أبو الخطاب في دار الرزق
بالكوفة (رأه ص ١٢٨) فأسس الفرقة الاسماعيلية على نحو ما أشير اليه
من قبل (ر. ص ١٤٧ فما).

١٠ وعلى ذلك فان قصة القداحيين والامامة المستودعة والأئمة المستورين
ليست الا دعاوى عاجزة عن الصمود أمام ما ذكره أهل السنة عن تاريخ
الدعوة الباطنية .

وعليه فان القداحيين هم أصحاب الدعوة الباطنية حقيقة ، ادعوا وجود
امام اسمه محمد بن اسماعيل ، الذي من المحتمل جدا - كما أشير في ترجمته -
أنه مات ولم يعلم بأمر الدعوة اليه (ر. ص ٢٧٦ - ٢٧٨) لعدم وجود
أي أثر عقدي ينسبونه اليه . ولا حجة لهم بادعاء السرية لأن القداحيين
لم يستطيعوا النفاء وجودهم التاريخي رغم تلك السرية ، كما لم يستطيع
احفادهم العبيديين اثبات انتسابهم لفاطمة الزهراء رغم محاولتهم الاستناد
على الأئمة المستورين والسرية .

٢٠ أصل القداحيين :

قيل ان أصل ميمون القداح فارسي وقيل انه يهودي الأصل . فأما القول

بأنه فارسي فقد ورد في فهرست ابن النديم عن ابن رزام :

قال : ان عبدالله بن ميمون ، ويعرف ميمون بالقداح ، وكان

من أهل " قوز العباس " بقرب مدينة الأهواز .

كما ذكر القاضي عبدالجبار المعتزلي في حديثه عن عبيد الله المهدي أنه

زعم أنه من ذرية :

٢ . ميمون القداح بن ديسان بن سعيد الغضبان الخري .

وربما كانت نسبه هذه الى " خم شهر " وهي مدينة تقع في منطقة الأهواز

حاليا . وقد سبقت الاشارة الى الأصل الفارسي لميمون القداح في نص

باطني ، و نسبة الى سلمان الفارسي (ر . ص ٤٣١) .

١٠ ان نسبة ميمون القداح الى سلمان الفارسي أمر فيه نظر من وجهين : أحدهما

ان آباء ميمون حسب قول من نسبه الى سلمان هم على التوالي : غيلان وبيسدر

ومهران ، وأحسب أن اسمي بيدر ومهران مما يصحسب على الباحث التصديق

بهما انطلاقا من كونهما من ذرية سلمان الفارسي الذي يفترض فيه أن يطلق

على أبنائه أسماء اسلامية ، وقد ينسحب هذا الرأي على اسم غيلان ، وان كان

في ذلك بعض الشك . الثاني : ان وجود ذرية لسلمان الفارسي أمر مشكوك

فيه بعد ذاته ، لأن " ماسنيون " الذي أجرى بحثا عن سلمان الفارسي أشار الى

اعقاب مزعومين لأخي أولبنات سلمان ، وهو يعني عدم وجود أبناء ذكور له .

ويقول " عبدالرحمن بدوي " تعليقا على ذلك : ان الأخبار القديمة وعليها جرى

" القلندرية " تقول ان سلمان مات ليس فقط دون أن يتزوج ، بل وأيضا وهو

٣ . عار عن شهوة الجنس .

٢٠

١ . الفهرست ص ٢٧٨ .

٢ . تثبيت دلائل النبوة ص ٥٩٧ .

٣ . انظر : عبدالرحمن بدوي ، شخصيات قلقة في الاسلام ، ط ٣ ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٨ ، ص ١٠ .

وأما ما ظن " لويس " في هذا الموضوع في أن تكون نسبة القداح إلى سلمان الفارسي ، إنما هي من حيث النسب الروحي ، وليس الحقيقي ؛ فان " زهر المعاني " - الذي استند عليه لويس في أمر نسبة ميمون القداح إلى سلمان - ذكر لميمون أباً وجداً وأب جده من ذرية سلمان وهذا لا يستقيم النص الباطني مع ما ذهب إليه " لويس " وعلى أيِّ فان هذا جانب مما قيل عن أصل ميمون القداح .

أما القول بأصل القداحيين اليهودي ، فقد نعته " لويس " بالأسطورة اليهودية . وسيأتي الباحث فيما يلي تلخيصاً لمقالة لويس في ذلك ؛

انه يزعم أنها محاولة من مؤرخي أهل السنة ليجعلوا للخلفاء الفاطميين أصلاً يهودياً . وكان لويس بذلك يريد أن يقول ان المؤرخين السنيين يريدون تشويه أولئك الخلفاء بنسبتهم إلى اليهود .

ان لويس نقل عن مستشرق آخر هو " ليس أوريلري " أربعة أشكال لهذا الدعوى - الأسطورة ؛

الأول : ما يتصل بكون عبد الله بن ميمون القداح يهودياً من ولد الشلمسج ذكرهما محمد بن مالك بن ابي الفضائل (القرن الخامس) ؛

الثاني : يتلخص في أن الحسين القداحي ، تزوج من أرملة يهودية وتبنى ابنها سعيد - عبيد الله المهدي ، فيما بعد - . وأحسب أن القاضي عبد الجبار (٤١٥) ذكر ذلك من هذا الوجه والأمر لا يتصل بأصل القداحيين الا أنه ذو علاقة خاصة بعبيد الله المهدي والعبيديين . وان يكن فان المشكلة من هذا الوجه تعتبر العبيديين يهوديين الأب قداحيي الأم لأن القاضي

١. انظر : أصول الاسماعيلية ص ١٥٢
٢. انظر : أصول الاسماعيلية ص ١٥٣ - ١٥٦ .
٣. انظر : كشف أسرار الباطنية ص ١٧

عبد الجبار يقول بأن عبيد الله المهدي باعتباره يهوديا تزوج بنت زوج أمه
القداحي .^١

الثالث : أن جد سعيد - عبيد الله المهدي - ابن أمة لجعفر
الصادق ؛ أحبها يهودي فحملت منه ، ويصبح العبيديون هنا أبناء غير
شرعيين من أصل يهودي .

الرابع : أن سعيد - عبيد الله المهدي - قتل في السجن ، فاستبدل
أبو عبد الله الشيعي به عبدا يهوديا ، وهذا مستبعد جدا إذا عدنا إلى
شخصية أبي عبد الله وعقيدته في أهل البيت ، وما قام به بعد ذلك من شوزة
على المهدي عبيد الله حتى قُتل بسبب ذلك (ر . ص ٤٠٩) .

١٠ ان الذي يهمننا من كل ما ذكره " لويس " الشكل الأول لهذه القضية
وهو الذي ذكره محمد بن مالك بن ابي الفضائل ؛ الذي يقول :

وكان هذا الملعون [يعني عبد الله بن ميمون] يعتقد اليهودية ،

ويظهر الاسلام . وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة

بالشام يقال لها سلمية وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة

الذين عرفوا جميع المذاهب وكان صائغا يخدم شيعة اسماعيل

ابن جعفر الصادق وكان حريصا على هدم الشريعة الحمديّة

لما ركب في اليهود من عداوة للاسلام وأهله والبغضاء

لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يروجهما يدخل به على

الناس حتى يردهم عن الاسلام اللف من دعوته الى أهل بيته

٢٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد خرج في أيام قرمط

البقار ولذلك نسب الى أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون

الى قرمط لأنها اجتمعا وعلا ناموسا يدعوان اليه .^٢

١ . انظر : تثبيت دلائل النبوة ٥٩٧/٢

٢ . كشف أسرار الباطنية ص ١٧ و ١٨

من النص السابق يمكن استنباط النقاط التالية :-

- ١- كون ميمون القداح وابنه عبدالله يهوديين العقيدة .
- ٢- تظاهرها بالاسلام لهدمه ، الأمر الذي يكرر عودة الطريقة التي سار عليها عبدالله بن سبأ .
- ٣- أنهما من ولد الشلعلع ؛ وكأن ابن ابي الفضائل يخبر أن ولد الشلعلع هؤلاء انما هم جماعة أو قبيلة يهودية تسكن سلمية ، ولكن المعروف أن أبا الشلعلع - وان كان في اسمه ما ينهي عن يهوديته بعض الشيء . - أحد القداحيين . وهو أحمد بن محمد بن عبدالله بن ميمون القداح .
- ١٠- ان ابن أبي الفضائل هنا نسب الأصل القداحي الى فرعه الذي اعتبره يهوديا ، وهذا غريب الا أن يكون أبا الشلعلع هذا قد تكفى بأحد أجداده . ويوجب هذا القول وجود جماعة يهودية بهذا الاسم سكنت الشام ، ومدينة سلمية بالذات ، وهي مدينة لم تأسس الا في أيام عبدالله الأكبر كما تقول رسالة استتار الامام ، وعبدالله هذا لم يكن من أهل هذه المدينة بل انتقل اليها بعد تأسيسها . وكل ذلك لا يتناسب مع مقولة ابن ابي ١٥ الفضائل بأن القداح كان صائغا في خدمة شيعة جعفر الصادق .
- ٤- ان القداحي الجد كان من فلاسفة اليهود الذين درسوا الأديان . وهذا القول يعود بنا الى ما يمكن نسبه الى فيلون الاسكندري اليهودي الذي تعلق بالفلسفة اليونانية في القرن الأول من ميلاد المسيح (ر . ص ٨٣ ا قما)
- ٥- ان القداحي اجتمع مع قرمط لاستنباط المذهب الباطني ، وهذا لا يتناسب مع كون ميمون القداح خطابي المذهب في الأصل ، كما أن

١. انظر : ابن النديم . الفهرست ص ٢٧٩ وانظر : مخطوطة رسالة تقسيم العلم ، دار الكتب المصرية ، كلام النحل الاسلامية ٥٤ ، ق ١٠٥ ب
٢. انظرها في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ديسمبر ١٩٢٦

المعروف أن قرمط (حمدان بن الأشعث) استجاب لدعوة عبدالله بن ميمون القداح . كما يقول ابن رزام ، أما الذي تواطأ مع القداحي فهو عند ابن النديم محمد بن الحسين الملقب بزيدان أو داندان أو بندگان ، الذي يبدو أن له دورا ما في تطوير العقيدة الباطنية قد يعادل دور ابن ميمون القداح ، وخلاصة القول ان اعتبار حمدان قرمط مساويا في دوره لميمون القداح أو ابنه عبدالله صعب التصور على الباحث .

- ان الباحث يجد نفسه هادما دعوا الى مناقشة النقطة الأهم في تصوير ابن ابي الفضائل للقداحيين ، تلك التي تقول بيهوديتهم . وأن ميمون القداح تظاهر بالاسلام لهدهم ، لما ركب في اليهود من عداوة للاسلام .
- ١٠ ان ظاهرة تظاهر اليهود باعتناق الأديان الأخرى لهدهما معروفة ، وأجلى مثال على ذلك ؛ عبدالله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالاسلام ، وابتدع التشيع السبئي الذي وجدت آثاره عند الخلافة من الشيعة ثم فسي الفرق الباطنية ، وعلى ذلك فان مقالة ابن ابي الفضائل من هذا الوجه غير مستخرجة الا من حيث انفراده بها دون من تقدمه ممن درس هذه الظاهرة . الأمر الذي يجعل التسرع في الحكم على القداحيين غير لائق بمن يرجو وجه الله فسي نشدان الحقيقة ، رغم ما ثبت لدينا في هذا البحث من وجود الأصابع اليهودية في العقائد الباطنية وفي الدعوة الباطنية وأساليبها . كما ان اهمال ما قاله ابن ابي الفضائل غير ممكن لاسيما وأننا اذا عدنا الى قول الداعي الباطني ادريس (ر . ص ٤٣١) لوجدنا أنه ينسب ميمون القداح الى (اسحق) عن طريق سلمان الفارسي . الذي سماه ؛ اسحق بن يعقوب . ان اسم اسحق على هذا النحو فيه مقالة ستأتي بعد سطور . أما ما ذكره من انتساب

١. انظر ؛ ابن النديم . الفهرست ص ٢٢٩ .

٢. انظر ايضا ؛ الفهرست ص ٢٨١ وأنظر ؛ تثبيت دلائل النبوة ص ٣٨٦ ، والكامل في التاريخ ٢٩ / ٨ .

ميمون الى سلمان الفارسي فقد قيل أنه ليس لسلمان الفارسي ذرية من الذكور
(ر. ص ٤٣٨) ، ولكن للباحث أن يفترض وجود ذرية فهل كان سلمان
من ذرية اسحق أي هل كان سلمان يهوديا في أصله ؟ .

ان الباطنيين يعتقدون ذلك مما ورد في نص الداعي ادريس ، وكذا

ورد في مرجع باطني آخر ه نسب سلمان الفارسي الى سليمان بن
داود عليهما السلام جسمانيا ودينيا على حد قول المرجع .^١ وهذا اليهود
نجد أن سليمان بن داود من ذرية فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق .^٢

ولكن المعروف في التاريخ الاسلامي أن سلمان الفارسي فارسي وليس
من اليهود . وقد جمع " ماسنيون " ما قيل في أصل سلمان الفارسي
من المصادر الاسلامية ، كما يلي :-

١٠

سلمان أصله من فارس من أسرة نبيلة من أساورة فارس

(أبو اسحق السبيعي اسماعيل والسدي) ٠٠٠ من

دهاقين جي بالقرب من أصفهان (عبيد المكتب وابن

اسحق وسيار العنزي) ٠٠٠ ونشأ على دين المزدكية

١٥ باسم ما به بن بودخشان (في قول ابن منده) أورو زيه بن

مزبان - ثم اعتنق المسيحية .^٣

وهذا يجعلنا نستبعد أن تكون أسرة سلمان الفارسي . المزدكية الديانة

يهودية الأصل ، ولو كان سلمان يهودي الأصل لما استحوى من اظهارة ،

فحينما أسلم لم يخف شيئا من أصله ودياناته السابقة .

٢٠ وهذا يجعلنا في طمأنينة تامة اذا قيل ان اقحام سلمان الفارسي في نسب

ميمون القداح مما يصعب الاقتناع به صعوبة الاقتناع بوجود نسب يهودي

لسلمان الفارسي .

١. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٩٢

٢. انظر : سفر اخبار الأيام الأول ١ / ٢ - ١٥

٣. شخصيات قلقة في الاسلام ص ١٣

ويصبح لدينا في أمر نسب القديح الى ما قاله الداعي ادريس من أنه
من ذرية اسحق بن يعقوب (أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ)
ولنقل ان الداعي ادريس لا يعني اسحق بن ابراهيم عليهما السلام بسبل
شخصا آخر اسمه يعقوب بن اسحق .

٥ انا اذا وقفنا بالأمر في هذه النقطة يصبح الأمر عاديا ؛ ولكن وصف
ذرية اسحق هذا بأهل الاستيداع . . . الخ يجعلنا نقلب صفحات
المراجع الباطنية ؛ فنجد أن الداعي الحارثي يقول :
كل مستودع ينسب الى اسحق .

وإذا عدنا الى نص آخر للداعي المذكور (ر . ص ص ١٢٦ و ١٢٧) نجد

١٠ أن المقصود هو اسحق بن ابراهيم وليس اسحقا آخر غيره يقول عن سليمان
ابن داود بعد أن تحدث عن النملة التي خاطبته قال :
وسليمان كان من أولاد اسحق ، واسحق وأولاده هم دعاة اسماعيل
وأولاده في الآفاق ، وهم أهل الاستيداع لاسماعيل وأولاده مطاح
٢
ما للعقل العاشر من الشعاع .

١٥ وبذلك يتأكد أن المقصود هو اسحق بن ابراهيم ؛ وحيث ان الدعوة الباطنية
قائمة على فرض امامة أهل البيت من ذرية اسماعيل بن جعفر وهم أهل البيت
النبوي جميعهم من ذرية اسماعيل ؛ فان الباطنيين يرون أن ما لا بد منه أن يكون
لائمتهم أئمة آخرين يستودعونهم الامامة ولا بد أن يكون هؤلاء من ذرية يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم ، وعليه اختار جعفر بن محمد (الصادق) لحفيده محمد بن
اسماعيل شخصا من ذرية يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وهو ميمون القديح . بعبارة
٢٠ أخرى : ذلك هو كل ما كان يريد الداعي ادريس أن يقوله لقراءه ، ويصبح الاسم

١ . الأنوار اللطيفة (الأعظمى . الحقائق الخفية) ص ١٢٣

٢ . مخطوطة حياة الأحرار ق ١١٨

المذكور في كتابه : (اسحق بن يعقوب) اسما مخلوطا اما من ناسخ الكتاب
او من مؤلفه ، ولم ينبه لهذه النقطة - مع الأسف - المستشرق ايفانوف
الذي نشر جزءا من كتاب زهر المعاني المقصود بما قيل - في متن
الكتاب .

- ٥ ان هذا يجعلنا أطمئنا نقطة هامة من نقاط البحث قد تحمل لنا لغزا
محيرا ، وهذا اللغز هو التاريخ العجيب للإمامة الباطنية الذي نجده
في كتبهم عن أئمة مزعومين من ولد اسماعيل بن ابراهيم كانوا قبل البعثة
النبوية وأن لهم دعاة ومستودعين من بني اسرائيل ومن أولئك الدعاة
والمستودعين رسلا مثل موسى وهيسى وأنبياء مثل داود وسليمان وشعيب
١٠ حتّى لقد وصل الأمر بالمصادر الباطنية الى اعتبار أولئك الرسائل
والأنبياء الذين شرفهم الله بالرسالة والنبوة وذكرهم في القرآن الكريم أتباعا
لأئمتهم الوهميين أمثال : قيدار وحمل ونبت والهميسح وأدد وأد الذين
ليس لهم ذكر وتعظيم الا في المصادر الباطنية . (ر . ص ١٢٦) . ماذا يريد
الباطنيون من ذلك التاريخ ؟
- ١٥ هل كانوا يريدون القول بأن دعوتهم صحيحة وهي دعوة الأنبياء والمرسلين؟
أم أن لهم هدفا آخر يريدون منه معالجة مشكلة وقعوا فيها فيما بعد
حين تبين لهم أن ميون القداح يهودي الأصل .
- اذا كانوا يريدون الأولى فان الانقاص من قدر الأنبياء والمرسلين يجعلهم أتباعا
أو دعاة أو مستودعين لأئمة لا وجود لهم في تاريخ ولا دين ، فلا شك أنهم
٢٠ اختاروا لذلك الطريقة التي لا توصل الى الهدف أبدا ، فضلا عن أنهم
تؤدي الى هدف أقل مافيه التقليل من شأن الرسل أصحاب الديانات السماوية .

١. انظر : رسائل مجموعة من الحقائق (شترثمان . أربعة كتب) ص ١٠٢ ، ورسالة
تحفة المرئاد (شترثمان . أربعة كتب) ص ص ١٦٤ - ١٦٦ ومصطفى
غالب . تاريخ الدعوة الاسماعيلية ط ٣ ص ص ٧٠ و ٧٢

وان كانوا يريدون تبرير وجود الفكر اليهودي الذي ظهر جليا في عقيدتهم وطريقة دعوتهم والخروج من مأزق وجود أشخاص قاموا بدعوتهم من أصل يهودي أمثال ميمون القداح ؛ فتلك طامة كبرى . بل هي النتيجة التي توصل اليها من خلال نسبتهم ميمون القداح الى يعقوب بن اسحق وهذه النتيجة حلت لغزا كان محيرا ففدا بذلك شبه قضية مسلمة ، لاسيما وأن المراجع الباطنية التي وقعت في يد الباحث والتي مجدت ذرية اسحق بن ابراهيم على هذا النحو مراجع متأخرة ؛ فليس في مصادر الباطنيين المتقدمة أمثال : " الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا " وكتابات الداعي القاضي النعمان مثل ذلك ، الأمر الذي يدل أن التاريخ الباطني للدعوة الباطنية انما حيك على هذا النحو بعد ظهور الدراسات التي قام بها مخالفيهم من أهل السنة حول ميمون القداح وأولاده .

ولكن هل انتهى الأمر بالنسبة للقداحيين على هذا النحو ؛ أعني هل كان جدهم ميمون القداح يهودي الأصل أراد الفساد الاسلام على النحو الذي ذكره ابن ابي الفضائل وأيده عليه الداعي الباطني ادريس ؟

ان الباحث لا يملك أن يقول بذلك الا على سبيل أن بعض المراجع الباطنية تؤدي في مفهومها الى نتيجة كهذه فيصبح الأمر كما يلي :- ان هناك نسبين يتصارعان في أمر ميمون القداح ؛ أحدهما ؛ النسب الفارسي المجوسي وهو ما قال به كثير من تعرض لميمون بالبحث والدراسة . الثاني ؛ النسب اليهودي وهو الذي بدأ الحديث عنه ابن ابي الفضائل ، وأشار اليه بطريقة لطيفة الداعي الباطني ادريس ، وصدر عن المراجع الباطنية ما يشبه التأييد لقوله على النحو الذي فصله الباحث .

وهذا لا يقدم ولا يؤخر في الأمر شيئا وان كان الذي لاشك فيه هو :-

التشابه بين القداح وابن سبا من حيث العمل على افساد الاسلام .

وفي ختام هذا الباب يتضح لنا ،

- ١- أن السرية تعتبر منهاجا أساسيا في الدعوة الباطنية وقد اتخذ الباطنيون وسائل عديدة للحفاظ على سرية مذهبهم ، وهو ما نجسده في الفكر اليهودي الذي يسير الباطنيون على طريق مشابهة له .
- ٢- ان من أساليب الدعوة الباطنية التدرج فيها شيئا فشيئا حتى أنهم كونوا سبع درجات لا يرتفع أحد فيها الى أخرى حتى يكمل الدرجة التي سبقتها ، وقد وجدنا الجمعيات الماسونية تسير على نفس المنهج . وقد اتضح وجود علاقة وطيدة بين الماسونية والفكر اليهودي .
- ٣- ان الدعاة الباطنيين اعتبروا الفكر اليهودي من منابع فكرهم ، فاستشهدوا به في قضايا عقدية باطنية .
- ٤- ان النسب الفاطمي الذي قامت عليه الدعوة الباطنية فكان عمودها الفقري مشوب بالغموض والبعد عن الواقعية ، وأن أول من شكك في كونه عبيد الله المهدي فاطميا هم الذين سلموه الأمر في بلاد المغرب حينما أعلن ظهور دولته ، وليس للمعاصرين ولا لأهل السنة عامة الأسبقية في ذلك . ومن استقصاء المصادر الباطنية تبين خلو عبيد الله من النسب وانتسابه حقيقة الى ميمون القداح وأن خلفاء الدولة العبيدية أبناء للمهدي عبيد الله على اليقين .
- ٥- ان ميمون القداح جسد الأسرة العبيدية مجهول الأصل ويتنازعه أصلان احدهما أنه يهودي والآخر أنه فارس مجوسي .

الخاتمة

لقد من الله على باكمال هذا البحث على هذه الصورة التي من الواجب على القول بأنها لم تكن الصورة التي تمنيت أن يكون عليها هذا البحث في نهايته .

ومع أن هناك من الأعداء ما يدعوني الى أن عدم استكمال جوانب البحث لم يكن برغبة مني ورضا ، الا أن ذلك لا يعطيني أبدا من قول الحقيقة والعمل على استكمال النص مستقبلا انشاء الله ومدد في العمر وأمان .

وقد ختمت كل باب من أبواب البحث بالنتائج التي وفقني الله الى الوصول اليها ، وفيها بحمد الله ومنته ما لم أعتز عليه بعد ، وعلى الأخص فيما رجعت اليه من المصادر المختلفة التي توفرت لي .

١٠ وليسمع لي القارئ الكريم - قبل الحديث عن النتائج العامة للبحث -

بالإشارة الى نقاط وجدتها على البحث : (١)

ان البحث يفتقر الى باب خاص عن الطريقة التي تعامل بها اليهود مع الاسلام منذ أن تبلغوه من رسول الله (ص) . وكنت قد أعددت

لذلك الباب عدته وقمت بحصر الآيات القرآنية ، التي تحدثت عن

١٥ أن اليهود كانوا مطالبين بالإيمان بالرسالة الاسلامية الحمديدية . والتي

تحدثت عن أن رسول الله (ص) انما هو الرسول الموجود اسمه في التوراة

والانجيل ، وهو الرسول الذي جاء مصدقا لهما . كما بدأت في حصر

الآيات التي وضحت لنا طريقة تعامل اليهود مع المسلمين على ضوء إيمانهم

بالدين الاسلامي ذلك التعامل العدائي الواضح .

١. انظر سورة المائدة ١٥ ، ١٩ ، سورة الأعراف الآيات ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨

سورة النمل آية ٧٦

٢. انظر سورة البقرة الآيات ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، سورة آل عمران

الآيات ٦٤ ، ٦٩ - ٧٢ ، ٩٨ ، ٩٩ ، سورة المائدة آية ٥٩ ، ٨٢

واني وان لم أكن حينئذ قد جمعت معلومات عن تعامل اليهود مع رسول الله (ص) من نقضهم لعهدهم وما لاتهم لأعدائه واثارتهم الفتننة القبلية في المدينة المنورة بين قبيلتي الأنصار و الا أنبي بدأت جمع معلومات كثيرة عن ظاهرة الاسرائيليات وقطعت في ذلك مرحلة لا بأس بها .
وفيها تبين لي عمق الخاض الذي خضته . فاستنصحت أحد أصحاب الفضل في العلم عليّ وهو الدكتور مجاهد الصواف ، الذي نصحني بكلمة لاتزال ترن في مسمعي حينما قال لي :

— اذا لم تكن واثقا من أنك ستأتي بجديد فيما عزمت عليه فلا حاجة لأن تكرر أقوال السابقين ونتائج بحوثهم .

- ١٠ صرفت النظر عن ذلك الباب جملة وتفصيلا اكفأ بما في بقية الرسالة . وهو ما يختص بصلب موضوعها ، حتى حين .
وتبين لي أن في الرسالة من المواضيع التي كان من المستحسن ابرازها في فصول خاصة بها . لا أن ترد في سطور مشتتة بين بقية الفصول ، مثل :
- (٢)

التناسخ ، وهو عقيدة وجدت عند الباطنيين ، وقد أثرت هذه العقيدة

- ١٥ في جوانب أخرى من فكرهم ، كما أثرت على أسلوب الدعوة تأثيرا واضحا ، وقد توصلت الى ذلك أخيرا - للأسف الشديد - واني إذ أشكر الله على أن توصلت الى ذلك ، وأعتبره نتيجة هامة من نتائج البحث ، إلا أني ندمت كثيرا على ما فرطت في حق بحث التناسخ ، والسبب في ذلك يعود الى أنني أخذت برأى لأحد المعاصرين يدعي فيه أن بعض الفرق الباطنية لم تقل بالتناسخ ، ففهمت مراده أن يقول أو قد قال :
٢٠ ان أعداء الباطنيين هم الذين وصوهم بتلك الوصمة التي ليست فيهم .
ثم تبين لي أن عقيدة القول بتناسخ الأرواح موجودة في الفكر الباطني بعامة على نحو يضيق ويتسع ، مما يسمح للباحث القول بان أكثر الفرق

الباطنية تحفظا واعتدالا تقول بتناسخ الأرواح بكيفية ما . رغم اعتراضها
بالحاجة الى احاطة أوسع بالموضوع .

ومن نافلة القول الاشارة الى أن لعقيدة التناسخ أصلا يهوديا
قد يكون مقتبسا من ديانات وثنية أو شبه وثنية قديمه . وقد تبين لنا
ذلك في البحث (ر . ص ٦٠ ، ٢٠٦ - ٢١٠ ، ٢٩٣) .

(٣)

الضد ، كلمة أطلقها الباطنيون على مخالفيهم . وقد تعمقت الفكرة

فبلغت بهم غورا بعيدا ، وتشعبت فأثرت على عقائدهم ودعوتهم كثيرا .

وبلغ بهم القول الى اعتبار الضد شيطانا بالفعل أو بالقوة ، وقد قالوا

بمثل ذلك في صحابة رسول الله (ص) مثل أبي بكر وعمر وعثمان ، وكثير

من سلف الأمة الاسلامية الصالح . وقد وردت تتف من ذلك في

البحث ، كما ورد فيه أن أول من سب السلف الصالح من

الصحابة هو عبدالله بن سبأ اليهودي .

والذي اتضح لنا أن مدلول كلمة (الضد) ترادف (الغوييم)

أو الأميمن عند اليهود ، حيث اعتبروا الغوييم من ذرية الشياطين

أو الحيوانات .

والبحث وان لم يخل من الحديث عن ذلك الا أنني لو استقبلت من

أمري ما استدبرت لأفردت لذلك فصلا خاصا بين عقائد الباطنيين .

ومن المواضيع التي يمكن اعتبارها مكملة لجوانب البحث ولم ترد فيه .

(٤)

ايراد تراجم لبعض الشخصيات الباطنية ، مثل دعاة عرف الكثير عنهم

وعن حياتهم برغم وجودهم في دور الستر الذي أوجب الباطنيون فيه على

أنفسهم السرية . وآخرين ظلوا مجهولين رغم ما كان لهم من أثر ظاهر بارز على

الفكر الباطني ورغم وجودهم في دور الاشهاد الذي لا يحتم عليهم الكتمان
والسرية .

(٥)

كما ان البحث اقتصر في الحديث عن الأئمة المستورين الذين جاءوا -
بزعم الباطنيين - بعد محمد ابن اسماعيل فلم يكتمل الحديث عنهم بالرغم
من أهمية ذلك ، لا سيما وأن البحث تكلم بالتفصيل حين ترجم لاسماعيل
بن جعفر ومحمد بن اسماعيل اللذين تبين أنهما لم يؤثرا في الفكر الباطني
ولا في دعوته ؛ فلم أجد بدا من اضافة ملحق الى البحث يتضمن رسالة المهدي عبيد
الله الى أهل اليمن ، وهي مما قد يلقي بعض الضوء على جزء من ذلك .

(٦)

ان الدولة العبيدية باعتبارها أعظم الدول الباطنية على الاطلاق
حفلت بظهور شخصيات يهودية تسمنت فيها مراكز عليا ، كما كان لهذه
الدولة اسلوبا خاصا في التعامل مع اليهود أشارت اليه تفصيلا دائرة المعارف
اليهودية . وقد باشر الباحث في تجميع المادة العلمية لذلك ، الا أنه
تبين أن البحث - من حيث اهتمامه بالناحية الفكرية - لا يستوعب ذلك ،
بالاضافة الى أنه يعتمد به عن هدفه الذي انحصر في العقيدة والدعوة
الباطنية ، وهذا القول قد لا ينسحب على يعقوب بن كلس الذي يعتبر
بحق ظاهرة فريدة لأن الذي قيل فيه أنه ألف في فقه الباطنيين وربما
في العقيدة الباطنية وأصول دعوتها . وعليه فيمكن اعتباره من ضمن ما ورد في
هذه الخاتمة في الفقرة (٤) منها .

(٧)

ان الفرقة النصيرية فرقة باطنية بكل ما في الكلمة من معنى وان لم
تكن اسماعيلية . وقد أشير الى ذلك في البحث ؛ الا أن هذه الفرقة
لم تحظ بما حظيت به بقية الفرق الباطنية من حيث شخصياتها التي
أسستها والظروف المصاحبة لذلك في الفصل الخاص بتاريخ الدعوة

الباطنية ، لا سيما وأن بصمات الفكر اليهودي واضحة فيها ، ولعل مزج ذلك كان قلة أثر هذه الفرقة . وضعف الدراسات الحديثة فلها وهو عامل مهم استند عليه الباحث كثيرا بالنسبة للفرق الباطنية الأخرى . وقلة المراجع النصيرية حيث لم يتوفر لديّ منها بعد البحث الاثلاثة مراجع .

نتائج البحث :

ان الدور اليهودي في الفرق الباطنية واضح وثابت خاصة اللأحيية الفكرية منه ، وهذا الدور لم يكن وليد الصدفة المحضة ؛ بل كان على ما يبدو نتيجة جهود يهودية خفية من شخصيات آلت على نفسها أن تعمل على افساد الدين الاسلامي ، والانتصار على المسلمين - وهو ما لم يحدث تماما والحمد لله الا أنه أعقب آثارا ساهمت حقيقة في الحد من انطلاق المسلمين نحو هدفهم السامي؛ وهو هداية البشرية واصلاح العالم .

والدور اليهودي لم يكن وحيدا في الساحة لأن هناك من اتفقت افراضهم مع اليهود على هدم الدين الاسلامي .

ولا يملك الباحث الحكم على مدى تعاون اليهود مع غيرهم على ذلك الهدف ، كما لا يملك القول بوجود ذلك التعاون ، الا أن بالامكان القول - اضافة الى ما سيأتي - بوجود عقائد غير يهودية في الفكر الباطني .

وقد استنتج الباحث أن الدور اليهودي قديم ، ووجوده يمتد الى ما قبل ظهور الفرق الباطنية ، حين ظهر عبدالله بن سبأ اليهودي - وهو شخصية حقيقية - بعقائده الغالية التي يمكن اعتبارها على العموم يهودية الأصل . تلك العقائد التي صارت علما على الغلو الشيعي والفرق الباطنية بعد ذلك .

ولم يتوقف ظهور العقائد ذات الأصل اليهودي على العقائد السبئية بل اننا وجدنا عند غلاة الشيعة عقائد ذات أصل يهودي لم يؤثر - فيما وقف

عليه الباحث من المصادر - عن ابن سبأ القول بها . (ر : ص ص ١١١ ، ١١٢ ،
١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨) . وهذا يوضح لنا أن الدور
اليهودي لم يتوقف عند ابن سبأ ، وهو دليل على أن ابن سبأ لم يفعل ما فعل
من تلقاء نفسه ، وأنه لم يكن ظاهرة فردية .

٥ أما بالنسبة للفرق الباطنية فإن الدور اليهودي لم يظهر في عقائدها
فحسب ، بل أنه ظهر في أساليب الدعوة الباطنية وتنظيمها ، كما ظهر في
الكتابات المذهبية للدعاة الباطنيين ، الذين استمدوا الكثير من فكرهم
من أصول غير إسلامية ، كان أجلاها ما أنبأنا عن ثقافتهم ذات التكوين
اليهودي .

١٠ ان ثقافة الدعاة الباطنيين ذات التكوين اليهودي ذهبت بالدعاة
مذهبا غربيا ، وأعني بذلك قول الدعاة الباطنيين بانتساب دعواتهم الى بنى
اسرائيل : يعقوب بن اسحق .

ان الباحث لا يدري أيصف ذلك بأنه يعبر عن حقيقة الدعاة الباطنيين
من حيث أصلهم ، أم أنه يعبر عن ذلك من حيث انتمائهم الفكري .

١٥ وليت شعري ما الذي ذهب بهم هذا المذهب حتى احتالوا له الحيل
وكونوا له الأخبار وأرخوا له التواريخ فصارت عقيدتهم ثابتة وتدين أحدهما
يتصل باسماعيل بن ابراهيم جد العرب والآخر باسحق بن ابراهيم
جد اليهود .

هذا المذهب الذي استنتج الباحث منه احتمال كون ميمون القـداح

٢٠ يهوديا في أصله حيث نسب الباطنيون الى يعقوب بن اسحق .

وقد استنتج الباحث - من المصادر الباطنية - أن العبيديين الذين
انتسبوا الى فاطمة الزهراء ليسوا الا من ذرية عبيد الله المهدي الذي كان من
ذرية ميمون القـداح .

كما استنتج أن مسألة النسب الفاطمي وطلانه بالنسبة للعبيديين لم تكن في أصلها من أقاويل أعدائهم عليهم بل كانت من أتباعهم كما تقول المصادر الباطنية .

- ومن نتائج البحث : ان المحققين من أهل السنة لم يكونوا متجنسين على الباطنيين في كثير مما كتبه عنهم ، لأن المصادر الباطنية التي ظهرت أخيراً أثبتت أن أهل السنة كانوا على اتصال بمصادرهم رغم السرية التي أحيطت بها تلك المصادر ، وعلى ذلك فإن الواجب حيال ما لم يثبت بعد على الباطنيين من أقوال أهل السنة فيهم ، عدم حمله على محمل سوء الظن بأهل السنة ، حتى يثبت عكس ما قالوا ، لأن في ذلك تجن لا يقبله العلم ولا أهله . مع الأخذ بعين الاعتبار أن كثيراً من المصادر الباطنية لازال طي الكتمان ، كما تبين من البحث أن السرية التي اتبعها الباطنيون تحتم عليهم عدم كتابة كل اعتقاداتهم بين السطور .
- وعلى ضوء تلك النتائج العلمية لعقائد الفرق بعامة والفرق الباطنية بخاصة فالفكر الباطني لازال قائماً بكيفية ما ، كما أن دواعي ذلك لازال ماثلة . فان الباحث يقترح :

- ١٥ ان تعمل الجهات الاسلامية التي تقلدت نشر الدعوة الاسلامية - مشكورة - على بيان المذهب الباطني والنقاط التي ابتعد فيها عن جوهر العقيدة الاسلامية ، منعا لأي التباس قد يحدث .

- ان تقوم إحدى الجهات العلمية في بلادنا المقدسة بالخطوة الأولى نحو إعادة كتابة التاريخ الاسلامي وترتيب أوراقه وأعني وضع مخطط شامل يوضح السبيل الى ذلك الهدف .

وقد تبينت للباحث الحاجة الماسة الى ذلك من خلال ما ورد في البحث .

وهنا يقف بي قلبي ، كما وقف جهدي فان يكن صواباً
فمن الله سبحانه وان يكن خطأ فمن نفسي ومن الشيطان . واني
أعوذ بالله من نفسي ومن الشيطان . وحسبنا الله ونعم الوكيل .
والله أعلم

تم بحمد الله

في الساعة الثانية عشرة والرربع من بعد فجر يوم الخميس المصادف
للعشرين من شهر جمادى الأولى من شهر السنة الأولى من القرن
الخامس عشر المبارك .



أسماء الأئمة المستورين كما وردت في رسالة المهدي، بين الله إلى أهل اليمن وهي التي ذكرها الداعي جعفر بن منصور اليمن في كتابه .
 (الفرائض وحجود الدين) . ونشرته لأول مرة الجامعة الأمريكية بالقاهرة على يد . حسين فيض الله العمداني وذلك سنة ١٩٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ورد هذا المعنى المشروح في كتابنا إلى ناحيتنا باليمن من مولانا الإمام عبد الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعد نزوله في المهدية المباركة .

لما اشتدت المحنة وعظمت التقية في أيام جعفر بن محمد صلوات الله عليه كتم اسم الإمام من ولده تقيّة عليه . فلم يطلع عليه في حياة جعفر بن محمد ولا بعد وفاته صلوات الله عليه ، إلا أوثق الثقة من شيعته ؛ وكان يقول : « التقية ديني ودين آبائي ، ومن لا تقيه له فلا دين له » .

فتعلق كل فرقة من الشيعة بواحد من أربعة من ولد جعفر بن محمد ، وهم : موسى وإسماعيل ومحمد وعبد الله . وكل منهم على غير عقد مؤكّد منه . وكان صاحب الحق منهم عبد الله بن جعفر صلوات الله عليه ، فلم يكن علم مقامه إلا عند الأبواب والثقة تقيّة عليه . وقد تعلق به قوم [على] غير هذه الحقيقة توّهماً منهم .

فلما أراد الأئمة من ولد جعفر إحياء دعوة الحق خافوا من قفاق المناقذين ، قَسَمُوا - صلى الله عليهم - بغير أسمائهم ، فجعلوا أسماءهم

للدعوة في مقام الحجج، وتسموا بمبارك وميون وسعيد للقال الحسن في هذه الأسماء .

وأشاروا بالإمامة إلى عبد الله، وتسمى بإسماعيل، ودعوا إلى أن المهدي صلوات الله عليه اسمه محمد بن إسماعيل، لأنه محمد وهو من ولد عبد الله الذي تسمى بإسماعيل . ففاق جماعة ممن دُعي، فذكروا إسماعيل ومحمد بن إسماعيل، وهما لا يوجدان، وأصحاب الحق سالمون آمنون .

فكان كلما قام منهم إمام تسمى بمحمد، والإشارة في الدعوة إلى محمد بن إسماعيل . والمراد بإسماعيل عبد الله؛ والمراد بمحمد كل من كان في عصره إلى أن يظهر صاحب الظهور وهو محمد، تنزول التقيه . والأمر منتظم بهذه التسمية .

قال مولانا صلوات الله عليه في كتابه حين ذكر هذا المعنى من التقيه في الأسماء، قال : فجعل الله في ذلك خيرا كثيرا . فكان الإمام عبد الله بن جعفر، ثم بعده [محمد] بن عبد الله، [ثم عبد الله بن محمد]،^(١) ثم أحمد بن عبد الله، ثم محمد بن أحمد . فكل

(١) في الأصل : ثم بعده عبد الله بن عبد الله . والظاهر أن العبارة ناقصة . وقد ذكر المؤلف فيما سبق اسم محمد بن عبد الله (= محمد بن إسماعيل)، فأضفنا إلى الأسماء التي وردت في الأصل اسمي محمد بن عبد الله وابنه عبد الله بن محمد .

هؤلاء تَسَمَّى بِمُحَمَّدٍ مُحَمَّدٌ ، خِلا عِبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَإِنَّهُ تَسَمَّى بِإِسْمَاعِيلٍ . هَكَذَا قَالَ مَوْلَانَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ .

فَكَانَ وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فِيهِ رِسَالَةٌ أَوَّلُهَا : مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ . فَجَعَلَهَا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ إِشَارَةً وَحُجَّةً وَتَذْكَرَةً إِلَى وَقْتِ ظَهْوَرِ هَذَا الْبَيَانِ .

ثُمَّ أَوْصَى مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ ، وَأَعْطَاهُ بِاخْتِيَارِ اللَّهِ أَمْرَهُ كُلَّهُ ، وَتَسَمَّى سَعِيدُ بْنُ الْحُسَيْنِ . فَجَرَتْ الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ زَمَانًا [بَعْدَ ذَلِكَ ^(١)] . فَلَمَّا ظَهَرَ أَظْهَرَ مَقَامَهُ ، وَأَظْهَرَ اسْمَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَهُوَ مَوْلَانَا عَبْدُ اللَّهِ الْإِمَامُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .

وَظَهَرَ مَعَهُ مَوْلَانَا أَبُو الْقَاسِمِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ، اسْمُهُ مُحَمَّدٌ . فَصَحَّحَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى الْقَائِمِ [بِنِ] الْمَهْدِيِّ ^(٢) مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي الْقَاسِمِ ، الْإِمَامِ الْمُنْتَظَرِ لِغَزْوِ دَوْلَةِ الدِّينِ وَالْجِهَادِ بِرَايَاتِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَكُتِبَ مَوْلَانَا عَبْدُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَعْنَى هَذَا الشَّرْحِ ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يُحْفَظْ عَلَى انْتِظَامِ الْكَلَامِ عَلَى النَّسْقِ . ثُمَّ نَسَبَ قَسَمَهُ فَقَالَ : وَالْوَلِيُّ الْآنَ (يَعْنِي نَفْسَهُ) عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّانِي

(١) فِي الْأَصْلِ : بِذَلِكَ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : إِلَى الْقَائِمِ الْمَهْدِيِّ .

[ابن محمد] بن عبد الله^(١) بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين . واسمه^(٢) الظاهر عبد الله بن محمد ، لأنه ابن محمد بن أحمد في الباطن . فهذا التسبب هكذا كان في كتاب مولانا عليه السلام على هذا النسق .

ثم ذكر في كتابه هذه الرواية عن جعفر بن محمد عليه السلام ، قال : جاء رجل من الشيعة إلى جعفر بن محمد عليه السلام ، فقال : يا ابن رسول الله ، كان من بني أمية كذا وكذا من ملك ، وبني العباس كذا وكذا من ملك ، وليس يكون منكم إلا مهدي واحد تقوم الساعة منه . قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : لقد قلل الله آل محمد أن لم يكن منهم إلا مهدي واحد ، وإنما نبشركم بالمهدي المنتظر الذي يعز الحق على يده ، أول من يصعد على منبر جده ، ويجاهد برايات المؤمنين على أخذ حقه ، ويزول به المحنة عن أهل شيعته ، ويعز جميع المؤمنين في دولته . ويكون بظهوره عز آل محمد إلى آخر الدنيا ، ويكون ولده^(٣) هداة

-
- (١) في الأصل : والولي الآن يعني نفسه علي بن الحسين بن علي بن أحمد ابن عبد الله بن عبد الله ثانياً ، تقول : إن الأسماء بهذا النسق لا توافق بما سبق من الأسماء المستورين . والظاهر أنه وقع الخلط في هذا الموقع .
- (٢) في الأصل : واسم . (٣) في الأصل : ويكون من ولده . وقد يكون القراءة : ويكون بعض أوجاعة من ولده .

مهديين مؤيدين إلى أن تقوم الساعة . فمننا المهدي ، ومننا المهادي ، ومننا المهتدي به ، ومننا من تطلع الشمس على رأسه . فإن كنت تريد الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : تقوم القيامة ومُلك الدنيا في يدي رجل من ولدي من ولد الحسين ، وهو الذي يُصلي خلفه عيسى ابن مريم ، فإنما يكون ذلك في زمان الزلزال وخِداج الأعمال ، فلا يتبعه^(١) إلا واثق بملمه ، يعني أنه لا ينفع في أيامه عملٌ حادٍ ولا تُقبلُ توبة ، وهو آخر الدنيا .

وقال مولانا أيضا في كتابه :^(٢) ولا بد بين كل ناطقين من إمام مملك يظهر بالسلطان الظاهر والسيف عند قبة الأئمة وعلو الظلمة . فكان إدريس بين آدم ونوح ، وكان فالع بن عابر بين نوح وإبراهيم ، وكان يوسف بن يعقوب بين إبراهيم وموسى ، وكان داود وسليمان بين موسى وعيسى ، وكان بخت نصر بين عيسى ومحمد . فيمنى أن المهدي بين محمد وبين صاحب القيامة .

ويروى عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه قال : يكون بعد السابع المهدي فترة تأرز العلم بين المسجدين ، كما تأرز الحية في

(١) في الأصل : فلا يتمه ، فيه تحريف وتصحيف .

(٢) في الأصل : كتاب .

جرها؛^(١) ثم لا يروكم إلا صاحبكم يدعوكم إلى نفسه بالسيف. فينبى
تأرز يستخفى ونحجز؛ وبين المسجدين يعني بين الإمامين، بين جعفر
ابن محمد والإمام الذي يظهر بالسيف، وعدد^(٢) هؤلاء السبعة من رسول
الله صلى الله عليه وآله. فالسابع جعفر بن محمد صلوات الله عليه .

وأجاب مولا ناعبد الله وقد سئل عن الشرح^(٣) الذي كان بين الناطق
إلى الناطق سبعة أئمة، وقد ذكر المدد في الأئمة الذين ذُكروا^(٤)
من آباءهم عليهم السلام بعدد أكثر من سبعة، فقال في كتابه^(٥)
صلوات الله عليه: إنما هي سبع مراتب، تدور كما تدور الأيام، يكون
فيها من الأئمة ما شاء الله، حتى يظهر الناطق بقتة متى أراد الله سبحانه.

فهذا المعنى كتب به إلى ناحيتنا باليمين مولانا أمير المؤمنين عبداً
صلوات الله عليه، بلا زيادة في معنى الشرح ولا قصان، وبالروايات
التي فيها، إلا أن يكون لفظه زادت، أو لفظه قصت، ولا تحيل المعنى
لأن الكتاب لم يحفظ على التسق.

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على النبي محمد والصفوة من آله
وسلم تسليماً .

-
- (١) روى في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الإيمان بدأ غرباً
وسيمود كما بدأ؛ فطوبى للغرباء. إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده،
ليزوا أن الإيمان بين هذين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها .
(٢) في الأصل: وعد. (٣) كذا في الأصل. وإنما يرجع أن يكون اللفظ نكرة .
(٤) في الأصل: ذكر . (٥) في الأصل: في كتابه له ثاني .

الملحق - ٢

جريدة المراجع

ملحوظة : ان ترتيب المراجع هنا حسب التسلسل الهجائي . وفي حالة
عدم ذكر المؤلف فان عنوان الكتاب يأخذ مكانه حسب أول حرف من
حروفه ، مع اهمال (ال) التعريف والكنية وما شابه .

أولا :

القرآن الكريم

ثانيا :

المراجع الأخرى

ابن الأثير (- ٦٣٠) ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني
الكامل في التاريخ . بيروت . دار صادر . ١٣٨٥ .

الاستراباذي (- ١٠٢٨) ، محمد بن علي بن ابراهيم
منهج المقال . مخطوط . دمشق . المكتبة الظاهرية . رقم ٧٥٧٣

ادريس (- ٨٧٢) ، الداعي عباد الدين

زهر المعاني . نشر جزأ منه . ايفانوف في : *Ivanow.*

RISE OF THE FATIMIDS, Inda. 1942.

الأذني ، سليمان

الباكورة السليمانية . ط بيروت . قديمة . مصور عن نسخة في مكتبة
كلية الالهيات . جامعة أنقرة .

الأشعري (- ٣٣٠) أبو الحسن علي بن اسماعيل .

مقالات الاسلاميين واختلاف الصلبيين . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
القاهرة . د . ت .

الأشعري - القتي (- ٣٠١) سعد بن عبدالله بن أبي خلف .

كتاب المقالات والفرق . تحقيق محمد جواد مشكور . طهران . مطبعة
حيدري . ١٣٤١ ش

الأصفهاني (- ٣٥٦) ، أبو الفتح علي بن الحسين

الأفغاني • بيروت • تصوير دار الفكر • د • ت • ا

الأصول الماسونية للمحافل المصرية الوطنية • القاهرة • مطبعة الآداب • ١٨٨٩

الألوسي (- ١٣٤٢) ، محمود شكري

مختصر التحفة الاثني عشرية • ط ٢ • القاهرة • المطبعة السلفية • ١٣٨٧

الامام الستور ، أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل (الباطني) •

الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا • تحقيق مصطفى غالب • بيروت • دار

صادر • ١٣٩٤

الأنصاري ، عبد الواحد

مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام • بيروت • مؤسسة الأعلي • ١٣٩٣

ايمار وزميلته

روما - امبراطوريتها • بيروت • عيدات • ١٩٦٤

ايفانوف ، و

الأدب الاسماعيلي (باللغة الانجليزية) • ط ٢ • طهران • مطبعة

جامعة طهران • ١٩٦٣

Ivanow, ISMAILI LITERATUR. Tehran. 1963

وهو المعروف باسم : THE GUIDE TO =

الاسماعيليون والقرامطة • (ترجمة الى العربية مسعود علي مسعود) • مكتوب

بالقلم في مكتبة سليمان السلوي •

البخاري (- ٢٥٦) ، الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل

صحيح البخاري • كما ورد في : فتح الباري لابن حجر • القاهرة • المطبعة

السلفية • ١٣٨٠

ابن بدران (- ١٣٤٦) عبد القادر بن أحمد

تهذيب ابن عساكر ، ج ٧ ، دمشق ، المكتبة العربية ، ١٣٥١

عبد الرحمن بدوي

شخصيات قلقة في الاسلام ، ط ٣ ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٨

مذاهب الاسلاميين - ج ٢ - بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٧٣

البغدادي (- ٤٢٩) ، عبد القاهر بن طاهر

الفرق بين الفرق ، ط ٢ ، بيروت ، تصوير دار الآفاق ، ١٩٧٧

القاهرة ، محمد علي صبيح ، د . ت .

تاريخ العالم ، ج ٤ ، (الترجمة العربية) ، القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ،

د . ت .

التميمي ، اسماعيل بن محمد بن حامد الدرزي

كتاب تقسيم العلوم ، مخطوط الخزانة التيمورية ، دار الكتب المصرية ، عقائد

- ٦٦٢ ،

ابن تيمية (- ٧٢٨) ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم

مجموع الفتاوى ، ج ٣٥ ، جمع ابن قاسم ، مكة ، مطبعة الحكومة ، د . ت .

الجاحظ (- ٢٥٥) ، أبو عثمان عمرو بن بحر

البيان والتبيين ، تحقيق ، عبد السلام هارون ، القاهرة ، الخانجي ، ١٣٩٥

جعفر بن منصور اليمن (عاش حتى أواخر القرن الرابع)

أسرار النطق ، (نشر جزءاً منه ايفانوف) في : the RISE ...

الشواهد والبيان ، مخطوط في الخزانة التيمورية ، عقائد - ١٨٤

كتاب الفرائض وحدود الدين (نشر جزءاً منه ، الهمداني ، بعنوان : فسي

نسب الخلفاء الفاطميين) الجامعة الأمريكية ، القاهرة ، ١٩٥٨

الجعفي ، الفضل بن عمر (راوى الكتاب)

الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق (ع) . تقديم وتحقيق .

مصطفى غالب . بيروت . دار الأندلس ١٩٦٤

جمال الدين ، محمد السعيد -

دولة الاسماعيليين في ايران ، القاهرة ، سجل العرب ، ١٣٢٥

ابن جندان (حضري معاصر كان يعيش في اندونيسيا)

السهم الرامي . مكتوب بالقلم ومصور في مركز البحث العلمي . مكة . كلية

الشرعية .

الجندي ، أنور

المخططات التلمودية في غزو الفكر الاسلامي ، القاهرة . دار الاعتصام

١٩٢٢ .

ابن الجوزي (- ٥٩٦) ، عبد الرحمن

تلبيس ابليس . تحقيق . الاسلامبولي . بيروت ١٣٩٦ .

جولد زيهر ، اجناس

العقيدة والشرعية . ط ٢ . (الترجمة العربية) . القاهرة . دار الكتاب

المصري . د . ت .

الجويني (- ٦٨١) عطاء الملك

تاريخ جهانگشاي . (ترجم جزاً منه محمد السعيد جمال الدين . دولة

الاسماعيلية في ايران) .

الحارثي (- ٥٨٤) ، الداعي محمد بن كاهن

الأنوار اللطيفة في الحقيقة . (نشر . محمد حسن الأعظمي . الأسرار الخفية

عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية) القاهرة . الهيئة المصرية

العامة . ١٩٢٠

حافظ ، عبدالله

منهج النقد عند المحدثين . رسالة علمية قدمت الى كلية

الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة ١٣٩٢ .

الحامدي (- ٥٩٦) ، الداعي حاتم بن ابراهيم

رسالة زهر بذر الحقائق . (نشر عادل العوا . منتخبات اسماعيلية)

دمشق . الجامعة السورية . ١٣٧٨

المجالس الحاتمية . مخطوطة مصورة في حوزة الباحث وتختلف كلياً

عن غيرها وهي ناقصة .

مجالس حاتم . (نشر مجلساً منها . ايفانوف في ... the RISE)

الهند . ١٩٤٢

الحبشي ، عبدالله

مصادر الفكر العربي والاسلامي في اليمن . صنعاء . مركز الدراسات

اليمنية . د . ت .

ابن حجر (- ٨٥٢) ، أحمد بن علي العسقلاني

لسان الميزان . بيروت . تصوير مؤسسة الأعلي . ١٣٩٠

الحجوري (- ٥٣٣) ، الداعي الخطاب بن الحسن الهمداني

غاية المواليد . (نشر جزءاً منه . ايفانوف في ... the RISE)

الهند . ١٩٤٢ .

ابن ابي الحديد (- ٦٥٥) ، عبدالحميد بن هبة الله

شرح نهج البلاغة . ج ٢ . القاهرة . مصطفى الحلبي وأخويه . د . ت .

ابن حزم (- ٤٥٦) ، أبو محمد علي بن أحمد

جمهرة أنساب العرب . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة . دار المعارف

الفصل في الملل والأهواء والنحل . ج ٤ . بيروت . تصوير دار المعرفة

١٣٩٥ .

حسن ، سعد محمد -

المهدية في الاسلام . القاهرة . دار الكتاب العربي . ١٣٧٣

حسين ، محمد كامل -

طائفة الاسماعيلية - تاريخها ، نظمها ، عقائدها - القاهرة . مكتبة

النهضة المصرية . ١٩٥٩

طائفة الدرور . القاهرة ١٩٥٢ .

في أدب مصر الفاطمية . القاهرة . دار الفكر العربي ١٩٦٣

حمزة بن علي (- ٤٣٣) مؤسس مذهب الدرور .

رسالة التحذير والتنبيه . مخطوطة في الخزانة التيمورية - عقائد ٦٦٢

رسالة خمّار . مخطوطة بالخزانة التيمورية - عقائد ٦٦٢

ابن خزيمة (- ٣١١) ، محمد بن اسحق .

صحيح ابن خزيمة . ج ٤ . تحقيق محمد مصطفى الأعظمي . دمشق . المكتب

الاسلامي . ١٣٩٩ .

ابن خياط (- ٢٤٠) ، خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصري .

تاريخ خليفة بن خياط . ط ٢ . تحقيق أكرم العمري . بيروت . مؤسسة

الرسالة ١٣٩٧

دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الانجليزية) ج ١ . ط . ليدن

دائرة المعارف اليهودية . ط نيويورك

The JEWISH ENCYCLOPEDIA; vol. IX. New York. 1903

JEWISH دائرة المعارف اليهودية العامة
The UNIVERSAL ENCYCLOPEDIA; Landman, New York.

دي بور

تاريخ الفلسفة الاسلامية . ترجمة . ابوريدة . القاهرة . لجنة التأليف

١٣٥٧

الديلي (٧١١ -) محمد بن حسن

قواعد عقائد آل محمد . القاهرة . عزت المطار . ١٣٦٩

الذهبي (٧٤٨ -) الحافظ شمس الدين محمد بن احمد

تهذيب التهذيب . ج ٢ . مصور عن مطبعة حيدرآباد ١٣٢٦

ميزان الاعتدال . ج ٢ . تحقيق الهجاوي . مكة المكرمة . الباز ١٣٨٢

الرازي (٣٢١ -) الداعي ابوحاتم احمد بن حمدان

كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية - (نشر جزأ منه عبدالله سلم

السامرائي في كتابه . الفلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية) . بغداد . دار

الحرية . ١٣٩٢

الرازي (٦٠٦ -) فخر الدين محمد بن عمر

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية

١٣٥٦ .

الرازي (٦٦٦ -) محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر

مختار الصحاح . بيروت . دار الفكر . ١٣٩٨

رسالة الاوصياء (درزية) . مخطوطة في دار الكتب المصرية . عقائد

النحل - ٤٥

رسالة الايقاظ والبهارة . (درزية) . مخطوطة في دار الكتب المصرية

عقائد النحل - ١٣٨ .

الرسالة الموسومة بالرض والتسليم . (درزية) . مخطوطة . دار الكتب
الصرية . علم كلام النحل - ٥٤

رسالة الصبحة الكائنة . (درزية) . مخطوطة . دار الكتب المصرية
عقائد النحل - ٥٤

رسالة النساء الكبيرة . مخطوطة درزية . في الخزانة التيمورية .
عقائد - ٢٦٦

الزركلي ، خير الدين

الاعلام . ط ٣ . تصوير . بيروت . ١٣٨٩

الزعي ، محمد علي

الماسونية في العراق . ط ٢ . بيروت . مؤسسة الزعي . ١٣٩٥

السجستاني (- قبل ٣٨٦) الداعي أبو يعقوب السجزي

كتاب اثبات النبوات . تحقيق . عارف تامر . بيروت . المطبعة الكاثوليكية

١٩٦٦

السيارات المستنصرية . تحقيق . عبدالمنعم ماجد . القاهرة . دار الفكر

العربي . ١٩٥٤

سزكين ، نؤاد

تاريخ التراث العربي ج ٢ . ترجمة محمود حجازي وزميله . القاهرة .

الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٧٨

شاروييم ، ميخائيل (بك)

التلبد في مذهب أهل التوحيد . القاهرة . مطبعة رصسيس . د . ت .

الشكسة ، مصطفى -

اسلام بلا مذاهب . ط ٤ . بيروت . ١٣٩٩

شلي ، أحمد -

المسيحية . ط ٤ . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية . ١٩٧٢

اليهودية . ط ٤ . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية . ١٩٧٤

الشهرستاني (٥٤٨ -) ، محمد عبدالكريم

الملل والنحل • تحقيق الكيلاني • القاهرة • مصطفى الحلبي • ١٣٨٧

الشيال ، جمال الدين -

الوثائق الفاطمية - ١ ، ط ٢ • القاهرة • دار المعارف • ١٩٦٥

الشيبي ، كامل مصطفى

الصلة بين التصوف والتشيع • ط ٢ • القاهرة • دار المعارف • ١٩٦٩

الفكر الشيعي والنزعات الصوفية • بغداد • مكتبة النهضة • ١٣٨٦

الطبري (- ٣١٠) ، محمد بن جرير

تاريخ الأمم والملوك • المعروف بتاريخ الطبري • تحقيق أبو الفضل

ابراهيم • القاهرة • دار المعارف • ١٩٧٠

طه حسين

الفتنة الكبرى - علي وينوه • ط ٨ • دار المعارف • ١٩٧٥

الطويان ، الأب - ؟

كشف الفخائح الدرزية • مخطوط مصور في الخزانة التيمورية • عقائد

- ١٦٣ -

الطبيبي ، الداعي شمس الدين

رسالة الدستور ودعوة المؤمنين الى الحضور • (نشر عارف تامر • فسي

أربع رسائل اسماعيلية) • بيروت • دار الكشاف • ١٩٥٢

ظفر الاسلام خان

التلمود - تاريخه وتعاليمه • ط ٢ • بيروت • دار الفنائس • ١٩٧٢

عارف تامر

أروى بنت اليمن • (سلسلة اقرأ - ٣٣٠) • القاهرة • دار المعارف • ١٩٧٠

الامامة في الاسلام • بيروت • دار الكتاب العربي • د • ت •

القرامطة • بيروت • مكتبة الحياة • د • ت •

عبدالباقي ، محمد فؤاد

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم • بيروت • تصوير دار الفكر • د . ت

مفتاح كنوز السنة • لاهور • تصوير سهيل أكيدبي • ١٩٧١

ابن عبد ربه (- ٣٢٧) ، أحمد بن محمد القرطبي

العقد الفريد • تحقيق أحمد أمين وزميليه • القاهرة • لجنة التأليف •

١٩٧٥ .

عبدالسلام ، محمود أحمد

النبي أشعيا وأزمة الكيان الصهيوني • رسالة علمية • جامعة الاسكندرية

كلية الآداب • ١٩٧٨ .

عبدالعظيم عبدالعظيم

الأحاديث الواردة في المهدي • رسالة علمية • كلية الشريعة بمكة •

١٣٩٨

العسكري ، مرتضى -

عبدالله بن سبا وأساطير أخرى • ط ٣ • بيروت • دار الكتاب • ١٣٨٨

علم الاسلام ثقة الامم (لقب لداع باطني مجهول)

الجالس المستنصرية • تحقيق محمد كامل حسين • القاهرة • دار الفكر

العربي • د . ت

عنان ، محمد عبدالله -

الحاكم بأمرالله • القاهرة • دار النشر الحديث • د . ت

المهد القديم

(الترجمة العربية) • دار الكتاب المقدس بالعالم العربي • ١٩٧٨

الغزالي (- ٥٠٥) ، أبو حامد • د . ت • بن محمد بن محمد

فضائح الباطنية • ط ٢ • تحقيق عبدالرحمن بدوي • الكويت • دار

الكتب الثقافية • د . ت .

فضح التلمود . سلسلة اليهود والعالم - ١١ . بيروت . ١٣٩٤

اليهود . بيروت . ١٣٩٢

فلوتن ، فان -

السيادة العربية والشيعية والاسرائيليات في عهد بني أمية . ترجمة

حسن ابراهيم حسن . القاهرة . مطبعة السعادة . ١٩٣٤ .

أبوفراس (- ٩٣٧) ، الداعي شهاب الدين بن ابراهيم

الايضاح . تحقيق عارف تامر . بيروت . المطبعة الكاثوليكية . ١٩٦٥

مطالع الشمس في معرفة النفوس . (نشر عارف تامر . أربع رسائل

اسماعيلية) بيروت . دار الكشاف . ١٩٥٢

مناقب الولي راشد الدين . (نشر مصطفى غالب . شيخ الجبل الثالث .

بيروت . دار اليقظة العربية . د . د . ت

فريد لاندر ، اسرائيل

ابتداعات الشيعة عند ابن حزم مقالة باللغة الانكليزية . نشرت في

مجلة : J.A.O.S. Vol XXIX . 1910

ابن ابي الفضائل (- أواسط القرن الخامس) ، محمد بن مالك اليماني

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة . القاهرة . عزت العطار . ١٣٥٧

فلهاوزن

أحزاب المعارضة السياسية والدينية في الاسلام . ترجمة عبدالرحمن

هدوي . القاهرة . مكتبة النهضة . ١٩٥٨ .

فهرس الموضوعات الكتابية . ط ٢ . (فهرس للكتاب المقدس) . القاهرة .

دار الثقافة المسيحية . ١٩٧٠

القاضي عبد الجبار (- ٤١٥) ، عبد الجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي

تثبيت دلائل النبوة . تحقيق عبدالكريم عثمان . بيروت . دار العربية ١٣٨٦

القاضي النعمان (-٣٦٣) ، النعمان بن حيون المغربي (داعي الدعوة)

أساس التأويل . مخطوط غير مرقم . في مكتبة جامع صنعاء - الغربية

افتتاح الدعوة . تحقيق فرحات الدشراوي ، تونس . الشركة التونسية

للتوزيع . ١٩٧٥ .

تأويل الدعائم . تحقيق محمد حسن الأعظمي . القاهرة . دارالمعارف .

د . ت .

دعائم الاسلام . ط ٣ . تحقيق آصف فيضي . القاهرة . دارالمعارف .

١٣٨٩ .

شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار . (نشر ايفانوف : the RISE)

الهند . ١٩٤٢ .

ابن قتيبة (-٢٧٦) ، عبدالله بن مسلم

المعارف . ط ٢ . تحقيق ثروت عكاشة . القاهرة . دار المعارف ١٩٦٩

ابن قرة الصابي (-٣٦٥)

تاريخ أخبار القرامطة . تحقيق سهيل زكار . بيروت . دار الأمانة .

١٣٩١ .

كاشف الخطأ (-١٣٧٦) ، محمد الحسين

أصل الشيعة وأصولها . ط ١٠ . القاهرة . المطبعة العربية . ١٣٧٧

و ط . نائب بغداد . ١٣٦٣ .

الكرماني (-٤١٢) ، الداعي حميد الدين أحمد بن عبدالله

الرسالة الواعظة في نفي الوهية الحاكم بأمرالله . تقديم محمد كامس

حسين ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة . مايو ١٩٥٢ .

كتاب الرياض . تحقيق عارف تامر . بيروت . دار الثقافة . ١٩٦٠

الكتشي (-٣٤٠) ، محمد بن عمر

معرفة أخبار الرجال . نشر الحاج الحائري . بومبي . د . ت .

لويسس ، برنارد -

أصول الاسماعيلية ، ترجمة جلو وزميله ، القاهرة ، دار الفكر
العربي ، د . ت .

مجالس الحكمة ، مخطوط ، متأخر النسخ ، ناقص ، صور لسدي
الباحث .

المجدوع (- القرن الثاني عشر) ، اسماعيل بن عبدالرسول الأجنبي ،
فهرست الكتب والرسائل ، تحقيق عليقي منزوي ، طهران ، مطبعة
الجامعة ، ١٩٦٦ .

مجهول

مجموعة حقيقة حق اليقين في معرفة سراسر مولانا أمير المؤمنين
مخطوط بجامعة كامبرج رقم : BROWN. Ms.E2

مجهول

مسائل مجموعة من الحقائق العالية ، (نشره شتروتمان ، أربعة كتب
اسماعيلية -) جوتجن ، ١٩٤٢

مسعد ، بولس حنا -

ممجبة التعاليم الصهيونية ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٩ .
المسعودي (- ٢٤٦) ، أبو الحسن علي بن الحسين

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط ٥ ، تحقيق محمد محي الدين
عبدالحميد ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٢ .

مسلم (- ٢٦١) ، - بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

صحيح مسلم ، بشرح النووي ، القاهرة ، المطبعة المصرية ، د . ت .
مصطفى غالب

أعلام الاسماعيلية ، بيروت ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٤ .

تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، دمشق ، دار اليقظة ، د . ت . و ط ٣
بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٧٩ .

- سنان راشد الدين - شيخ الجبل • بيروت • دار اليقظة العربية ١٩٦٧
المقريزي (- ٨٤٥) ، أحمد بن علي
اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء • القاهرة • المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية • ١٣٩٣ • وكذلك ط ١٣٧٨ •
المكرمي ، علي بن سليمان
حياة الأحرار • مخطوط مصور لدى الباحث • نسخ في سنة ١٠٥٣
في حياة مؤلفه
المهدي بالله المرتضى (- ٨٤٠) ، أحمد بن يحيى
المنية والأمل في الملل والنحل • مخطوط في مكتبة صنعاء الغربية •
علم الكلام ١٠٥٣
موسوعة تاريخ الحضارات العام - الحضارة اليونانية والديانة اليهودية •
بيروت • عويدات • ١٩٦٤
المؤيد في الدين (- ٤٧٠) ، هبة الله أبو نصر بن موسى الشيرازي (داعي
الدعاة)
ديوان المؤيد في الدين • تحقيق وتقديم محمد كامل حسين • القاهرة
دار الكتاب المصري • ١٩٤٩ •
السيرة المؤيدية • تحقيق وتقديم محمد كامل حسين • القاهرة • دار
الكتاب المصري • ١٩٤٩ •
الجالس المؤيدية • تلخيص حاتم بن إبراهيم • تحقيق محمد عبدالقادر
عبدالناصر • القاهرة • دار الثقافة • ١٩٧٥ •
ابن ميمون (- ٦٠٢) ، أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي اليهودي •
دلالة الحائرين • تحقيق حسين آتاي ، أنقره • مطبعة جامعة أنقرة •
١٩٧٤ •

الفاشي الأكبر (- ٢٩٣) ، عبدالله بن محمد

مسائل الامامة • تحقيق يوسف فان اس • بيروت • المعهد الألماني

للدراستات الشرقية ١٩٧١

ابن النديم (- ٣٧٨) ، أبو الفرج محمد بن اسحق

الفهرست • القاهرة • المكتبة التجارية الكبرى • د . ت

النشار ، علي سامي -

نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام • ج ٢ • ط ٧ • القاهرة • دار المعارف

١٩٧٧

نصر الله ، يوسف حنا

الكثر المرصود في قواعد التلمود • ط ٢ • تقديم مصطفى الزرقا • بيروت

١٣٨٨

النويختي (- ٣١٠) ، أبو الحسن محمد بن موسى

فرق الشيعة • ط ٤ • النجف • المطبعة الحيدرية • ١٣٨٨

النيسابوري (كان يعيش في أواخر القرن الرابع) ، أحمد بن ابراهيم (أو ابن

محمد)

استتار الامام • لنشر ايفانوف • مجلة كلية الآداب • جامعة القاهرة

ديسمبر ١٩٣٦

ابن الوليد الأنف (- ٦١٢) ، الداعي علي بن محمد

دافع الباطل وحتف المناضل • مخطوط في مكتبة صنعاء - الغربية - غير

مرقم

رسالة الاسم الأعظم • (نشر شتروثمان • أربعة كتب اسماعيلية) جوتنجن •

١٩٤٢

رسالة الايضاح والتبيين في تسلسل ولادتي الجسم والدين • (نشر شتروثمان

أربعة كتب اسماعيلية) • جوتنجن ١٩٤٢

رسالة تحفة المرتاد وهضة الأضداد . (نشر شتروثمان . أربعة كتب

اسماعيلية) جوتنجن . ١٩٤٢ .

اليقوي (- بعد ٢٩٢) ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر

تاريخ اليقوي . بيروت . دار بيروت ١٣٩٠

اليمني (ربما كان على قيد الحياة في ٣٦٥) ، محمد بن محمد

سيرة جعفر الحاجب . نشر ايفانوف . مجلة كلية الآداب . جامعة

القاهرة . ديسمبر ١٩٢٦ .

المحتوى

رقم الصفحة	
	المقدمة
	التمهيد
	الباب الأول ،
١٥٥-١	الغلو الشيعى والفرق الباطنية
	تمهيد
١	التشيع . ظهور التشيع
١٤-٢	الفصل الأول : الصحابة والغلو فى أهل البيت
٣	مجتمع عصر النبوة
٤	محبة الصحابة لآل رسول الله (ص)
٥	موالاة على بن أبى طالب
٧	على والخلافة
٩	السلف الصالح لأهل البيت والتشيع
١١	على والتشيع
١١	الحسن بن على . .
١٢	الحسين بن على . .
١٣	حقيقة التشيع
٥٦ - ١٤	الفصل الثانى : ظهور الغلو
١٤	تعريف الغلو الشيعى
١٤	تصنيف الغلاة اجمالاً
١٦	عبدالله بن سبأ : من هو
١٧	نشأته
١٨	هل كان ابن سبأ أسطورة
١٩	المستشرقون وابن سبأ

رقم الصفحة

- ٧١ مؤسس الكيسانية
- ٧٤ نفى وجود الكيسانية
- ٧٤ عقائد الكيسانية
- ٧٦ ب- الكريية
- ٧٦ عقائد الكريية
- ٨٠ كثير عزه
- ٨١ السيد الحميرى
- ٨٢ حمزة بن عماره البرهري
- ٨٧ صائد النهدي
- ٨٩ ج- الهاشمية
- ٨٩ عقائد الهاشمية
- ٩١ ١- البيانية
- ٩٢ عقائد البيانية
- ٩٣ ٢- العربية
- ١٠٠ عقائد العربية
- ١٠٠ ٣- العباسية أو الروندية
- ١٠٣ عقائد العباسية
- ١٠٣ ٤- الجناحية أو المعاوية
- ١٠٥ عقائد الجناحية
- ٥- فرقة من الكيسانية غير معروفة باسم معين
- ١٠٦
- ١٠٦ كيسنة القرامطية
- ١٠٨ خاتمة الحديث عن الكيسانية
- عقائد السهية والفرق الحنفية الكيسانية
- ١٠٨ على ضوء الفكر اليهودي

رقم الصفحة

- ٢١ الباحثون العرب وانكار شخصية ابن سبأ
- ٤٦ ١- مناقشة المنكرين لعبدالله بن سبأ
- ١- المنكرون لابن سبأ استنادا على
- ٢٦ تجريح سيف بن عمر
- ٢٨ ٢- انكار طه حسين لابن سبأ
- ٣٨ ٣- المنكرون لدور ابن سبأ السياسي
- ٤١ بعض التحركات السرية ضد عثمان
- ٤٤ ٤- المنكرون يهودية ابن سبأ
- ٥- انكار وجود ابن سبأ واحالة
الدور الذي قام به الى عمار بن
٤٥ ياسر
- ٥٤ ابن سبأ في الفكر الباطني
- ١٣٨ - ٥٧ الفصل الثالث : الغلو بعد عبدالله بن سبأ
- ٥٧ الغلاة وفرقهم تفصيلا
- ٥٩ ١- السبئية
- ٥٩ عقائد السبئية
- ٥٩ أ - القول بحلول اللاهوت في الناسوت
- ٦٠ ب - المهدية والرجعة
- ٦٣ ج - الوصاية والامامة
- د - النيل من صحابة رسول الله (ص) ٦
٦٥ وتكفيرهم
- ٦٦ هـ - العلم الخفي والتأويل الباطني
- ٦٩ ٢- الغلاة في محمد بن الحنفية
- ٧٠ أ - الكيسانية

- ١- القول بحلول الجزء الالهى فى
البشر ١٠٨
- ٢- المهدي المنتقم ورجعه ١٠٩
- ٣- القول بالامامة والوصاية ١١٠
- ٤- التأويل الباطنى ١١٠
- ٥- تجسيد الله وتشبيهه بالخلق ١١٠
- ٦- القول بجواز البداهة على الله ١١٢
- ثالثاً : الغلاة فى ذرية الحسين ١١٢
- أ - الغلاة الحسينيون ١١٢
- المنغرية ١١٢
- عقائد المنغرية ١١٤
- ب - الغلاة الحسينيون . ١١٧
- ١- المنصورية ١١٧
- تلخيص عقائد المنصورية ١٢٢
- الفكر اليهودى فى عقائد المنصورية ١٢٣
- ٢- الخطابية ١٢٥
- الفرق الخطابية ١٢٨
- ١- المعمرية ١٢٩
- ٢- البزيمية ١٢٩
- ٣- العميرية ١٢٩
- ٤- الخطابية المطلقة ١٢٩
- تلخيص عقائد الخطابية ١٣٤
- عقائد الخطابية على ضوء الفكر اليهودى ١٣٤
- ١- قولهم انهم أبناء الله واحبائه ١٣٥
- ٢- انكارهم الثواب والعقاب فى الاخرة ١٣٥
- ٣- ابحاثهم شهادة الزور على مخالفيهم ١٣٧

رقم الصفحة

١٣٩	الفصل الرابع ، ظهور الفرق الباطنية من الغلاة
١٤٠	١- الناوسية
١٤١	٢- النمطية
١٤١	٣- الفخجية
١٤٢	٤- الموسوية
١٤٢	النصيرية
١٤٣	٥- الاسماعيليه
١٤٤	أ - الاسماعيليه الأول
١٤٤	١- الاسماعيليه الخالصه
١٤٥	٢- المباركيه
١٤٦	ب- الاسماعيليون العبيديون
١٤٦	ظهور الاسماعيليه
١٤٩	تفرق الاسماعيليه
١٥٠	الدروز
١٥٠	ظهور النزاريه والمستعليه
١٥١	النزاريه
١٥٢	المستعليه
١٥٢	الحافظيه
١٥٢	الطبيبيه
١٥٣	١- الداوديه
١٥٣	٢- السليمانيه
١٥٥	نتيجه الباب الأول
١٥٦ - ٣٠٤	الباب الثاني ، عقائد الفرق الباطنيه
١٥٦	تمهيد

رقم الصفحة

١٩٨ - ١٥٨

الفصل الأول : التأويل الباطني

١٥٨

تمهيد

١٥٨

ما هو التأويل الباطني

١٥٩

أهمية كل من الظاهر والباطن عند الباطنيين

١٦٥

ما هيّة الظاهر عند الباطنيين

١٦٨

سقوط العمل بالظاهر

١٧٤

أصل التأويل الباطني

١٧٤

تاريخ الباطن عند الباطنيين

١٨٠

تاريخ الباطن عند غير الباطنيين

١٨١

اليهود والتأويل الباطني

١٨٨

التأويل الباطني عند الغلاة

العوامل المشتركة عند اليهود والباطنيين في التأويل

١٩٠

الباطني كونه علما سرّيا

١٩٠

تعدد تأويل العبارة الواحدة عند كل

١٩٢

ان باطن النص هو المقصود .

١٩٣

نماذج من التأويل الباطني للقرآن الكريم

١٩٣

آية الكرسي

١٩٥

قصة ابني آدم

١٩٨

نماذج أخرى وردت في البحث

٢١١ - ١٩٩

الفصل الثاني : التسبيع

١٩٩

تمهيد

٢٠٠

التسبيع عند الباطنيين

٢٠١

عقيدة الأدوار السبعة

٢٠٢

التقاء عقيدة التسبيع مع عقيدة تناسخ الأرواح

٢٠٢ م

فشل الباطنيين في اثبات نظريات التسبيع واقعا

رقم الصفحة

٢٤٦

معجزات الأنبياء عند الباطنيين

٢٤٧

معجزات الأئمة

٢٤٨

٥- عصمة الأئمة

٢٤٩

نفي اليهود الخطأ عن خاماتهم

٢٥٠

٦- اتصال الوحى بالأئمة

٢٥٠

٧- الأئمة بعد موتهم

٢٥٢

استمرار الامامة

٢٥٣

القول بأئمة ظاهرين

٢٥٤

دور الستر

٢٥٥

١- المقصود بدور الستر

٢٥٥

٢- أسباب القول بالامام المستور

٢٥٨ - ٢٧٩

الفصل السادس : الأئمة المستورون

٢٦٠

١- اسماعيل بن جعفر

٢٦١

مولده ونشأته

٢٦٣

امامته

٢٦٤

وفاته

٢٦٥

ظهوره بعد موته

٢٦٧

الاسماعيلية بعد اسماعيل

٢٦٨

دور اسماعيل فى الفكر الباطنى

٢٦٨

٢- محمد بن اسماعيل

٢٦٩

مولده ونشأته

٢٦٩

امامته

٢٧٥

دور محمد بن اسماعيل فى العقيدة الباطنية

٢٧٨

٣- الأئمة المستورون بعد محمد بن اسماعيل

٢٨٠ - ٤٠٣

الفصل السابع : قائم الزمان (= المهدي المنتظر)

رقم الصفحة	
٢٠٥	اصل التسبيح وعلاقته بالفكر اليهودي
٢١٢ - ٢٢٢	الفصل الثالث : الاله عند الباطنيين
١١٢	قصة الخلق والعقول العشرة
١١٥	الكههون عند الباطنيين واليهود
١١٨	الاشترك اللفظي في اسم الله عند الباطنيين
٢٢١	“ “ “ “ “ عند اليهود
٢٢٢	تألية النصيرية لعلي بن ابي طالب
٢٢٢	حلول روح الله في البشر عند الدرور والاسماعيليين
	الفصل الرابع : عقيدة الباطنيين في سيدنا محمد (ص) وفي كونه
٢٢٢ - ٢٣٢	خاتم الانبياء والمرسلين
٢٢٧	آخر الرسل عند الباطنيين
٢٢٨	نسخ شريعة محمد (ص)
٢٢٩	شخصيته (ص) ومكانته عند الباطنيين
٢٣٢	علاقة هذا الفصل بالبحث
٢٣٣ - ٢٥٧	الفصل الخامس : الامامة
٢٢٣	تعريف الامامة
٢٢٣	الشيعة والامامة
٢٣٦	الامامة عند الباطنيين
٢٣٦	خصائص الأئمة
٢٣٧	١- تكون الامام من لاهوت وناسوت
٢٣٨	الاصل اليهودي للفكرة
٢٤١	٢- وصف الامام بصفات الله
٢٤٢	٣- وصف الائمة بأنهم يعلمون الغيب والسر
٢٤٦	٤- الاتيان بخوارق العبادات

رقم الصفحة

٢٨٠

تمهيد :

٢٨٠

المهدى عند أهل السنة

٢٨٤

المهدى عند الشيعة

٢٨٤

المهدية
المهنية على الرجعة

٢٨٩

المهدى الباطنى

٢٨٩

أفضلية القائم المنتظر على المرسلين

٢٩١

القائم يعنى القيامة

٢٦٤

الاراء الباطنية فى الثواب والعقاب

٢٩٤

١- كون الثواب والعقاب غير جسمانيين

٢٩٥

٢- الثواب والعقاب عند قيام قائم القيامة المنتقم

٢٩٧

القائم المنتقم عند الخلاة واليهود

٢٩٩

٣- الثواب والعقاب فى الدنيا - (صورة للتناسخ) -

٣٠٣

الأصل اليهودى لذلك

نتيجة الباب الثانى

٣٠٥ - ٤٤٧

الباب الثالث : الدعوة الباطنية ودعاتها

تمهيد :

٣٠٨ - ٣٥٢

الفصل الأول : الدعوة الباطنية

٣٠٨

عناصير الدعوة الباطنية

٣٠٨

١- وجود الضد المخالف

٣٠٨

٢- تحقيق هدف الايمان والعمل بالباطن المحض

٣٠٩

الركنان الأساسيان فى الدعوة الباطنية

٣٠٩

١- السريسة

٣١٢

متى ظهر الباطنيون بها

٣١٤

العامة

٣١٥

المستجيبون

رقم الصفحة	
٣١٦	الوسائل السرية الباطنية
٣١٦	الطريقة الشفهية عند الباطنيين
٣١٨	« « عند اليهود
٣٢٠	الكتابة السرية
٣٢٤	التلغيز عند الباطنيين
٣٢٥	عند اليهود
٣٢٦	٢- التدج في الدعوة
٣٣٣	أهمية أخذ العهد
٣٣٥	دور القمع الفكرى فى الدعوة الباطنية
٣٣٨	صيغة العهد
٣٤٣	العهد الماسونى
٣٤٩	التوافق بين الماسونية والباطنية
٣٥١	يهودية الماسونية
٣٩٨ - ٣٥٣	الفصل الثانى : الدعوة الباطنية
٣٥٣	التنظيم الباطنى للدعاة
٣٥٤	الدعاة الباطنيون والأعداد
٣٥٩	مراتب الدعاة الباطنيين
٣٦٤	١- الحجوة
٣٦٦	٢- الباب
٣٦٧	٣- داعى البلاغ
٣٦٨	٤- داعى الدعاة
٣٦٩	٥- دعاة الجزائر
٣٧١	منظمة داعى الجزيرة
٣٧٢	حجج الليل

رقم الصفحة	
٣٧٣	مظاهر في الدعاة الباطنيين
٣٧٥	تجاوزات الدعاة والعقائد الباطنية
٣٧٩	الفكر الميهودي في تراث الدعاة الباطنيين
٣٨٢	الداعي أبو يعقوب السجستاني
٣٨٢	القاضي للنعمان
٣٨٤	الداعي أبو فخر راس
٣٨٦	الداعي حميد الدين الكرمانسي
٣٨٩	حاتم بن ابراهيم الحامسي
٣٩٠	كتاب مجالس الحكمة
٣٩٣	مجموعة الوثائق الفاطمية
٣٩٩ - ٤٤٧	الفصل الثالث : تاريخ الدعوة الباطنية
٣٩٩	علاقة النسب الفاطمي بتاريخ الدعوة للباطنية
٤٠٠	المنكرون للنسب الفاطمي
٤٠١	ارسال الدعاة الى البلاد المختلفة
٤٠٤	انتظار الجهمول
٤٠٧	بداية الشك في شخصية عبيد الله المهدي
٤١٢	بين الكوفة وسليمة
٤١٩	القائم بأمر الله العبيدي
٤٢٨	النسب الحقيقي للعبيديين
٤٢٨	القداحيون بين الاسطورة والحقيقة
٤٣٠	في الفكر الباطنيين
٤٣٤	ضد غير الباطنيين
٤٣٧	اصل القداحيين
٤٤٧	نتيجة الباب الثالث
٤٤٨	الختمة
٤٥٦	ملحق - ١ رسالة المهدي عبيد الله الى أهل اليمن
٤٦٦	ملحق - ٢ جريدة المراجعين
٤٨٢	المحتوى